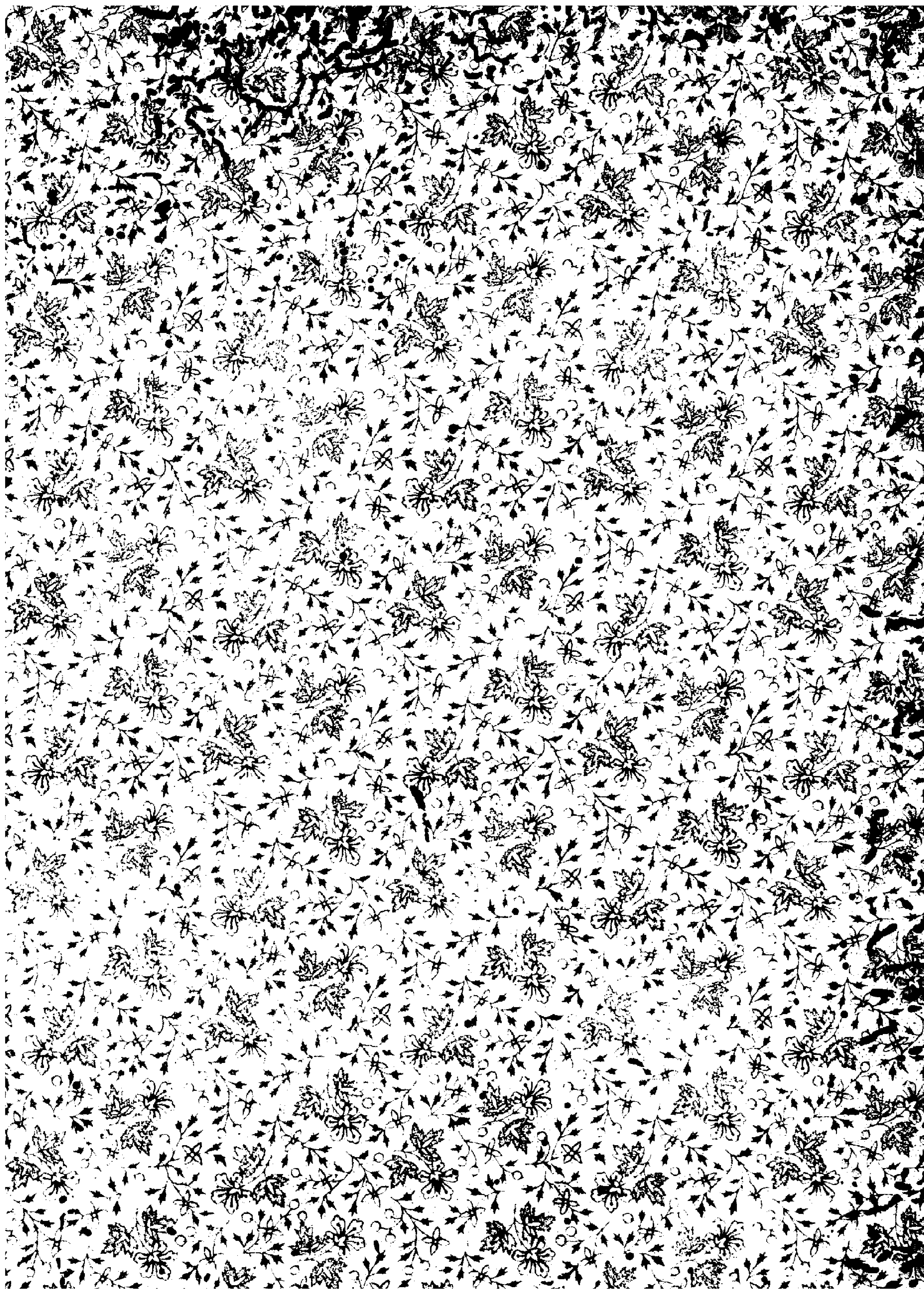





الجزء الثامن عشر

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

(تفسير سورة قد أفلح المؤمنون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال أبو جعفر يعنى جل ثناؤه بقوله قد أفلح المؤمنون قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأقروا بما جاءهم به من عند الله وعملوا بما دعاهم اليه مما سمى فى هذه الآيات الخلود فى جنات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله قد أفلح المؤمنون قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون لما علمت فيها من الكرامة حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ثنا يحيى بن الضريس عن عمرو بن أبى قيس عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد قال لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون * قال ثنا حفص بن عمر عن أبى خلدة عن أبى العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون فأنزل الله به قرآنا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال لم يخلق الله شيأ بيده غير أربعة أشياء خلق آدم بيده وكتب الالواح بيده والتوراة بيده وغرس عدنا بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وقوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول تعالى ذكره الذين هم فى صلاتهم اذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها وقيل انها نزلت من أجل أن القوم كانوا

يرفعون

(سورة المؤمنين مكية وحروفها ٤٨٤٠ كلمها ١٨٤٠ آياتها ١١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا

يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا
ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت خالدا عن محمد بن سيرين قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نظر إلى السماء فأنزلت هذه الآية الذين هم في صلاتهم
خاشعون قال فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة
عن أبي جعفر عن الحجاج الصواف عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
فقالوا بعد ذلك برؤسهم هكذا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب
عن محمد قال نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت آية
إن لم تكن الذين هم في صلاتهم خاشعون فلا أدري أية آية هي قال فطأطأ قال وقال محمد وكانوا
يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فإن كان قد استعاد النظر فليغمض حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنا هشيم عن ابن عون عن محمد نحوه واختلف أهل التأويل في الذي عنى به في هذا
الموضع من الخشوع فقال بعضهم عنى به سكون الأطراف في الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الذين هم في صلاتهم
خاشعون قال السكون فيها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري
الذين هم في صلاتهم خاشعون قال سكون المرء في صلاته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن الزهري مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن
أبي سفيان الشيباني عن رجل عن علي قال سئل عن قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال
لا تلتفت في صلاتك حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال قال ضمرة بن ربيعة عن أبي شوذب
عن الحسن في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك البصر
وخفضوا به الجناح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة
عن ابراهيم في قوله خاشعون قال الخشوع في القلب وقال ساكنون * قال ثنا الحسن قال
ثني خالد بن عبد الله عن المسعودي عن أبي سنان عن رجل من قومه عن علي رضي الله عنه قال
الخشوع في القلب وأن تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال التخشع في الصلاة
وقال لي غير عطاء كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه
حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فما رؤي بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض
* وقال آخرون عنى به الخوف في هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى
قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن الذين هم في صلاتهم خاشعون قال خائفون حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون قال
الحسن خائفون وقال قتادة الخشوع في القلب حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني
معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الذين هم في صلاتهم خاشعون يقول خائفون ساكنون
وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا
الموضع وإذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى
في عقل ولا خبر كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم وإذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام
ما وصفت قبل من أنه والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته وإذا

من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد
أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل
ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا
الأولين إن هو إلا رجل به جنة
فتربصوا به حتى حين قال رب
انصرني بما كذبون فأوحينا إليه
أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا
فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك
فيها من كل زوجين اثنين وأهلك
إلا من سبق عليه القول منهم ولا
تخاطبني في الذين ظلموا إنهم
مغرقون فإذا استويت أنت ومن
معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين وقل رب
أنزلني منزلا مباركا وأنت خير
المنزلين إن في ذلك لآيات وإن كنا
لمبتلين) ۞ القراآت لأماناتهم على
التوحيد ابن كثير على صلاتهم
موحدة حمزة وعلي وخلف وعظمت
العظم موحد ابن علي إرادة الجنس
أو على وضع الواحد مكان الجمع
لعدم اللبس ابن عامر وأبو بكر
وحماد وجبلة الأول موحدا
والثاني مجموعا زيد عن يعقوب
وروى القطعي عن أبي زيد بالعكس
فيهما الباقون مجموعين سيناء بكسر
السين أبو عمرو وأبو جعفر ونافع
وابن كثير الآخرون بفتحها
تنبت من الإنبات ابن كثير وأبو عمرو
ويعقوب غير روح الآخرون
بفتح التاء وضم الباء من النبات
نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر
وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد
بالتاء الفوقانية يزيد الباقون
بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر
الزاء أبو بكر وحماد الآخرون
بضم الميم وفتح الزاء ۞ الوقوف

المؤمنون ٥ لا خاشعون ٥ لا معرضون ٥ لا فاعلون ٥ لا حافظون ٥ ملومين مم لاعتراض الاستثناء بين
الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والا فالآيتان من أوصاف المؤمنين أيضا العادون ٥ ج راعون ٥ لا
يحافظون ٥ م والا أوهم تخصيص الارث بالمذكورين فى الآيتين فقط الوارثون ٥ لا الفردوس ط خالدون ٥ طين ج ٥
للعدول عن المظهر الى كناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء فى جعلناه جنس ولده مع عطف ظاهر مكين ٥ ج
للعطف لما صلى وقد قيل للابتداء بانشاء (٤) نفخ الروح تعظيما آخر ط الخالقين ٥ ط لأن ثم لترتيب الاخبار فان بين
الاحياء والافناء مهلة لميتون ٥ ط
لذلك لقادرون ٥ للآية مع
اتصال المعنى بلفظ الفاء وأعناب م
لئلا يوهم أن الجار والمجرور وصف
أعناب تأكلون ٥ لا لأن شجرة
مفعول أنشأنا للآكلين ٥ لعبرة
ط لان الجملة بعدها ليست بصفة
لها تأكلون ٥ لا تحملون ٥ ط
غيره ط تتقون ٥ مثلكم لا
لأن قوله يريد صفة بشر عليكم ط
ملائكة ج لانقطاع النظم مع
اتحاد القول الاولين ج ٥
للآية مع اجتناب الابتداء
بقول الكفار مع اتحاد مقصود
الكلام حين ٥ كذبون ٥
التنور ٥ لا لأن ما بعده
جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين
مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج
للابتداء بان مع احتمال اضمار
اللام والفاء للتعليل مغرقون ٥
الظالمين ٥ المنزلين ٥ لمبتلين
٥ ۞ التفسير لما انجر الكلام
في السورة المتقدمة الى الختم
بالصلاة والزكاة بدأ في هذه
السورة بذكر فضائلهما وفضائل
ما ينخرط في سلكهما من مكارم
الاخلاق ومحاسن العادات وقد
نقصنا لما انها تثبت المتوقع ولما
تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا
متوقعين لمثل هذه البشارة وهي
الاخبار بثبوت الفلاح لهم وقدمر معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام فى أول البقرة وأما الخشوع فمنهم من قال
جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقى
عن كف الثوب أى جمعه والعبث بجسده وثيابه والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو
على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو أن يمسك بيده عصا أو سوطا ونحوهما قال
الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه

تذلل لله فيها العبد وثبت ذلة خضوعه فى سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها
وقوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول تعالى ذكره والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من
خلقه معرضون * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني
على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين هم عن اللغو
معرضون يقول الباطل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن عن
اللغو معرضون قال عن المعاصى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن
مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين هم عن اللغو معرضون
قال النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ممن آمن به واتبعه وصدقه كانوا عن اللغو
معرضين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك
هم العادون﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التى فرضها الله عليهم فيها مؤدون
وفعلهم الذى وصفوا به هو أداؤهموها وقوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم
يقول والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج فى هذا الموضع فروج الرجال وذلك أقبالهم
حافظون يحفظونها من اعمالها فى شئ من الفروج إلا على أزواجهم يقول إلا من أزواجهم
اللاتى أحلهن الله للرجال بالنكاح أو ما ملكت أيمانهم يعنى بذلك إماءهم وما التى فى قوله أو
ما ملكت أيمانهم فى محل خفض عطفا على الأزواج فانهم غير ملومين يقول فان من لم يحفظ
فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير موبخ على ذلك ولا مذموم ولا هو
بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس
قوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين
يقول رضى الله لهم اتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم وقوله فمن ابتغى وراء ذلك يقول فمن
التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون يقول فهم العادون حدود
الله المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قال نهاهم الله نهيا شديدا فقال فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون فسمى الزانى
من العادين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأولئك هم العادون

الآية طاطاً وكان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالي عن أبي طالب المكي عن بشر الحافي من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى عنه مرفوعاً ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على أنه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله وأقم الصلاة لذكرى والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهى للسكران الآن المستغرق في هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه ولا مناجاة مع الغفلة أصلاً بخلاف سائر أركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكاة كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة النفس التي هي عدو الله وكذا الحج فان أفعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضراً والمتكلمون أيضاً اتفقوا على أنه لا بد من الحضور والخشوع قالوا لان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما مماثل الآخر في ذاته ولوازمه فلا بد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور وأما الفقهاء فالأكثرون منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هب أنه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء أليس هو من شرط القبول الذي يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوباً ثم رده على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة والاستخفاف الا أنه يستحق المدح في الصورة الاولى والذم في الصورة الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت * قلت لا ريب أن الاحتياط انما هو في رعاية جانب الخشوع كما حكي عن بعض العلماء أنه اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأت مع الامام أن يعاتبني أبو حنيفة فاخترت الامامة طلباً للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعاني سبب اضافة الصلاة اليهم هو أن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما

قال الذين يتعدون الحلال الى الحرام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن في قوله فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون قال من زنى فهو عاد ۞ القول في تأويل قوله ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لأماناتهم التي ائتمنوا عليها وعهدهم وهو عقودهم التي عاقدوا الناس راعون يقول حافظون لا يضيعون ولكنهم يوفون بذلك كله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار الا ابن كثير والذين هم لاماناتهم على الجمع وقرأ ذلك ابن كثير لأمانتهم على الواحدة والصواب من القراءة في ذلك عندنا لأماناتهم لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يقول والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على وقتها حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على ميقاتها حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال أخبرنا ابن زحر عن الأعمش عن مسلم بن صبيح قال الذين هم على صلواتهم يحافظون قال أقام الصلاة لوقتها * وقال آخرون بل معنى ذلك على صلواتهم دائمون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم على صلواتهم يحافظون قال دائمون قال يعني بها المكتوبة وقوله أولئك هم الوارثون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأوله أهل التأويل ذكر الرواية بذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبي هريرة أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله * حدثنا

المصلي له فتعال عن ذلك ولما كان اللغو هو الساقط من القول أو الفعل احتمل أن يقع في الصلاة وأيضا كان الاعراض عنه من باب الترك كما أن الخشوع وهو استعمال الآداب وما لا يصح ولا تكمل الصلاة الا به كان من باب الافعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم جعلهما قرينين فقال (والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو على ماقلنا يشمل كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لا ضرورة اليه ولا حاجة قولا أو فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر والكفر حرام ومن المباح قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولو لم يكن (٦) مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال عز من قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكاة وهو مناسب للصلاة وليس المراد بالزكاة ههنا عين القدر المخرج من النصاب لان الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا يصح المعنى الا بتقدير مضاف أي لاداء الزكاة فاعلون بل المراد فعل المزكي الذي هو التزكية فقوله للزكاة فاعل الزكاة كقولك الضارب فاعل الضرب وعن أبي مسلم أنه حمل الزكاة ههنا على كل فعل محمود مرضي كقوله قد أفلح من تزكى والاول أقرب لانه مناسب لعرف الشرع الصفة الرابعة قوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) قال الفراء على بمعنى من وقال غيره هو في موضع الحال أي الا والين أو قوامين على أزواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى أنهم مستمرون على حفظ الفروج في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق الجار بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل من يباشرونه الا على أزواجهم فانهم غير ملومين عليهن وجوز في الكشاف أن يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي أي لا تسلط على فرسي وانما لم يقل أو من ملكت لانه اجتمع في السرية وصفان الانوثة التي هي سبب نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع (فمن ابتغى) طلب (وراء ذلك) الحد الذي شرع وهو اباحة أربع من الحرائر وماشاء من الاماء وكنى به حدا فسيحا (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه قيل لا دليل فيه على تحريم نكاح المتعة لانها من جملة الازواج اذا صح النكاح ومنع من أنها من الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم ولورثت منه لقوله ولهن الربع ثم الآية من العمومات التي يدخلها التخصيص بدلائل أخر فيخرج منها الغلام بل الوطء في الدبر على الاطلاق لانه ليس

القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الوارثون الجنة أورثتموها والجنة التي نورث من عبادنا هن سواء قال ابن جريج قال مجاهد يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار فلهم منزلان في الجنة وأهلان وذلك أنه منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد انه قال مثل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) يقول تعالى ذكره الذين يرثون البستان ذا الكرم وهو الفردوس عند العرب وكان مجاهد يقول هو بالرومية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله الذين يرثون الفردوس قال الفردوس بستان بالرومية * قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عدن حديقة في الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده تفتح كل فجر فينظر فيها ثم يقول قد أفلح المؤمنون قال هي الفردوس أيضا تلك الحديقة قال مجاهد غرسها الله بيده فلما بلغت قال قد أفلح المؤمنون ثم أمر بها تغلق فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول قد أفلح المؤمنون ثم تغلق الى مثلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قتل حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه يارسول الله ان كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه وان كان من أهل النار بالغت في البكاء قال يا أم حارثة انها جنتان في جنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة عن كعب قال خلق الله بيده جنة الفردوس غرسها بيده ثم قال تكلمي قالت قد أفلح المؤمنون * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن حسام بن مصك عن قتادة أيضا مثله غير أنه قال تكلمي قالت طوبى للمتقين * قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود نفيع قال لما خلقها الله قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن رضيت عنه وقوله هم فيها خالدون يعني ماكثون فيها يقول هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون يعني ماكثون فيها أبدا لا يتحولون عنها ۞ القول في تأويل قوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أسللناه منه فالسلالة هي المستلة من كل تربة ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الارض * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعني بالانسان في هذا الموضع فقال بعضهم عني به آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من طين قال استل آدم من الطين حدثنا

موضع حرث وكذا الزوجة والامة في أحوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال أبو حنيفة الاستثناء من النفي ليس باثبات فقوله لا صلاة الا بطهور ولا نكاح الا بولي لا يقتضي حصول الصلاة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولي ولا تخصيص عنده في الآية والمعنى انه يجب حفظ الفروج عن الكل الا في هاتين الصورتين فاني ما ذكرت حكمهما لا بالنفي ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه لتمكن رعايتهما والراعي القائم على الشئ بحفظه واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودائع والقصود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقد مر في تفسير قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما تحملوه من أمانات الناس وعهودهم الصفة السادسة محافظة الصلاة كما مر في قوله حافظوا على الصلوات وذلك في البقرة وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمداومة عليها وبمراقبة أعدادها وأوقاتها فرائض كانت أو سننا رواتب أو غيرها فالمحافظة أعم من الخشوع وأشمل ومن هنا يعرف فضيلة الصلاة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلف الاعتباران والعبارتان (أولئك هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث مالا فانفقه أو متاعا قليلا أو ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين الموروث بقوله (الذين يرثون الفردوس) وقد سبق معنى هذه الوراثة في الاعراف في قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قال الفقهاء لا فرق في الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك قالوا الدية انها ميراث المقتول وكل من في الجنة فله مسكن مفروض في النار على تقدير كفره وكل من في النار فله مسكن مفروض في الجنة على تقدير ايمانه كما ورد في الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع أهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا بل بعضه ميراث وبعضه بالاستحقاق الا أنه يصدق بالجملة أنهم ورثوا الفردوس أي الجنة ولهذا أنث الضمير في قوله (هم فيها خالدون) وقيل ان الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى أولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة أو الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روي أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله من سلالة من طين قال استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقنا ولد آدم وهو الانسان الذي ذكر في هذا الموضع من سلالة وهي النطفة التي استلت من ظهر الفحل من طين وهو آدم الذي خلق من طين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من سلالة من مني آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهي صفوة مائه وآدم هو الطين لانه خلق منه وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لدلالة قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين على أن ذلك كذلك لانه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين الا بعد خلقه في صلب الفحل ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته سليله وسلالته لأنهما مسلولان منه ومن السلالة قول بعضهم

(١) حملت به عصب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر

وهل كنت الا مهرة عربية * سلالة أفراس تجللها بغل

فمن قال سلالة جمعها سلالات وربما جمعوها سلائل وليس بالكثير لان السلائل جمع للسليل ومنه قول بعضهم

اذا أنتجت منها المهارى تشابهت * على القود إلا بالانوف سلائله

وقول الراجز * يقذفن في أسلابها بالسلائل *

القول في تأويل قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) يعني تعالى ذكره بقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا الانسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بأنه مكين لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه الى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا وقوله ثم خلقنا النطفة

(١) الذي في اللسان لجاءت به الخ فتنبه كتبه مصححه

وروى أبو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نخل الفردوس مقصورة الرحمن فيها الأنهار والأشجار وعن أبي أمامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني وتشفع لصاحبها فاذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب

ويضرب بها على وجه صاحبها قالت العلماء أما كلام الجنة فالمراد به أنها أعدت للمتقين كقوله قالتا أتينا طائعين وكذا الكلام في كلام طوبى وأما أنه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة وأما حديث الصلاة فلا ريب أنها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للمنعم عليك ان احسانك الي ينطق بالشكر ولما حث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدا والمعاد ليتمكن ذلك في نفوس المكلفين وهو ثلاثة أنواع الأول الاستدلال بأطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة ولما يسقط عن الشئ كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية في جعلناه راجعة الى الانسان الذي هو ولد آدم أي جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا هو ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هي الاجزاء الكلية المبثوثة في أعضائه التي تجتمع منيا في أوعيته ويحتمل أن يقال ان كل نسل آدم حاله كذلك لان غذاءه ينتهي الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان تلك السلالة تصير منيا وعلى هذا فكلتا لفظتي من للابتداء قال في الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر أراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانتها في نفسها فانها مكنت حيث هي وأحرزت أو على الاسناد المجازي باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر وترتيب الاطوار كما مر في أول الحج ومعنى ثم في بعض هذه المعطوفات تراخي الرتبة ولاسيما في قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أي خلقا مباينا للخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من دقائق اللطف وغرائب الصنع وذلك بعد استكماله ثلاثة أربعينات

علقة يقول ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة وهي القطعة من الدم فخلقنا العلقة مضغة يقول فجعلنا ذلك الدم مضغة وهي القطعة من اللحم. وقوله فخلقنا المضغة عظاما يقول فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم فخلقنا المضغة عظاما على الجماع وكان عاصم وعبد الله بن عامر يقرآن ذلك عظما في الحرفين جميعا على التوحيد والقراءة التي نختار في ذلك الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله فكسونا العظام لحما يقول فألبسنا العظام لحما وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ثم خلقنا النطفة عظما وعصبا فكسوناه لحما وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر يقول ثم أنشأنا هذا الانسان خلقا آخر وهذه الهاء التي في أنشأناه عائدة على الانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة جعل ذلك كله كالشئ الواحد فقيل ثم أنشأناه ذلك خلقا آخر واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقال بعضهم انشاؤه اياه خلقا آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ انسانا وكان قبل ذلك صورة ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس في قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهاني عن عكرمة في قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سلمة عن داود بن أبي هند عن الشعبي ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح فهو الخلق الآخر الذي ذكر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ثم أنشأناه خلقا يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح الذي جعله فيه وقال آخرون انشاؤه خلقا آخر تصريفه اياه في الاحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة والاغتذاء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الاحياء في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثنا أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أنشأناه

خلقا

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يقول خرج من بطن أمه بعدما خلق فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ثم كان من خلقه أن دل على ثدى أمه ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه الى أن قعد الى أن حبا الى أن قام على رجليه الى أن مشى الى أن فطم فعلم كيف يشرب و يأكل من الطعام الى أن بلغ الحلم الى أن بلغ أن يتقلب فى البلاد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره * وقال آخرون بل عنى بانشائه خلقا آخر سوى شبابه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال حين استوى شبابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد حين استوى به الشباب وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر انسانا وكان قبل ذلك بالاحوال التى وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعانى كلها الى معنى الانسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح فى الطينة التى خلق منها انسانا وخلقا آخر غير الطين الذى خلق منه وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فتبارك الله أحسن الصانعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فتبارك الله أحسن الخالقين قال يصنعون و يصنع الله والله خير الصانعين * وقال آخرون انما قيل فتبارك الله أحسن الخالقين لان عيسى بن مريم كان يخلق فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين قال عيسى بن مريم يخلق وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد لأن العرب تسمى كل صانع خالقا ومنه قول زهير

ولانت تفرى ما خلقت و بعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ويروى

ولأنت تخلق ما فريت و بعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

القول فى تأويل قوله تعالى (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يقول تعالى

ومن هنا ذهب أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده الى أنه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفى عن ابن عباس أن ذلك تصريف الله فى أطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون) و يروى هذا القول أيضا عن مجاهد وابن عمر (فتبارك الله) كثر خيره و بركته أو هو وصف له بالدوام والبقاء أو بالتعالى لان البركة يرجع معناها الى الامتداد وكل ما زاد على الشىء فقد علاه ومعنى (أحسن الخالقين) أحسن المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر والمعاصى وأجيب بأن الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان فى التركيب والتأليف و بأنه لا يقبح منه شىء لانه تعالى يتصرف فى ملكه قالوا لولا أن غيره تعالى خالق لم تحسن هذه الاضافة فعلم منه أن العبد خالق أفعاله وعورض بقوله الله خالق كل شىء وأجيب بأن المراد أنه أحسن الخالقين فى زعمكم واعتقادكم و بعضهم أجاب بأن وجه حسن الاضافة هو أنه تعالى وصف عيسى بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من أنه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصورين والحق أن الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم منه شىء من هذه الاشكالات يروى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وروى عن عمر أيضا سبق لسانه بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل أن ينزل واعلم أن هذا غير مستبعد ولا قادح فى اعجاز القرآن لأنه ليس بمقدار سورة الكوثر التى وقع فيها أقل التحدى به * سؤال ما الحكمة فى الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون فى الانعام أبلغ * جواب لو كان كذلك لكان الآتى بالطاعة آتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا جرم أوقع الله تعالى الامانة والاعادة فى البين لتكون الطاعات أدخل فى الاخلاص وأبعد عن صورة المبايعة وليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر فتعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية تتضمنها فانها أيضا من جنس الاعادة ﴿ النوع الثانى الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق لأنها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وقال على بن عيسى لانها

طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) أى عن السموات وحفظها أن لا تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن أراد بالخلق الناس أى ما كنا (غافلين) عن مصالحهم فخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل أن يريد بالاول كمال قدرته وبالثاني كمال علمه بأحوال مخلوقاته وفيه نوع من الزجر ويمكن أن يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها ذاهلين فلهذا لم تخرج عن التقدير الذى أردنا كونها عليه نظيره ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار وانجراج النبات وانشاء الحيوانات . ونزول المطر عند الظاهرين من أهل الشرع لا يبعد أن يكون من نفس السماء وعند أرباب المعقول منهم يراد به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الأجزاء المائية من البحر بواسطة التبخر فتصير فى الجو صافية عذبة زائلة عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد سلف فى أول البقرة تفصيل ذلك ومعنى (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضار ويصلون الى المنافع أو بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان ماء المطر فى الارض جعله مددا للينابيع والآبار وقيل أراد اثباته فى الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال وأجراها فى الارض (وانا على ذهاب به لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى اذ فيه ايذان على أن الذاهب به قادر على أى وجه أراد وفيه تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاده لئلا لم يشكر ثم لما نبه على عظم نعمته بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه وخص منها النخل والاعناب وشجرة الزيتون لانها أكرم الشجر وأعمها نفعا ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز فى الكشاف أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة كذا كأنه قال ومن هذه الجنان وجوه أرزاقكم ومعايشكم وشجرة ووصف الزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما أن يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين على قول والطور الذى منه نودى موسى من قرأ سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قرأ بكسرها فمنع صرفه للعلمية والعجمة أو التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون ألفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحرباء قال

ذكره ثم انكم أيها الناس من بعد انشائكم خلقا آخر وتصييرناكم انسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ثم انكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأنا كم أول مرة وانما قيل ثم انكم بعد ذلك لميتون لانه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن وكذلك تقول العرب لمن لم يمت هو مائت وميت عن قليل ولا يقولون لمن قد مات مائت وكذلك هو طمع فيما عندك اذا وصف بالطمع فاذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا وكذلك ذلك فى كل ما كان نظير الماذكرناه القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة وانما قيل للسموات السبع سبع طرائق لان بعضهن فوق بعض فكل سماء منهن طريقة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال الطرائق السموات وقوله وما كنا عن الخلق غافلين يقول وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون﴾ يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء ما فى الارض من ماء فأسكناه فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ماء هو من السماء وقوله وانا على ذهاب به لقادرون يقول جل ثناؤه وانا على الماء الذى أسكناه فى الارض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشا وتخرب أرضوكم فلا تنبت زرعا ولا غرسا وتهلك مواشيكم يقول فمن نعمتى عليكم تركى ذلك لكم فى الارض جاريا القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول لكم فى الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون يقول ومن الفواكه تأكلون وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والاعناب وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الارض لان هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها فكانت النخيل لأهل المدينة والأعناب لأهل الطائف فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من ثمارها القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ يقول تعالى ذكره وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء

فى الكشاف بالدهن فى موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لأن نبات الدهن أو انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن أو تنبت الشجرة وثمرتها وفيه الزيت ويجوز أن يكون أنبت بمعنى نبت أيضا والصبغ الادام لانه يصبغ الخبز قلت لا يبعد أن يريد بالصبغ نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل أن تكون الباء فى بالدهن للتعدية الا أن يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه تشعبت فى البلاد وتفرقت أولان معظمها هنالك قوله (وان لكم فى الانعام لعبرة) قد مر فى النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها هى المحمول عليها فى العادة ولانه قرنها بالفلك وهى سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر

وشجرة منصوبة عطفا على الجنات و يعنى بها شجرة الزيتون وقوله تخرج من طور سيناء يقول تخرج من جبل ينبت الاشجار وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهده واختلاف المختلفين بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله سيناء فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة سيناء بكسر السين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيناء بفتح السين وهما جميعا مجمعون على مدها والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب * واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه المبارك كأن معنى الكلام عنده وشجرة تخرج من جبل مبارك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله طور سيناء قال المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وشجرة تخرج من طور سيناء قال هو جبل بالشام مبارك * وقال آخرون معناه حسن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله طور سيناء قال هو جبل حسن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من طور سيناء الطور الجبل بالنبطية وسيناء حسنه بالنبطية * وقال آخرون هو اسم جبل معروف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله من طور سيناء قال الجبل الذى نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله طور سيناء قال هو جبل الطور الذى بالشام جبل ببيت المقدس قال ممدود هو بين مصر و بين أيلة * وقال آخرون معناه أنه جبل ذو شجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عمن قاله * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان سيناء اسم أضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبلا طىء فأضيفا الى طىء ولو كان القول فى ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك أو كما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله سيناء من نعته على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف فى كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل ولكن القول فى ذلك ان شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك وأنه الجبل الذى نودى منه موسى صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا أن معنى سيناء معنى مبارك وقوله تنبت بالدهن اختلفت القراء فى قراءة قوله

وانما قال فى هذه السورة (فواكه كثيرة) بالجمع بخلاف ما فى الزخرف لتناسب قوله هنا منافع كثيرة ولتناسب قوله جنات كما قال هنالك فاكهة على التوحيد لتناسب قوله وتلك الجنة وانما قال هنا فى الموضعين (ومنها تأكلون) بزيادة الواو وخلاف الزخرف لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ومنها ومنها وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للأكل فحسب فافهم واعلم أنه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك أتبعه قصة نوح لانه أول من ألهم صنعتها وفيه أيضا تنويع القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله (مالكم من اله غيره) جملة مستأنفة تجرى مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو فى أخس مراتب الامكان وهى الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها الاولى قولهم (ماهذا الا بشر مثلكم) انكار كون الرسول من جنس البشر أو انكار كونه مثلهم فى الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجمال كأنهم ظنوا أن القرب من الله يوجب المزية فى هذه الامور ويتأكد هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهى قوله (يريد أن يتفضل عليكم) أى يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء فى الارض ويتأكد الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهى قوله ولوشاء الله لأنزل ملائكة لعلو شأنهم ووفور علمهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن أقوام آخرين فى حم السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب فى قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوا اما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد (ماسمعنا بهذا) أى بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا المدعى فيجوز أن يكونوا

معاندين في ذلك الفطرة المتداولة ويجوز أن يكونوا تجاهلوا وتكذبوا لانهماكهم في الغي وتشميرهم لدفع الحق وإفحام النبي صلى الله عليه وسلم بأي وجه يمكنهم يؤيده الشبهة الخامسة وهي نسبتهم إياه إلى الجنون مع علمهم ظاهراً بأنه أرجح الناس عقلاً ورزانة قال جار الله الجنة الجنون أو الجن أي به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام أن المجنون ضرب به الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم (فتربصوا به حتى حين) أي اصبروا عليه إلى أن ينكشف جنونه ويفيق أو إلى أن يموت أو يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فإنه عليه السلام كان يفعل أفعالاً على خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام أنه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم أمره ويحتمل أن يكون هذا كلاما مستأنفا وهو أن يقولوا لقومهم اصبروا فإنه إن كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوي أمره فنحن حينئذ نتبعه وإن كان كاذبا فالله يخذله ويبطل أمره فحينئذ نستريح منه واعلم أنه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم لركاكتها ولأنه قد علم في هذا الكتاب الكريم أجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون وإذا بطل طريقة التقليد صار حديث التربص ضائعا بل يجب قبول قول من يدعي النبوة بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى أن نوحا عليه السلام لما علم إصرارهم على الكفر (قال رب انصرني) أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي ففي نصرته إهلاكهم أو انصرني بدل تكذيبهم إياي كقولك هذا بذاك والمراد بدلني من غم التكذيب سلوة النصرة أو انصرني بإنجاز ما كذبوني فيه وهو وعد العذاب في قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقي القصة إلى قوله إنهم مغرقون قد مر تفسير مثلها في سورة هود ومعنى فاسلك أدخل فيها وقد مر في أول الحجر في قوله كذلك نسلكه و(سبق عليه القول) نقيض سبقت لهم منا الحسنى لأن على تستعمل في الضار كما أن اللام تستعمل في النافع وقد جاء زيادة منهم ههنا على الأصل وحذفت في هود لتحسين عطف ومن آمن من تحيير الناس وبشاعة قيل في قوله بأعيننا على الجمع فساد قول المشبهة إن الله خلق آدم على صورته أما قوله (فإذا استويت) أي ركبت واستعليت (أنت ومن معك على الفلك فقل) لم يقل فقولوا لأن أول الكلام مبني على خطاب نوح ولأن قول النبي قول للأمة مع ما فيه من الإشعار بفضله ومن إظهار الكبرياء وأن كل أحد لا يليق لخطاب رب

تنبت فقرأته عامة قراء الأمصار تنبت بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن وقرأه بعض قراء البصرة تنبت بضم التاء بمعنى تنبت الدهن تخرجه وذكر أنها في قراءة عبد الله تخرج الدهن وقالوا الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكما قال الراجز

نحن بنو جعدة أرباب الفلج * نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

بمعنى ونرجو الفرج والقول عندي في ذلك أنهما لغتان نبت وأنبت ومن أنبت قول زهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

ويروى نبت وهو كقوله فأسر بأهلك وفاسر غير أن ذلك وإن كان كذلك فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ تنبت بفتح التاء لإجماع الحجة من القراء عليها ومعنى ذلك تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تنبت بالدهن قال بثمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والدهن الذي هو من ثمره الزيت كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تنبت بالدهن يقول هو الزيت يؤكل ويدهن به وقوله وصبغ للآكلين يقول تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وصبغ للآكلين قال هذا الزيتون صبغ للآكلين يأتدمون به ويصطبغون به قال أبو جعفر فالصبغ عطف على الدهن ۞ القول في تأويل قوله (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يقول تعالى ذكره وإن لكم أيها الناس في الأنعام لعبرة تعتبرون بها فتعرفون بها أيادي الله عندكم وقدرته على ما يشاء وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه نسقيكم مما في بطونها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ولكم مع ذلك فيها يعني في الأنعام منافع كثيرة وذلك كالإبل التي يحمل عليها ويركب ظهرها ويشرب درها ومنها تأكلون يعني من لحومها تأكلون وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يقول وعلى الأنعام وعلى السفن تحملون على هذه في البر وعلى هذه في البحر ۞ القول في تأويل قوله (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كل معبود سوانا فقال لهم نوح يا قوم اعبدوا الله يقول قال لهم ذلوا يا قوم لله بالطاعة ما لكم من إله غيره يقول ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره أفلا تتقون

يقول

العزة وفي الامر بالحمد على هلاكهم تفسيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق حزما لانه كان عرفه أن ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة في حكم الاهلاك ثم أمره أن يسأل ما هو أهم وأنفع أن ينزله في السفينة بدليل عطف وقل على جزاء فاذا استويت أو ينزله في الارض عند خروجهم من السفينة لانه لا يبعد أن يدعو عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها (منزلا) أي انزالا أو موضع انزال يبارك له فيه بزيادة اعطاء خير الدارين وقد أمره أن يشفع بالدعاء الثناء المطابق لمسئوله وهو قوله (وأنت خير المنزلين) أي انزاله وذلك أنه أقدر (١٣) على الحفظ وأعلم بحال النازل بل كل منزل فانه لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقائه تلك الداعية في قلبه (ان في ذلك) الذي ذكر من القصة (لآيات) لعبرا ودلالات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مقارها لا يقدر عليها الا القادر الخبير (وان كنا) هي المخففة من الثقيلة واللام في (لمبتلين) هي الفارقة والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق أو مختبرين بهذه الآيات من يخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد نمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد ۞ التأويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء أي ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها في الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوا به بعد أن فنوا فيه الخشوع في الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واستماع الاذن وقصر اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبد واعتدال الظهر في القيام وانحناؤه في الركوع وثبات القدمين والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعاني القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى المكونات واستغراق الروح في بحر المحبة وذوبانه عند تجلي صفات الجمال والجلال واللغو كل ما يشغلك عن الله والزكاة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الا على أزواجهم في كلمة على دلالة على أنهم يجب أن يستولوا على الازواج لا بالعكس والا كن عدوا لهم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج أن يبتغي بالنكاح النسل ورعاية السنة في أوانها لا حظ النفس والا كان متجاوزا طريق الكمال لاماناتهم يعني التي حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق

يقول أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم ۞ القول في تأويل قوله (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) يقول تعالى ذكره فقالت جماعة أشراف قوم نوح الذين جحدوا توحيد الله وكذبوه لقومهم ما نوح أيها القوم الا بشر مثلكم انما هو انسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يتفضل عليكم يقول يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعا وأنتم له تبع ولو شاء الله لأنزل ملائكة يقول ولو شاء الله أن لا نعبد شيأ سواه لأنزل ملائكة يقول لأرسل بالدعاء الى ما يدعوكم اليه نوح ملائكة تؤدي اليكم رسالته وقوله ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه نوح من أنه لا اله لنا غير الله في القرون الماضية وهي آباؤهم الأولون ۞ القول في تأويل قوله (إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) يعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملإ الذين كفروا من قوم نوح ان هو الا رجل به جنة ما نوح الا رجل به جنون وقد يقال أيضا للجن جنة فيتفق الاسم والمصدر وهو من قوله ان هو كناية اسم نوح وقوله فتربصوا به حتى حين يقول فتلبثوا به وتنظروا به حتى حين يقول الى وقت ما ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما انما هو كقول القائل دعه الى يوم ما أو الى وقت ما وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه لما طال أمره وأمرهم وتمادوا في غيهم رب انصرني على قومي بما كذبون يعني بتكذيبهم اياي فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم اليه من توحيدك وقوله فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا يقول فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه اصنع الفلك وهي السفينة بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر ووحينا يقول وبتعليمنا اياك صنعتها فاذا جاء أمرنا يقول فاذا جاء قضاؤنا في قومك بعذابهم وهلاكهم وفار التنور وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور والصواب عندنا من القول فيه بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول فأدخل في الفلك واحمل والهاء والالف في قوله فيها من ذكر الفلك من كل زوجين اثنين يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قول الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرد * وقد سلكوك في يوم عصيب

وبعضهم يقول أسلكت بالالف ومنه قول الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فى الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع أن الخشوع معتبر فى نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو أن لا يفعل ما يحبطها ويضيعها الوارثون لانهم أحياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلفها أموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع أجزاء الارض فلذا يختلف بالالوان والاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفأرة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازى ونحوها من

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول لنوح اجعل فى السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك وهم ولدك ونساؤهم الا من سبق عليه القول من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك وهو يام الذى غرق ويعنى بقوله منهم من أهلك والهاء والميم فى قوله منهم من ذكر الأهل وقوله ولا تخاطبنى الآية يقول ولا تسألنى فى الذين كفروا بالله أن أنجيهم انهم مغرقون يقول فانى قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فاذا اعتدلت فى السفينة أنت ومن معك ممن حملته معك من أهلك راكبا فيها عاليا فوقها فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين يعنى من المشركين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام وقل اذا سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها رب أنزلنى منزلا من الارض مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله منزلا مباركا قال لنوح حين نزل من السفينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رب أنزلنى منزلا مباركا بضم الميم وفتح الزاى بمعنى أنزلنى انزالا مباركا وقرأه عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاى بمعنى أنزلنى مكانا مباركا وموضعا وقوله ان فى ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من اهلاكناهم اذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام لعبرا لقومك من مشركى قريش وعظات وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سنتنا فى أمثالهم فينزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك حذرا أن يصيبهم مثل الذى أصابهم من العذاب وقوله وان كنا لمبتلين يقول تعالى ذكره وكنا مختبريهم بتذكيرنا اياهم بآياتنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم فأرسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم أن اعبدوا الله يا قوم وأطيعوه دون الآلهة والاصنام

الاخلاق الحميدة فتبارك الله أحسن الخالقين لانه خلق أحسن المخلوقين أما من حيث الصورة فلانه تعالى خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا تختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والمخ والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح وأما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التى أبى حملها السموات والارض والجبال وسيجىء تحقيق ذلك فى موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه أن الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفى موت أحدهما حياة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وتستره فى حجب النواشى الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحاستى الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هى الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد فى تلك الحجب بدليل قوله وأنزلنا من السماء سماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فأسكناه فى أرض وجوده فأنشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف وأعناب الكشوف وشجرة الخفى الذى يخرج من فان طور سيناء الروح حسب تأثير تجلى أنوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهى بلا واسطة لانه سر بين الله وبين الروح وصبغ لآكل الكونين بقوة الهمة ثم أخبر عن نعم القالب أن فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال وعليها وعلى فلك الشريعة فى سفر السير الى الله تحملون وتأويل قصة نوح قد مر فى سورة هود والله أعلم ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل

مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال
رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم
قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى (١٥) فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين
فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ۞ القراآت هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد والوقف بالتاء لا غير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والوقف بالألف لا غير الباقون بالياء في الحالين وأن هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون وأن بالفتح والتشديد زبرا بفتح الباء عباس الآخرون بضمها ۞ الوقوف آخرين ٥ ج للآية مع الفاء
واتصال المعنى غيره ط يتقون ٥ الدنيا لا لأن ما بعده مقول القول مثلكم لا لأن ما بعده صفة بشر تشربون ٥ لخاسرون ٥
مخرجون ٥ لما توعدون ٥ بمبعوثين ٥ لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز اتيان الآية مفتوح بمؤمنين ٥
ط بما كذبون ٥ نادمين ج ٥ للآية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما غثاء ط تفخيما لكلمة التبعيدية بالابتداء مع فاء التعقيب
الظالمين ٥ آخرين ٥ ط لان الجملة ليست بصفة لها الا ان العجز عن سبق الاجل لا يختص بهم يستأخرون ٥ ط لان ثم لترتيب الاخبار
تترا ط منونا فوقف أولا للابتداء بكلما أحاديث ج لما ذكر في غثاء لا يؤمنون ٥ مبين ٥ لا لتعلق الجار عالين ٥ ج للآية مع

فان العبادة لا تنبغي الا له ما لكم من إله غيره يقول ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه أفلا تتقون أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيأ دونه وهو الاله الذي لا اله لكم سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت الاشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح وعنى بالرسول في هذا الموضع صالحا وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة وقوله وأترفناهم في الحياة الدنيا يقول ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول (١) الراجز * ولقد أراني بالديار مترفا * وقوله ما هذا الا بشر مثلكم يقول قالوا بعث الله صالحا الينا رسولا من بيننا وخصه بالرسالة دوننا وهو انسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته قال ويشرب مما تشربون معناه مما تشربون منه فحذف من الكلام منه لأن معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك أن العرب تقول شربت من شرابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا من قوم صالح لقومهم ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدقتموه انكم أيها القوم اذا لخاسرون يقول قالوا انكم اذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا باتباعكم اياه قوله أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما الآية يقول تعالى ذكره قالوا لهم أيعدكم صالح أنكم اذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأعيدت أنكم مرتين والمعنى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة لما فرق بين أنكم الاولى وبين خبرها باذا وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ثم اعترضت بالجزاء دون خبره فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى فتقول أظن أنك ان جالستنا أنك محسن فان حذفت أنك الاولى أو الثانية صلح وان أثبتهما صلح وان لم تعترض بينهما بشئ لم يجز خطأ أن يقال أظن أنك أنك جالس وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله أيعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملا من ثمود أنهم قالوا هيهات هيهات أي بعيد ما توعدون أيها القوم من أنكم

(١) لعله الشاعر تأمل كتبه مصححه

الفناء عابدون ه ج لذلك المهلكين ه يهتدون ه ومعين ه صالحا ط عليم ه ط لمن قرأ وان بالكسر فاتقون ه زبرا ط
فرحون ه حين ه وبنين ه لا لأن نسارع مفعول ثان للحسبان الخيرات ط لا يشعرون ه ۞ التفسير عن ابن عباس وأكثر
المفسرين ان هذه القرون هم عاد قوم هود لمجىء قصتهم على أثر قصة نوح فى غير هذا الموضع ولقوله تعالى فى الاعراف واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم أهلكوا بالصيحة وقد قال الله تعالى فى هذه القصة فأخذتهم الصيحة ومعنى (فأرسلنا فيهم)
جعلناهم موضع ارسال والا فلفظة أرسل لا تعدى الا بالى وضمن الإرسال معنى القول ولهذا جىء بأن المفسرة.
أى قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) قال بعضهم قوله أفلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد أن كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على أنه موصول لانه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال فى هذه السورة وقال الملأ بالواو وفى الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة بغير واو ومثله فى سورة هود قالوا يا هود ما جئتنا ببينة لانه بنى الاول فى ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفى هذه السورة أراد أنه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال السكاكى صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور أعنى قوله من قومه على وصف الملا وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو أخر لأوهم أن قوله (من قومه) متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة لقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب (و) معنى (أترفناهم) أنعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرى وقوله (مما تشربون) أى من الذى تشربونه فحذف الضمير أو حذف منه لدلالة ما قبله عليه ثم أكدوا
شبهتهم أن الرسول لا يكون من جنس البشر بقولهم (ولئن أطعتم) واذن واقع فى جزاء الشرط وجواب لقومهم آخرون
أى انكم اذا قبلتم قول مثلكم وأطعتموه خسرتم عقولكم وأبطلتم آراءكم اذ لا ترجيح لبعض البشر على بعض فى معنى الدعوة الى طريق
مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم فى الحشر بقوله (أيعدكم) الآية قال جار الله ثنى أنكم للتوكيد وحسن
ذلك الفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول أو أنكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول أو أنكم مخرجون فى تقدير
وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جواب اذا أو الجملة الشرطية خبر الاول وفى حرف ابن مسعود أيعدكم اذا متم ثم أكدوا الاستفهام الانكارى

بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم يقولون ذلك غير كائن * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله هيهات هيهات يقول بعيد بعيد حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله هيهات هيهات لما توعدون قال يعنى البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات فى الاسم الذى يصحبها وتنزعها منه تقول هيهات لك هيهات وهيهات ما تبتغى هيهات واذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات كأنه قال بعيد ما ينبغى لك كما قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصله

كأنه قال العقيق وأهله وانما أدخلت اللام مع هيهات فى الاسم لانهم قالوا هيهات أداة غير مأخوذة من فعل فأدخلوا معها فى الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك اذ لم تكن مأخوذة من فعل فاذا قالوا أقبل لم يقولوا لك لاحتمال الفعل ضمير الاسم * واختلف أهل العربية فى كيفية الوقف على هيهات فكان الكسائى يختار الوقوف فيها بالهاء لانها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء ويقول من العرب من يخفض التاء فدل على أنها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة دراك ونظار وأما نصب التاء فيهما فلانهما أداتان فصارتا بمنزلة خمسة عشر وكان الفراء يقول ان قيل ان كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها وان نصبها كنصب قوله ثمت جلست وبمنزلة قول الشاعر

(١) يا ربتما غارة * شعواء كاللذعة بالميسم

قال فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التى فى ربت لانها دخلت على حرف على رب وعلى ثم وكانا أداتين فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا * واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الأمصار غير أبى جعفر هيهات هيهات بفتح التاء فيهما وقرأ ذلك أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء فيهما والفتح فيهما هو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان هى الا حياتنا الدنيا يقول ما حياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيا يقول تموت الاحياء منا فلا تحيا ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء وما نحن بمبعوثين يقول قالوا وما نحن بمبعوثين بعد الممات كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين قال يقول ليس آخرة ولا بعث يكفرون بالبعث يقولون انما هى حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء يقولون انما الناس كالزرع يحصد هذا وينبت هذا يقولون يموت هؤلاء ويأتى

---

(١) صدره كما فى اللسان ماوى يا ربتما الخ كتبه مصححه

آخرون وقرأ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد وقرأ لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتبعثن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ يقول تعالى ذكره قالوا ما صالح الا رجل اختلق على الله كذبا في قوله مالكم من اله غير الله وفي وعده اياكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون وقوله هو من ذكر الرسول وهو صالح وما نحن له بمؤمنين يقول وما نحن له بمصدقين فيما يقول انه لا اله لنا غير الله وفيما يعدنا من البعث بعد الممات وقوله قال رب انصرني بما كذبون يقول قال صالح لما أيس من ايمان قومه بالله ومن تصديقهم اياه بقولهم وما نحن له بمؤمنين رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول بتكذيبهم اياي فيما دعوتهم اليه من الحق فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم اياه وتكذيبهم له فقال الله له مجيبا في مسئلته اياه ما سأل عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم اياك نادمين وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا منهم فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله فجعلناهم غثاء يقول فصيرناهم بمنزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كما لا ينتفع به في شيء فانما هذا مثل والمعنى فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين يقول جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد غثاء كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فجعلناهم غثاء قال كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فجعلناهم غثاء قال هو الشيء البالي حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فجعلناهم غثاء قال هذا مثل ضربه الله وقوله فبعدا للقوم الظالمين يقول فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم اذ كفروا بربهم وعصوا رسله وظلموا أنفسهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفي التكرير تأكيد آخر وكذا في أضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو في تقدير المصدر أي البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فيمن نون ثم بين اثر اقهم بأنهم قالوا (ان هي الا حياتنا) أي الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي العائدة الى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها نفي الجنس وقد مر في الانعام وايجاز يد في هذه السورة قوله (نموت ونحيا) لان هذه الزيادة لعلها وقعت في كلام هؤلاء عدون كلام أولئك ولم يريدوا بهذا الكلام أنفس المتكلمين وحدهم بل أرادوا أنه يموت بعض ويولد بعض وينقرض قرن ويأتي قرن آخر ولو أنهم اعتقدوا أنهم يحيون بعد الموت لم يتوجه عليهم ذم ولناقضه قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى أنهم زعموا أن كل ما يدعيه هود من الاستنباء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وأنهم لا يصدقونه البتة فلا جرم (قال) هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه (رب انصرني بما كذبون قال) الله مجيبا له (عما قليل) أي عما زمان قليل قصير (ليصبحن) جعل صيرورتهم (نادمين) دليلا على اهلاكهم لانه علم أنهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع أماراته وذلك وقت ايمان اليأس وزيادة ما لتوكيد قصر المدة و(الصيحة) صيحة جبريل كما سلف في الاعراف وفي هود ومعنى (بالحق) بالعدل كقولك فلان يقضي بالحق وعلى أصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما بلي واسود من الاوراق والعيدان وغيرها شبههم بذلك في دمارهم أو في احتقارهم أو في قلة الاعتناء بهم وفي ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب عليهم باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك في الدارين بقوله (فبعدا للقوم الظالمين) كما مر في سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وعرف الظالمين لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجيء من قوله فبعدا للقوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق الاجمال وذلك قوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) والظاهر أنهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد في قصصهم على هذا الترتيب في الاعراف وفي هود وغيرهما وعن ابن عباس أنهم بنو اسرائيل والمعنى انا بعد ما أخلينا الديار من المكلفين أنشأناهم وبلغناهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كانوا قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته في شأن المكلفين بقوله (ما تسبق من أمة) أي كل طائفة مجتمعة في قرن لها آجال مكتوبة في الاجل وفي الموت

قال أولئك ثمود يعني قوله فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين وقوله ما تسبق من أمة أجلها يقول ما يتقدم هلاك أمة من تلك الامم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم فيحل بهم نقمته كسنته فيمن قبلهم من الامم السالفة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا الى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترى يعني يتبع بعضها بعضا و بعضها في أثر بعض وهي من المواترة وهي اسم لجمع مثل شيء لا يقال جاءني فلان تترى كما لا يقال جاءني فلان مواترة وهي تنون ولا تنون وفيها الياء فمن لم ينونها فهي فعلى من وترت ومن قال تترا يوهم أن الياء أصلية كما قيل معزى بالياء ومعزا وبهمى وبهما ونحو ذلك فأجريت أحيانا وترك اجراؤها أحيانا فمن جعلها فعلى وقف عليها أشار الى الكسر ومن جعلها ألف اعراب لم يشر لان ألف الاعراب لا تكسر لا يقال رأيت زيدا فيشار فيه الى الكسر * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول يتبع بعضها بعضا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول بعضها على أثر بعض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تترى قال اتباع بعضها بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم أرسلنا رسلنا تترى قال يتبع بعضها بعضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى قال بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا * واختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة تترا بالتنوين وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرؤنه تترى بارسال الياء على مثال فعلى والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان في كلام العرب

بالهلاك أو الاهلاك لا يتقدمها ولا يتأخر عنها وفيه أن المقتول ميت بأجله وقال الكعبي معنى الآية أنهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم أنهم لا يزدادون الا عنادا وأنهم لا يلدون مؤمنا وأنه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على أحد في هلاكهم ثم بين أن رسل الله كانوا بعد هذه القرون متواترين وأن شأنهم في التكذيب كان واحدا وكانت سنة الله فيهم باتباع بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد أي أرسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء في القرآن رسلنا ورسلهم ورسولها وأحاديث يكون اسم جمع للحديث أو جمعا له من غير لفظه ومنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من الآية أي جعلناهم أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لأنهم استؤصلوا فلم يبق فيهم عين ولا أثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام عن الحسن بآياتنا أي بديننا كيلا يلزم منه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس أنها الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت أم آياته وأقدمها فخصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز أن يراد أنها آيات في أنفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها أو يراد به تسلط موسى عليه السلام في الاستدلال على الصانع وأنه ما كان يقيم لهم وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم أما الصفة فهي الاستكبار والعلو أي طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في أمور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد وأما الشبهة فهي انكار كون الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان قومهما وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال أبو عبيدة العرب تسمى كل من دان للملك بمعنى عابدا له ويحتمل أن يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع والمثل يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ثم بين أنه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب فأهلكوا لذلك وكانوا في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم يهتدون) ومن الناس من ظن أن هذا الضمير راجع الى فرعون وملئه والمعنى أنه خص موسى بالكتب لا التكذيب ولكن

ليهتدوا به فلما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد اهلاك القبط بدليل قوله
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وفى قوله فى أول البقرة واذ نجيناكم من آل فرعون الى قوله واذ واعدنا موسى
أربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح أنه ذكر موسى وأراد قومه كما يقال هاشم وثقيف ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملئهم
وقد مر فى آخر يونس ثم أجمل قصة عيسى بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وقد مر بيانه فى آخر الانبياء فى قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين
قال جار الله لو قيل آيتين لجاز لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله (١٩) ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى
مع معجزات أخر واللفظ محتمل
للتثنية على تقدير وجعلنا ابن
مريم آية وأمه آية ثم حذفت الاولى
لدلالة الثانية عليها والأقرب حمل
اللفظ على الوجه الذى لا يتم الا
بمجموعهما وهو الولادة على الوجه
العجيب الناقض للعادة والربوة
بحركات الراء هى الارض المرتفعة
عن كعب وقتادة وأبى العالية هى
ايليا أرض بيت المقدس وأنها كبد
الارض وأقرب الى السماء بثمانية
عشر ميلا وعن الحسن فلسطين
والرملة ومثله عن أبى هريرة قال
الزموا هذه الرملة رملة فلسطين
فانها الربوة التى ذكرها الله
وقال الكلبى وابن زيد هى مصر
والأكثرون على أنها دمشق وغوطتها
والقرار المستقر من أرض منبسطة
مستوية وعن قتادة أراد ذات
ثمار وماء يعنى لاجل الثمار يستقر
فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر
الجارى على وجه الأرض من عانه
اذا أدركه بعينه فوزنه معيون على
مفعول وقال الفراء والزجاج ان
شئت جعلته فعيلا من الماعون
وهو ما سهل على معطيه من أثاث
البيت ومثله قول أبى على المعين
السهل الذى ينقاد ولا يتعاصى
وقال جار الله ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون وسبب الايواء أنها فرت بابنها عيسى الى
الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى أهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه (يا أيها الرسل) ليس
على ظاهره لأنهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة وفى تأويله وجوه أحدها الاعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع أن
أمرا نودى له جميع الرسل حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه ويؤيد هذا التأويل ما روى عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن فى شدة الحر عند فطره صلى الله عليه وسلم وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت

بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه يقول كلما جاء أمة من تلك الامم التى أنشأناها بعد ثمود رسولها الذى نرسله اليهم كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا يقول فأتبعنا بعض تلك الامم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم فى إثر بعض وقوله وجعلناهم أحاديث للناس ومثلا يتحدث بهم فى الناس والاحاديث فى هذا الموضع جمع أحدوثة لان المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم وقد يجوز أن يكون جمع حديث وانما قيل وجعلناهم أحاديث لانهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم فى الشر ولا يقال فى الخير جعلته حديثا ولا أحدوثة وقوله فبعدا للقوم لا يؤمنون يقول فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدقون برسوله ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هرون الى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا يقول بحججنا فاستكبروا عن اتباعها والايمان بما جاءهم به من عند الله وكانوا قوما عالين يقول وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن فى بلادهم من بنى اسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا قوما عالين قال علوا على رسلهم وعصوا ربهم ذلك علوهم وقرأ تلك الدار الآخرة الآية ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين) يقول تعالى ذكره فقال فرعون وملؤه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بنى اسرائيل لنا عابدون يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأتمرون لامرهم ويدينون لهم والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا الآية نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك حين أتوهم بالرسالة وقرأ وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال العلو فى الأرض وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وهرون فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الامم بتكذيبها رسلها ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا

من يتأملى ثم رده وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها بمالي فأخذه ثم إنها جاءته وقالت يارسول الله لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو قول محمد بن جرير أن المراد به عيسى وقد يخاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه وكقوله الذين قال لهم الناس والمراد نعيم بن مسعود ووقع هذا الاعلام عند إيوائه عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا الكلام فكلا مما رزقنا كما واعملا عملا صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندي أن المراد نبينا صلى الله عليه (٣٠) وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل ووجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما تقرره ووجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذ وبالحقيقة المراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء والطيب ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه أو هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام يمسك النفس ويحفظ العقل وفي تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على أن العمل الصالح لابد أن يكون مسبوقا بأكل الحلال وفي قوله (اني بما تعملون عليم) تحذير من مخالفة هذا الامر وقال في سورة سبأ اني بما تعملون بصير وكلاهما من أسمائه تعالى الا أنه ورد ههنا على الاصل لان العلم أعم وهناك مراعى للفاصلة أو خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرأ وان بالكسر فعلى الاستئناف ومن قرأ بالفتح مخففا ومشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو أصول الاديان والشرائع التي لا اختلاف فيها بين الرسل وجلتها تقوى الله كما ختم به الآية والضمير في تقطعوا راجع الى أممهم قال الكلبي ومقاتل والضحاك يعني مشركي مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذه اشارة الى ملته في وقتها وعلى القول الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله في آخر سورة الانبياء كأنه أمر هنالك بالعبادة التي هي أعم ثم أمر بالتقوى التي هي أخص ولهذا قال (فتقطعوا) بالفاء ليتوجه الذم أتم فان المأتي به كلما كان أبعد من المأمور به كان سبب الذم أقوى فلا يكون ترتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا أكد التقطع بقوله (زبرا) بضم الباء جمع زبور أي حال كونه كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم أديانا ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فمعناه قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد ثم أكد الذم بقوله (كل حزب بما) أي كل فريق منهم

موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني اسرائيل ويعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية يقول وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم وعلى قدرتنا على انشاء الاجسام من غير أصل كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه قال ولدته من غير أب هو له ولذلك وحدت الآية وقد ذكر مريم وابنها وقوله وآويناهما الى ربوة يقول وضممناهما وصيرناهما الى ربوة يقال أوى فلان الى موضع كذا فهو يأوي اليه اذا صار اليه وعلى مثال أفعلته فهو يؤويه وقوله الى ربوة يعني الى مكان مرتفع من الارض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه وعز وشرف وعدد هو في ربوة من قومه وفيها لغتان ضم الراء وكسرها اذا أريد بها الاسم واذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل ربا رباوة * واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة وآوى اليه مريم وابنها فقال بعضهم هو الرملة من فلسطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا بشر بن رافع قال ثني ابن عم لابي هريرة يقال له أبو عبد الله قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة من فلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين حدثني عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا عباد أبو عتبة الخواص قال ثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني عن ابن وعلة عن كريب قال ما أدري ما حدثنا مرة البهزي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة هي الرملة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان قال ثنا بشر بن رافع قال ثني أبو عبد الله ابن عم أبي هريرة قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة التي بفلسطين فانها الربوة التي قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين * وقال آخرون هي دمشق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد القرشي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال زعموا أنها دمشق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال بلغني عن ابن المسيب أنه قال دمشق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب مثله حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا ابن بكير قال ثنا الليث بن سعد قال ثني عبد الله بن لهيعة عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الى ربوة من ربى مصر قال وليس الربى الا في مصر والماء حين يرسل تكون الربى عليها القرى ولولا الربى لغرقت تلك

القرى

مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى أنه الحق الرابح وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ فى الذم والتهديد بقوله (فذرهم فى غمرتهم) وهذا الامر مما يدل على أن المخاطب بقوله يا أيها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما وتفخيما كقوله ان ابراهيم كان أمة والغمرة الماء الذى يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم أو شبهوا باللاعبين فى غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت ولعلك اذا تأملت فيما أسلفنا لك فى المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال فى الكشاف (الى حين) أى الى أن يقتلوا أو يموتوا والتحقيق أنه الحالة التى يظهر عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم الله بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن الجزع من تأخير عقابهم ثم ان القوم كانوا أصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى أن ذلك الذى جعله مددا لهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره فى آل عمران انما نملى لهم ليزدادوا اثما وما فى أنما موصولة والرابط محذوف أى نسارع لهم فيه وفى قوله (بل لا يشعرون) أنهم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا أهو استدراج أم مسارعة فى الخير وفيه أنه سبحانه أعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق وحين أعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم أقوى فى التأويل يأكل مما تأكلون لم يعلموا أنهم وان كانوا يأكلون مما يأكلون ولكنهم لا يأكلون كما يأكلون المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام وأهل الله يأكلون ويشربون من مقام أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقومهما لنا عابدون أى فى حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب عون النفس وتربيتها وتربية صفاتها لاستكمال القالب الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل أعباء تكاليف الشرع وآويناهما يعنى مريم النفس وعيسى القلب الى ربوة القالب الذى فيه قرارهما ويجرى فيه ماء معين الحكمة من القلب على اللسان يا أيها الرسل أى القوى المرسلة الى القالب

(ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا

القرى * وقال آخرون هى بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هو بيت المقدس * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن كعب مثله * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة لان الرملة لا ماء بها معين والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآويناهما الى ربوة قال الربوة المستوية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى ربوة قال مستوية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ذات قرار ومعين يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التى آوينا اليها مريم وابنها عيسى أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومعين قال المعين الماء الجارى وهو النهر الذى قال الله قد جعل ربك تحتك سريا حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله ذات قرار ومعين قال المعين الماء حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد معين قال ماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فى قوله ذات قرار ومعين قال المكان المستوى والمعين الماء الظاهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومعين هو الماء الظاهر * وقال آخرون عنى بالقرار الثمار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ذات قرار ومعين هى ذات ثمار وهى بيت المقدس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله قتادة فى معنى ذات قرار وان لم يكن أراد بقوله انها انما وصفت بأنها ذات

لاتنصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم (٢٢) ومايتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذى

أنشألكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وهو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ﴾ القراآت تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الآخرون بفتح التاء وضم الجيم خرجا فخراج بغير الالف فيهما ابن عامر كلاهما بالالف حمزة وعلى وخلف الباقون بحذف الالف من الاول واثباتها فى الثانى فتحنا بالتشديد يزيد سيقولون الله الثانية والثالثة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون باللام فيهما كالاول حملا على المعنى لان قولك من رب هذا ولمن هذا فى معنى واحد ۞ الوقوف

قرار لما فيها من الثمار ومن أجل ذلك يستقر فيها ساكنوها فلا وجه له نعرفه وأما معين فانه مفعول من عنته فأنا أعينه وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن فهو معين من الماعون ومنه قول عبيد بن الابرص

واهية أومعين ممعن * أوهضبة دونها لهوب

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم ﴾ يقول تعالى ذكره وقلنا لعيسى ياأيها الرسل كلوا من الحلال الذى طيبه الله لكم دون الحرام واعملوا صالحا تقول فى الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا أذاكم وكما قال الذين قال لهم الناس وهو رجل واحد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن عبد الأعلى بن واصل قال ثنى عبيد بن اسحق الضبى العطار عن حفص بن عمر الفزارى عن أبى اسحق السبيعى عن عمرو بن شرحبيل ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وقوله انى بما تعملون عليم يقول انى بأعمالكم ذو علم لايخفى على منها شئ وأنا مجازيكم بجميعها وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها فخذوا فى صالحات الاعمال واجتهدوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن بالفتح بمعنى انى بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة فعلى هذا التأويل أن فى موضع خفض عطف بها على ما من قوله بما تعملون وقد يحتمل أن تكون فى موضع نصب اذا قرئ ذلك كذلك ويكون معنى الكلام حينئذ واعلموا أن هذه ويكون نصبها بفعل مضمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر وان هذه على الاستئناف والكسر فى ذلك عندى على الابتداء هو الصواب لان الخبر من الله عن قيله لعيسى ياأيها الرسل مبتدأ فقوله وان هذه مردود عليه عطفا به عليه فكان معنى الكلام وقلنا لعيسى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات وقلنا وان هذه أمتكم أمة واحدة وقيل ان الامة الذى فى هذا الموضع الدين والملة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة قال الملة والدين وقوله وأنا ربكم فاتقون يقول وأنا مولاكم فاتقون بطاعتى تأمنوا عقابى ونصبت أمة واحدة على الحال وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا وكان بعض نحويى البصرة يقول رفع ذلك اذا رفع على الخبر ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه وأما نحويو الكوفة فيأبون ذلك الا فى ضرورة شعر وقالوا لا يقال مررت بهذا غلامكم لان هذا لا تتبعه الا الالف واللام والاجناس لان

مشفقون ۝ لا يؤمنون ۝ لايشركون ۝ لا راجعون ۝ لا لأن الكل معطوفات على اسم ان هذا خبر أولئك الجملة سابقون ۝ لايظلمون ۝ عاملون ۝ يجأرون ۝ لا لحق القول لاتنصرون ۝ تنكصون ۝ لا لأن مابعده حال مستكبرين ۝ قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعول سامرا أو مفعول تهجرون ۝ الاولين ۝ منكرون ۝ لصورة الاستفهام وهو العطف جنة ط كارهون ۝ فيهن ط معرضون ط لان الاستفهام انكار خير ز وقد قيل بناء على أن الواو للابتداء والحال أوجه الرازقين ۝ مستقيم ۝ لناكبون ۝ يعمهون ۝ يتضرعون ۝ مبلسون ۝ والافئدة ط تشكرون ۝ تحشرون ۝

والنهار ط تعقلون ه الاولون ه لمبعوثون ه الاولين ه تعلمون ه لله ط تذكرون ه العظيم ه لله ط تتقون ه تعلمون ه لله ط تسحرون ه لكاذبون ه ۞ التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين أتبعه ذكر من هو أهل الخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات أربع * الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب أى من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبى ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على أثره وهو الدوام فى الطاعة والمعنى الذين هم من خشيته دائمون على طاعته (٢٣) جادون فى طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف أى هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا فى نهاية الخوف ويلزم ذلك أن يكونوا فى غاية الاحتراز عن المعاصى وفيه أنهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلأن يخافوا من عدم الخشية أولى الثانية قوله (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) والظاهر أنها القرآن وقيل هى المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللسانى ظاهرا الثالثة التبرى عما سوى الله ظاهرا وباطنا بأن لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وجلة) خائفة فى شأن ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله (أنهم) أى لانهم (الى ربهم راجعون) فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمساءلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم أن المجازى هو الذى لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص والظاهر أن هذا الايتاء مخصص بالزكاة والتصدق ويحتمل أن يراد اعطاء كل فعل أو خصلة أى اتيانها يؤيده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ويأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعن عائشة أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه وفى قوله (يسارعون فى الخيرات) معنيان أحدهما يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها قال جار الله وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقال فى قوله (وهم لها

هذا أشارة الى عدد فالحاجة فى ذلك الى تبيين المراد من المشار اليه أى الاجناس هو وقالوا واذا قيل هذه أمتكم أمة واحدة والامة غائبة وهذه حاضرة قالوا فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب قالوا فلذلك لم يجز ان هذا لمزيد قائم من أجل أن هذا محتاج الى الجنس لا الى المعرفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) اختلفت القراء فى قراءة قوله زبرا فقرأته عامة قراء المدينة والعراق زبرا بمعنى جمع الزبور فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة دينهم الذى أمرهم الله بلزومه زبرا كتبا فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذى دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الانجيل والقرآن وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان ذكر من تأول ذلك كذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة زبرا قال كتبا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بينهم زبرا قال كتب الله فرقوها قطعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قال مجاهد كتبهم فرقوها قطعا * وقال آخرون من أهل هذه القراءة انما معنى الكلام فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قال هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب كل معجبون برأيهم ليس أهل هواء الا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذى اخترق ذلك لهم وقرأ ذلك عامة قراء الشام فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا بضم الزاى وفتح الباء بمعنى فتفرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد وذلك القطع منها واحدتها زبرة من قول الله آتونى زبر الحديد فصار بعضهم يهودا وبعضهم نصارى * والقراءة التى نختار فى ذلك قراءة من قرأه بضم الزاى والباء لاجماع أهل التأويل فى تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب فذلك يبين عن صحة ما اخترنا فى ذلك لان الزبر هى الكتب يقال منه زبرت الكتاب اذا كتبته فتأويل الكلام فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الامم دينهم بينهم كتبا كما بينا قبل وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل فريق من تلك الامم بما اختاروه لانفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به لا يرون أن الحق سواه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كل حزب بما لديهم فرحون قطعة وهؤلاء أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل حزب قطعة أهل الكتاب * القول في تأويل قوله تعالى (فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) * قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا في غمرتهم في ضلالتهم وغيهم حتى حين يعني الى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذرهم في غمرتهم حتى حين قال في ضلالهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فذرهم في غمرتهم حتى حين قال الغمرة الغمر وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الاحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين نسارع لهم يقول نسابق لهم في خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها وما من قوله أنما نمدهم به نصب لانها بمعنى الذي بل لا يشعرون يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم ما ذلك كذلك بل لا يعلمون أن امدادي اياهم بما أمدهم به من ذلك انما هو املاء واستدراج لهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنما نمدهم قال نعطيهم نسارع لهم قال نزيدهم في الخير نملي لهم قال هذا لقريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمر بن علي قال ثني أشعث بن عبد الله قال ثنا شعبة عن خالد الحذاء قال قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة قول الله نسارع لهم في الخيرات قال يسارع لهم في الخيرات وكأن عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك الى أن تأويله يسارع لهم امدادنا اياهم بالمال والبنين في الخيرات * القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون) يعني تعالى ذكره بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ان الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته والذين هم بآيات ربهم يؤمنون يقول والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون والذين هم بربهم لا يشركون يقول والذين يخلصون لربهم عبادتهم فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ولا لصنم ولا يراؤن بها أحدا من

سابقون) انه متروك المفعول أو منوي به أي فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها والمراد باهالها سابقون كقولك هو لزيد ضارب بمعنى هو زيدا ضارب جئت باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولاسيما فيما قبله والمعنى أنهم ينالون الخيرات قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر أحدهما بعد الآخر كقولك هذا هو لهذا الامر أي صالح له وحين انجر الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر حكمين لها الأول قوله (ولا نكلف نفسا الا وسعها) وفي الوسع قولان أحدهما أنه الطاقة والآخر أنه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبي لانه اتسع (٢٤) فيه على المكلف ولم يضيق ومثاله ان لم يستطع أن يصلي قائما فليصل قاعدا والا فليوم ايماء وفيه أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثاني قوله (ولدينا كتاب ينطق) والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح أو صحيفة الاعمال لا يقرؤن منها يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة في مثل هذا المقام معلوم أما قوله (بل قلوبهم في غمرة من هذا) ففيه طريقان أحدهما راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار في غفلة غامرة لها من هذا الذي بيناه في القرآن أو من هذا الذي ينطق بالحق أو الذي عليه هؤلاء المؤمنون (ولهم أعمال) متجاوزة لذلك الذي وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى (هم لها عاملون) في الحال على سبيل الاعتياد لا يفطمون عنها حتى يأخذهم العذاب أو في الاستقبال لانها مبينة في علم الله مكتوبة في اللوح عليهم أن يعملوا بها بحكم الشقاء الازلي وثانيهما وهو اختيار أبي مسلم أن هذه الآيات من صفات المشفقين كأنه سبحانه قال بعد وصفهم ولا نكلف نفسا الا وسعها ونهايته ما أتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ أعمالهم بل قلوبهم في غمرة من هذا الذي وصفناهم به أهو مقبول عند الله أم مردود ولهم أعمال من دون ذلك الذي وصف هم لها عاملون وهي النوافل خلقه السرية والاعمال القلبية ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وهو عذاب الآخرة أو قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم أخبر أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت (لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون) لا تغاثون من جهتنا أو لا تمنعون منا ثم عدد عليهم التوبيخ قبائحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق

خلقه ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا واياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شئ سواه

القول في تأويل قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) يعني تعالى ذكره بقوله والذين يؤتون ما آتوا والذين يعطون أهل سهمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم ما آتوا يعني ما أعطوهم اياه من صدقة و يؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم الى أهلها وقلوبهم وجلة يقول خائفة من أنهم الى ربهم راجعون فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله فهم خائفون من المرجع الى الله لذلك كما قال الحسن ان المؤمن جمع احسانا وشفقة * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبجر عن رجل عن ابن عمر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الزكاة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي الأشهب عن الحسن قال يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله و يتصدق وقلبه وجل أنه الى ربه راجع حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أنه كان يقول ان المؤمن جمع احسانا وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا ثم تلا الحسن ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقال المنافق انما أوتيته على علم عندي * حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة يؤتون ما آتوا قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة يقول خائفة حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون الى الموت وهي من المبشرات حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا و يعملون ما عملوا من خير وقلوبهم وجلة خائفة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا علي قال ثني معاوية عن ابن عباس قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة يقول يعملون خائفين قال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا فرقا من الله و وجلا من الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

والتجافي عنه كمن رجع على ورائه وقد مر في الأنعام وفي مرجع الضمير في به أقوال أحدها أنه البيت العتيق أو الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو على أن الباء السببية لأن سماع القرآن كان يحدث لهم استكبارا وعتوا ورابعها أنه يتعلق بسامرا أو بتهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان وأهجر في منطقه اذا أفحش والضمير للقرآن أو للنبي أي تهجرون بذكر القرآن وبالطعن فيه أو في النبي وكانت عامة سمرهم حول البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع ثم بين أن سبب اقدامهم على الكفر أحد أمور أربعة الأول عدم التدبر في القرآن لأنهم ان تدبروه وتأملوا مبانيه ومعانيه ظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به وبمن جاء به الثاني قوله (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) والمراد أمر الرسالة ثم المقصود تقرير أنه لم يأت آباءهم الأقربين رسول كقوله لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فلذلك أنكروه واستبعدوه أو تقرير أنه أتى آباءهم الاقدمين رسل وذلك أنهم عرفوا بالتواتر أن رسل الله فيهم كثيرة وكانت الأمم بين مصدق ناج و بين مكذب هالك بعذاب الاستئصال فدعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وقيل أراد أفلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا

فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما الثالث قوله (أم لم يعرفوا) نعته بذلك على أنهم عرفوه وعرفوا صحة نسبته وأمانته فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على أنه أمين الرابع نسبتهم اياه الى الجنون وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في أمره أو شككوا العوام ابقاء على مناصبهم و رياستهم ثم أضرب عن أقوالهم مبطلا لها مصدقا أمر النبي فقال (بل جاءهم) متلبسا (بالحق) أو الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم (وأكثرهم للحق كارهون) وأقلهم كانوا

لا يكرهونه وان لم يظهر وا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن أبي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين أن الالهية تقتضي الاستقلال في الاوامر والنواهي وأن الحق والصواب ينحصر فيما دبره الله العالمين وقدره فقال (ولو اتبع الحق أهواءهم) نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا كما تقتضيه أهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله آمرا بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكان شيطانا فلا يقدر على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم (٢٦) ثم ذكر أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال (بل أتيناهم بذكرهم) ان كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للصاحبة فعلى حذف مضاف أي أتاهم رسولنا متلبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو صيتهم وفخرهم أو الاضافة بدل اللام العهدي أي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين أن دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب للنفرة فقال أم تسألهم خرجا أي جعلا وكذا الخراج وقد مر في آخر الكهف وقيل الخرج أقل ولذا قرأ الاكثرون خرجا فخراج يعني أم تسألهم على هداك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين أثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه أضدادها صرح بمضمون أمره ومكنون سره فقال (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام لا تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب وأشار الى هذه الطرق بقوله (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المذكورون فيما تقدم أو كل من لا يؤمن بالآخرة (عن الصراط) المستقيم المذكور (لناكبون) والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لمجمع عظم العضد والكتف والنكباء للريح التي تعدل عن مهاب الرياح للقوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله (ولو رحمناهم) الآية يروى قال أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا الضر فأنزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لأصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله (ولقد أخذناهم) أي قبل ذلك (بالعذاب) يعني ما جرى عليهم يوم بدر (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا لله

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يؤتون ما آتوا ينفقون ما أنفقوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة اتقاء لسخط الله والنار وعلى هذه القراءة أعني على والذين يؤتون ما آتوا قرأة الامصار وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرأ لاجماع الحجة من القراء عليه ووفاقه خط مصاحف المسلمين وروى عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ما حدثناه أحمد ابن يوسف قال القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمر عن أبي خلف قال دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها عبيد كيف نقرأ هذا الحرف والذين يؤتون ما آتوا فقالت يأتون ما أتوا وكأنها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد ابن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة يا رسول الله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه فقال لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب أن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يذنبون وهم مشفقون(١) ويصومون وهم مشفقون حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال فذكر مثل هذا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن مالك ابن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن ليث بن أبي سليم وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا عن عائشة أنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق هم الذين يصلون ويفرقون أن لا يتقبل منهم وأن من قوله أنهم الى ربهم راجعون في موضع نصب لان معنى الكلام وقلوبهم وجلة من أنهم فلما حذفت من اتصل الكلام قبلها فانصبت وكان بعضهم يقول هي في موضع خفض وان لم يكن الخافض ظاهرا وقوله أولئك يسارعون في الخيرات يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الاعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يسارعون في الخيرات

(١) لعل فيه سقطا والأصل قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ويصومون الخ كتبه مصححه

وقدمر اشتقاقه فى آل عمران (وما يتضرعون) عدل الى المضارع لانه أراد وما من عادة هؤلاء أن يتضرعوا حتى فتحنا عليهم باب العذاب الشديد وهو الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل فأبلسوا الساعة أى خضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة وأخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل أن يراد محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما شوهد منهم انقياد للحق وهم كذلك اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير أو اليأس من كل خير ثم نبه بقوله (وهو الذى أنشأ لكم) على أن أسباب التأمل فى الدلائل موجودة وأبواب الاعذار بالكلية مسدودة فما كفر من كفر ولا عند من عند الا للشقاء الازلى وفى قوله (قليلا ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد دليل على أن المقر أقل من الجاحد وعن أبى مسلم أنه قال أراد بالقلة العدم وفى الآية ثلاثة معان أحدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع أن لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر أن ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية أن الشاكر قليل ثم بين دلائل أخر على الوحدانية فقال (وهو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم فى الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت) وفيه مع تذكر نعمة الحياة بيان أن المقصود منها الانتقال الى دار الثواب (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص بتصريفهما وأنهما يشبهان الموت والحياة وفى قوله (أفلا تعقلون) توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله (بل قالوا) الآيات على أنه لا شبهة لهم فى انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعانى قوله (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) وارد على الاصل لان التأكيد مذكور عقيب المؤكد وبعده المفعول الثانى

قال والخيرات المخافة والوجل والايمان والكف عن الشرك بالله فذلك المسابقة الى هذه الخيرات وقوله وهم لها سابقون كان بعضهم يقول معناه سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التى يعملونها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهم لها سابقون يقول سبقت لهم السعادة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم لها سابقون فتلك الخيرات وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى وهم اليها سابقون وتأوله آخرون وهم من أجلها سابقون * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم فى الخيرات ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لان ذلك أظهر معنييه وأنه لا حاجة بنا اذا وجهنا تأويل الكلام الى ذلك الى تحويل معنى اللام التى فى قوله وهم لها الى غير معناها الأغلب عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفسا الا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ولدينا كتاب ينطق بالحق يقول وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر ينطق بالحق وهم لا يظلمون يقول يبين بالصدق عما عملوا من عمل فى الدنيا لا زيادة عليه ولا نقصان ونحن موفو جميعهم أجورهم المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته وهم لا يظلمون يقول وهم لا يظلمون بأن يزاد على سيآت المسىء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه وينقص المحسن عما عمل من احسانه فينقص عما له من الثواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) يقول تعالى ذكره ما الامر كما يحسب هؤلاء المشركون من أن امدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين بخير نسوقه بذلك اليهم ولرضانا عنهم ولكن قلوبهم فى غمرة عمى عن هذا القرآن وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وعنى بقوله من هذا من القرآن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى غمرة من هذا قال فى عمى من هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فى غمرة من هذا قال من القرآن وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصى من دون ذلك يقول من دون أعمال أهل الايمان بالله وأهل التقوى والخشية له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

وأما فى سورة النمل فبسبب تقدم المفعول الثانى على الضمير وعلى المعطوف هو أنه اقتصر هنالك على قوله ترابا والتراب أبعد فى باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به فى شأن الاستنكار ثم رد على منكرى الاعادة أو على عبدة الأوثان بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) أى ان كان عندكم علم فأجيبونى وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بأمر الديانات حتى جوزوا أن يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف الجلى وفى قوله (أفلا تذكرون) ترغيب فى التدبر وبعث على التأمل فى أمر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما أفناه وفى قوله (أفلا تتقون) مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان أولى بالآية التاسعة

لإجل التدرج ولتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على إتقاء مخالفته قال جار الله أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعنى وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (إن كنتم تعلمون) بهذه الصفة غيره فأجيبونى به ومعنى (تسحرون) تخدعون عن طاعته والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله (بل أتيناهم بالحق) أنه قد بالغ فى الحجاج عليهم بهذه الآيات حتى استبان بما هو الحق والصدق (وانهم) مع ذلك (لكاذبون) حيث يدعون له الولد والشريك و ينسبون اليه العجز عن الاعادة ۞ التأويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة فى الحضور (٢٨) والغيبة بآيات ربهم يؤمنون هى ما يكاشف لهم من شواهد الحق فى السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة فى رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر فى المضار والضار عن الوسائط والاسباب يسارعون فى الخيرات يتوجهون الى الله و ينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم أن يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وأمرهم بقبول دعوة الانبياء وما هم بعاجزين عنه وقد كتب فى اللوح أنهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس فى وسعهم واستعدادهم حتى اذا أخذنا أكابر مجرميها مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات أرواحهم وأرض نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه أن العلماء بالله عليهم أن لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الاطماع الفارقة ولقد أخذناهم أولا بعذاب الغبن حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب الرين يحيى بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة أو يحيى بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها وله اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية أو طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا أئذا متنا فيه أن اليأس من الوصول والوصال ليس من شيم أهل الكمال فقد تقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت أو من كان ميتا فأحييناه ملكوت كل شئ هى جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع له ممن أراد به أن لا يجيره ۞ قال (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الخطايا حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال الحق حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال خطايا من دون ذلك الحق * قال ثنا حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله ولهم أعمال من دون ذلك الآية قال أعمال دون الحق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ثم قال للكفار بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال من دون الاعمال التى منها قوله من خشية ربهم مشفقون والذين والذين حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لم يعملوها سيعملونها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال لم يكن له بد من أن يستوفى بقية عمله و يصلى به حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فى قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون) يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون الى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال المترفون العظماء اذا هم يجأرون يقول فاذا أخذناهم به جأروا يقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا ولعل الجؤار رفع الصوت كما يجأر الثور ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليـ * ـك طورا سجودا وطورا جؤارا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله

يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون (٢٩) انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون

قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

﴿القراآت﴾ عالم بالرفع أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وعاصم غير حفص الا الخراز وقرأ رويس بالخفض اذا وصل وبالرفع اذا ابتدأ الآخرون بالخفض لعلى أعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وابن مجاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف فى غير ألف سخريا بضم السين وكذلك فى صاد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف والمفضل والخراز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلى والخراز عن هبيرة قل كم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلى وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل وافق ابن كثير فى الاول لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلى وخلف ﴿الوقوف﴾ على بعض ط يصفون ه ط لمن قرأ بالرفع الى هو عالم ومن خفض لم يقف لانه بدل أو وصف يشركون ه ما يوعدون ه لا لأن قوله فلا جواب الشرط وهو اما والنداء عارض الظالمين ه لا لقادرون ه السيئة ط يصفون ه الشياطين ه لا يحضرون ه ارجعون ه لا لتعلق لعل كلا ط لانها للردع عما قبلها أى لا يرجع وقيل مبتدأ بها بمعنى حقا والاول أحسن قائلها ط يبعثون ه ولا يتساءلون ه المفلحون ه خالدون ه كالحون ه تكذبون ه ضالين ه ظالمون ه ولا تكلمون ه الراحمين ه ج للآية والوصل أجوز لشدة اتصال المعنى بالفاء تضحكون ه صبروا ط

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس اذا هم يجأرون يقول يستغيثون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن قرثد عن مجاهد فى قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون قال بالسيوف يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون * قال ثنا حجاج عن ابن جريج حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال عذاب يوم بدر اذا هم يجأرون قال الذين بمكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب يعنى أهل بدر أخذهم الله بالعذاب يوم بدر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذى لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم فان ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيأ مما قد نزل بكم من سخط الله انكم منا لا تنصرون يقول انكم من عذابنا الذى قد حل بكم لا تستنقذون ولا يخلصكم منه شئ * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا اليوم حدثنى يونس قال أخبرنا الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب انه لا ينفعكم فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون)﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم قد كانت آياتى تتلى عليكم يعنى آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابى تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها اذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء نكص فلان على عقبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكنتم على أعقابكم تنكصون قال تستأخرون حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكنتم على أعقابكم تنكصون يقول تدبرون حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تنكصون قال تستأخرون وقوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم الله يقولون لا يظهر علينا فيه أحد لانا أهل الحرم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم البيت انه لا يظهر علينا فيه أحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مستكبرين به قال بمكة بالبلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن مستكبرين به قال مستكبرين بحرمي حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير في قوله مستكبرين به بالحرم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستكبرين به قال مستكبرين بالحرم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مستكبرين به قال بالحرم وقوله سامرا يقول تسمرون بالليل ووحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت ومعنى الكلام تهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك * وقد كان بعض البصريين يقول وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل في موضع أطفال ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك قول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا * عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وهم يسمرون وكذلك قوله سامرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سامرا يقول يسمرون حول البيت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سامرا قال مجلسا بالليل حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد سامرا قال مجالس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا قال تسمرون بالليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سامرا قال كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

أخبرنا

لمن قرأ أنهم بالكسر والفائزون ○ سنين ○ العادين ○ تعلمون ○ لا ترجعون ○ الحق ○ لا لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أي تعالى متوحدا غير مشارك الا هو ○ لا لأن قوله رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف الكريم ط آخر لا ○ لأن الجملة بعده صفة به لا لأن ما بعده جواب عند ربه ط الكافرون ○ الراحمين ○ ۞ التفسير لما أثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية في الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الأنداد والاضداد بقوله (ما اتخذ الله من ولد) وبقوله (وما كان معه من اله) وفيه رد على القائلين بأن الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر (٣٠) شبه دليل التمانع بقوله (اذا لذهب) وهو جواب لمن معه المحاجة من أهل الشرك وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذي تخلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك يقتضي عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين (ولعلا بعضهم على بعض) أي لغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله (سبحان الله عما يصفون) الى قوله عما يشركون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات قائلا (قل رب اما تريني) أي ان كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة (فلا تجعلني) قرينا لهم وقد يجوز أن يستعيذ العبد بالله مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية واستكانة له ويؤيده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فأكد وقوعه بقوله (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) قيل فيه دليل على أن القدرة تصح على المعدوم لانه أخبر أنه قادر على تعجيل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم أمره بالصفح عن سيآتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان أحسن لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة أو نقول المكافأة حسنة ولكن العفو أحسن عن ابن عباس هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد هي أن يسلم عليه اذا لقيه قيل هي منسوخة بآية السيف والاولى أن يقال هي محكمة لان المداراة مستحبة ما لم تؤد الى محذور (نحن أعلم بما يصفون) مما ليس فيك من المثالب والمراد أنه أقدر على جزائهم فعليه أن يفوض أمرهم الى الله ويدفع أذاهم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على أحسن الوجوه ثم أتبع هذا التعليم ما يقوى به على ذلك وهو الاستعاذة

بالله من همزات الشياطين والهمز النخس ومنه مهماز الرائض وذلك أنهم يحثون الناس على المعاصي بأنواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم اني أعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم أمره بالتعوذ من أن يحضروه أصلا كما يقال أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس أراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والاولى العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى اليه رجل أرقا به فقال اذا أردت النوم فقل أعوذ (٣١) بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سامرا قال يعني سمر الليل وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف قال كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف وقوله تهجرون اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار تهجرون بفتح التاء وضم الجيم ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالاعراض عن القرآن أو البيت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه والآخر أن يكون عنى أنهم يقولون شيأ من القول كما يهجر الرجل في منامه وذلك اذا هذى فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل ذكر من قال كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق ويهجرونه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تهجرون قال يهجرون ذكر الله والحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن السدي عن أبي صالح في قوله سامرا تهجرون قال السب * ذكر من قال كانوا يقولون الباطل والسيء من القول في القرآن حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير تهجرون قال يهجرون في الباطل * قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا تهجرون قال يسمرون بالليل يخوضون في الباطل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تهجرون قال بالقول السيء في القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تهجرون قال الهذيان (٢) الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري قال وكان أبي يقرؤها سامرا تهجرون وقرأ ذلك آخرون سامرا تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وممن قرأ ذلك كذلك من قراء الامصار نافع بن أبي نعيم بمعنى يفحشون في المنطق ويقولون الخنا من قولهم أهجر الرجل اذا أفحش في القول وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس تهجرون قال تقولون هجرا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك عن عكرمة أنه قرأ سامرا تهجرون أي تسبون حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا

عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قوله (حتى اذا جاء) قيل متعلق بقوله وانهم لكاذبون وقيل بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم والمراد بمجيء الموت أماراته التي تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة ولا ينافي هذا السؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد والاكثرون على أنهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس أنها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني وأما وجه الجمع في قوله ارجعون مع وحدة المنادى فقيل ان الجمعة راجعة الى الفعل كأنه قال ارجع مرات ونظيره ألقيا في جهنم أي ألق ألق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للارواح أي بحق الله ارجعون والاقرب أن الجمع للتعظيم كقول الشاعر

ألا فارحموني يا اله محمد * وقوله فان شئت حرمت النساء سواكم * عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال جار الله أي لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أؤسس أساوأبني عليه وقيل أي فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه ويطيعوا فيما عصوا فقيل كيف سألوا الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين أن لا رجعة والجواب بعد تسليم أنهم عرفوا كل الدين أن الانسان قد يتمنى شيأ مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود والاستغاثة بجنس هذه المسألة قد تحسن وقولهم (لعلي) ليس

المراد به الشك وانما هو كقول المقصر مكنونى لعلى أتداركـ مع كونه جازما بأنه سيتداركـ ويحتمل أنهم وان كانوا جازمين بذلك الا أن أمر المستقبل مبنى على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك أوردوا الكلام بصورة الترجى ثم ردعهم بقوله (كلا) أى ليس الأمر على ماتوهموه من امكان الرجعة (انها كلمة) والمراد بها طائفة من الكلام منتظم بعضها مع بعض وهى قوله ارجعون لعلى أعمل صالحا (هو قائلها) لامحالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم) الضمير لكل المكلفين أى امامهم (برزخ) حائل بينهم وبين الجنة (۳۲) أو النار وبين الجزاء التام (الى يوم يبعثون) وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب من الإخلاق الذميمة يندفع فى هذه المدة وقال فى الكشاف حائل بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله (فاذا نفخ فى الصور) قدم معناه فى أواخر طه وقوله (فلا أنساب بينهم) ليس المراد به نفى النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون أحد القريبين فى الجنة والآخر فى النار ويكون بكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى أحوال نسبه عن قتادة لا شئ أبغض الى الانسان من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شئ وأما الجمع بين قوله (ولا يتساءلون) وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا فى صفة أهل الموقف وذاك فى صفة أهل الجنة ولو سلم أن كليهما فى وصف أهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التى يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقدم مثل آية الموازين فى أول الاعراف فليرجع ۞ القول
الى هنالك وقوله (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل له كالمبدل فان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدا محذوف ومعنى خسران أنفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بأن صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى (تلفح) تسفع أى تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح أشد تأثيرا و الكلوح أن يتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤس المشوية يروى أن عتبة الغلام مر فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن وعن

عون عن الحسن فى قوله سامرا تهجرون رسولى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تهجرون يقول يقولون سوأ حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن تهجرون كتاب الله و رسوله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تهجرون يقول يقولون المنكر والخنا من القول كذلك هجر القول * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فتح التاء وضم الجيم لاجماع الحجة من القراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه فيعلموا ما فيه من العبر و يعرفوا حجج الله التى احتج بها عليهم فيه أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين يقول أم جاءهم أمر مالم يأت من قبلهم من أسلافهم فاستكبروا ذلك وأعرضوا فقد جاءت الرسل من قبلهم وأنزلت معهم الكتب وقد يحتمل أن تكون أم فى هذا الموضع بمعنى بل فيكون تأويل الكلام أفلم يدبروا القول بل جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه اذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك وقد ذكر عن ابن عباس فى ذلك نحو هذا القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين قال لعمرى لقد جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ولكن أولم يأتهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله أم لم يعرفوا رسولهم يقول تعالى ذكره أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا وأنه من أهل الصدق والامانة فهم له منكرون يقول فينكروا قوله أولم يعرفوه بالصدق و يحتجوا بأنهم لا يعرفونه يقول جل ثناؤه فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والامانة أم يقولون به جنة يقول أيقولون محمد مجنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدرى ما يقول بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره فان يقولوا ذلك فكذبهم فى قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذى فيأتى من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذى جاءهم به محمد هو الحكمة التى لا أحكم منها والحق الذى لا تخفى صحته على ذى فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون وقوله وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم اليه ولكن أكثرهم للاذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له و بغيا عليه واستكبارا فى الارض

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وارادتهم وترك الحق الذى هم له كارهون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الامور والصحيح من التدبير والفاسد فلو كانت الامور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع ايثار أكثرهم الباطل على الحق لم تقر السموات والارض ومن فيهن من خلق الله لان ذلك قام بالحق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا السدى عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الله * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق هو الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق الله وقوله بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون اختلف أهل التأويل فى تأويل الذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول بينا لهم * وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم لانه نزل على رجل منهم فأعرضوا عنه وكفروا به وقالوا ذلك نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه اليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خرجا يعنى أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخراج ربك خير فأجر ربك على نفاذك لأمره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا قال لهم كما قال الله له وأمره بقيله لهم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وانما معنى الكلام أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا فنكصوا على أعقابهم اذا تلوته عليهم مستكبرين بالحرم فخراج ربك خير * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال أجرا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله وأصل الخراج والخرج مصدران لا يجمعان وقوله وهو خير الرازقين يقول والله خير من أعطى عوضا على عمل

النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال الجوهرى الكلوح تكشر فى عبوس ثم بين سبحانه أنه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعى وفسرت المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وتفسرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم فى الازل من الكفر وسائر المعاصى أن يعملوها حتى يؤول حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر وأما على تفسير المعتزلة (٣٣) فقد قال جار الله معناه ملكتنا وأخذت منا وقال الجبائى أراد طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فأطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بأن لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم فى سوء صنيعهم وأجيب بأن طلب تلك اللذات لا بد أن ينتهى الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله (وكنا قوما ضالين) أى فى علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على الاعتراف بأنهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بأن يجعلوا ذلك عذرا لهم أولى وأجيب بأن فحوى الكلام يؤول الى هذا كما قررنا عن ابن عباس أن لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا ربنا أخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب أى لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال جار الله (ولا تكلمون) أى فى رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تنبيه على أن العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا صاغرين كما تنزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ نفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد فى الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم فى الدنيا بقوله (انه كان فريق من عبادى) هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه أن السخرى بالضم والكسر مصدر سخر الا أن فى ياء النسب زيادة تأكيد وعن الكسائى والفراء أن المكسور

ورزق رزقا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك الى دين الاسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة ومجازاة الله عباده فى الدار الآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن محجة الحق وقصد السبيل وذلك دين الله الذى ارتضاه لعباده لعادلون يقال منه قد نكب فلان عن كذا اذا عدل عنه ونكب عنه أى عدل عنه * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله عن الصراط لناكبون قال لعادلون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن الحق عادلون وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يقول تعالى ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال للجوا فى طغيانهم يعنى فى عتوهم وجرأتهم على ربهم يعمهون يعنى يترددون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال الجوع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم وأجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم يقول فما خضعوا لربهم فينقادوا لامره ونهيه وينيبوا الى طاعته وما يتضرعون يقول وما يتذللون له وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسنى الجدب اذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعنى الوبر والدم فأنزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفى لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير فخلى سبيله فلحق بمكة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فأنزل الله

من الهزء والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فلم تذكرونى حتى تخافونى ثم ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للساخرين فمن قرأ (انهم) بالكسر على الاستئناف فمعناه ظاهر أى قد فازوا حيث صبروا ومن قرأ بالفتح فعلى أنه مفعول جزيتهم أى جزيتهم فوزهم ومن قرأ (قال) فالضمير لله أو لمن أمر بسؤالهم من الملائكة ومن قرأ قل فالخطاب للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا فى الدنيا ويظنون أن الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا فى النار وأيقنوا أنهم فيها خالدون سئلوا (كم لبثتم) تنبيها لهم على أن ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما أنكروه اذ لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى ولا سيما اذا كان للاول أيام سرور والثانى أيام غم وحزن واختلفوا فى الارض فقيل وجه الارض حين ما كانوا أحياء فانهم زعموا أن لا حياة سواها فلما أحياهم الله تعالى وعذبوا فى النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة فى ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله (عدد سنين) بدل من مميز كم وقيل تمييز احتج بعض من أنكر عذاب القبر بأن قوله فى الارض يتناول زمان كونهم أحياء فوق الارض وزمان كونهم أمواتا فى بطن الارض فلو كانوا معذبين فى القبر لعلموا أن مدة مكثهم فى الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم وأجيب بأن الجواب لا بد أن يكون على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا فى الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل أن يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذى اجتمعوا فيه فلا يدخل فى ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح أن يكون جوابهم لبثنا يوما أو بعض يوم عند أنفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال ولقد فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أى ليس من شأننا أن نعدها لما نحن فيه من العذاب فاسأل من يقدر أن يلقى اليه فكره أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله فى ذلك حيث قال (ان لبثتم الا قليلا) ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها بقوله (لو أنكم كنتم

ولقد أخذناهم بالعذاب الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال أخبرنا عمرو قال قال الحسن اذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فانما هى نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا الى الله وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد أخذناهم بالعذاب قال الجوع والجدب فما استكانوا لربهم فصبروا وما استكانوا لربهم وما يتضرعون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبى هند عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قد مضى كان يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال يوم بدر * وقال آخرون معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر وهو الباب ذو العذاب الشديد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال لكفار قريش الجوع وما قبلها من القصة لهم أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما قبلها أيضا وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى بتأويل الآية لصحة الخبر الذى ذكرناه قبل عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة المجاعة التى أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأمر ثمامة بن أثال وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر وقوله اذا هم فيه مبلسون يقول اذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم فى تكذيبهم بآيات الله فى حين لا ينفعهم الندم والحزن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذى تسمعون به والأبصار التى تبصرون بها والافئدة التى تفقهون بها فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء اعادته بعد عدمه وفقده وهو الذى يوجد ذلك كله اذا شاء ويفنيه اذا أراد قليلا ما تشكرون يقول تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى ذرأكم

تعلمون) أى لو علمتم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد فى التوبيخ بقوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أى عابثين أو لاجل العبث وهو الفعل الذى لا غاية له صحيحة وجوزوا أن يكون قوله (وأنكم الينا لا ترجعون) معطوفا على عبثا أى للعبث ولترككم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة فلولاها لم يتميز المطيع من العاصى والمحسن من المسىء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا (فتعالى) الآية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من أهل الشرك وقوله لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهو صفة جيء بها للتأكيد لا أن بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى (حسابه عند ربه) أنه بلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة أى حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خواتيمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين أثنى على المؤمنين فى أثناء الكلام بأنهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين نبه فى آخر السورة على أنه قول ينبغى أن يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عمن سواه والله المستعان ۞ التأويل فاذا نفخ فى الصور فيه أن نفخة العناية الازلية اذا نفخت فى صور القلب قامت القيامة وانقطعت الأسباب فلا يلتفت الى أحد من الانساب لا الى أهل ولا الى ولد لاشتغاله فى طلب الحق واستغراقه فى بحر المحبة فلا يقع بينهم التساؤل عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن أحوال أهاليهم واخدانهم وأوطانهم اذا فارقوها لكل امرئ منهم يومئذ فى طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فأولئك الذين خسروا أنفسهم لأنهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليهم الطريق بنوع من التعلقات ورجع القهقرى بطل استعداده فى الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقيا واذا تصرفت الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بافساد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال فى جهنم خالدون وأجيبوا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتنا اصلاح الاستعداد بعد افساده

انه كان فريق من عبادى هم العلماء بالله النصحاء لاجله فاتخذتموهم سخريا فضر ثم أنعكم على سيوف همهم الغلبة حتى أنسوكم بهمهم وتيد الرد ذكرى وكنتم منهم تضحكون لان قلوبكم قدماتت وكثرة الضحك تميت القلب جزيتهم اليوم عاصبروا وفيه أن أهل السعادة كما ينتفعون بعاملاتهم الصالحة مع الله ينتفعون بانكار منكريهم ومثله حال أهل الشقاء فى الجانب الآخر وهو الاستضرار لا برهان له به أى لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان تقرب الى ذلك الذى عبده من دون الله بأنواع القربات

(سورة النور مدنية حروفها ٥٣٣٠ كلامها ١٣١٦ (٣٦) آياتها ٦٤) (بسم الله الرحمن الرحيم ◦ سورة أنزلناها وفرضناها

في الارض واليه تحشرون) يقول تعالى ذكره والله الذى خلقكم فى الارض واليه تحشرون من بعد مماتكم ثم تبعثون من قبوركم الى موقف الحساب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره والله الذى يحيى خلقه يقول يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا بنفخ الروح فيها بعد التارات التى تأتى عليها ويميت يقول ويميتهم بعد أن أحياهم وله اختلاف الليل والنهار يقول وهو الذى جعل الليل والنهار مختلفين كما يقال فى الكلام لك المن والفضل بمعنى انك تمن وتفضل وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أيها الناس أن الذى فعل هذه الافعال ابتداء من غير أصل لا يمتنع عليه احياء الاموات بعد فنائهم وانشاء ماشاء اعدامه بعد انشائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) يقول تعالى ذكره ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الامم المكذبة رسلها قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما يقول أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا وبرأت عظامنا من لحومنا أئنا لمبعوثون يقول انا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ان هذا الشئ غير كائن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين) يقول تعالى ذكره قالوا لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا يا محمد ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك فلم نر له حقيقة ان هذا يقول ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات الا أساطير الاولين يقول ماسطره الاولون فى كتبهم من الاحاديث والاخبار التى لا صحة لها ولا حقيقة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك لمن ملك الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون من مالكها ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا دون سائر الأشياء غيره قل أفلا تذكرون يقول فقل لهم اذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على احيائهم بعد مماتهم واعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد من رب السموات السبع ورب العرش المحيط بذلك سيقولون ذلك كله لله وهو ربه فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله سيقولون لله فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام سيقولون لله سوى أبى عمرو فانه خالفهم

وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم)

۞ القراآت فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ورأفة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح ورفعه الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعى عن أصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزى ههنا وفى الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفى الحديد بالسكون فقرأه وقرأ أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف بغير همز أربع شهادات بالرفع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر فيما فى حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعا أن مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة أن مخففا غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل أن بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون أن غضب الله بالتشديد والنصب

﴿ الوقوف تذكرون ○ جلدة ص ○ الآخر ج ○ للعدول واعتراض الشرط مع اتفاق الجملتين المؤمنين ○ مشركة ○ للتفصيل بين الحالتين مع اتفاق الجملتين مفترك ج لاختلاف الجملتين المؤمنين ○ أبدا ج الفاسقون ○ وأصلحوا ج للفاء وإن رحيم ○ بالله لا في الموضعين لان ما بعده جواب لما في حكم القسم الصادقين ○ الكاذبين ○ الصادقين ○ حكيم ○ ﴿ التفسير لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة بدليل سل تعط أراد الله أن يذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال (سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) أو فيما (٣٧) أوحينا إليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على دونك سورة أو اتل سورة أو على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله أنزلناها محل من الاعراب لانها ليست بصفة وانما هي مفسرة للضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في أول البقرة والفرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا أحكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة أو للتكثير ففي أحكام هذه السورة كثرة ويجوز أن يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم فانهم كل المكلفين من السلف والخلف وأما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي يذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله (لعلكم تذكرون) فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكر وقال أبو مسلم هي الحدود والاحكام أيضا ولا يبعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه أن يفرض عليه عملا وقال القاضي أراد بها الاشياء المباحة المذكورة في السورة بينها الله تعالى لاجل التذكر فمن جملة الاحكام حكم الزنا قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف أي فيما فرض عليكم جلد الزانية والزاني أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال آخرون الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة أنزلناها لاجل الامر فان الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه أي ضرب رأسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة الى أن اقامة هذا الحد ينبغي أن يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف

فقرأه سيقولون لله في هذا الموضع وفي الآخر الذي بعده اتباعا لخط المصحف فان ذلك كذلك في مصاحف الامصار الا في مصحف أهل البصرة فانه في الموضعين بالالف فقرؤا بالالف كلها اتباعا لخط مصحفهم فأما الذين قرؤه بالالف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك لانهم أجروا الجواب على الابتداء ورد مرفوعا على مرفوع وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك وأما الذين قرؤا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف فانهم قالوا معنى قوله قل من رب السموات لمن السموات لمن ملك ذلك فجعل الجواب على المعنى فقيل لله لان المسئلة عن ملك ذلك لمن هو قالوا وذلك نظير قول قائل لرجل من مولاك فيجيب المجيب عن معنى ما سئل فيقول أنا لفلان لانه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله مولاي فلان وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده

وأعلم أنني سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

فأجاب المخفوض بمرفوع لان معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف لاجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد من بيده خزائن كل شيء كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ملكوت كل شيء قال خزائن كل شيء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مجاهد في قول الله قل من بيده ملكوت كل شيء قال خزائن كل شيء وقوله وهو يجير من أراد ممن قصده بسوء ولا يجار عليه يقول ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه ان كنتم تعلمون من ذلك صفته فانهم يقولون ان ملكوت كل شيء والقدرة على الاشياء كلها لله فقل لهم يا محمد فأنى تسحرون يقولون فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والاقرار بأخباره وأخبار رسوله والايمان بان الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله تسحرون

يضرب فالرجل يجلد قائما على تجرده ليس عليه ازار مضرب بأوسطا لا مبرحا ولا هينا على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح أن الزنا من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد وفى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذي هو أشنع أنواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وأمر بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر

وأما التي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار

واعلم أن البحث في هذه الآية يقع عن أمور أحدها عن ماهية الزنا وثانيها عن أحكام الزنا وثالثها في الشرائط المعتبرة في كون الزنا موجبا لتلك الاحكام ورابعها في الطريق الذي به يعرف حصول الزنا وخامسها عن كيفية اقامة هذا الحد الاول قد حده علماء الشافعية بأنه عبارة عن ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا فيدخل فيه اللواطة لانها مثل الزنا صورة وذلك ظاهر لحصول معنى الانفراج في الدبر أيضا ومعنى لانهما يشتركان في المعاني المتعلقة بالشهوة من الحرارة واللين وضيق المدخل ولذلك لا يفرق أهل الطبائع بين المحلين والاكثرون على أن اللواط لا يدخل تحت الزنا العرف ولهذا لو حلف لا يزني فلاط أو بالعكس لم يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما روى عن أبي موسى الاشعري أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان محمول على اشتراكهما في الاثم بدليل قوله أيضا اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان والقياس المذكور بعيد لانه لا يلزم من تسمية القبل فرجا لانفراجه أن يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا واعلم أن للشافعي في اللائط قولين أصحهما أن عليه حد الزنا ان كان محصنا فيرجم وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب والثاني قتل الفاعل والمفعول والقتل اما بحز الرقبة كالمرتد أو بالرجم وهو قول مالك وأحمد واسحق أو بالهدم عليه ويروى عن أبي أو بالرمي من شاهق ويروى عن علي رضي الله عنه وذلك أن قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأما المفعول فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان بضع الرجل لا يتقوم وان كان مكلفا طائعا فهو كالفاعل في الاقوال وان أتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر أنه لواط وحكمه ما مر وقيل زنا لانه

ما حدثني به علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فأنى تسحرون يقول تكذبون وقد بينت فيما مضى السحر وأنه تخييل الشيء الى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته فذلك معنى قوله فأنى تسحرون انما معناه فمن أي وجه يخيل اليكم الكذب حقا والفاسد صحيحا فتصرفون عن الاقرار بالحق الذي يدعوكم اليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ⦿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ يقول ما الامر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من أن الملائكة بنات الله وأن الآلهة والاصنام لهم آلهة دون الله بل أتيناهم بالحق اليقين وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك الاسلام ولا يعبد شيء سوى الله لانه لا اله غيره وانهم لكاذبون يقول وان المشركين لكاذبون فيما يضيفون الى الله وينحلونه من الولد والشريك وقوله ما اتخذ الله من ولد يقول تعالى ذكره ما لله من ولد ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدع الاشياء من تصلح عبادته ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الاشياء من تصلح عبادته من اله اذا لذهب يقول اذا لاعتزل كل اله منهم بما خلق من شيء فانفرد به ولتغالبوا فلعلا بعضهم على بعض وغلب القوي منهم الضعيف لان القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون الها فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله اذا لذهب جواب لمحذوف وهو لو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه وقوله سبحان الله عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا وعما قالوه من أن له شريكا أو أن معه في القدم الها يعبد تبارك وتعالى وقوله عالم الغيب والشهادة يقول تعالى ذكره هو عالم ما غاب عن خلقه من الاشياء فلم يروه ولم يشاهدوه وما رأوه وشاهدوه وانما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة انهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون فانهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم بل عن جهل منهم به وان العالم بقديم الامور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء فخبره هو الحق دون خبرهم وقال عالم الغيب فرفع عالم على الابتداء بمعنى هو عالم الغيب ولذلك دخلت الفاء في قوله فتعالى كما يقال مررت بأخيك المحسن فأحسنت اليه فترفع المحسن اذا جعلت فأحسنت اليه بالفاء لان معنى الكلام اذا كان كذلك مررت بأخيك هو المحسن فأحسنت اليه ولو جعل الكلام بالواو فقيل وأحسنت اليه لم يكن وجه الكلام في المحسن الا الخفض على النعت للاخ ولذلك لو جاء فتعالى بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لاعراب اسم الله وكان يكون معنى الكلام

سبحان

وطء أنثى فأشبه الوطء في القبل وإذا لاط بعبد فهو كالأجنبي على الأصح ولو أتى امرأته أو جاريته في الدبر فالأصح القطع بمنع الحد لأنها محل استمتاعه وبالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعي وقال أبو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر حجة الشافعي خبر أبي موسى الأشعري فانه يدل على اشتراك اللواط والزنا في الاسم والحقيقة لا أقل من اشتراكهما في اللوازم وأيضا انه صلى الله عليه وسلم قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول به وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثاني والثالث فهو من الاول وأيضا قاس اللواط على الزنا (٣٩) بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسبها الزاجر وفرق بأن الزنا أكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر أشد وبأن الزنا يقتضي فساد الانساب دون اللواط وألغي الفرق بوطء العجوز الشوهاء حجة أبي حنيفة أنه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوي الزنا في الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب وأجيب بأن الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد لشاع اللواط وأدى الى اضاعة النسب بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التوالد والتناسل وللشافعي في اتيان البهيمة أقوال أحدها أنه كالزنا في أحكامه وثانيها القتل مطلقا لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شأن البهيمة قال لانه كره أن يؤكل لحمها وأصحها وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد والثوري أن عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روي أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لاكله ولا خلاف في أن السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثاني قدمر في أول سورة النساء أن حكم الزاني في أوائل الاسلام كان الحبس في البيوت في حق الثيب والايذاء بالقول في حق البكر ثم نسخ بآية الزنا وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج أنكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى أطنب في أحكام الزنا بما لم يطنب في غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر ولان قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض يقتضي تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم في ذلك فأجابوا عن الاول بأن الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع

سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله وتعالى حينئذ معطوفا على سبحان الله وقد يجوز الخفض مع الفاء لان العرب قد تبتدئ الكلام بالفاء كابتدائها بالواو وبالخفض كان يقرأ عالم الغيب في هذا الموضع أبو عمرو وعلى خلافه في ذلك قرأة الامصار والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثاني صحته في العربية وقوله فتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ووصفهم اياه بما يصفون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد رب ان تريني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به ونجني من عذابك وسخطك فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك وقوله فلا تجعلني جواب لقوله اما تريني اعترض بينهما بالنداء ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام لا يقال يا زيد فقم ولا يا رب فاغفر لان النداء مستأنف وكذلك الامر بعده مستأنف لا تدخله الفاء والواو الا أن يكون جوابا لكلام قبله وقوله وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون يقول تعالى ذكره وانا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون فلا يحزننك تكذيبهم اياك بما نعدهم به وانما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) يقول تعالى ذكره لنبيه ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم وذلك أمره اياه قبل أمره بحربهم وعني بالسيئة أذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال اعرض عن أذاهم اياك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال هو السلام تسلم عليه اذا لقيته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفح عما يكره وقوله نحن أعلم بما يصفون يقول تعالى ذكره نحن أعلم بما يصفون الله به وينحلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ونحن مجازوهم على جميع ذلك فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح

في حق العبد فخص العذاب بغير الرجم الدليل العقلي وعن الثاني بأن الأحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التي اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات وعن الثالث بأن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لأن القرآن وإن كان قاطعا في متنه إلا أن العام غير قاطع الدلالة فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا إلا أن الرجم ثبت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وجابر والخدري وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة وما نقل عن علي أنه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار أحمد وإسحق وداود محمول على مثل ما روى (٤٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زنى بامرأة فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان محصنا فأمر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة متروك العمل بما روي في قصة العسيف أنه قال يا أنيس اغد على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد إذ ذاك لذكره وأن قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهري بإسناده عن ابن عباس أن عمر قال قد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فرجم النبي صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبر أن الذي فرضه الله تعالى هو الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعي يجمع بين الجلد والتغريب في حد البكر وقال أبو حنيفة يجلد وأما التغريب فمفوض إلى رأي الإمام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ما روي عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ أو محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعي حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله في قصة العسيف حجة أبي حنيفة أن إيجاب التغريب يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه أن إيجاب الجلد مرتب على الزنا بالفاء التي هي للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا في ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزي أحدا بعدك وإيجاب شيء آخر غير الجلد يقتضي نسخ كونه كافيا ولو كان النفي مشروعا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة بعض

القول وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها والهمز هو الغمز ومن ذلك قيل للهمز في الكلام همزة والهمزات جمع همز * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين قال همزات الشياطين خنقهم الناس فذلك همزاتهم وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون يقول وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري كالذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون في شيء من أمري

القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على ما فات وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للإقالة رب ارجعون إلى الدنيا فردوني إليها لعلي أعمل صالحا يقول كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه * وبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قال محمد إلى أي شيء يريد إلى أي شيء يرغب أجمع المال أو غرس الغراس أو بنى بنيانا أو شق أنهارا ثم يقول لعلي أعمل صالحا فيما تركت يقول الجبار كلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رب ارجعون قال هذه في الحياة الدنيا ألا تراه يقول حتى إذا جاء أحدهم الموت قال حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان فيقول بل قدماني إلى الله وأما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون يعني أهل الشرك وقيل رب ارجعون فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ثم قيل ارجعون فصار إلى خطاب الجماعة والله تعالى ذكره واحد وإنما فعل ذلك كذلك لأن مسألة القوم الرد إلى الدنيا إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله وإنما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لأنهم استغاثوا به ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا وكان

بعض نحويي الكوفة يقول قيل ذلك كذلك لانه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ في غير مكان من القرآن فجرى هذا على ذلك وقوله كلا يقول تعالى ذكره ليس الامر على ما قال هذا المشرك لن يرجع الى الدنيا ولن يعاد اليها انها كلمة هو قائلها يقول هذه الكلمة وهو قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها يقول هذا المشرك هو قائلها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا انها كلمة هو قائلها لا بد له أن يقولها ومن ورائهم برزخ يقول ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعني الى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يقول أجل الى حين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ومن ورائهم برزخ قال ما بعد الموت حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد قال ثنا أرطاة عن أبي يوسف قال خرجت مع أبي أمامة في جنازة فلما وضعت في لحدها قال أبو أمامة هذا برزخ الى يوم يبعثون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مطر عن مجاهد قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت الى البعث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله برزخ الى يوم يبعثون قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال برزخ بقية الدنيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ ما بين الموت الى البعث حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله فاذا نفخ في الصور من النفختين أيتهما عنى بها فقال بعضهم عنى بها النفخة الأولى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عمرو بن مطرف عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال سمعت الله يقول فلا أنساب بينهم يومئذ الآية وقال في آية أخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال أما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ

عليه عند تلاوة هذه الآية ولو فعل لاشتهر وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الامة اذا زنت فاجلدوها فان زنت فاجلدوها فان زنت فبيعوها والاستدلال به أنه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روي أن شيخا وجد على بطن جارية فأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه أضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انه انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي أن يأمر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب أيضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقدر على الاستمساك وأيضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المرأة الاضرار بزوجها وكذا لمن يؤمر أن يكون معها من محارمها أو من النسوة الثقات مع انفتاح باب الزنا عليها في الغربة لهذا روي عن علي رضي الله عنه أنه قال في البكرين اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر أن امرأة زنت فجلدها ولم ينفها وأيضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حد البكر وجب أن لا يشرع نظيره وهو التغريب وأجيب بأن ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الآية بأحد القسمين الا أن عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية وايجابه بخبر الواحد لا يزيل الا محض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وهو قول الادباء ان الجزاء سمي جزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الأحكام ولا استبعاد في عدم اشتهار بعض الأحكام كأكثر المخصصات والأخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روى أبو علي في جامعه أنه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا بعد في أن يكون القادر على الزنا عاجزا عن الاستمساك على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل

وعلى هذا يغرب نصف سنة على الأصح لأنه يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لأن التغريب للايحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وأما المرأة فلا تغرب وحدها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة أن تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم أو نسوة ثقات فذاك والا أعطي أجرتهم من مالها أو من بيت المال فيه قولان ولو تنتفي التهمة حينئذ مع أن أكثر الزنا انما يقع بالالف والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الأغلب هو الوحشة والتعب واما أن النفي يشبه القتل فسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم أن قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المتنافيين لجنس الضعيفة والضعيف أو عام يشمل

كل من اتصف بهذه الفعلة الشنعاء فلابد من تقييد أو تخصيص وهو البحث الثالث فنقول أجمعت الامة على أنه لابد فيه من العقل والبلوغ فلا حد على مجنون ولا على صبي لأنهما ليسا من أهل التكليف هذا في غير الرجم وأما في الرجم فلابد من شروط أخر منها الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة وحر البعض والسبب أن الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق يحتاج في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له أن ينكح الا امرأتين وجناية من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال أغلظ ومنها الاصابة في نكاح صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط بشرطين

أحدهما التزويج بنكاح صحيح والآخر الدخول وكيفما كان فوجه الاعتبار أنه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه أن يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان أحدهما أنه يفيد الاحصان لأن الفاسد كالصحيح في العدة والنسب وأصحهما المنع لأن الفاسد لا أثر له في اكمال طريق الحلال وهل يشترط أن تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية الاصح عند امام الحرمين لا فانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والأرجح عند معظم الأصحاب نعم لأن شرط الاصابة أن تحصل بأكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال أبو حنيفة نعم وهو أحد قولي الشافعي فلو كان أحدهما كاملا دون الآخر لم يصر الكامل محصنا أيضا وقال الشافعي في أصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند أبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع عن

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشرع من قبله فقد صار شرعا له ولأن زنا الكافر مثل زنا المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا أقر الذمي بالزنا أقيم عليه الحد جبرا بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج به لأبي حنيفة أن النعمة في حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعورض بأن الاسلام من كسب العبد وزيادة الحد مثلا لم تكن سببا للعذر فلا أقل من أن لا تكون سببا لزيادة العقوبة قالوا الاحصان القذف يعتبر

ولا يتساءلون فذلك في النفخة الاولى فلا يبقى على الارض شئ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وأما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي في قوله فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال في النفخة الاولى حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك حين ينفخ في الصور فلا حي يبقى الا الله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فذلك اذا بعثوا في النفخة الثانية * قال أبو جعفر فمعنى ذلك على هذا التأويل فاذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ولا يتساءلون ولا يتزاورون فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم * وقال آخرون بل عني بذلك النفخة الثانية ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن هرون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان يقول أتيت ابن مسعود وقد اجتمع الناس اليه في داره فلم أقدر على مجلس فقلت يا أبا عبد الرحمن من أجل أني رجل من العجم تحقرني قال ادن قال فدنوت فلم يكن بيني وبينه جليس فقال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين قال وينادي مناد ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت الى حقه قال فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن هرون بن عنترة عن زاذان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ العبد أو الامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد ثم ذكر نحوه وزاد فيه فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد أعط هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان له فضل مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم تلا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النار * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيأ ولا يتساءلون ولا يمت اليه برحم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني محمد بن كثير عن حفص بن المغيرة عن قتادة قال ليس شئ أبغض الى الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يذوب له عليه شئ ثم قرأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قال ثنا الحسين قال ثنا الحكم بن سنان

فيه الاسلام بالاجماع فكذا الاحصان الرجم والجامع كمال النعمة * وأجيب بأن حد القذف لرفع العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا
للكرامة وصيانة للعرض والجواب عن الحديث بأنا لا نسلم أن الذمي مشرك سلمنا لكن الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا أحصن والذمي
الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله صلى الله عليه وسلم وزنا بعد احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض أهل الظاهر عموم
قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا أنه ورد النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليها لزم تخصيص عموم
الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا أحصن (٤٣) أي تزوجن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات فاذا لم تتزوج
فعليها المائة لعموم قوله الزانية
واتفاق الجمهور على حذف هذين
وقال الشافعي وأبو حنيفة الذمي
يجلد للعموم ولأنه صلى الله عليه
وسلم رجم يهوديين فالجلد أولى
وقال مالك لا يجلد بناء على أن
الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع
* البحث الرابع في طريق معرفة
الزنا وأنه ثلاثة الاول أن يراه الامام
بنفسه فيجيء الخلاف في أن
القاضي هل له أن يقضي بعلمه أم لا
رجح كلا من وجهين وجه القضاء أنه
يقضي بالظن وذلك عند شهادة
شاهدين فلأن يقضي بالعلم أولى
ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة
والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي
القاضي لولده ووالده وهذا
الوجه في حدود الله تعالى أوجه لأن
الحاكم فيها مأمور بالستر ولهذا قال
النبي في قصة اللعان لو كنت راجما
بغير بينة لرجمتها ولا فرق على
القولين أن يحصل العلم للقاضي في
زمان ولايته ومكانها أو في غيرهما
وعن أبي حنيفة أنه ان حصل له
العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا
الطريق الثاني الاقرار ويكفي
عند الشافعي مرة واحدة وقال
أبو حنيفة لا بد من أربع مرات
في أربع مجالس وجوز أحمد أن
يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع أن الصارف عن الاقرار بالزنا
قوي وهو العار في الحال والقتل أو الالم الشديد في المآل فالاقدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون الا عن صدق وبقي حجة أبي حنيفة قصة
ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم عنه مرات حتى قال أبو بكر له بعد ما أقر ثلاث مرات لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقياس على الشهادة * وأجيب بأنه لا منافاة بين القضيتين فان الاولى محمولة على أقل المراتب والثانية على كمالها والفرق أن المقذوف لو أقر
بالزنا مرة سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزناه لم يسقط الطريق الثالث الشهادة وأجمعوا على أنه لا بد من شهود أربعة من الرجال لقوله

عن سدوس صاحب السابري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل
الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد من أهل العرش يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم وادخلوا
الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون)
يقول تعالى ذكره فمن ثقلت موازينه موازين حسناته وخفت موازين سيآته فأولئك هم المفلحون
يعني الخالدون في جنات النعيم ومن خفت موازينه يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت
بها موازين سيآته فأولئك الذين خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله
في جهنم خالدون يقول هم في نار جهنم وقوله تلفح وجوههم النار يقول تسفع وجوههم النار
كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تلفح
وجوههم النار قال تنفح وهم فيها كالحون والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان حتى تبدو
الاسنان كما قال الاعشى

وله المقدم لا مثل له * ساعة الشدق عن الناب كلح

فتأويل الكلام يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها متقلصو الشفاه عن الاسنان من
احراق النار وجوههم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني
علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وهم فيها كالحون
يقول عابسون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبي اسحق
عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الرأس المشيط قد بدت أسنانه
وقلصت شفتاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق
عن أبي الاحوص عن عبد الله قرأ هذه الآية تلفح وجوههم النار الآية قال ألم تر الى الرأس المشيط
بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الغنم اذا مست النار وجوهها كيف هي ۞ القول في تأويل
قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا
قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) يقول تعالى ذكره يقال لهم ألم تكن آياتي
تتلى عليكم يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وترك ذكر يقال لدلالة الكلام
عليه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة
وبعض أهل الكوفة غلبت علينا شقوتنا بكسر الشين وبغير ألف وقرأته عامة قراء أهل الكوفة
شقاوتنا بفتح الشين والالف والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان وقد قرأ بكل

تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء وأن الشهادة على الاقرار بالزنا كالشهادة على الزنا في أنه لابد من شهود أربعة وفي قول يكفي فيه اثنان لأن الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار أمر ظاهر فيكفي فيه رجلان * البحث الخامس أجمعت الامة على أن المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعي السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يملك حجة الشافعي أنه صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الحدود (٤٤) على ما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثاني على التعزير خلاف الظاهر وأيضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان أولى وأيضا الاجماع على أن السيد يملك التعزير مع أنه في محل الاجتهاد فلأن يملك الحد مع التنصيص عليه أولى حجة أبي حنيفة في قوله فاجلدوا والخطاب للامة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الأحرار المحدودين وبين العبيد وأيضا لو جاز للمولى أن يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم لوجب أن يتمكن من تضمين الشهود وليس لذلك بالاتفاق لأنه ليس لأحد أن يحكم لنفسه وأيضا المالك في محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفي الحد أجابت الشافعية بأن عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع أن الكلام في جواز اقامة السيد الحد لا في وجوبه فالامام يملك حد العبد في الجملة وذلك كاف في بقاء الآية على عمومها وعن الثاني بأن للشافعي في القطع والقتل قولين أحدهما يجوز لما روى أن ابن عمر قطع عبداله سرق وثانيهما لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفي سماع المولى الشهادة أيضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة فيها هذه الحدود بل ينبغي أن يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفي الخارجي المتغلب خلاف * البحث السادس في كيفية اقامة الحد انه سبحانه قد أشار الى أن هذا الحد يجب أن لا يكون في غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى أنه يجب أن لا يكون في غاية الرفق بقوله (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) وذلك اما بأن يترك الحد رأسا أو ينقص شيء منه أو يخفف بحيث لا يحس الزاني بالالم وفي معناه أن يفرق على الايام كأن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا لحصول التنكيل والاولى أن لا يفرق وأكد هذا المعنى بقوله (ان كنتم

واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام قالوا ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا قال التي كتبت علينا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال قال ابن جريج بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال ثم نادوا مالكا يا مالك ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم فقال انكم ماكثون ثم نادى الاشقياء ربهم فقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون * قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ثم يقال أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون فيقولون ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم واخوانكم وعشيرتكم فيقولون بلى فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين * قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي * قال وثني عبدة المروزي عن عبد الله بن المبارك عن عمرو بن أبي ليلى قال سمعت محمد بن كعب زاد أحدهما على صاحبه قال محمد بن كعب بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردوا عليهم ما قال الله فلما أيسوا نادوا يا مالك وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فسكت لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة أو كما قال ثم انحط اليهم فقال انكم ماكثون فلما سمعوا ذلك قالوا فاصبروا فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال فصبروا فطال صبرهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص أي منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا الآية قال فيجيبهم الله

تؤمنون بالله واليوم الآخر) قال الجبائي فيه دلالة على أن الاشتغال بأداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وأجيب بأن الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه وأن ذلك موجب ترك اقامة الحد وحينئذ يكون شكر للدين فلهذا خرج من الايمان وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى أبو عثمان النهدي قال أتى عمر برجل في حد فجيء بسوط فيه شدة فقال أريد ألين من هذا فأتى بسوط فيه لين فقال أريد أشد من هذا فأتى بسوط بين السوطين وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أتى برجل في حد فذهب (٤٥) الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجسد هذا المذنب أن يضرب وعليه قميص فقال أبو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف في أن المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف ويلي ذلك منها امرأة وجوز الشافعي الضرب على الرأس لما روي أن أبا بكر قال اضرب على الرأس فان الشيطان فيه وقال أبو حنيفة حكم الرأس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها في الرأس وفي الوجه واحد وأما في سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وأيضا ان ضرب الرأس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه أيضا عرضة للآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة وللشافعي أن يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الرأس ولتكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود هو قتله لا يتفاوت ذلك ولهذا يرجم المريض أيضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لأنه ربما يرجع عن اقراره في حال الرجم وقد أثر الرجم في بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على اهلاكه وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة فانه لا يسقط وفي الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى في حال الصحة أو في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لأن المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روي أن مقعدا أصاب امرأة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأخذوا مائة شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل أو من غيره وعند أبي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنا باقراره فلو رجع ترك وقع به بعض الحد أو لم يقع وبه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد واسحق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن أبي ليلى وداود

فيها ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير قال فيقولون ما أيسنا بعد قال ثم دعوا مرة أخرى فيقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون قال فيقول الرب تبارك وتعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول الرب لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا يقول بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا انا نسيناكم أي تركناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال فيقولون ما أيسنا بعد قال فيدعون مرة أخرى ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل قال فيقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية قال فيقولون ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل قال فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الى نصير ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا أي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها الآية فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فلا يتكلمون فيها أبدا فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض فأطبقت عليهم قال عبد الله بن المبارك في حديثه فحدثني الأزهر ابن أبي الأزهر أنه قال فذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله أنه قال فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والانجيل على عيسى ما تكلم أهل النار كلمة بعدها الا الشهيق والزعيق في الخلد أبدا ليس له نفاد * قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ فجلسنا فتنحى أبو جعفر فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا جعفر قال أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون وقوله وكنا قوما ضالين يقول كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد وقصد الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم ربنا أخرجنا من النار فان عدنا لما تكره منا من عمل فانا ظالمون وقوله قال اخسؤا فيها يقول تعالى ذكره قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا اخسؤا فيها أي اقعدوا في النار يقال منه خسأت فلانا أخسؤه خسأ وخسوءا وخسأ هو يخسأ وما كان خاسئا ولقد خسأ ولا تكلمون فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثني أبو الزعراء عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة قال فاذا أراد الله أن لا يخرج منها يعني من

أنه لا يقبل رجوعه و يحفر للمرأة الى صدرها حتى لا تنكشف و يرمى اليها ولا يحفر للرجل كما فى حق ماعز اذ لو كان فى الحفرة لم يمكنه الهرب
ولما روى أبو سعيد الخدرى فى قصته فما أوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزانى فى الحد يغسل و يكفن و يصلى عليه و يدفن فى مقابر المسلمين
ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه (وليشهد) ظاهره أمر للوجوب الا أن الفقهاء أجمعوا على أن حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان
اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عمن يجلد وفى لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا أن يراد بالعذاب ما يمنع
من المعاودة كالنكال وقد مر فى أول البقرة (٤٦) فى قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قد مر فى التوبة فقال النخعى ومجاهد
هى فى الآية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهرى وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعى أربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لأنها أول عقد وجوز ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعى ومالك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال أبو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود أن يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيأ من خواص الزناة فقال (الزانى لا ينكح) وهو خبر فى معنى النهى كقراءة عمرو بن عبد لا ينكح بالجزم ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية بذلك وفى الآية أسئلة الاول كيف قدمت الزانية على الزانى فى الآية المتقدمة وعكس الترتيب فى هذه والجواب أن تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لأنها هى التى أطمعت الرجل فى ذلك وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل فى الرغبة والخطبة والثانى ما الفرق بين الجملتين فى الآية والجواب معنى
الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير
مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزانى كذلك أن يكون حال الزانية منحصرة فى ذلك فأخبره
الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث أنا نرى الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وأيضا المؤمن
قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه أحدها وهو الأحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الاعم
الأغلب وذلك أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتفحب لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى فاسقة خبيثة من

الحسن

النار أحدا غير وجوههم وألوانهم فيجىء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم فيقول يارب فيقول
من عرف أحدا فليخرجه قال فيجىء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول يافلان يافلان فيقول
ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون
فاذا قالوا ذلك انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا
اسحق عن شريك عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن معدى كرب عن
أبى الدرداء قال يرسل أو يصب على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فلا يغنى ذلك عنهم شيأ فيستغيثون فيغاثون
بطعام ذى غصة فاذا أكلوه نشب فى حلوقهم فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يحدرون الغصة بالماء
فيستغيثون فيرفع اليهم الحميم فى كلاليب الحديد فاذا انتهى الى وجوههم شوى وجوههم فاذا
شربوه قطع أمعاءهم قال فينادون مالكا ليقض علينا ربك قال فيتركهم ألف سنة ثم يجيبهم
انكم ماكثون قال فينادون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ما نجد
أحدا خيرا لنا من ربنا فينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيقول الله اخسؤا
فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير فيدعون بالويل والشهيق والثبور حدثنى
محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عاصم بن يوسف اليربوعى قال ثنا قطبة بن عبد العزيز الأسدى
عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع ثم ذكر نحوا منه حدثنا ابن حميد قال ثنا
يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال يرى أهل النار فى كل سبعين عاما ساق
مالك خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بكلمة ثم لا يرونه سبعين عاما
فيستغيثون بالخزنة فيقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم أولم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات الآية فيقولون ادعوا ربكم فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون ربنا أخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير
و يأخذون فى الشهيق والويل والثبور حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن
قتادة اخسؤا فيها ولا تكلمون قال بلغنى أنهم ينادون مالكا فيقولون ليقض علينا ربك فيسكت
عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول انكم ماكثون قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين
ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فييأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة وكان انما هو الزفير
والشهيق قال قتادة صوت الكافر فى النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق حدثنا

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا الحسن قال ثنا عبد الله ابن عيسى قال أخبرني زياد الخراساني قال أسنده الى بعض أهل العلم فنسيته في قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيسكتون قال فلا يسمع فيها حس الا كطنين الطست حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون هذا قول الرحمن عز وجل حين انقطع كلامهم منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره انه وهذه الهاء في قوله انه هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة وقد بينت معناها فيما مضى قبل ومعنى دخولها في الكلام بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع كان فريق من عبادي يقول كانت جماعة من عبادي وهم أهل الايمان بالله يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك وبرسلك وما جاؤا به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء فلا تعذبنا بعذابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون﴾ يقول تعالى ذكره فاتخذتم أيها القائلون لربهم ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين في الدنيا القائلين فيها ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين سخريا والهاء والميم في قوله فاتخذتموهم من ذكر الفريق واختلفت القراء في قراءة قوله سخريا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بكسر السين ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزء ويقولون انها اذا ضمت فمعنى الكلمة السخرة والاستعباد فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء فاتخذتم أهل الايمان بي في الدنيا هزوا ولعبا تهزؤن بهم حتى أنسوكم ذكري وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بضم السين وقالوا معنى الكلمة في الضم والكسر واحد وحكى بعضهم عن العرب سماعا لجي ولجي ودري ودري منسوب الى الدر وكذلك كرسي وكرسي وقالوا ذلك من قيلهم كذلك نظير قولهم في جمع العصا العصي بكسر العين والعصي بضمها قالوا وانما اخترنا الضم في السخري لانه أفصح اللغتين والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وليس يعرف من فرق بين معنى ذلك اذا كسرت السين واذا ضمت لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حكيت عنه ذكر الرواية به عن بعض من فرق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتخذتموهم سخريا قال هما مختلفتان سخريا وسخريا يقول الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هذا سخريا يسخرونهم والآخرون

بشكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الأغلب وانما يرغب فيها أشكالها من الفسقة أو المشركين نظير هذا الكلام قول القائل لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي وأما المحرم على المؤمنين فصرف الرغبة بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لانخراطهم بسبب هذا الحصر في سلك الفسقة المتسمين بالزنا الوجه الثاني أن الالف واللام في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روي مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة أنه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم أموال ولا عشائر وبها نساء يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة على بابها التعرف بها وكان لا يدخل عليها الا زان أو مشرك فرغب فيهن ناس من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية والتقدير أولئك الزواني لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك الزانيات لا ينكحها الا أولئك الزواني وحرم نكاحهن باعيانهن على المؤمنين الوجه الثالث أن هذا خبر في معنى النهي كما مر وهكذا كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن حتى يحرم على الزاني والزانية التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس ويقال هذا مذهب أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة ثم في هؤلاء من يسوي بين الابتداء والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن أن يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت تحته لا يحل له أن يقيم عليها ومنهم من يفصل لان في جملة ما منع من التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح كالاحرام والعدة وقيل انه صار منسوخا اما بالاجماع وهو قول سعيد بن المسيب وزيف بأن الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما بعموم قوله وأنكحوا الايامى فانكحوا ما طاب لكم وهو قول الجبائي وضعف بأن ذلك العام مشروط بعدم الموانع السببية والنسبية وليكن هذا المانع أيضا من جملتها وسئل ابن عباس عن ذلك فأجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول أبي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك اشارة الى الزنا أي وحرم الزنا على المؤمنين قال الزجاج هذا التأويل فاسد من جهة أن النكاح في كتاب الله لم يرد الا بمعنى التزويج ومن جهة أنه يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حتى يكون وطؤه زنا ولو أريد حين التزوج فالاشكال عائد لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثاني من أحكام السورة حد القذف والرمي قد يكون بالزنا وبغيره كالكفر والسرقة

الذين يستهزؤن بهم هم سخريا فتلك سخريا يسخرونهم عندك فسخرك رفعك فوقه والآخرون استهزؤا بأهل الاسلام هى سخريا يسخرون منهم فهما مختلفان وقرأقول الله كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقال يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح اتخذوهم سخريا اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزؤن بهم وقوله حتى أنسوكم ذكرى يقول لم يزل استهزاؤكم بهم أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى فألهاكم عنه وكنتم منهم تضحكون كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى أنسوكم ذكرى قال أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم وضحكهم بهم وقرأ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ ان هؤلاء لضالون وقوله انى جزيتهم اليوم بما صبروا يقول تعالى ذكره انى أيها المشركون بالله المخلدون فى النار جزيت الذين اتخذتموهم فى الدنيا سخريا من أهل الايمان بى وكنتم منهم تضحكون اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم فى الدنيا انهم هم الفائزون اختلفت القراء فى قراءة انهم فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة أنهم بفتح الالف من انهم بمعنى جزيتهم هذا فان فى قراءة هؤلاء فى موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها لان معنى الكلام عندهم انى جزيتهم اليوم الفوز بالجنة وقد يحتمل النصب من وجه آخر وهو أن يكون موجها معناه الى انى جزيتهم اليوم بما صبروا لأنهم هم الفائزون بما صبروا فى الدنيا على ما لقوا فى ذات الله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انى بكسر الالف منها بمعنى الابتداء وقالوا ذلك ابتداء من الله مدحهم وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الالف لأن قوله جزيتهم قد عمل فى الهاء والميم والجزاء انما يعمل فى منصوبين واذا عمل فى الهاء والميم لم يكن له العمل فى أن فيصير عاملا فى ثلاثة الا أن ينوى به التكرير فيكون نصب أن حينئذ بفعل مضمر لا بقوله جزيتهم وان هى نصبت باضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لان جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة انما هو على ما سلف من صالح أعمالهم فى الدنيا وجزاؤه اياهم وذلك فى الآخرة هو الفوز فلا معنى لأن يشرط لهم الفوز بالاعمال ثم يخبر أنهم انما فازوا لأنهم هم الفائزون فتأويل الكلام اذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا انى جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا فى الدنيا على أذاكم بها فى أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا بما عملوا من صالحات الاعمال فى الدنيا ولقوا فى طلب رضاى من المكاره فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله كم لبثتم فى الارض عدد سنين وفى قوله لبثنا يوما أو بعض يوم فقرأ ذلك عامة قراء

المدينة

وشرب الخمر الا أن العلماء أجمعوا على أن المراد به فى الآية هو الرمى بالزنا بالقرائن منها تقدم ذكر الزنا ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله لم يأتوا بأربعة شهداء أى على صحة ما رموها به ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط الا فى الزنا والقذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان وألفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح أن يقول يا زانية أو زنيت أو زنى قبلك أو دبرك والأصح أن قوله زنى بدنك صريح لأن الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية أن يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا بنت الحرام أو امرأته لا ترد يد لامس فهذا لا يكون قذفا الا أن يريده وكذا لو قال لعربى يا نبطى الدار واللسان وادعت أم المقول له أنه أراد القذف فالقول قوله مع يمينه والتعريض ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال وأما أنا فليست أمى بزانية وهذا قول الشافعى وأبى حنيفة وأصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال أحمد واسحق هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا لنا أن الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايذاء الحاصل بالتصريح فوق الايذاء الحاصل بالتعريض حجة المخالف ما روى أن رجلين استبا فى زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبى بزان ولا أمى بزانية فاستشار عمر الناس فى ذلك فقال قائل مدح أباه وأمه وقال آخرون قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان أراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو أنشأ الثانى بعد ما حد للاول عزر للثانى وان أراد زنيات مختلفة كأن قال زنيت بزيد وزنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لانهما حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفى بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات أو بكلمة واحدة كأن قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لأنه قذف لكل واحد من أبويه هذا هو الجديد من قولى الشافعى وعند أبى حنيفة لا يجب الا حد واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولأنه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن أمية أو حد فى ظهرك فلم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء والقياس على من زنى مرارا أو شرب أو سرق مرارا والجامع رفع مزيد الضرر وأجيب بأن قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيصير المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه أن رمى المحصنة علة الجلد فحيث وجدت وجد ولا شك أن هذه العلة موجودة عند رمى كل واحدة

من المحصنات فيترتب عليها الجلد لامحالة وأما السيفة فالاتصاف أن دلالتها على المطلوب قوية وأما القياس فالفرق أن هذا حق الآدمي وتلك حدود الله تعالى هذا كله هو البحث عن الرمى وأما البحث عن الرامي فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتأديب ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لأنه كان للزجر والعقل زاجر قوى واشارة الاخرس وكتابته قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الأحكام ولأنه كاف في لحوق العار وعند أبي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لضعف تأثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه أربعون جلدة قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه على قانون قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وعند الشعبي وروى عن على رضى الله عنه أنه يجلد ثمانين أخذا بعموم الآية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب أو الجد اذا قذف أولاده أو أحفاده فانه لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص وأما البحث عن المرمى فالمحصنات العفائف لانهن منعن فرجهن الا من زوجهن وهى عامة الا أن الفقهاء اعتبر والكونها محصنة شرائط خمسا الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن أنفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال صغره أو جنونه ثم بلغ أو أفاق فقذفه قاذف فانه يحد لأن فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه قاله أبو حنيفة والشافعي لأن ظهور الزنا منه خدش ظن الاحصان به وقت القذف ودل على أنه كان متسفا به قبله كما روى أن رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في أول مرة وقال أحمد والمزني وأبو ثور الزنا الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند جمهور العلماء الا أنهم أجمعوا على أنه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنا كأن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنا لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف معروفا بما ذكر فلا تعزير أيضا واعلم أنه سبحانه حكم على القاذف اذا لم يأت بأربعة شهداء بثلاثة أحكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة

المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر قال كم لبثتم وكذلك قوله قال ان لبثتم ووجه هؤلاء تأويل الكلام الى أن الله قال لهؤلاء الاشقياء من أهل النار وهم في النار كم لبثتم في الارض عدد سنين وأنهم أجابوا الله فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فنسى الاشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التى كانت في الدنيا وقصر عندهم أمد مكثهم الذى كان فيها لما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها الا يوما أو بعض يوم ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الامر لهم بالقول كأنه قال لهم قولوا كم لبثتم في الارض وأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمعنى به الجماعة اذ كان مفهوما معناه وانما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لان ذلك في مصاحفهم قل بغير ألف وفي غير مصاحفهم بالألف * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك قال كم لبثتم على وجه الخبر لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا أن يكون قولوا على وجه الخطاب للجمع لان الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار فالذى هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الامر وان كان الآخر جائزا أعنى التوحيد لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه اذ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادين لأنا لا ندرى قد نسينا ذلك واختلف أهل التأويل في المعنى بالعادين فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم . ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاسأل العادين قال الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هم الحساب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل أهل الحساب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فاسأل العادين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك وجائز أن يكونوا الملائكة وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ولا حجة بأى ذلك من أى ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك الى بعض العادين دون بعض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون)

والحكم بفسقه الى أن يتوب فذهب جمع من الأئمة كالشافعي والليث بن سعد الى أنه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة أمورا ثلاثة معطوفة بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب أن لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب أن يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء أقيم عليه الحد أم لا وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه شهادته مقبولة ما لم يحد فاذا استوفى لم تقبل شهادته وانما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة ما لم يطرأ مانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا (٥٠) فى قذف أخبر ببقاء عدالته ما لم يحد أما الاستثناء فى قوله (الا الذين تابوا) فانه لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لأنه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان بأربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف أن يعفو عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يصح أن يصالح عنه بمال هذا قول أبى حنيفة وأصحابه وقال الشافعى اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم أن يأمر بجلده وان تاب لان القذف وحده حق الآدمى والمغلب فيه حقه فليس للامام أن يعفو عنه ولا خلاف فى رجوع الاستثناء الى الجملة الاخيرة وأن المراد أنهم محكوم عليهم بالفسق الا ان تابوا بقى الخلاف فى رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة أصولية هى أن الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية أو للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعى أن القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهى تنتهى بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب أبى حنيفة أنه لم تقبل شهادته وان تاب والابد عنده مدة حياته وقوله (وأولئك هم الفاسقون) جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لأنها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم أنها معطوفة فالاستثناء يرجع اليها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعى أن يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم وحقه عند أبى حنيفة أن يكون منصوبا لانه عن موجب قلت حقه عند الامامين أن يكون منصوبا لأن الاستثناء يعود عند الشافعى الى الجملتين ولا يمكن أن يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين فى حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها أيضا وان جاز البدل فى غير هذه المادة هذا وقد احتجت الشافعية أيضا فى قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التوبة

اختلف القراء فى قراءة قوله قال ان لبثتم الا قليلا لاختلافهم فى قراءة قوله قال كم لبثتم والقول عندنا فى ذلك فى هذا الموضع نحو القول الذى بيناه قبل فى قوله كم لبثتم وتأويل الكلام على قراءتنا قال الله لهم ما لبثتم فى الارض الا قليلا يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها * وقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا يقول تعالى ذكره أفحسبتم أيها الاشقياء أنا انما خلقناكم اذ خلقناكم لعبا وباطلا وأنكم الى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم فى الدنيا تعملون وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة لا ترجعون بضم التاء لا تردون وقالوا انما هو من مرجع الآخرة لا من الرجوع الى الدنيا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون وقالوا سواء فى ذلك مرجع الآخرة والرجوع الى الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى لان من رده الله الى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رجع اليها وأن من رجع اليها فبرد الله اياه اليها رجع وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال باطلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يقول تعالى ذكره فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا وعما يضيفون اليه من اتخاذ البنات لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغى له العبودة الا الله الملك الحق رب العرش الكريم والرب مرفوع بالرد على الحق ومعنى الكلام فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم لا اله الا هو ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) يقول تعالى ذكره ومن يدع مع المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له معبودا آخر لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا برهان له به قال بينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا برهان له به قال حجة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا برهان له به قال لا حجة وقوله فانما حسابه عند ربه يقول فانما حساب عمله السيئ عند ربه وهو موفيه جزاءه اذا قدم عليه انه لا يفلح الكافرون يقول انه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء فى النعيم ۞ القول فى تأويل

قوله

قوله تعالى ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتك وترك عقابي على ما اجترمت وأنت خير الراحمين يقول وقل وأنت يارب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه

آخر تفسير سورة المؤمنين

﴿تفسير سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره سورة أنزلناها وهذه السورة أنزلناها وانما قلنا معنى ذلك كذلك لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها اذا لم تكن جوابا لأنها توصل كما يوصل الذي ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر اذا لم تكن موصولة اذ كان يصير خبرها اذا ابتدئ بها كالصلة لها ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد اذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها واذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم وقد بينا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وفرضناها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة وفرّضناها ويتأولونه وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله حدثني أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابن مهدي عن عبد الوارث بن سعيد عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرؤها وفرضناها يعني بالتشديد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وفرضناها قال الامر بالحلال والنهي عن الحرام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد يحتمل ذلك اذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد وهو أن يوجه الى أن معناه وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس الى قيام الساعة وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشأم وفرضناها بتخفيف الراء يعني أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم وألزمناكموه وبينا ذلك لكم * والصواب من القول في ذلك أنهما

من الكفر والزنا والقتل مع غلظها مقبولة فلأن تقبل من القذف أولى وأيضا ان أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن له أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان أولى بأن تقبل شهادته لأن القذف مع الاسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعبؤن بسب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الايمان يجب ما قبله وبهذا لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لأنا نقول هذا الفرق ملغى في أهل الذمة لقوله صلى الله (٥١) عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واحتجت الحنفية في عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس في قصة هلال بن أمية يجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد فاذا علم المحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها أن عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما وقد بقي في الآية مسائل الأولى قال الشافعي لا فرق بين أن يجيء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة اذا جاؤا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنا أقل من أربعة حجة الشافعي أن الآتي بالشهداء متفرقين آت بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا اشعار به في الآية وأيضا القياس على سائر الاحكام بل تفريقهم أولى لأنه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عند الريبة وأيضا لا يجب أن يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبي حنيفة الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يأت بأربعة شهداء فوجب عليه الحد فخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا اذا فقد المسمى فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ماروى أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع

ونفمع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجليها على عاتقه كأذنى حمار ولا أدرى ما وراء ذلك فجلد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف فى الحد للاحتياط الثانية جوز أبو حنيفة أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأباه الشافعى الثالثة قال الشافعى فى أحد قوليه اذا أتى بأربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال أبو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لأنه أتى بأربعة من أهل الشهادة الا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة فى نفى الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها فى نفى الحد عنهم الرابعة لا يكفى فى الشهادة اطلاق (٥٢) الزنا بل لا بد أن يذكروا التى زنى بها وأن يذكروا الزنا مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه فى فرجها كالمرود فى المكحلة أو كالرشا فى البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنا فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود لا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحدود ضرب الزنا ثم ضرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعى بناء على أنه حق الآدمى وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والأصح أنه يرثه جميع الورثة وفى قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترفع بالموت ولان لحوق العار بها أقل وعلى هذا القول اعترض أبو حنيفة بأنه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدى الحاكم أو قذف امرأته برجل والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بأن فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له حق على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبى صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبرها بأن فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه ليتفحص عن زناها قال الشافعى وليس للامام اذا رمى رجل بالزنا أن يبعث اليه فيسأله عن ذلك لأن الله تعالى قال ولا تجسسوا بهما وأراد به اذا لم يكن القاذف معينا كأن قال رجل بين يدى الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله الثامنة قال الشافعى توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخرى بأن يقول كذبت فيما قلت فلا أعود الى مثله وقال أبو اسحق لا يقول كذبت لأنه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل وندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود اليه ولا بد من مضى مدة عليه فى حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدروا تلك المدة بسنة لان مرور

قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الأحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما التفريض والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وفرضناها يقول بيناها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سورة أنزلناها وفرضناها قال فرضناها لهذا الذى يتلوها مما فرض فيها وقرأ فيها آيات بينات لعلكم تذكرون وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات يقول تعالى ذكره وأنزلنا فى هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات يعنى واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله فانها الحق المبين وانها تهدى الى الصراط المستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا فيها آيات بينات قال الحلال والحرام والحدود لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بهذه الآيات البينات التى أنزلناها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره من زنى من الرجال أو زنت من النساء وهو حر بكر غير محصن بزوج فاجلدوه ضربا مائة جلدة عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله يقول تعالى ذكره لا تأخذكم بالزانى والزانية أيها المؤمنون رأفة وهى رقة الرحمة فى دين الله يعنى فى طاعة الله فيما أمركم به من اقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به واختلف أهل التأويل فى المنهى عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم هو ترك اقامة حد الله عليهما فأما اذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رأفة فى دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن نافع بن عمر عن ابن أبى مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال جلد ابن عمر جارية له أحدثت فجلد رجليها قال نافع وحسبت أنه قال وظهرها فقلت ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقال وأخذتنى بها رأفة ان الله لم يأمرنى أن أقتلها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن أبى مليكة يقول ثنى عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر حد جارية له فقال للجالد وأشار الى رجلها والى أسفلها قلت فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال أفأقتلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال أن تقيم الحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا تأخذكم

الفصول الاربعة كلها له تأثير فى الطباع وأن الشارع جعل السنة معتبرة فى الزكاة والجزية وغيرهما أما قوله (وأولئك هم الفاسقون) ففيه دليل على أن القذف من جملة الكبائر وأن الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لاتمنع من دوامه كما لاتمنع من وصفه بأنه ضارب اللهم الا أن يقال انما لايطلق عليه هذا الإسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لأكابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الاشاعرة فى قوله (فان الله غفور رحيم) دلالة على أن قبول التوبة لايجب عليه والالم يفد المدح الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور فى نفسه الا اذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل (٥٣) ذلك أنه ان رآها الزوج بعينه تزنى أو أقرت هى على نفسها ووقع فى قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس أن فلانا يزنى بفلانة وقد رآه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها فى بيت أبيح له القذف لتأكد التهمة ويجوز أن يمسكها أو يستر عليها لما روى أن رجلا قال يارسول الله ان لى امرأة لاترد يد لامس قال طلقها قال انى أحبها قال فأمسكها أما اذا سمعه ممن لايوثق بقوله أو استفاض ولكن لم يره الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لأنه ربما دخل لخوف أو سرقة أو لطلب فجور وأبت المرأة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ثمة ولد فان تيقن أنه ليس منه بأن لم يكن وطئها أو وطئها لكنها أتت به لأقل من ستة أشهر من وقت الوطء أو لأكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفى نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شئ ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤس الأشهاد من الأولين والآخرين وان احتمل أن يكون الولد منه بأن أتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الوطء ولأقل من أربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفى وان اتهمها بالزنا وان استبرأها وأتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الاستبراء يباح له القذف والنفى والاولى أن لا يفعل لأنها قد ترى الدم على الحبل وان أتت امرأته بولد لا يشبهه كأن كانا أبيضين وأتت به أسود فان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى أبو هريرة أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان امرأتى ولدت غلاما أسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنا أو برجل فأتت بولد

بهما رأفة فى دين الله قال لاتضيعوا حدود الله قال ابن جريج وقال مجاهد لاتأخذكم بهما رأفة لاتضيعوا الحدود فى أن تقيموها وقالها عطاء بن أبى رباح حدثنا أبو هشام قال ثنا عبد الملك وحجاج عن عطاء ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل حدثنا ابن المثنى قال ثنى محمد بن فضيل عن داود عن سعيد بن جبير قال الجلد حدثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا محمد بن فضيل عن المغيرة عن ابراهيم فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال الضرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لأبى مجلز الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما الى قوله واليوم الآخر انا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدا أو تقطع يده قال انما ذاك انه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال لا تقام الحدود حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فتدعوهما من حدود الله التى أمر بها وافترضها عليهما * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران أنه سأل سليمن بن يسار عن قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله أى فى الحدود أو فى العقوبة قال ذلك فيهما جميعا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا يحيى بن زكريا عن عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال أن يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر فى قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال الضرب الشديد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب عنهما ولكن أوجعوهما ضربا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن أبى بكر قال ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله قال الجلد الشديد * قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد قال يحد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزانى فتخلع ثيابه وتلا هذه الآية ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فقلت لحماد أهذا فى الحكم قال فى الحكم والجلد حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى قال يجتهد فى حد الزانى والفرية ويخفف فى حد الشرب وقال قتادة يخفف فى الشراب ويجتهد فى الزانى * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فى اقامة حد الله عليهما الذى افترض عليكم اقامته عليهما وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده فى دين الله يعنى فى طاعة الله التى أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذى أمر به فى الزانيين اقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن

الشدة في الضرب لا حد لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع فهو شديد وليس للذي يوجع في الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به الى معرفته واذا كان ذلك كذلك فالذي للمأمورين الى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به وذلك هو اقامة الحد على ما قلنا وللعرب في الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بمدها كالسأمة والسآمة والكأبة والكآبة وكأن الرأفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول ان كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة وللثواب والعقاب فان من كان بذلك مصدقا فانه لا يخالف الله في أمره ونهيه خوف عقابه على معاصيه وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدهما اذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين والعرب تسمى الواحد فما زاد طائفة وقوله من المؤمنين يقول من أهل الايمان بالله ورسوله وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين فقال بعضهم أقله واحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا علي بن سهل بن موسى بن اسحق الكناني وابن القواس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال علي فما فوق ذلك وقال ابن القواس فأكثر من ذلك حدثنا علي قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبي نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد في هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الألف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الألف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما انما كانا رجلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى ابن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قالا الطائفة رجل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه * وقال آخرون أقله في هذا الموضع رجلان

ذكر

يشبهه فهل يباح نفيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدى الانصارى اذا دخل منا رجل بيته ووجد رجلا على بطن امرأته فان جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما وقال رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يارسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي (٥٤) أخبرني عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم أبناء عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يارسول الله أقسم بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيرى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقى الله ولا تخبرى الا بما صنعت فقالت يارسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل التردد ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله سبحانه هذه الآيات (والذين يرمون أزواجهم) الى آخرها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي بالصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله إن خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال في الثانية قل أشهد بالله انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة قل أشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل أشهد بالله انها زانية وانى ما قربتها منذ أربعة أشهر وانى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قاله ثم قال اقعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان زوجي عويمرا لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله انى حبلى منه وانه لمن الكاذبين وفي الرابعة أشهد بالله انه ما رآني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وفي الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا في رواية الكلبي أن عاصما رجع الى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها فاني ان جئت بأربعة شهداء يكون

قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يارسول الله لاتلمه فانه رجل غيور فقال سعد يارسول الله انى لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكنى عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله أبى الا ذلك فلم يلبثوا الايسيرا حتى جاء ابن عمه يقال له هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يارسول الله انى وجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء به فقال هلال والله يارسول الله انى لأرى الكراهة فى وجهك مما أخبرتك به والله يعلم انى لصادق وماقلت الاحقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار

ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا * وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبى ذئب عن الزهرى قال الطائفة الثلاثة فصاعدا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمى فى حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضربها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه أن أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ضربا غير مبرح قال فألقى عليها ثوبا وعنده قوم وقرأ وليشهد عذابهما الآية * وقال آخرون بل أقل ذلك أربعة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال فقال الطائفة التى يجب بها الحد أربعة * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال أقل ماينبغى حضور ذلك من عدد المسلمين الواحد فصاعدا وذلك أن الله عم بقوله وليشهد عذابهما طائفة والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد كان معلوما أن حضور ماوقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين غير أنى وان كان الامر على ماوصفت أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك اذا كان كذلك فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ماعليه فى ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ الزانى لاينكح الازانية أومشركة والزانية لاينكحها الازان أومشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية فى بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات يكرين أنفسهن فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال الزانى من المؤمنين لايتزوج الازانية أومشركة لأنهن كذلك والزانية من أولئك البغايا

فقالوا ابتلينا بما قال سعد فبيناهم كذلك اذ نزل الوحى فقال ياهلال أبشر فقد جعل الله لك فرجا وأمر بالملاعنة وفرق بينهما وقال أبصروها فان جاءت به أصهب أحمش الساقين أى دقيقهما فهو لهلال وان جاءت به أورق جعدا خدلج الساقين أى ضخمهما فهو لصاحبه فجاءت به خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن قال عكرمة لقد رأيته بعد ذلك أمير مصر من الامصار لايدرى من أبوه واعلم أن الفرق بين قذف غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو أن المخلص من الحد فى الاول اقرار المقذوف بالزنا أو بينة تقوم على زناه وفى الثانية المخلص أحد الامرين أو اللعان وسبب شرع اللعان هو أنه لامضرة على الزوج فى زنا الاجنبى والاولى له ستره وأما فى زنا الزوجة فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر وأيضا الغالب أن الرجل لايقصد رمى زوجته الاعن حقيقة فنفس الرمى دليل على صدقه الا أن الشرع أراد كمال شهادة الحال بقرينة الايمان كما أن شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسائل * الاولى قال الشافعى اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف فاذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعى اذا لم يأت بالمخلص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف وهو الحد وأيضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليست اللام فيه للجنس لأنه لايجب عليها جميع أنواع العذاب ولان الآية تصير اذ ذاك مجملة فهو للعهد ولا معهود فى الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لخولة الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة أن تقول ان كان الرجل

صادقا فحدّوني وإن كان كاذبا فخلوني فما بالي والحبس وليس حبسي في كتاب الله ولا سنة رسوله حجة أبي حنيفة أن النكول ليس بصريح في الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره الثانية الجمهور على أنه اذا قال يا زانية وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيتك تزني و ينفي حملها أو ولدا منها الثالثة قال الشافعي من صح رميه صح لعانه فلا يشترط الا التكليف و يجري اللعان بين الذميين والمحدودين والرقيقين وذهب أبو حنيفة الى أن الزوج ينبغي أن يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير

محدود في القذف والمرأة ينبغي أن تكون بهذه الصفة مع العفة فاذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات دليل الشافعي عموم قوله والذين يرمون أزواجهم والاجماع على أنه يصح لعان الفاسق والأعمى وان لم يكونا من أهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع هو الحاجة الى دفع العار دليل أبي حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من النساء من ليس بينهن وبين أزواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وأيضا اللعان بين الزوجات قائم مقام الحد في الاجنبيات فلا يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها أجنبي وأيضا اللعان شهادة لقوله تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات) وقد جاء مثله في أحاديث اللعان واذا كان شهادة وجب أن لا يقبل من المحدود في القذف ولا من العبد والكافر أجاب الشافعي بأن اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشهادة أو يمين فيها شائبة الشهادات فلا يشترط في الملاعن الا أهلية اليمين ومما يدل على أنه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية احلف بالله الذي لا اله الا هو انك صادق وقوله لولا الأيمان لكان لي ولها شأن وأيضا لو كان شهادة لكان حظ المرأة ثمان شهادات لأنها على النصف من الرجل ولم يجز لعان الفاسق والأعمى لانهما ليسا من أهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لأنا نقول العبد أيضا قد يعتق بل العبد اذا أعتق تقبل شهادته في الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعي أبا حنيفة بأن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغي أن يجوز اللعان بين الذمي والذمية ثم قال الشافعي بعد ذلك وتختلف الحدود لمن وقعت له ومعناه أن الزوج ان لم يلاعن ينصف الحد

لا ينكحها الا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها لانهن كن مشركات وحرم ذلك على المؤمنين فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنى الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله ابن عمرو أن رجلا من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح الرجل وتشترط له أن تنفق عليه وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها قال فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك أو قال فأنزلت الزانية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنى هشيم عن التيمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك * قال أخبرنا سليمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب في هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نزلت في نساء موارد كن بالمدينة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن سعيد بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن عمرو بن شعيب قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق وكان رجلا شديدا وكان يقال له دلدل وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا فقالت أنى تبرز فخشي أن تشيع عليه فرجع الى المدينة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية فهل ترى لي نكاحها قال فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات يدعون القليقيات حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم ابن مهاجر قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال كن بغايا في الجاهلية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عمن أخبره عن مجاهد نحوا من حديث ابن المثنى الا أنه قال كانت امرأة منهن يقال لها أم مهزول يعني في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فكن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك هذا في حديث التيمي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية قال رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعالمات كن في الجاهلية فقيل لهم هذا حرام فأرادوا نكاحهن فحرم الله عليهم نكاحهن

• عليه برقها وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها باحصانها وحريتها ورقها الرابعة اختلف المجتهدون في نتائج اللعان فعن عثمان البتي أنه لا يحصل به الفرقة أصلا لأن أكثر ما فيه أن يكون الزوج صادقا في قذفه وهذا لا يوجب تحريما كما لو قامت البينة عليها وأيضا أن تلاعنهما في بيتهما لا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا انه قائم مقام الشهود في الاجنبيات فلا يكون له تأثير الا في اسقاط الحد وأيضا اذا أكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بين (٥٧) المتلاعنين في قصة العجلاني فذلك لأن الزوج كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبي حنيفة وأصحابه إلا زفر أن الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل ابن سعد مضت السنة في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ولما في قصة عويمر كذبت عليها ان أمسكتها هي طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لأنهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعي اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك خمس نتائج درء الحد عنه ونفي الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تأثير للعان الزوجة الا في دفع العذاب عن نفسها وما روى أنه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على أنه أخبر عن وقوع الفرقة بينهما وزعم أبو بكر الرازي أن قول الشافعي خلاف الآية لأنه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت المرأة وهي أجنبية ولكنه تعالى أوجب اللعان بين الزوجين وأيضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وأيضا اللعان تستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعي ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وأيضا اللعان لا اشعار • فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من احداث التفريق إما من قبل الزوج أو من قبل الحاكم ولقائل أن يقول سمياه زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم أن اللعان شهادة محضة ومما يؤكد قول الشافعي تنصيص الله سبحانه على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب أن تشهد ففيه دلالة على أن كل ما يجب باللعان من الأحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وأيضا أن لعان الزوج مستقل بنفي الولد لان الاعتبار في الالحاق بقوله لا بقولها ألا ترى أنها

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال بغايا معلنات كن كذلك في الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه واسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي وابن أبي ذئب عن شعبة عن ابن عباس قال كن بغايا في الجاهلية على أبوابهن رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال نساء بغايا متعالمات حرم الله نكاحهن لا ينكحهن الا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتا معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتيهن الا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الاوثان فحرم الله ذلك على المؤمنين حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عطاء في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال بغايا متعالمات كن في الجاهلية بغي آل فلان وبغي آل فلان فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الاسلام فقال له سليمن بن موسى أبلغك ذلك عن ابن عباس فقال نعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك كن بغايا متعالمات بغي آل فلان وبغي آل فلان وكن زواني مشركات فقال الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا قيل له أبلغك هذا عن ابن عباس قال نعم * قال ابن جريج وقال عكرمة انه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات وكن أكثر من ذلك ولكن هؤلاء أصحاب الرايات أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي (١) وأم عليط جارية صفوان بن أمية وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل ومرية جارية مالك ابن عميلة بن السباق بن عبد الدار وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي وسريفة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة ابن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة قالوا كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن فأراد ناس من المسلمين نكاحهن فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الزهري وقتادة

(١) لم نقف على ضبط الاسماء فلتحرر .

في لعانه لتلحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب أن يكون الفراش زائلا لقوله الولد للفراش * الخامسة مذهب مالك والشافعي وأبي يوسف والثوري واسحق أن المتلاعنين لا يجتمعان أبدا وهو قول علي وابن مسعود ولما روى الزهري من حديث سهل ابن سعد ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة وأنه اذا أكذب نفسه وحد زال (٥٨) تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد لذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال

تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لأبي حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم * السادسة اتفق أهل العلم على أن الولد ينتفي من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وزيف بأن الأخبار الدالة على أن الولد ينتفي باللعان كالمتواترة فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها * السابعة لو أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعي وهو ظاهر وعن أبي حنيفة أن للاكثر حكم الكل اذا حكم به الحاكم * الثامنة كيفية اللعان كالصريحة في الآية وان الحديث قد زادها بيانا كما مر وقد عد الشافعي من سننها أن يقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضي أو صاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب في اللعان ولا يجب على الأصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفي سائر البلاد عند المنبر في المسجد الجامع أيضا وهو المقصورة وفي بيت المقدس في المسجد الاقصى عند الصخرة واليهود في الكنيسة والنصارى أهل في البيعة والمجوس في بيت نارهم والذي لم يكن له دين في مساجدنا الا في المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين أو على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الأعيان أقلهم أربعة * التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله تغليظا عليها لأنها أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد * العاشرة في فوائد متعلقة بالآية منها

قالوا كانوا في الجاهلية بغايا فأمر ذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن القاسم بن أبي بزة كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح قال قال القاسم بن أبي بزة فذكر نحوه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء مواردا بالمدينة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير أن نساء في الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن وكان الرجل انما ينكح احداهن يريد أن يصيب منها عرضا فنهوا عن ذلك ونزل الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن الشعبي في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء يكرين أنفسهن في الجاهلية * وقال آخرون معنى ذلك الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها الا زان أو مشرك قالوا ومعنى النكاح في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال لا يزني الا بزانية أو مشركة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال لا يزني الزاني الا بزانية مثله أو مشركة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن شبرمة عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال سعيد بن جبير ومجاهد الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم وشعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قالا لا يزني الزاني حين يزني الا بزانية مثله أو مشركة ولا تزني مشركة الا بمثلها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال هؤلاء بغايا كن في الجاهلية والنكاح في كتاب الله الاصابة لا يصيبها الا زان أو مشرك لا يحرم الزنا ولا تصيب هي الا مثلها قال وكان ابن عباس يقول بغايا كن في الجاهلية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير قال اذا زنى بها فهو زان حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الزاني من

أهل القبلة لا يزني الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزني الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين * وقال آخرون كان هذا حكم الله في كل زان وزانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فأحل نكاح كل مسلمة وانكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التي بعدها نسختها وأنكحوا الأيامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التي بعدها وأنكحوا الأيامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وأنكحوا الأيامى منكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وأنكحوا الأيامى حدثني يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التي بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وأنكحوا الأيامى منكم فهن من أيامى المسلمين * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان فمعلوم إذ كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا بزانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه الزاني لا ينكح الا زانية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين فيرمونهن بالزنا ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر أن هذه الآية انما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف

ابطال الجمهور قول الخوارج ان الزنا والقذف كفر وذلك أن الرامي ان صدق فهي زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر أحدهما والردة توجب الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم أن الزنا يوجب فساد النكاح لأن رمي الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا القائل فتحصل الفرقة بلا لعان، ومنها أن المعتزلة قالوا المتلاعنان يستحقان اللعن أو الغضب الموجبين للعقاب الأبدي المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق في النار أجابت الاشاعرة بأن كونه مغضوبا عليه بفسقه لا ينافي كونه مرضيا عنه بجهة ايمانه فلا بد أن يحصل له بعد العقاب ثواب ثم أخبر عن كمال رأفته بقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي فيما بين من هذه الأحكام وفيما أمهل وأبقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف أي لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ في البيان فرب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به ۞ التأويل النفس الزانية المستسلمة لتصرفات الشيطان والدنيا وشهواتها والروح الزاني بتصرفه في الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملهما على المخالفات ولعل السر في تخصيص هذا العدد هو أن ساعات اليوم بليلته أربع وعشرون منها أربع ساعات لأجل النوم إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتأديبهن بآداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تأديبة تحصل نتائجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى أعلم وليشهد عذابهما ولتكن هذه التزكية والتأديبات بحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرفي الافراط والتفريط الزاني لا ينكح فيه أن الطبع يسرق والجنس الى الجنس يميل فأهل الفساد لا ترغب الا في صحبة أمثالهم من أهل الفساد كما أن أرباب السداد لا تطمح الا الى صحبة أمثالهم من أرباب السداد وحرم ذلك الذي قلنا من اختلاط الأشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات أي الأرواح الذين ينسبون الى نقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أي لم يكن خواص العناصر الأربعة ظاهرة على صفحات أحوالهن كما مر تقريره في أول النساء في قوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم تبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالكاتب بكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة من وهم

بالخلوة أربعين يوما وأربعين ليلة حتى يظهر لهم كمال حال النفوس في الموافقة لهم ولا تقبلوا لهم بعد ذلك شهادة عليهن وأولئك هم الذين يريدون أن يخرجوا عن طاعة الله بقدر نسبة النقصان الى النفوس المستعدة والذين يرمون أزواجهم وهن القوالب المزدوجة بالارواح ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم لأنه لا يطلع على أحوال القالب الا الروح فشهادة أحدهم أربع شهادات هي الاسنان الاربعة التي فيها تحصل التربية والاستكمال والخامسة وهي حالة حلول الأجل اللعنة والغضب والعذاب الابدي وما تولد منهما من الصفات

الذمية ينسبها الروح الى ثالث هو الشيطان وينسبها القالب الى الروح الذي يدبره ويتصرف فيه والافتراق الذي يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لأن الروح يميل الى العالم العلوي والقالب الى العالم السفلي لعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه أعلم ﴿ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله

المحصنة قال لا بل الزنا قلت ان الله يقول والذين يرمون المحصنات قال انما هذا في حديث عائشة خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية في نساء المسلمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأولئك هم الفاسقون قال الكاذبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فقال بعضهم استثنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون وقالوا اذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق حد فيه أو لم يحد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن حماد الدولابي قال ثنى سفيان عن الزهري عن سعيد ان شاء الله أن عمر قال لأبي بكرة ان تبت قبلت شهادتك أو رديت شهادتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة حدهم وقال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما أستقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع وأبى أبو بكرة أن يفعل قال الزهري هو والله سنة فاحفظوه حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا داود عن الشعبي قال اذا تاب يعني القاذف ولم يعلم منه الا خير جازت شهادته حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبي قال على الامام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فان تاب وأونس منه خير جازت شهادته وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن عامر أنه قال في القاذف اذا تاب وعلم منه خير ان شهادته جائزة وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته وتوبته اكذابه نفسه * قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال في القاذف اذا تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته والا كان خليعا لا شهادة له لأن الله يقول لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الى آخر الآية حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي أنه كان يقول في شهادة القاذف اذا رجع عن قوله حين يضرب أو أكذب نفسه قبلت شهادته * قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي أنه كان يقول يقبل الله توبته وتردون شهادته وكان يقبل شهادته اذا تاب * قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي أنه كان يقول في القاذف اذا شهد قبل أن يضرب الحد قبلت شهادته * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم واسمعيل بن سالم عن الشعبي أنهما قالا في القاذف اذا شهد قبل أن يجلد فشهادته جائزة حدثني يعقوب قال قال أبو بشر يعني ابن علية سمعت ابن أبي نجيح يقول القاذف اذا تاب تجوز شهادته وقال كنا نقوله فقيل له من قال قال عطاء وطاوس ومجاهد حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا

. دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) ﴿ القراآت كبره بضم الكاف يعقوب اذسمعتموه وبابه مدغما أبو عمرو وعلى وهشام وحمزة غير خلف ورجاء والعجلى اذ تلقونه بالاظهار وتشديد التاء البزى وابن فليح ولا يتأل من التألى يزيد مازكى بالتشديد والامالة روح وقرأ قتيبة ممالة مخففة يوم يشهد على التذكير حمزة وعلى وخلف والباقون بتاء (٦١) التأنيث ﴿ الوقوف عصبة منكم ط شرالكم ط خيرلكم ط من الاثم ج لنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم ٥ خيرا لا للعطف مبين ٥ شهداء ج للشرط معنى مع الفاء الكاذبون ٥ عظيم ج لاحتمال أن يكون اذ ظرف قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكر وبهذا فقد قيل الوصل ألزم لأن قوله سبحانك من جملة مفعول قلتم عظيم ٥ مؤمنين ٥ ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وأنها آية الآيات ط حكيم ٥ أليم ٥ لا لتعلق الظرف والآخرة ط لاتعلمون ٥ رحيم ٥ خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم ٥ فى سبيل الله ط والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ٥ والآخرة صلى عظيم ٥ لا لتعلق الظرف يعملون ٥ المبين ٥ للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ٥ ج لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ط كريم ٥ ﴿ التفسير انه سبحانه لما ذكر من أحكام القذف ما ذكر أتبعها حديث إفك عائشة الصديقة وما قذفها به أهل النفاق روى الزهرى عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبى وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا فى غزوة قال الزهرى هى غزوة المريسيع وذكره البخارى فى غزوة بنى المصطلق من خزاعة قال وهى غزوة المريسيع أيضا فخرج اسمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقرب من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى وأقبلت الى رحلى لمست صدرى فاذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدى وحبسنى

محمد بن خالد ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عمر بن طلحة عن عبد الله قال اذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته قال أبو موسى هكذا قال ابن أبى (٣) عثمة حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمن بن يسار والشعبى قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبى طلحة جلد رجلا فى قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبى يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبى لابراهيم لم لا تقبل شهادته فقال لأنى لا أدرى تاب أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبى عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبى اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندى يعنى فى القذف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مسعر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب حدثنى يعقوب قال ثنى هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعنى القاذف حدثنا ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهرى اذا حد القاذف فانه ينبغى للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته * وقال آخرون الاستثناء فى ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبى قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه ولا نجيز شهادته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبى عن شريح بنحوه غير أنه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبى عثمان عن شريح فى القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث

طلبه وأقبل الرهط الذين كانوا يحملون فحملوا هودجى وهم يحسبون أنى فيه لخفتى قالت كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير فلما رجعت الى مكانى وليس به أحد جلست وقلت يعودون فى طلبى فنمت وقد كان صفوان بن المعطل يمكث فى العسكر يتتبع أمتعة الناس فيحمله الى المنزل الآخر لئلا يذهب منهم شئ فلما رآنى عرفنى وقال ما خلفك عن الناس فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وافتقدنى الناس حين نزلوا وخاض الناس فى ذكرى فبيناهم فى ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم فى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكثت شهرا أشتكى ولا يرقأ لى دمع أقول كما يقول العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون الى أن نزل فى ان الذين جاؤا بالافك الى آخر الآيات وفى الحديث طول هذا حاصل سبب النزول وأما التفسير فالافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة الجماعة من العشرة الى الأربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم عبد الله بن أبى رأس النفاق وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى (منكم) أنهم كانوا من جملة من حكم لهم بالايمان ظاهرا أما الخطاب فى قوله (لا تحسبوه شرا لكم) فالصحيح أنه لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعائشة وصفوان ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم على قدر عظم البلاء وأنه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين وتطهير لأهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى غير ذلك من الأحكام الشرعية والآداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخير به صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك أعنى ولعل فى هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون فى هذا القول الكفارة وضعف هذا القول بأنه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق قوله (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى بصيب كل خائض فى حديث الافك ما يصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض (والذى تولى كبره) أى معظم الافك وهو فى قول الضحاك حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والأشهر أنه

عن الشعبى قال أتاه خصمان فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى ما به قال قد أراه قال فسأل القوم فأثنوا عليه خيرا فقال شريح نجيز شهادة كل صاحب حد اذا كان يوم شهد عدلا الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الشعبى قال جاء خصمان الى شريح فجاء أحدهما ببينة فجاء بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى الى ما به فقال شريح قد رأيناه وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث أبى كريب **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيبانى عن الشعبى عن شريح أنه كان يقول لا تقبل له شهادة أبدا توبته فيما بينه وبين ربه يعنى القاذف * قال ثنا هشيم قال أخبرنا الأشعث عن الشعبى بأن ربابا قطع رجلا فى قطع الطريق قال فقطع يده ورجله قال ثم تاب وأصلح فشهد عند شريح فأجاز شهادته قال فقال المشهود عليه أتجيز شهادته على وهو أقطع قال فقال شريح كل صاحب حد اذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة الا القاذف **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا شعبة قال المغيرة أخبرنى قال سمعت ابراهيم يحدث عن شريح قال قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا توبته فيما بينه وبين ربه قال أبو موسى يعنى القاذف **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال قال شريح لا يقبل الله شهادته أبدا **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله وشهادته لا تقبل(١) **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما بينه وبين الله وشهادته لا تقبل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن ابراهيم أنه قال فى الرجل يجلد الحد قال لا تجوز شهادته أبدا **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا وتوبته فيما بينه وبين الله يعنى القاذف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معتمر بن سليمن عن حجاج عن عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود فى الاسلام **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال كان يقول لا تقبل شهادة القاذف أبدا انما توبته فيما بينه وبين الله وكان شريح يقول لا تقبل شهادته **حدثنى** على قال ثنا عبد الله عن على عن ابن عباس قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ثم قال فمن تاب وأصلح فشهادته فى كتاب الله تقبل * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الاستثناء من المعنيين جميعا

---

(١) كذا فى الأصل هذا الأثر والذى بعده ويظهر أنهما مكرران فتأمل كتبه مصححه

عبدالله رأس النفاق ويحكى أن صفوان مر بهودج عليها وهو فى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله مانجت منه ولانجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ويروى أن عائشة ذكرت حسانا وقالت أرجوله الجنة فقيل أليس هو الذى تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفى رواية أخرى قالت وأى عذاب أشد من العمى ثم علم أدبا حسنا فى مثل هذه الواقعة فقال (لولا اذ سمعتموه ظن) فصل بين لولا التحضيضية وبين فعلها بالظرف لأنه يتسع فى الظرف

أعنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ومن قوله وأولئك هم الفاسقون وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك اذا لم يحد فى القذف حتى تاب اما بأن لم يرفع الى السلطان بعفو المقذوفة عنه واما بأن ماتت قبل المطالبة بحدها ولم يكن لها طالب يطلب بحدها فاذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة فاذ كان من الجميع اجماعا ولم يكن الله تعالى ذكره شرط فى كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد فى رميه بل نهى عن قبول شهادته فى الحال التى أوجب عليه فيها الحد وسماه فيها فاسقا كان معلوما بذلك أن اقامة الحد عليه فى رميه لا تحدث فى شهادته مع التوبة من ذنبه ما لم يكن حادثا فيها قبل اقامته عليه بل توبته بعد اقامة الحد عليه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل اقامته عليه لأن الحد يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرمه الذى استحق عليه الحد فان قال قائل فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة فتكون التوبة مسقطة عنه الحد كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة قيل ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الحد حق عندنا للمقذوفة كالقصاص الذى يجب لها من جناية يجنيها عليها مما فيه القصاص ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الحد لأن ذلك حق لها ان شاءت عفته وان شاءت طالبت به فتوبة العبد من ذنبه انما تضع عن العبد الاسماء الذميمة والصفات القبيحة فأما حقوق الآدميين التى أوجبها الله لبعضهم على بعض فى كل الاحوال فلا تزول بها ولا تبطل واختلف أهل العلم فى صفة توبة القاذف التى تقبل معها شهادته فقال بعضهم هى اكذابه نفسه فيه وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى قبل ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن ليث عن طاوس قال توبة القاذف أن يكذب نفسه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين قال رأيت رجلا ضرب حدا فى قذف بالمدينة فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ثم قال أستغفر الله وأتوب اليه من قذف المحصنات قال فلقيت أبا الزناد فذكرت ذلك له قال فقال ان الامر عندنا ههنا أنه اذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه الا خيرا قبلت شهادته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية قال من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب الى الله توبة نصوحا والنصوح أن لا يعود واقراره واعترافه عند الحد حين يؤخذ بالحد فقد تاب والله غفور رحيم * وقال آخرون توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود فى مثل ذلك من الجرم وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى وهو قول مالك بن أنس وهذا القول أولى القولين فى ذلك بالصواب

ما لا يتسع فى غيره تنزيلا للظرف منزلة المظروف نفسه ولأن الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه أن يعلم أن ظن الخير كان يجب عليهم أول ما سمعوه بالافك فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى أن أصل المعنى أن يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بأنفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليبنه لفظ الايمان على أن الاشتراك فيه يقتضى أنه لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا عاتب بل يقول على نفسه بناء على ظن الخير مصرحا ببراءة ساحته هذا افك مبين وذلك أن المؤمن معه من العقل والدين ما يهديه الى الأصلح ويؤخره عن الأقبح ولم يوجد هذا الداعى والصارف معارض يتساويهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب أن لا يلتفت المؤمن الى قول الطاعن فى حق أخيه ويبقى على حسن ظنه به وهذا أدب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه روى أن أبا أيوب الأنصارى قال لأم أيوب أما ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى الآية دلالة على قول أبى حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لأنا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال أيضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لأنا قد أمرنا بظن الخير فوجب حمله على ما يجوز ومثله اذا باع سيفا محلى فيه مائة درهم بمائتى درهم نجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف

وإذا وجدنا امرأة أجنبية مع رجل فاعترفا بالتزويج نصدقهما حملا لعقود المسلمين وتصرفاتهم على الجواز والصحة وزعم مالك أنهما يحدان ان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الآية مختصة بعائشة لأن كونها زوجة النبي كالدليل القاطع على أن الذي قيل فيها افك صريح قال العلماء يجوز أن تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز أن تكون فاجرة لأن الأنبياء معصومون عن المنفرات البتة فان حصول المنفر معه ينافي بعثته لكن الكفر غير (٦٤) منفر للكفرة قال وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات قيل في تفسيره الكشخان الذي تحبب امرأته الرجال الى نفسها ويقال كشخنته أي قلت له يا كشخان ثم بالغ في زجرهم عن حديث الافك بقوله (لولا جاؤا) وهي أيضا تحضيضية والمراد التفصيل بين الرمي الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفائها ولكن هذا العدد وكل فرد منه منتف في حق عائشة فهم في حكم الله وشرعته كاذبون وهذا القدر كاف في الزام أولئك الطاعنين والافهم في نفس الأمر بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كامر تقريرا آنفا ثم زاد في التهديد والزجر بقوله (ولولا فضل الله) هي لولا الامتناعية قال جمهور المفسرين لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في هذه الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل أن في الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة (لمسكم فيما) اندفعتم (فيه عذاب عظيم) في الدنيا والآخرة معا وتلقي الافك أخذه من أفواه القالة وقوله والأصل تتلقونه بتاءين وقد قرئ به كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفي زيادة قوله (بأفواهكم) اشارة الى أنه قول لا وجود له الا في العبارة ولا حقيقة لمؤداه في الواقع والقذف كبيرة من الكبائر كما سبق لا سيما قذف زوجة النبي وخاصة نبينا صلى الله عليه وسلم فلهذا قال (وهو عند الله عظيم) عن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي النصائح الكبار لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم في الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم بما لا حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة عظيمة من العظائم وفيه أن عظم

لان الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الايمان تركه العود منه والندم على ما سلف منه واستغفار ربه منه فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم والقاذف اذا أقيم عليه فيه الحد أو عفي عنه فلم يبق عليه الا توبته من جرمه بينه وبين ربه فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه فاذ كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا فتأويل الكلام وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه فان الله غفور يقول ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم

۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) يقول تعالى ذكره والذين يرمون من الرجال أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة أربع شهادات نصبا ولنصبهم ذلك وجهان أحدهما أن تكون الشهادة في قوله فشهادة أحدهم مرفوعة بمضمر قبلها وتكون الاربع منصوبا بمعنى الشهادة فيكون تأويل الكلام حينئذ فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله والوجه الثاني أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله انه لمن الصادقين والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها كما يقال شهادتي ألف مرة انك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها فتقول حلف صادق لأقومن وشهادة عمرو ليقعدن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أربع شهادات برفع الاربع ويجعلونها للشهادة مرافعة وكأنهم وجهوا تأويل الكلام فالذي يلزم من الشهادة أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين بنصب أربع بوقوع الشهادة عليها والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما الي أن تكون به مرفوعة بالجواب وذلك قوله انه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين تقوم مقام الشهداء الأربعة في دفع الحد عنه فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام فصار مرافع الشهادة ما وصفت ويعني بقوله فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله فحلف أحدهم أربع أيمان بالله من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة والخامسة يقول والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه يقول أن لعنة الله له واجبة وعليه حالة ان كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت به جماعة من أهل

التأويل

التأويل ذكر الرواية بذلك وذكر السبب الذى فيه أنزلت هذه الآية حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة آلله ان أنا رأيت لكاع متفخذها رجل فقلت بما رأيت ان فى ظهرى لثمانين الى ما أجمع أربعة قد ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذاك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا أن جاء ابن عم له فرمى امرأته فشق ذلك على المسلمين فقال لا والله لا يجعل الله فى ظهرى ثمانين أبدا لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت قال فأنزل الله القرآن باللعان فقيل له احلف فحلف قال قفوه عند الخامسة فانها موجبة فقال لا يدخله الله النار بهذا أبدا كما درأ عنه جلد ثمانين لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف ثم قيل احلفى فحلفت ثم قال قفوها عند الخامسة فانها موجبة فقيل لها انها موجبة فتلكأت ساعة ثم قالت لا أخزى قومى فحلفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذى قيل فيه ما قيل قال فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق فكان بعد أميرا بمصر لا يعرف نسبه أولا يدرى من أبوه حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا عباد قال سمعت عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون قال سعد بن عبادة لهكذا أنزلت يا رسول الله لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار أما تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج فينا قط إلا عذراء ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يا رسول الله بأبى وأمى والله انى لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء والله لا آتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينيه وسمع باذنيه فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت رجلا مع أهلى رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك فى وجهه فقال هلال والله يا رسول الله انى لأرى الكراهية فى وجهك مما أتيتك به والله يعلم أنى لصادق وما قلت الا حقا فانى لأرجو أن يجعل الله فرجا قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته فى المسلمين فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعصية لا يتعلق بقلة علمه بل جهله بعظمه ربما يصير مؤكدا لعظمه وفيه أن الواجب على المكلف أن يستعظم الاقدام على كل محرم اذ لا يأمن أن يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم أدبا آخر ومعنى (ما يكون لنا) لا ينبغى ولا يصح لنا ومعنى (سبحانك) تنزيه الله من أن تكون زوجة نبينا الذى هو أحب خلقه اليه فاجرة أو تنزيهه من أن يرضى بقذف هؤلاء المقربين ولا يعاقبهم أو هو للتعجب من عظم الأمر وذلك أنه يسبح الله عند رؤية كل أمر عجيب من صنائعه فكثر حتى استعمل فى كل متعجب (٦٥) منه والفرق بين هذه الآية وبين قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون هو أن تلك تميل الى العموم وهذه الى الخصوص فكأنه بين أن هذا القذف خاصة مما ليس لهم أن يتفوهوا به لما فيه من ايذاء نبيه وايذاء زوجته التى هى حبيبته (يعظكم الله) بهذه المواعظ التى بها تعرفون عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا) أو فى شأن أن تعودوا (لمثله أبدا) أى مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة فى قوله (ان كنتم مؤمنين) على أن ترك القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والانزجار (ويبين الله لكم) أى لانتفاعكم (الآيات) الدالات على علمه وحكمته وما ينبغى أن يتمسك المكلف به فى أبواب صلاح معاشه ومعاده والله عليم حكيم) هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيتهما أخص من الأولى وعند الأشاعرة الثانية للتأكيد المحض والمراد أنه يجب قبول تكاليفه وبياناته لانه عالم بما أمر وبما يستحقه كل مأمور وليس فى تكليفه عيب ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته ليثيب ولا يعاقب استدلت المعتزلة بالآية فى أنه يريد الايمان من الكل والا لم يكن واعظا ولا مبينا آياته لانتفاعهم ولا حكيما لا يفعل القبائح ولا جواب للأشاعرة الا أنه يشاء ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين بقوله (ان الذين يحبون) أن أهل الافك يشاركهم فى عذاب الدارين من رضى بقولهم وأنهم كما هم مؤاخذون بما أظهروه فهم معاقبون على ما أضمروه من محبة اشاعة الفاحشة والفحشاء فى المؤمنين لأنها تدل على الغل والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة والفحشاء ما أفرط قبحه وشيوعها انتشارها وظهورها بحيث يطلع عليها كل أحد وخصوص السبب لا يقتضى خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من أراد بواحد من المؤمنين أو المؤمنات شيأ من المضار

والأذيات وبعضهم جعل الفاحشة على الزنا وخصص بمن يحب شيوع الفاحشة بعبد الله بن أبي وخصص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا أن يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما على أهل النفاق من صنوف البلاء ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف قوما يضربون صدورهم ضربا يسمعه أهل النار وهم الهمازون اللمازون الذين يلتمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير وأما قوله (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ففي نهاية حسن الموقع لأن الأعمال القلبية محبة الشر أو الخير لا يطلع عليها أحد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شيأ منها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في أن يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الأول ملكة والثاني حال ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الأحوال فافهم قال أبو حنيفة المغتابة بالفجور لا تستنطق لأن استنطاقها اشاعة الفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على أنه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب أن تشيع الفاحشة ولقائل أن يقول قياس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف والرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما يدل على ذلك في قوله (ما زكى منكم) وهو بعيد عن ابن عباس أن الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والأقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما تنكره العقول وتأباه وقوله (فانه يأمر بالفحشاء) من وضع السبب مقام المسبب والمراد ضلال قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله ولكن الله يزكي دلالة على أن الزكاء وهو الطهارة من دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على أنه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف

يضربه فانه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه اذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الى أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأبي وأمي لقد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما قيل لهلال يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وانها الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قذف هلال بن أمية امرأته قيل له والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربني أبدا فنزلت آية الملاعنة فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله اني لصادق فقال له احلف بالله الذي لا اله الا هو اني لصادق يقول ذلك أربع مرات فان كنت كاذبا فعلي لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فانها موجبة فحلف ثم قالت أربعا والله الذي لا اله الا هو انه لمن الكاذبين فان كان صادقا فعليها غضب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فانها موجبة فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت لا أفضح قومي حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالا ثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا ليلة الجمعة في المسجد فدخل رجل فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية اللعان ثم جاء الرجل بعد فقذف امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال عسى أن تجيء به أسود جعدا فجاءت به أسود جعدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك

أو على الحكم بالطهارة وضعف بأنه خلاف الظاهر وبأنه يجب اتهام الكل اليه وبأن قوله من يشاء ينافي قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يأتل) وهو افتعل من الألية أي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي يحذف من جواب القسم كثيرا فهي كقراءة من قرأ ولا يتأل وقيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم يدخر من الاجتهاد شيأ أي لا يقصر في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان (٦٧) أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر بلى أحب أن يغفر الله لي فعفا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا أنزعها أبدا قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية تدل على أفضلية أبي بكر الصديق من وجوه وذلك أن الفضل المذكور في الآية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق غير مقيد فثبت له الفضل على الاطلاق ترك العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فبقي في الغير معمولا به وأيضا ذكره الله تعالى في الآية بلفظ الجمع وانه مشعر بالتعظيم وأيضا فقد قيل

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم وقد أمره الله تعالى بالصفح عنه وامتثل هو فكان فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وأيضا فان تسميته أولي الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل له أنت أفضل من أن تقابل انسانا بسوء وأنت أوسع قلبا من أن تقيم للدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك أن يقطع برك عمن أساء اليك وأيضا أمره الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الأخلاق وأيضا علق المغفرة بالعفو وقد حصل العفو فتحصل المغفرة البتة في الحال وفي الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه دليل على حقية خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الأولى والأفضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد أفضل

ابن أبي سليمن عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن أيفرق بين المتلاعنين فقال نعم سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته على فاحشة كيف يصنع فلم يجبه في ذلك شيأ قال فأتاه بعد ذلك فقال ان الذي سألت عنه قد ابتليت به فأنزل الله هذه الآية في سورة النور فدعا الرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال والذي بعثك بالحق لقد رأيت وما كذبت عليها قال ودعا المرأة فوعظها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت والذي بعثك بالحق انه لكاذب وما رأى شيأ قال فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ان المرأة شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وفرق بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال لما أنزل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال عاصم بن عدي ان أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين وان أنا سكت سكت على الغيظ قال فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزلت هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم قال فما لبثوا الا جمعة حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية والخامسة أن يقال له ان عليك لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان أقرت المرأة بقوله رجمت وان أنكرت شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن يقال لها غضب الله عليك ان كان من الصادقين فيدرأ عنها العذاب ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا ويلحق الولد بأمه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله والذين يرمون أزواجهم قال هلال بن أمية والذي رميت به شريك بن سحماء والذي استفتى عاصم ابن عدي * قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها عن حديث سهل بن سعد أن رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين فقال رسول الله قد قضى الله فيك وفي امرأتك فتلاعنا وأنا شاهد ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت السنة بعدها ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فأنكره فكان ابنها يدعى الى أمه ثم جرت السنة أن ابنها يرثها وترث ما فرض الله لها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم الى قوله ان كان من الكاذبين قال اذا شهد الرجل خمس شهادات فقد برئ كل واحد من الآخر وعدتها أن كانت حاملا أن تضع حملها ولا يجلد واحد منهما وان لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم

حتى يصل من قطعه و يعفو عن ظلمه و يعطى من حرمه واعلم أن العلماء أجمعوا على أن مسطحا كان مذنبا لأنه أتى بالقذف أو رضى به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا حده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أيضا على أنه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله نظر الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين أجابوا بأنه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم أنهم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من النوافل ما شئتم قليلا أو كثيرا فقد أعطيتكم الدرجات العاليات فى الجنة أو أراد حسن حالهم فى العاقبة أنهم يوافون بالطاعة فكأنه قال قد غفرت لكم لعلمى بأنكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة فى وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على أن ثواب كونه مهاجرا لم يحبط باقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالآية فى قول من فسر الائتلاء بالحلف على أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وانما تجوز اذا جعلت داعية للخير لا صارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغى له أن يأتى بالذى هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء فى الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو عام فى جانب الخير وفى غيره ومثله ما ورد فى قصة أيوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يؤمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه يأتى بالذى هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير وذلك كفارته ولأنه تعالى أمر أبا بكر فى هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وأجيب بأن معنى الكفارة فى الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التى هى احدى الخصال وانما ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث الآخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه وأما هذه الآية فانما لم يذكر فيها الكفارة لأنها معلومة من آية المائدة قوله (ان الذين يرمون المحصنات) قد مر تفسير المحصنة وأما الغافلات فهن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغريزة أو لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيندخل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين﴾ يعنى جل ذكره بقوله ويدرأ عنها العذاب ويدفع عنها الحد واختلف أهل العلم فى العذاب الذى عناه الله فى هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الاربع فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك من أنه الحد جلد مائة ان كانت بكرا أو الرجم ان كانت ثيبا قد أحصنت * وقال آخرون بل ذلك الحبس وقالوا الذى يجب عليها ان هى لم تشهد الشهادات الاربع بعد شهادات الزوج الاربع والتعانه الحبس دون الحد وانما قلنا الواجب عليها اذا هى امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذى وصفنا قياسا على اجماع الجميع على أن الحد اذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به أن الحد عليها واجب فجعل الله أيمانه الاربع والتعانه فى الخامسة مخرجا له من الحد الذى يجب لها برميه اياها كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه فى ذلك وزائلا به عنه الحد فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها لا فرق بين ذلك وقد استقصينا العلل فى ذلك فى باب اللعان من كتابنا المسمى لطيف القول فى شرائع الاسلام فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان ان زوجها الذى رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة أن غضب الله عليها الآية يقول والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها ان كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ورفع قوله والخامسة فى كلتا الآيتين بأن التى تليها القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله حكيم فى تدبيره اياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم وتفضلا عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه وترك الجواب فى ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جاؤا بالكذب والبهتان عصبة منكم يقول جماعة منكم أيها الناس لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم يقول لا تظنوا ما جاؤا به من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمى به ويظهر براءته مما رمى به ويجعل له منه مخرجا وقيل ان الذى عنى الله بقوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم جماعة منهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد

فى الآية قذفة عائشة وقذفة غيرها وخصصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هى أم المؤمنين جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفة بما فى الآية من الاحصان والغفلة والايمان وذكروا فى سبب التخصيص أن قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله الا الذين تابوا وأما القذف المذكور فى هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء وأجيب بانه طوى ذكر التوبة فى هذه الآية لكونها معلومة وقد يحتج للخصص بما روى عن ابن عباس أنه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية فى مشركى مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر أما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لأنهم يقولون البنية ليست شرطا فى الحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو فى الحقيقة من الله تعالى ويجوز أن يبنى الله هذه الجوارح على خلاف ما هى عليه ويلجئها الى أن تشهد على الانسان وتخبر عن أعماله ومعنى (دينهم الحق) الجزاء المستحق وقال فى الكشاف معنى قوله (هو الحق المبين) العادل الظاهر العدل وقال غيره سمى حقا لأنه تحق عبادته أو لأنه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو البيان الصحيح أو المظهر للموجودات فالحاصل أنه واجب الوجود لذاته مفيد الوجود لغيره ثم ختم الآيات الواردة فى أهل الافك بكلمة جامعة وهى قوله (الخبيثات) يعنى الكلمات التى تخبث موادها ويستقذرها من يخاطب بها ويمجها سمعه ككلمات أهل الافك ويجوز أن يراد بالخبيثات مضمون الآيات الواردة فى وعيد القذفة لأن مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التى هى من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا الا انه غلب الرجال والحاصل أن الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون ف(أولئك) الطيبون (مبرؤن مما) يقول الخبيثون

قال ثنا أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أنه كتب الى عبد الملك ابن مروان كتبت الى تسألنى فى الذين جاؤا بالافك وهم كما قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وانه لم يسم منهم أحد الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وهو يقال فى آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جاؤا بالافك عصبة منكم هم أصحاب عائشة قال ابن جريج قال ابن عباس قوله جاؤا بالافك عصبة منكم الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبى وهو الذى تولى كبره وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الذين قالوا لعائشة الافك والبهتان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال الشر لكم بالافك الذى قالوا الذى تكلموا به كان شرا لهم وكان فيهم من لم يقله انما سمعه فعاتبهم الله فقال أول شئ ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ثم قال والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يقول لكل امرئ من الذين جاؤا بالافك جزاء ما اجترم من الاثم بمجيئه بما جاء به من الاولى عبد الله وقوله والذى تولى كبره منهم يقول والذى تحمل معظم ذلك الاثم والافك منهم هو الذى بدأ بالخوض فيه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذى تولى كبره منهم يقول الذى بدأ بذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عصبة منكم قال أصحاب عائشة عبد الله بن أبى ابن سلول ومسطح وحسان «قال أبو جعفر» له من الله عذاب عظيم يوم القيامة وقد اختلف القراء فى قراءة قوله كبره فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار كبره بكسر الكاف سوى حميد الأعرج فانه كان يقرؤه كبره بمعنى والذى تحمل أكبره * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب القراءة التى عليها عوام القراء وهى كسر الكاف لاجماع الحجة من القراء عليها وأن الكبر بالكسر مصدر الكبير من الامور وأن الكبر بضم الكاف انما هو من الولاء والنسب من قولهم هو كبر قومه والكبر فى هذا الموضع هو ما وصفنا من معظم الاثم والافك فاذ كان ذلك كذلك فالكسر فى كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها وان كان لضمها وجه مفهوم * وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله والذى تولى كبره منهم الآية فقال بعضهم هو حسان بن ثابت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن عامر أن عائشة قالت ما سمعت بشئ أحسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لأبى سفيان

من خبيثات الكلم قال جار الله هو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز بقرينة الحال أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت عليهم السلام وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وفي الآية قول آخر وهو أنه يراد بالخبيثات النساء الخبائث وبالخبيثين الرجال الذين هم اشكال لهن فيكون أول الآية نظير قوله الزاني لا ينكح الا زانية وكذلك الكلام في أهل الطيب ولا أطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٠) فيكون أزواجه مثله فلذلك أخبر عن حالهن بقوله (لهم مغفرة ورزق كريم) وقدم تفسير الرزق الكريم في الحج نظيره قوله في الاحزاب واعتدنا لها رزقا كريما وفي الآية دلالة على أن عائشة من أهل الجنة وقال بعض الشيعة هذا الوعد مشروط باجتناب الكبائر وقد فعلت عائشة من البغي يوم الجمل ما فعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن ذلك الاجتهاد وتابت * عن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر النبي أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن بعضهم برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة سيد الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ﷺ التأويل قال اذا حصل لأهل الله مسئلة الى غيره قبض الله له ما يرده اليه وأن النبي عليه السلام لما قيل له أي الناس أحب اليك قال عائشة فساكنها وقال يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة وقالت عائشة اني أحبك وأحب قربك فالله تعالى حل عقدة الحب عن قلبه لحديث الافك ورد قلب عائشة الى حضرته حتى قالت حين ظهرت براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك وقيل الملامة مفتاح باب حبس الوجود بها يذوب الوجود ذوبان الثلج

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكنع بالسيف * قال ثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال فقالت قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد ذهب بصره ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن أبي الضحى عن مسروق قال دخل حسان ابن ثابت على عائشة فشبب بأبيات له فقال * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * فقالت عائشة أما انك لست كذلك فقلت تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذي تولى كبره الآية فقالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد ابن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء قال وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين * وقال آخرون هو عبد الله بن أبي ابن سلول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت حدثنا سفيان قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص وغيره أيضا قالوا قالت عائشة كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته عبد الله ابن أبي ابن سلول حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان الذين جاؤا الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله ابن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد

بالشمس يوم تشهد عليهم شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وبالحقيقة هي في الدنيا معجلة كقوله تعرفهم بسيماهم من كثرت صلاته بالليل حسن
وجهه بالنهار وقال الشاعر عيناك قد حكتا مبيتك كيف كنت وكيف كانا ولرب عين قد أرتك مبيت صاحبها عيانا وإذا
كانت الأمارة في الدنيا ظاهرة فهي في القيامة أولى فاللسان يشهد بالاقرار بقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ المصحف والرجل تشهد بالمشي
الى المسجد والعين تشهد بالبكاء والاذن تشهد باستماع كلام الله وعند الحكماء تظهر (٧١) أنوار الملكات الجيدة على النفس من البدن
وبالعكس كما تنعكس أنوار المرايا المتقابلة ويعلمون أهل الوصول والوصال أن الله هو الحق المبين لا شيء في الوجود غيره لا في الدنيا ولا في الآخرة وحينئذ يحق أن يقال الخبيثات وهن الملوثات بلوث الوجود المجازي للخبيثين وهم أمثالهن والطيبات من لوث الحدوث للطيبين وهم أشكالهن ولا طيب الا الله وحده ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو
التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى
الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله
واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان

قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة في الذين جاؤا بالافك يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول أحد بني عوف بن الخزرج وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذي تولى كبره منهم فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث هو الذي ابتدأ هذا الكلام وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول وهو بدأه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الافك كان عبد الله بن أبي وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الامر وكان سبب مجيء أهل الافك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب قال ثني عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني وبعضهم حدثني يصدق بعضهم بعضا زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها قالت عائشة فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل الى المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت حتى أصبحت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب فاستيقظت

اتهمن بعدا كراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) ﴿القرا آت﴾ ولنضرب بكسر اللام على الأصل عياش جيوبهن بضم الجيم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وهشام وعاصم غير الأعشى والبزى والقواس من طريق الهاشمى وفى رواية خلف عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم يشير الى الكسر وبضم الياء الآخرون بالكسر الخالص غير بالنصب على الاستثناء أو الحال ابن عامر (٧٣) ويزيد وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر على الوصف أيه المؤمنون بضم الهاء فى الحالين ابن عامر وقرأ أبو عمرو وعلى وابن كثير بألف فى الوقف الباقون بفتح الهاء بغير ألف فى الوقف وبألف فى الوصل ﴿الوقوف﴾ أهلها ط تذكرون ٥ يؤذن لكم ج للشرط مع العطف أزكى لكم ط عليم ٥ متاع لكم ط تكتمون ٥ فروجهم ط لهم ط ما يصنعون ٥ جيوبهن صل عورات النساء ص ز يتهن ط تفلحون ٥ وامائكم ط فضله ط عليم ٥ فضله ط خيرا ق قد قيل والوصل أوجه للعطف آتاكم ط للعدول الى حكم آخر الدنيا ط رحيم ٥ للمتقين ٥ ﴿التفسير﴾ الحكم الرابع الاستئذان لما كانت الخلوة طريقا الى التهمة ولذلك وجد أهل الافك سبيلا الى افكهم شرع أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان وفى الآية أسئلة الاول الاستئناس هو الأنس الحاصل بعد المجانسة قال الله تعالى ولا مستأنسين لحديث ولا يكون ذلك فى الأغلب الا بعد الدخول والسلام فلم عكس هذا الترتيب فى الآية جوابه بعد تسليم أن الواو للترتيب هو أن الاستئناس طلب الانس وأنه مقدم على السلام وقال جار الله هو من باب الكناية والارداف لان الانس الذى هو خلاف الوحشة يردف الاذن فوضع موضع الاذن كأنه قيل حتى يؤذن لكم أو هو استفعال من آنس اذا أبصر فالمراد حتى تستكشفوا الحال ويبين هل يراد دخولكم أم لا وهو أو هو من الانس بالكسر وهو أن يتعرف هل ثم انسان لأنه لا معنى للسلام ما لم يعلم أفى البيت انسان أم لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لأنها توجب الطعن فى المتواتر وتفتح باب القدح فى القرآن كله نعوذ بالله منه * الثانى ما الحكمة فى شرع الاستئذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورات ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه ولئلا يوقف

باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضون فى قول أهل الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وابنة أبى رهم قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت أى هنتاه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فأخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى فلما رجعت الى منزلى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت أتأذن لى أن آتى أبوى قال نعم قالت وأنا حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قبلهما فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوى فقلت لأمى أى أمتاه ماذا يتحدث الناس فقالت أى بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها قالت قلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدخل على أبو بكر وأنا أبكى فقال لأمى ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل لها فأكب يبكى فبكى ساعة ثم قال اسكتى يا بنية فبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلى المقبل لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى ظن أبواى أن البكاء سيفلق كبدى فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى فى نفسه من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما على فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال هل رأيت من شئ يريبك من عائشة قالت له بريرة والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال من يعذرنى ممن قد بلغنى أذاه فى أهلى يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو على المنبر أيضا يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله ان كان من الأوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة فقال وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال أي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبوي فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عندي ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه دمعة قلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن اني والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم حتى كدتم أن تصدقوا به فان قلت لكم اني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني واني والله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم توليت فاضطجعت على فراشي وأنا والله أعلم أني بريئة وأن الله سيبرئني ببراءتي ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها قالت والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة ان الله قد برأك فقالت لي أمي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذي أنزل براءتي فأنزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فأنزل هذه الآيات

على الأحوال التي تخفيها الناس في العادة ولأنه تصرف في ملك الغير فلا بد أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب والاستيلاء بحاله (ذلكم) يعني الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور أي الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استئذانه فقد دمر واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب (لعلكم تذكرون) أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تتعظوا أو تعملوا به الثالث كيف يكون الاستئذان جوابه استأذن رجل على رسول الله (٧٣) فقال أألج فقال لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعليه فانه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقالها فقال ادخل ويؤيده قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فمنع الله تعالى عن ذلك وعلم الأدب الأحسن وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو التنحنح ونحوه وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف أو التصييح بصاحب الدار منهي عنه وكذا كل ما يؤدي الى الكراهية وينبئ عن الثقل الرابع كم عدد الاستئذان الجواب روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستئذان ثلاث بالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون ومثله عن أبي موسى الأشعري وقصته مع عمر مشهورة في ذلك وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول يسمع الحي الثاني ليتهيأ والثالث ان شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوا وينبغي أن يكون بين المرات فاصلة والا كان الكل في حكم واحد الخامس كيف يقف على الباب جوابه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه

يقف من ركنه الأيمن أو الأيسر فان كان للباب ستر كانت الكراهة أخف السادس قوله حتى تستأنسوا وتسلموا يدل على أنه يجوز الدخول بعد الاستئذان والتسليم وان لم يكن ثمة اذن أو من يأذن لأن حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون خلاف ما قبلها جوابه سلمنا المخالفة لكن لا نسلم المناقضة وذلك أنه قبل الاستئذان لا يجوز الدخول مطلقا وبعده فيه تفصيل وهو أنه ان لم يجد فيها أحدا من الآذنين مطلقا أو من يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله (فان لم تجدوا فيها أحدا) أي على الاطلاق أو من له

الاذن (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى حتى تجدوا من يأذن لكم أو من يعتبر اذنه وان وجد فيها من له الاذن فان أذن دخل وان لم يأذن وقال ارجع رجع وهو قوله (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى) أى الرجوع أطيب (لكم وأطهر) لما فيه من سلامة الصدر والبعد من الريبة وفى قوله (والله بما تعملون عليم) نوع زجر للمكلف فعليه أن يحتاط كيف يدخل ولاى غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن مقام الاذن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وفى رواية أخرى اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان والجمهور على أن اذن الصبى والعبد والمرأة معتبر وكذلك فى الهدايا لاجل الضرورة وهل يعتبر الاستئذان على المحارم روى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أستأذن عليها كلما دخلت عليها قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل أنه لا يراه منكشف الاعضاء فتستثنى منه الزوجة وملك اليمين وان كان لاجل أنه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الا اذا عرض ما يبيح هتك الستر كحريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره التاسع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذنه الجواب قال الشافعى لو فقأ عينه فهى هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد أنه اطلع رجل فى حجرة من حجر النبى صلى الله عليه وسلم ومع النبى مدرى يحك بها رأسه فقال لو علمت أنك تنظر الى لطعنت بها فى عينك انما الاستئذان من النظر وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى دار قوم بغير اذنهم ففقؤا عينه فقد هدرت عينه قال أبو بكر الرازى هذا الخبر مردود لوروده على خلاف الاصول فلا خلاف أنه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه القصاص ان كان عامدا ومعلوم أن الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فمعنى الحديث لو صح انه من اطلع فى دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه فى حال الممانعة فهى هدر وأجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترزوا عنه وتستروا واما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على ما لا يراد الاطلاع عليه فلا يبعد فى حكمة الشرع أن يبالغ ههنا فى الزجر حسما لمادة هذه المفسدة جميع هذه والله

(٧٤)

براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة قالت فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة حتى بلغ غفور رحيم فقال أبو بكر انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى وما رأت وما سمعت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما رأيت الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك قال الزهرى بن شهاب هذا الذى انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود قال الزهرى كل قد حدثنى بعض هذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض قال وقد جمعت لك كل الذى قد حدثنى وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة * قال وثنى محمد ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت وكل قد اجتمع فى حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها حين قال أهل الافك فيها ما قالوا وكله قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض وكل كان عنها ثقة وكل قد حدث عنها ما سمع قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزاة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلق لم يهبجهن اللحم فيثقلن قالت وكنت اذا رحل بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون بى بعيرى ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فينطلقون به قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى من جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى وما أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل قالت فرجعت عودى الى بدئى الى المكان الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون بى البعير ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى عن ابن ثور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبنوا أهلى والله ما علمت على أهلى سوء قط وأبنوهم بمن

الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فاما لم تكن مسكونة فذلك قوله (ليس عليكم جناح) الآية وللمفسرين فيه أقوال الأول قول محمد بن الحنفية انها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والبيع والشراء يروى أن أبا بكر قال يارسول الله ان الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الأسواق والاولى العموم والشمال يحتج الى الاذن دفعا الحرج ولأنها مأذون في دخولها من جهة العرف ثم ختم الآية بوعيد مثل ما تقدم الحكم الخامس غض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل الكفار مكلفين بفروع الاسلام ظاهر وأما عند من يجعلهم مكلفين بالفروع أيضا فالتخصيص للتشريف أو نزل فقدان مقدمة التكليف منزلة فقدان التكليف وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها قال أكثر النحويين من للتبعيض والمراد غض شيء من البصر لأن غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز الأخفش أن تكون من مزيدة وقيل صلة للغض أي ينقصوا من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا نقصت من قدره فالنظر اذا لم يكن من عمله فهو معفو موضوع عنه واعراب قوله يغضوا كامر في سورة ابراهيم في قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا قال الفقهاء العورات على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وبالعكس أما الرجل مع الرجل فيجوز أن ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة وعند أبي حنيفة الركبة عورة قال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي وميت فان كان في نظره الى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بأن كان أمرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في جانب الفراش لرواية أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولد شفقة وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل

والله ما علمت عليه سوأ قط ولا دخل بيتي قط الا وأنا حاضر ولا أغيب في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان ابن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شر وما علمت به فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت علام تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح قلت علام تسبين ابنك فسكتت الثانية ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتها وقلت علام تسبين ابنك قالت والله ما أسبه الا فيك قلت في أي شأني فبقرت لي الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله قالت فرجعت الى بيتي فكأن الذي خرجت له لم أخرج له ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكت فقلت يارسول الله أرسلني الى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فاذا أنا بأمي أم رومان قالت ما جاء بك يابنية فأخبرتها فقالت خفضي عليك الشأن فانه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا حسدنها وقلن فيها قلت وقد علم بها أبي قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأمي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من أمرها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك الا رجعت الى بيتك فرجعت فأصبح أبواي عندي فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بعد العصر وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد ياعائشة ان كنت قارفت سوأ أو ألممت فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيأ فقلت لأبي أجبه فقال أقول ماذا قلت لأمي أجيبيه فقالت أقول ماذا فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله لئن قلت لكم اني لم أفعل والله يعلم اني لصادقة ماذا بنافعي عندكم لقد تكلم به وأشربته قلوبكم وان قلت اني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وايم الله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف وما احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأنزل الله على رسوله ساعتئذ فرفع عنه واني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول أبشري ياعائشة فقد أنزل الله براءتك فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي ولقد جاء رسول الله بيتي فسأل الجارية عني فقالت والله ما أعلم عليها عيبا الا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه وقال لها أصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فعتب على من قاله فقال لا والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له

فلها النظر الى جميع بدنها الاما بين السرة والركبة ولا يجوز عند خوف الفتنة ولا يجوز المضاجعة أيضا لما مر في الحديث والأصح أن الذمية لا يجوز لها النظر الى بدن المسلمة لأنها أجنبية في الدين والله تعالى يقول أو نسائهن أما عورة المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنها عورة لا يجوز له أن ينظر الى شيء منها الا الوجه والكفين لأنها تحتاج الى ابراز الوجه للبيع والشراء والى اخراج الكف للأخذ والاعطاء و يعني بالكف ظهرها وبطنها الى الكوعين وقيل ظهر الكف عورة وفي هذا المقام تفصيل قال العلماء لا يجوز أن يعمد النظر الى وجه الأجنبية بغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذاك والغرض أمور منها أن يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفيها روى أبو هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في أعين الأنصار شيأ ومنها اذا أراد شراء جارية فله أن ينظر الى ماليس بعورة منها ومنها أنه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها أنه ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لأن المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الامين أن ينظر الى بدن الاجنبية للمعالجة كما يجوز للختان أن ينظر الى فرج المختون لانه محل ضرورة وكما يجوز أن ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم تكن نسوة والى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب في التوراة النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة أورثت حزنا طويلا ويستثنى منه ما لو وقعت في حرق أو غرق فله أن ينظر الى بدنها ان ليخلصها وان كانت الأجنبية أمة فالأصح أن عورتها ما بين السرة والركبة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يشتري الأمة لا بأس أن ينظر اليها الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الاما تبدي المهنة فيخرج منه أن رأسها وعنقها وساعديها وساقها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق

فقال سبحان الله ما كشفت كنف انثى قط فقتل شهيدا في سبيل الله قالت عائشة فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يعني أبا بكر أن يؤتوا أولي القربى والمساكين يعني مسطحا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله انا نحب أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا قال خرجت عائشة تريد المذهب ومعها أم مسطح وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك فقال كيف ترون فيمن يؤذيني في أهلي ويجمع في بيته من يؤذيني فقال سعد بن معاذ أي رسول الله ان كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك فقال سعد بن عبادة يا ابن معاذ والله ما بك نصرة رسول الله ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية واحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ الله أعلم ما أردت فقام أسيد بن حضير فقال يا ابن عبادة ان سعدا ليس شديدا ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم وكثر اللغط في الحيين في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يومئ بيده الى الناس ههنا وههنا حتى هدأ الصوت وقالت عائشة كان الذي تولى كبره والذي يجمعهم في بيته عبد الله ابن أبي ابن سلول قالت فخرجت الى المذهب ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت غفر الله لك أتقولين هذا لابنك ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين وما شعرت بالذي كان فحدثت فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيأ ورجعت على أبوي أبي بكر وأم رومان فقلت أما اتقيتما الله في وما وصلتما رحمي قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال وتحدث الناس بالذي تحدثوا به ولم تعلماني به فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أي بنية والله لقلما أحب رجل قط امرأته الا قالوا لها نحو الذي قالوا لك أي بنية ارجعي الى بيتك حتى نأتيك فيه فرجعت وارتكبني صالب من حمى فجاء أبواي فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي فقالا أي بنية ان كنت صنعت ما قال الناس فاستغفري الله وان لم تكوني صنعتيه فأخبري رسول الله بعذرك قلت ما أجد لي ولكم الا كأبي يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فالتمست اسم يعقوب فما قدرت أو فلم أقدر عليه فشخص بصر رسول الله الى السقف وكان اذا نزل عليه وجد قال الله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فوالذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى اني لأنظر الى نواجذه سرورا ثم مسح عن وجهه فقال يا عائشة أبشري قد أنزل الله عذرك قلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك قال الله

ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم حتى بلغ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة وكان بينهما رحم فلما أنزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم حتى بلغ والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى أي رب فعاد الى الذي كان لمسطح ان الذين يرمون المحصنات حتى بلغ أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قالت عائشة والله ما كنت أرجوا أن ينزل في كتاب ولا أطمع به ولكن أرجوا أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه قالت وسأل الجارية الحبشية فقالت والله لعائشة أطيب من طيب الذهب وما بها عيب الا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله قال فعجب الناس من فقهها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الايمان به فيما وقع في أنفسهم من ارجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به يقول لهم تعالى ذكره هلا أيها الناس اذ سمعتم ما قال أهل الافك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيرا ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة وقال بأنفسهم لأن أهل الاسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة لأنهم أهل ملة واحدة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ما هذا الخير ظن المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها ان أراد أن يفجر فجر بغير أمه يقول انما كانت عائشة أما والمؤمنون بنون لها محرما عليها وقرأ لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا قال لهم خيرا ألا ترى أنه يقول لا تقتلوا أنفسكم يقول بعضكم بعضا وسلموا على أنفسكم قال يسلم بعضكم على بعض حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات وقوله وقالوا هذا إفك مبين يقول وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعناه من القول الذي رميت به عائشة من الفاحشة كذب واثم يبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب واثم وبهتان كما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال أخبرنا عوف عن الحسن وقالوا هذا افك مبين قالوا ان هذا لا ينبغي أن يتكلم به الا من أقام

محكم الأمة ولا يجوز لمسها ولا الهامسة لأن اللمس أقوى من النظر بدليل أن الانزال باللمس يفطر الصائم و بالنظر لا يفطر وقال أبو حنيفة يجوز أن يمس من الامة ما يحل النظر اليه وأما ان كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع أو صهر به فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند أبي حنيفة عورتها ما لا يبدو عند المهنة فان كانت مستمتعا له كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له أن ينظر الى جميع بدنها غير أنه يكره أن ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روى أنه يورث الطمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية أو مرتدة أو وثنية أو مشتركة بينه و بين غيره أو مزوجة أو مكاتبة فهي كالأجنبية روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج أحدكم جاريته عبده أو أجيره فلا ينظر الى ما دون السرة وفوق الركبة وأما عورة الرجل مع المرأة فان كان أجنبيا منها فعورته معها ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه والأصح هو الاول لكن بدن المرأة في نفسه عورة بدليل أنه لا يصح صلاتها مكشوفة البدن و بدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روى عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها أو سيدها الذي يحل له وطؤها فلها أن تنظر الى جميع بدنه غير أنه يكره النظر الى الفرج كهو معها ولا يجوز للرجل أن يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال الله أحق أن يستحيى منه وعنه اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضي الرجل الى أهله ولما كان النظر بريد الزنا ورائد الفجور أمر بغض الابصار أولا ثم بحفظ الفروج عن الزنا والفجور ثانيا وعن أبي العالية أن كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد الاستتار وأن لا ينظر الى الفروج أحد وعلى هذا ففائدة التخصيص بعد التعميم أن يعلم أن أمر الفرج أضيق. وحين خص الخطاب في أول الآية بالمؤمنين ذكر أن ذلك الذي أمر به من غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم لأنهم

يتطهرون بذلك من دنس الآثام و يستحقون الثناء والمدح وهذا لا يليق بالكافر وفى قوله (ان الله خبير بما يصنعون) ولا ثانى له فى القرآن اشارة الى وجوب الحذر فى كل حركة وسكون وتفسير قوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن) يعلم من التفصيل المتقدم أما قوله ولا يبدين زينتهن فمن الأحكام التى تختص بالنساء فى الأغلب وقد يحرم على الرجل ابداء زينته للنساء الأجنبيات اذا كان هنالك فتنة قال أكثر المفسرين الزينة (٧٨) ههنا أريد بها أمور ثلاثة أحدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة فى حاجبيها والحمرة فى خديها والحناء فى كفيها وقدميها وثانيها الحلى كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلائد والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الثياب وقال آخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التى خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس أو حلى وغير ذلك يدل على ذلك أن كثيرا من النساء يتفردن بخلقهن عن سائر ما يعد زينة وفى قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اشارة الى ذلك وكأنه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار قال القفال بناء على هذا القول معنى قوله (الا ما ظهر منها) الا ما يظهره الانسان على العادة الجارية وذلك فى النساء الحرائر الوجه والكفان وفى الاماء كل ما يبدو عند المهنة وفى صوتها خلاف الأصح أنه ليس بعورة لأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم كن يروين الأخبار للرجال وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا الى أنه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لأجل المبالغة فى حرمة النظر الى أعضاء المرأة الا ما ظهر من هذه الزينة كالثياب مطلقا اذا لم تصف البدن لرقتها و كالحمرة والوسمة فى الوجه وكالخضاب والخواتيم فى اليدين وما سوى ذلك يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار وهى كالمقنعة قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستتر بذلك أعناقهن ونحورهن وما حواليها من شعر وزينة وفى لفظ الضرب مبالغة فى الالقاء شبيه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة

عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حد الزنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاؤا بالافك و رموا عائشة بالبهتان بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رموها به فاذ لم يأتوا بالشهداء الاربعة على حقيقة ما رموها به فأولئك عند الله هم الكاذبون يقول فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاؤا به من الافك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الخائضون فى أمر عائشة المشيعون فيها الكذب والاثم بتركه تعجيل عقوبتكم ورحمته اياكم لعفوه عنكم فى الدنيا والآخرة بقبول توبتكم مما كان منكم فى ذلك لمسكم فيما خضتم فيه من أمرها عاجلا فى الدنيا عذاب عظيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا للذين تكلموا فنشروا ذلك الكلام لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بالسنتكم واذ من صلة قوله لمسكم و يعنى بقوله تلقونه تتلقون الافك الذى جاءت به العصبة من أهل الافك فتقبلونه و يرويه بعضكم عن بعض يقال تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة وذكر أنها فى قراءة أبى اذ تتلقونه بتاءين وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرؤها تلقونه بتاء واحدة لأنها كذلك فى مصاحفهم وقد روى عن عائشة فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية اذ تلقونه بألسنتكم تقول انما هو ولق الكذب وتقول انما كانوا يلقون الكذب قال ابن أبى مليكة وهى أعلم بما فيها أنزلت قال نافع وسمعت بعض العرب(١) يقول الليق الكذب حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجمحى عن ابن أبى مليكة عن عائشة أنها كانت تقرأ اذ تلقونه بألسنتكم وهى أعلم بذلك وفيها أنزلت قال ابن أبى مليكة هو من ولق الكذب * قال أبو جعفر وكأن عائشة وجهت معنى ذلك بقراءتها تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف الى اذ تستمرون فى كذبكم عليها وافككم بألسنتكم كما يقال ولق فلان فى السير فهو يلق اذا استمر فيه وكما قال الراجز

ان الجليد زلق وزملق * جاءت به عنس من الشام تلق * مجوع البطن كلابى الخلق

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة فلعله مصحف وحرر كتبه مصححه

وقد

وقد روى عن العرب فى الولق الكذب الالق والالق بفتح الالف وكسرها ويقال فى فعلت منه ألقت فأنا ألق وقال بعضهم

من لى بالمزرر اليلامق * صاحب أدهان وألق آلق

والقراءة التى لا أستجيز غيرها اذ تلقونه على ما ذكرت من قراءة الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها * وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اذ تلقونه بألسنتكم قال ترونه بعضكم عن بعض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ تلقونه قال ترونه بعضكم عن بعض قوله وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم يقول تعالى ذكره وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الامر الذى ترونه فتقولون سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته وتحسبونه هينا وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل لا اثم عليكم فيه ولا حرج وهو عند الله عظيم يقول وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم عند الله عظيم من الأمر لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) يقول تعالى ذكره فلولا أيها الخائضون فى الافك الذى جاءت به عصبة منكم اذ سمعتموه ممن جاء به قلتم ما يحل لنا أن نتكلم بهذا وما ينبغى لنا أن نتفوه به سبحانك هذا بهتان عظيم تنزيها لك يارب وبراءة اليك مما جاء به هؤلاء هذا بهتان عظيم يقول هذا القول بهتان عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره يذكركم الله وينهاكم بآى كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذى فعلتموه فى أمر عائشة من تلقيكم الافك الذى روى عليها بألسنتكم وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره وتنتهون عما نهاكم عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم قال والذى هو خير لنا من هذا أن الله أعلمناه هذا لكيلا نقع فيه لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم ان يقول الرجل أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله فكان خيرا حين أعلمناه الله لئلا ندخل فى مثله أبدا وهو عند الله عظيم وقوله ويبين الله لكم الآيات ويفصل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه ليتبين المطيع له منكم من العاصى والله عليم بكم وبأفعالكم لا يخفى عليه شئ وهو مجاز المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته حكيم فى تدبير خلقه وتكليفهم ما كلفهم من الاعمال

فاختمرن فأصبحن كأن على رؤسهن الغربان ثم بين أن الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثنى عشر فرقة الأولى بعولتهن أى أزواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة الثانية آباؤهن وان علوا من جهة الأب والأم الثالثة آباء بعولتهن وان علوا الرابعة أبناؤهن وان سفلوا الخامسة أبناء بعولتهن وان سفلوا أيضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم أولاد الاولاد حكم الاولاد فيهما وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال (٧٩) فعن الحسن البصرى أنهما كسائر المحارم فى جواز النظر وقد ذكر البعض لينبه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع فى هذه الآية وكذا فى سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن فى آبائهن الى آخر الآية ولم يذكر البعولة ولا أبناءهم وقال الشعبى انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك أن العم والخال يفارقان سائر المحارم فى أن ابناءهما ليسوا من المحارم فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط فى التستر وانما أبيح ابداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهن الى مداخلتهم ومخالطتهم ولاسيما فى الاسفار للنزول والركوب وأيضا القلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الأقارب التاسعة قوله أو نسائهن فذهب أكثر السلف الى أن المراد أهل أديانهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للأجانب الا أن تكون أمة لها وكتب عمر الى أبى عبيدة أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال آخرون والعمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الأولى والأحب العاشرة قوله (أو ما ملكت أيمانهن) وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء ويؤيده ماروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لذكوان انك اذا وضعتنى فى القبر وخرجت فأنت حر وعنها أنها كانت تمتشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته

وفرضه ما فرض عليهم من الافعال ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى ذكره ان الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول لهم عذاب وجيع في الدنيا بالحد الذي جعله الله حدا لرامي المحصنات والمحصنين اذا رموهم بذلك وفي الآخرة عذاب جهنم ان مات مصرا على ذلك غير تائب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحبون أن تشيع الفاحشة قال تظهر في شأن عائشة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم قال الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية لهم عذاب أليم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تشيع الفاحشة قال تظهر يتحدث عن شأن عائشة وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول تعالى ذكره والله يعلم كذب الذين جاؤا بالافك من صدقهم وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لانكم لا تعلمون الغيب وانما يعلم ذلك علام الغيوب يقول فلا ترووا ما لا علم لكم به من الافك على أهل الايمان بالله ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) يقول تعالى ذكره ولولا أن الله تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم وأن الله ذو رأفة ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلتكم من الله العقوبة وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده وهو قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا واذاعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عمن جاء به فان الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا يقول ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه ولم يتق شيأ من الشر يدفعه عن نفسه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته

مازكى

وهو قول أبي حنيفة اذ ليس ملكها العبد كملكه الامة فلا خلاف أنها لا تستبيح بملك العبد شيأ من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة وتحريم تزوج العبد لولا أنه عارض غير مؤبد لكن عنده أربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب خصيا كان العبد أو فحلا وأورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة أن الاماء من جملة نسائهن وأجيب بأنه أراد بالنساء الحرائر كما أراد بالرجال الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشرة قوله (أو التابعين غير أولي الاربة) وهي الحاجة وهم البله وأهل العنة الذين لا يعرفون شيأ من أمور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم أو شيوخ صلحاء لا حاجة بهم الى النساء لعفة أو عنانة عن زينب بنت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخي أم سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف أدلك على بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان يعني عكن بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فأباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن أنه من غير أولي الاربة فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولي الاربة فحجبه الثانية عشرة قوله (أو الطفل) وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى (لم يظهروا) لم يطلعوا (على عورات النساء) والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيا منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوي عليه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء فعلى الأول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب من المراهق الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة قال الحسن هؤلاء الفرق وان اشتركوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على أقسام ثلاثة فأولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شيء منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وأبو الزوج وكل محرم من الرضاع أو النسب كل يحل لهم أن ينظروا الى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشباه ذلك والثالث التابعون غير أولي الاربة وكذا المملوك لا بأس أن تقوم المرأة الشابة

بين يدى هؤلاء فى درع وخمار صفيق بغير ملحفة ولا يحل لهؤلاء أن يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصح المشابه أن تقوم بين يدى الغريب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يضربن بأرجلهن) قال ابن عباس كانت المرأة تضرب الأرض برجلها لتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها (٨١) ذات خلخالين وفى النهى عن اظهار صوت

ما زكى منكم من أحد أبدا قال ما زكى ما أسلم وقال كل شئ فى القرآن من زكى أو تزكى فهو الاسلام وقوله والله سميع عليم يقول والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتلقونه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم عليم بذلك كله وبغيره من أموركم محيط به محصيه عليكم ليجازيكم بكل ذلك

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم يعنى ذوى التفضل والسعة يقول وذوو الجدة واختلف القراء فى قراءة قوله ولا يأتل فقرأته عامة قراء الامصار ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وهى القسم بالله سوى أبى جعفر وزيد بن أسلم فانه ذكر عنهما أنهما قرآ ذلك ولا يتأل بمعنى يتفعل من الالية * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وذلك أن ذلك فى خط المصحف كذلك والقراءة الاخرى مخالفة خط المصحف فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله وانما عنى بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حلفه بالله لا ينفق على مسطح فقال جل ثناؤه ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله أن لا يعطوا ذوى قرابتهم فيصلوا به أرحامهم كمسطح وهو ابن خالة أبى بكر والمساكين يقول وذوى خلة الحاجة وكان مسطح منهم لأنه كان فقيرا محتاجا والمهاجرين فى سبيل الله وهم الذين هاجروا ديارهم وأموالهم فى جهاد أعداء الله وكان مسطح منهم لأنه كان ممن هاجر من مكة الى المدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وليعفوا يقول وليعفوا عما كان منهم اليهم من جرم وذلك كجرم مسطح الى أبى بكر فى اشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الافك وليصفحوا يقول وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ولكن ليعودوا لهم الى مثل الذى كانوا (٣) لهم عليه من الافضال عليهم ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بافضالكم عليهم فيترك عقوبتكم عليها والله غفور لذنوب من أطاعه واتبع أمره رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم اياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا اليه من فعلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت لما نزل هذا يعنى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ما قال وأدخل عليها ما أدخل قالت فأنزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية قالت فقال أبو بكر والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله

الحلى بعد نهيهن عن اظهار الحلى مبالغة فوق مبالغة ليعلم أن كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان الرجل الذى تغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا أذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهى كما يجب قال العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكره أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس أراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة قال جار الله من قرأ أيه المؤمنون بضم الهاء فوجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك أنه حين أمر بغض الأبصار وحفظ الفروج أرشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما ندعوا اليه الشهوة وأصل الايامى أيايم فقلب والواحد أيم بتشديد الياء ويشمل الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم فى كلام العرب كل ذكر لا أنثى معه وكل أنثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس فى رواية الضحاك

يقول زوجوا أيامكم بعضهم من بعض وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم وظاهر الامر الوجوب الا أن الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشر ولو انتشر لنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد فى الاخبار التصريح بكونه سنة

كقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وكقوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستنن بسنتي وهي النكاح وقد أجمعوا على أن الأيم الثيب لو أبت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على أن السيد لا يجبر على تزويج عبده أو أمته نعم قد يجب في بعض الصور كما اذا التمست التزويج من الولي فعليه الاجابة اذا كان الخاطب كفؤا استدل الشافعي بعموم الآية على جواز تزويج البكر البالغة بدون رضاها واعترض أبو بكر الرازي بأن الايامى شامل للرجال والنساء وحين لزم في الرجال تزويجهم باذنهم فكذا في النساء ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال البكر تستأمر في نفسها واذنها صماتها وأجيب بأن تخصيص النص لا يقدح في كونه حجة في الباقي والفرق أن الايم من الرجال يتولى أمر نفسه فلا يجب على الولي تعهده بخلاف المرأة فان احتياجها الى من يصلح أمرها أظهر على أنا لا نسلم أن لفظ الايامى عند الاطلاق يتناول الرجال وفي تخصيص الآية بخبر الواحد أيضا نزاع واستدل أبو حنيفة بعموم الآية أيضا على أن العم والاخ يليان تزويج الثيب الصغيرة ونوقش فيه قال الشافعي من تاقت نفسه الى النكاح استحب له أن ينكح اذا وجد أهبة النكاح والا فليكسر شهوته بالصوم لما روى عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء والذي لا تتوق نفسه الى النكاح لكبر أو مرض أو عجز أو كان غير قادر على النفقة يكره له أن ينكح لأنه يلتزم ما لا يمكنه القيام بحقه وان لم يكن به عجز وكان قادرا على القيام بحقه لم يكره له أن ينكح لكن الأفضل أن يتخلى لعبادة الله تعالى وقال أبو حنيفة النكاح أفضل حجة الشافعي أنه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أعمالكم الصلاة وقال أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن وقال أحب المباحات الى الله تعالى النكاح والمباح لما استوى طرفاه والمندوب ما ترجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح

لا أنزعها منه أبدا **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول لا تقسموا أن لا تنفعوا أحدا **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة الى آخر الآية قال كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبيح وأفشوا ذلك وتكلموا به فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر أن لا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله فقال لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفى عنهم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء قال أبو بكر وآخرون من المسلمين والله لا نصل رجلا منهم بشيء من شأن عائشة ولا ننفعه فأنزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يقول ولا يحلف **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى قال كان مسطح ذا قرابة والمساكين قال كان مسكينا والمهاجرين في سبيل الله كان بدريا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة قال أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره كان أشاع ذلك فلما نزلت هذه الآية قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي فلأكونن ليتيمي خير ما كنت له قط ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يرمون بالفاحشة المحصنات يعني العفيفات الغافلات عن الفواحش المؤمنات بالله ورسوله وما جاء به من عند الله لعنوا في الدنيا والآخرة يقول أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن فقال بعضهم انما ذلك لعائشة خاصة وحكم من الله فيها وفيمن رماها دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أم قذف المحصنة فقال الزنا فقلت أليس يقول الله ان الذين يرمون المحصنات الآية قال سعيد انما كان هذا لعائشة خاصة **حدثنا** أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا أبو عوانة عن عمر ابن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس اذ أوحي اليه وكان اذا أوحي اليه أخذه كهيئة السبات وانه أوحي اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه وقال يا عائشة أبشري قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك مبرؤن مما يقولون ۞ وقال آخرون بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون

سائر النساء غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة * وقال آخرون نزلت هذه الآية في شأن عائشة وعني بها كل من كان بالصفة التي وصف الله في هذه الآية قالوا فذلك حكم كل من رمى محصنة لم تقارف سوأ ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد عن جعفر بن برقان قال سألت ميمونا قلت الذي ذكر الله الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم فجعل في هذه توبة وقال في الأخرى إن الذين يرمون المحصنات الغافلات إلى قوله لهم عذاب عظيم قال ميمون أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت وأما هذه فهي التي لم تقارف شيأ من ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم قال هذا في عائشة ومن صنع هذا اليوم في المسلمات فله ما قال الله ولكن عائشة كانت إمام ذلك * وقال آخرون نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد وقبل التوبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات إلى عذاب عظيم يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباؤوا بسخط من الله وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله فإن الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد * وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية في شأن عائشة والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفها الله بها فيها وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب لأن الله عم بقوله إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته فإن الله دل باستثنائه بقوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا على أن ذلك حكم رامي كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية وعلى أن قوله لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم معناه لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم تشهد عليهم

فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس والإقبال على الله تعالى فأين أحدهما من الآخر ولو كان النكاح مساويا للنوافل في الثواب لم تكن النوافل مشروعة لأن الطريق المؤدي إلى المطلوب مع بقاء اللذة وعدم التعب أولى بالسلوك وإن كان الاشتغال بالنكاح أولى من النافلة لأنه سبب لبقاء الأشخاص ونظام العالم فالاشتغال بالزراعة أيضا أولى من النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الإجماع على أن واجب العبادة مقدم على واجب النكاح فكذا مندوبها على مندوبه لاتحاد السبب وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وعنه صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة حجة أبي حنيفة أن النكاح يتضمن صون النفس من ضرر الزنا ودفع الضرر أهم من جلب النفع وأيضا النكاح يتضمن العدل وقد ورد في الحديث لعدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وقال في الصلاة إنها خير موضوع فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل ثم إن الأيامى جمع مستغرق لكنهم أجمعوا على أنه لا بد من شروط ذكرنا بعضها في سورة النساء في قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم ومعنى منكم أي من حرائركم قاله كثير من المفسرين لأن حكم العبيد والإماء بعقب ذلك ومنهم من قال أراد من يكون تحت ولاية المأمور من الولد والقريب ومنهم من قال الإضافة لا تفيد الحرية والإسلام ثم أمر السادة أن يزوجوا أرقاءهم الصالحين واتفقوا على أنه للإباحة والترغيب لأن في تزويج العبد التزام مؤنة زوجته وتعطل خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة في تزويج الأمة ليس قبوله بلازم على السيد أيضا وتخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله بحالهم ليتحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم وأيضا الصالحون من الأرقاء هم الذين يشفق عليهم مواليهم ويهتمون بشأنهم حتى ينزلوهم منزلة الأولاد ويجوز أن يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك أن لا يكون في غاية الصغر بحيث لا يحتاج إلى النكاح ولإذن السيد لهم أن يزوجوا أنفسهم

ينوب عن تزويج السيد أما قوله (ان يكونوا فقراء) فالأصح أن هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز أن يقع فيه خلف
فرب غني يفقره النكاح ولكن المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم ففي فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على أن مثل هذا الوعد قد
جاء مشروطا بالمشيئة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل أراد بالغنى نفس
العفاف بتملك البضع الذي يغنيه
عن الوقوع في الزنا وعن طائفة من
الصحابة أن هذا وعد وعن أبي بكر
قال أطيعوا الله فيما أمركم به من
النكاح ينجز لكم ما وعدكم من
الغنى وعن ابن عباس التمسوا
الرزق بالنكاح وشكا رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحاجة فقال عليك بالباءة وقد
يستدل بالآية على أن العبد
والأمة يملكان والالم يتصور
فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا
الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم
الايامى وان فسر الغنى بالعفاف
فلا بعد في رجوعه الى الكل (والله
واسع) افضاله ولكنه (عليم) يبسط
الرزق كما يريد وعلى ما ينبغي وفيه
اشارة الى قيد المشيئة في الوعد
المذكور ثم ذكر حال العاجزين
عن القيام بمؤن النكاح بقوله
(وليستعفف) أي ليطلب العفة من
نفسه والمضاف محذوف أي
لا يجدون استطاعة نكاح ولا
يقدرون عليه أو النكاح يراد به
ما ينكح بوساطته وهو المال ولا
محذوف وفي قوله (حتى يغنيهم) نوع
تأميل للمستعففين وفيه أن فضله
من أهل الصلاح والعفاف قريب
* الحكم السابع المكاتبة وحين
رغب السادة في تزويج الصالحين
من العبيد والاماء أرشدهم
الى الطريق الذي به ينخرط
العبد في سلك الاحرار مع عدم
الاضرار بالسادة فقال (والذين
يبتغون) ومحله اما رفع والخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر تفسيره فكاتبوهم الاعمال
والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله وربك فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع
لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الأزهري هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني اذا وفيت المال وكتبت لي

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم فاليوم الذي في قوله يوم تشهد عليهم من صلة قوله ولهم عذاب عظيم وعنى بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله اياه بها فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فان قال قائل وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم قيل عنى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه وقد **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أتحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ يقول تعالى ذكره يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم والدين في هذا الموضع الحساب والجزاء كما **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يقول حسابهم * واختلفت القراء في قراءة قوله الحق فقرأته عامة قراء الأمصار دينهم الحق نصبا على النعت للدين كأنه قال يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ثم أدخل في الحق الألف واللام فنصبه بما نصب به الدين وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على أنه من نعت الله **حدثنا** بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير ابن حازم عن حميد عن مجاهد أنه قرأها الحق بالرفع قال جرير وقرأتها في مصحف أبي بن كعب يوفيهم الله الحق دينهم والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو نصب الحق على إتباعه اعراب الدين لاجماع الحجة عليه وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين يقول ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول وقوله والطيبات للطيبين يقول الطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ويقال الخبيثات للخبيثين الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين والطيبات من

على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق وقيل سمي بذلك لما يقع فيه من التأجيل واجبا عند الشافعي وندبا
عند أبي حنيفة كما يجيء والأجل يستدعي الكتابة لقوله إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه قال محيي السنة الكتابة أن يقول
لمملوكه كاتبتك على كذا ويسمي مالا يؤديه في نجمين أو أكثر ويعين عدد النجوم وما يؤدى في كل نجم ويقول إذا أديت ذلك
المال فأنت حر وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفي هذا الضبط أبحاث الأول قال الشافعي إن لم يقل بلسانه إذا أديت ذلك المال فأنت حر ولم ينو بقلبه ذلك لم يعتق لأن الكتابة ليست عقد معاوضة محضة فإن ما في يد العبد فهو ملك السيد والإنسان لا يمكنه بيع ملكه بعين ملكه فقوله كاتبتك كناية في العتق فلا بد فيه من لفظ العتق ونيته وقال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة إلى ذلك لإطلاق قوله فكاتبوهم وإذا صحت الكتابة وجب أن يعتق بالأداء للإجماع الثاني لا تجوز الكتابة عند الشافعي إلا مؤجلة لأن العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز أبو حنيفة الحلول لإطلاق الآية ولأنه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق فالكتابة أيضا مثله الثالث قال الشافعي لا تجوز الكتابة على أقل من نجمين روي ذلك عن علي عليه السلام وعمر وعثمان وابن عمر وذلك أنه عقد إرفاق ومن تمام الإرفاق التنجيم وجوز أبو حنيفة على نجم واحد لإطلاق الآية وللقياس على سائر العقود الرابع جوز أبو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي إلى أنه يجب أن يكون عاقلا بالغا لأنه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب الخامس جوز
أبو حنيفة أن يكاتب الصبي بإذن الولي وشرط الشافعي كونه مكلفا مطلقا لأن قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول إلا العاقل هذا وللمفسرين
خلاف في أن قوله فكاتبوهم أمر إيجاب أو استحباب فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير إلى وجوب
الكتابة إذا طلبها المملوك بقيمته أو بأكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون قيمته لم يلزمه وأكثرهم ندب وروي في سبب النزول أنه كان لحويطب

الأعمال تكون للطيبين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر أولئك مبرءون مما يقولون وذلك أنه برأ كلا منهما مما ليس بحق من الكلام حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات والطيبات القول السيئ والحسن للمؤمنين الحسن وللكافرين السيئ أولئك مبرءون مما يقولون وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس بحق من الكلام حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الخبيثات للخبيثين الآية يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول فهذا في الكلام وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا هم الخبيثون والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون حدثنا أبو زرعة قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة يعني ابن نبيط الأشجعي عن الضحاك الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس * قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح وعثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثنا سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثني محمد بن بكر بن مقدم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك يعني ابن أبي سليمان عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن مجاهد والخبيثون للخبيثات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس * قال ثنا عباس بن الوليد النرسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

ابن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت ويروى أن عمر أمر انسانا بأن يكاتب سيرين أبا محمد بن سيرين فأبى فضربه بالدرة ولم ينكر أحد من الصحابة عليه وذهب أكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري الى أنه ندب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال (٨٦) امرئ مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا تجب الاجابة وهذه طريقة المعاوضات أجمع قال العلماء اذا أدى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن هنا يكسب مولاه الثواب أما قوله (ان علمتم فيهم خيرا) قال عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال بلغني ذلك عن ابن عباس وضعف بأنه لا يقال في فلان مال وانما يقال له أو عنده مال وبأن العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين أراد اذا صلى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين والأقرب أنه شئ يتعلق بالكتابة هكذا فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب ويروى مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن المقصود بالكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا أيضا في المخاطب بقوله (وآتوهم) فعن الحسن والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب أبي حنيفة أنهم المسلمون والمراد أعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ولا يبعد في كون المخاطب في أحد المعطوفين غير الآخر ولا في كون أحد الامرين للاستحباب والآخر للايجاب والسهم الذي يأخذه المكاتب له صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب الشافعي أن المخاطب هو الموالي والامر أمر ايجاب فيجب عليهم أن يبذلوا للمكاتبين شيأ من أموالهم أو يحطوا عنهم جزأ من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره فعن علي عليه السلام أنه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن أنه كاتب غلاما له فترك ربع مكاتبته وعن ابن عمر أنه كاتب

يا أيها

للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول والخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان عبد الله بن أبي هو خبيث وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا وكان أولى أن تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكان أولى أن يكون لها الطيب أولئك مبرؤن مما يقولون قال ههنا برئت عائشة لهم مغفرة ورزق كريم * وأولى هذه الاقوال في تأويل الآية قول من قال عنى بالخبيثات الخبيثات من القول وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى لأنهم أهلها والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحق بها وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية لأن الآيات قبل ذلك انما جاءت بتوبيخ الله القائلين في عائشة الافك والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات واخبارهم ما خصهم به على افكهم فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالافك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم وقوله أولئك مبرؤن يقول الطيبون من الناس مبرؤن من خبيثات القول ان قالوها فان الله يصفح لهم عنها ويغفرها لهم وان قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبله ولو قيلت له لضرته لأنه يلحقه عارها في الدنيا وذلها في الآخرة كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك مبرؤن مما يقولون فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث يقول يغفره الله ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح فانه يرده الله عليه لا يقبله منه وقد قيل عنى بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون عائشة وصفوان بن المعطل الذي رميت به فعلى هذا القول قيل أولئك فجمع والمراد ذانك كما قيل فان كان له اخوة والمراد أخوان وقوله لهم مغفرة يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم والخبيث من القول ان كان منهم ورزق كريم يقول ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة وذلك الجنة وما أعد لهم فيها من الكرامة كما حدثنا أبو زرعة قال ثنا العباس بن الوليد النرسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة ورزق كريم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله

عبداله بخمسة وثلاثين ألفا ووضع عنه خمسة آلاف وهو السبع والأكثرون على أنه غير مقدر ويحصل الامتثال بأقل متمول عن ابن عباس يضع له من كتابته شيئاً وعن عمر أنه كاتب عبداله يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب فى الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا الحط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وذكر من قال ذلك * حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقال انما هى خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن مثله غير أنه قال انما هى حتى تستأذنوا ولكنها سقط من الكاتب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا معاذ بن سليمن عن جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أخطأ الكاتب وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسلموا وكان يقرؤها على قراءة أبى بن كعب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش أنه كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا قال سفيان وبلغنى أن ابن عباس كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا وقال انها خطأ من الكاتب حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال الاستئناس الاستئذان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال فى مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا * قال ثنا هشيم قال أخبرنا جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب * قال ثنا هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أدخل فقالت ادخل بسلام فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولى ادخل قالت ادخل فدخل * قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفى أن رجلا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أألج أو أنلج فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لا يحسن يستأذن فقولى له يقول السلام عليكم أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل حدثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله حتى تستأنسوا قال الاستئذان ثم نسخ واستثنى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة عن ابراهيم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم قال حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حتى تستأنسوا قال حتى تستأذنوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم قال أشعث عن عدى بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله انى أكون فى منزلى على الحال التى لا أحب أن يرانى أحد

عليه وأكدوه بما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما عبد كاتب على مائة أوقية فأداها الا عشر أواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لأسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقى عليه درهم وأيضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لزم عتقه اذا بقى ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقى وهو مال الكتابة مجهولا فلا تصح الكتابة وأيضا أمر بالايتاء من مال الله الذى آتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه يصدر العجز عنه فلا يستحق ذلك المال هذا الوصف فصح أن هذا أمر من الله تعالى بذلك للناس أولهم وللسادة أن يعينوا المكاتب على كتابته بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من أعان مكاتبا فى فك رقبته أظله الله فى ظل عرشه * الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنا كان لعبد الله بن أبى رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء أى الزنا فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر فى سورة النحل فى قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا أنهم أجمعوا على أن حال الحرائر أيضا كذلك * والسؤال المشهور فى الآية هو أن المعلق بكلمة ان على الشئ يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشئ فتدل الآية على جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن والجواب بعد تسليم أن مفهوم الخطاب حجة هو أن الاكراه مع عدم ارادة التحصن والتعفف مما لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه فى ذاته وقد يقال ان غالب الحال أن الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له

مفهوم الخطاب كما فى قوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن خفتم وقيل ان المعنى اذلان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله
أوثرت كلمة ان على اذ ايذانا بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ النادر
وللآية مفهوم آخر وهو أن للسادة اكراههن على (٨٨) النكاح وليس لها أن تمتنع على السيد اذا زوجها و (عرض الحياة الدنيا) كسبهن
وأولادهن (ومن يكرههن فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم)
لهم على الاطلاق أو بشرط
التوبة على أصل الاشاعرة والمعتزلة
أو غفور لهن لان الاكراه قد
لا يكون على حده المعتبر فى الشرع
من التخويف الشديد فتكون آثمة
حينئذ وحين فرغ من الاحكام
وصف القرآن بصفات ثلاث
الاولى الآيات المبينات أى الموضحات
أو الواضحات فى معانى الحدود
والاحكام وغيرها ولاسيما الآيات
التى ثبتت فى هذه السورة الثانية
كونه مثلا من الذين خلوا أى
قصة عجيبة من قصصهم فان
العجب فى قصة عائشة ليس بأقل
من العجب فى قصة يوسف ومريم
وما اتهما به وعن الضحاك أنه أراد
بالمثل شبه ما ذكر فى التوراة
والانجيل من اقامة الحدود وعن
مقاتل أراد شبه ما حل بهم من
العقاب اذا عصوا الثالثة كونه
موعظة ينتفع بها المتقون خاصة
۞ التأويل لا تدخلوا بيوت عالم
القرار التى هى غير بيوتكم من دار
القرار حتى تتعرفوا أحوالها
وتسلموا على أهلها سلام توديع
ومتاركة فان لم تجدوا فيها أحدا
فان ضرتم بحيث فنيتم عن حظوظ
الدنيا وشهواتها فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق
للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة
ارجعى الى ربك فارجعوا ثم أشار
الى أن التصرف فى الدنيا لاجل
البلاغ وبحسب الضرورة جائز اذا لم تكن النفس تطمئن اليها فقال ليس عليكم جناح الآية ثم أمر بغض بصر بذلك
النفس عن مشتهيات الدنيا وبصر القلب عن رؤية الاعمال ونعيم الآخرة وبصر السر عن الدرجات والقربات وبصر الروح عن الالتفات
الى ما سوى الله وبصر الهمة عن العلل بأن لا يرى نفسه أهلا لشهود الحق تنزيها له واجلالا ولهذا أمر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات

عليها والد ولا ولد وانه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية * وقال آخرون معنى ذلك حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه حتى يعلمون أنكم تريدون الدخول عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال حتى تتنحنحوا وتتنخموا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله حتى تستأنسوا قال حتى تجسسوا وتسلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حتى تستأنسوا قال تنحنحوا وتنخموا * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبى رباح يخبر عن ابن عباس قال ثلاث آيات قد جحدهن الناس قال الله ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال ويقولون ان أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا قال والاذن كله قد جحده الناس فقلت له أستأذن على أخواتى أيتام فى حجرى معى فى بيت واحد قال نعم (١) فرددت على من حضرنى فأبى قال أتحب أن تراها عريانة قلت لا قال فاستأذن فراجعته أيضا قال أتحب أن تطيع الله قلت نعم قال فاستأذن فقال لى سعيد بن جبير انك لتردد عليه قلت أردت أن يرخص لى * قال ابن جريج وأخبرنى ابن طاوس عن أبيه قال ما من امرأة أكره الى أن أرى كأنه يقول عريتها أو عريانة من ذات محرم قال وكان يشدد فى ذلك * قال ابن جريج وقال عطاء بن أبى رباح واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا فواجب على الناس أجمعين اذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس قلت لعطاء أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته قال نعم قلت بأى وجب قال قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال ابن جريج وأخبرنى ابن زياد أن صفوان مولى لبنى زهرة أخبره عن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها قال ابن جريج عن الزهرى قال سمعت هزيل بن شرحبيل الأودى الأعمى أنه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على أمهاتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء أيستأذن الرجل على امرأته قال لا حدثنا الحسين قال ثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود عن زينب قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا قال الاستئناس التنحنح والتجرس حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد قال والتجرس كلامه وتنحنحه * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الاستئناس الاستفعال من الانس وهو أن يستأذن أهل البيت فى الدخول عليهم مخبرا

(١) فى ابن كثير فرددت عليه ليرخص لى فأبى فلعله تحرف عنه وحرر كتبه مصححه

بذلك من فيه وهل فيه أحد وليؤذنهم أنه داخل عليهم فيأنس الى اذنهم له فى ذلك ويأنسوا الى استئذانه اياهم وقد حكي عن العرب سماعا اذهب فاستأنس هل ترى أحدا فى الدار بمعنى انظر هل ترى فيها أحدا فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك معناه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا وذلك أن يقول أحدهم السلام عليكم أدخل وهو من المقدم الذى معناه التأخير انما هو حتى تسلموا وتستأذنوا كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس وقوله ذلكم خير لكم يقول استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذى تريدون دخوله (٣) فان دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرون أنكم اذا دخلتموه بغير اذن على ماذا تهجمون على ما يسوءكم أو يسركم وأنتم اذا دخلتم باذن لم تدخلوا على ما تكرهون وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم فى الاستئذان والسلام وقوله لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بفعلكم ذلك أمر الله عليكم واللازم لكم من طاعته فتطيعوه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ يقول تعالى ذكره فان لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحدا يأذن لكم بالدخول اليها فلا تدخلوها لأنها ليست لكم فلا يحل لكم دخولها الا باذن أربابها فان أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول وان قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها فارجعوا عنها ولا تدخلوها هو أزكى لكم يقول رجوعكم عنها اذا قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم بالدخول فيها أطهر لكم عند الله وقوله هو كناية من اسم الفعل أعني من قوله فارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم يقول جل ثناؤه والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم فى بيوت غيركم اذا قيل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم فى ذلك وغيره من أمره ونهيه ذو علم محيط بذلك كله محص جميعه عليكم حتى يجازيكم على جميع ذلك وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان لم تجدوا فيها أحدا قال ان لم يكن لكم فيها متاع فلا تدخلوها الا باذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسن قال ثنا هاشم بن القاسم المزني عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها أن أستأذن على بعض اخوانى فيقول لى ارجع فأرجع وأنا مغتبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وهذا القول الذى قاله مجاهد فى تأويل قوله فان لم تجدوا فيها أحدا بمعنى ان لم يكن لكم فيها متاع قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول ليس بمكان كذا أحد الا وهى تعنى ليس بها أحد من بنى آدم وأما الأمتعة وسائر الاشياء غير بنى آدم ومن كان سبيله سبيلهم فلا تقول ذلك فيها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ يقول تعالى ذكره ليس عليكم أيها

السكونين فيه ثم أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال تنبيها على أن النساء بالصورة قد يكن رجالا فى المعنى ثم نهى عن اظهار ما زين الله به سرائرهم وأحوالهم الا ما ظهر على صفحات أحوالهم من غير تكلف منهم ثم أباح لهم اظهار بعض الاسرار الى شيوخهن أو اخوانهن فى الدين والحال أو المريدين الذين هم تحت تربيتهم وتصرفهم بمنزلة النساء والمماليك ومن لا خبر عندهم من عالم المعنى كالبله والاطفال ففيه نفثة مصدور من غير ضرب وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين فتوبة المبتدئ من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهى مما سوى الله وأنكحوا الايامى فيه أمر بطلب شيخ كامل يودع فى رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الاعلى وهو الولادة الثانية المستعدة للولوج فى ملكوت السماء والارض وقد أشار الى افاضة هذا الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف ليحفظ الذين لا يجدون شيخا فى الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليه السلام أو يخصهم بجذبة الله بحتى والذين يبتغون فيه أن المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه الصلاح ووجب أن يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه أن النفس اذا لم تكن مائلة الى التصرف فى الدنيا وان كان بالحق لم تكره عليه فان أصحاب الخلوة غير أرباب الجلوة ﴿الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء

بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ألم تر أن الله (٩٠) يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله
عليم بما يفعلون ولله ملك السموات
والارض والى الله المصير ألم تر أن
الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم
يجعله ركاما فترى الودق يخرج من
خلاله وينزل من السماء من جبال
فيها من برد فيصيب به من يشاء
ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار يقلب الله الليل
والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى
الابصار * والله خلق كل دابة من
ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم
من يمشي على رجلين ومنهم من
يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء
ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا
آيات مبينات والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم ويقولون آمنا
بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى
فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك
بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون
وان يكن لهم الحق يأتوا اليه
مذعنين أفي قلوبهم مرض أم
ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله
عليهم ورسوله بل أولئك هم
الظالمون ۞ القراآت نور السموات
على الفعل يزيد من طريق ابن أبي
عبلة وابن مقسم كمشكاة بالامالة
أبو عمرو وعن الكسائي دريء
بكسرتين وبالهمز أبو عمرو وعلي
والمفضل مثله بضم الدال حمزة وأبو
بكر وحماد والخزاز الباقون
بضم الدال وتشديد الياء توقد
بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلي
وخلف وأبو بكر وحماد مثله
ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وأبو زيد عن المفضل الباقون وجبلة توقد
بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وأبو بكر وحماد سحاب ظلمات على الاضافة البزي سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر
على أنه نصب على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما ينزل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب يذهب

الناس اثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عنى فقال بعضهم عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون وانما بنيت لمارة الطريق والسابلة ليأووا اليها ويؤووا اليها أمتعتهم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية في قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال هي الخانات التي تكون في الطرق حدثني عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثنا عمر بن فروخ قال سمعت قتادة يقول بيوتا غير مسكونة قال هي الخانات تكون لأهل الأسفار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا فرخص لهم أن يدخلوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بيوتا غير مسكونة قال هي البيوت التي ينزلها السفر لا يسكنها أحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بيوتا غير مسكونة قال كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد فأحل لهم أن يدخلوها بغير اذن حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله غير أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة هي البيوت التي ليس لها أهل وهي البيوت التي تكون بالطرق والخربة فيها متاع منفعة للمسافر في الشتاء والصيف يأوي اليها * وقال آخرون هي بيوت مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن سعيد بن سائق عن الحجاج بن أرطاة عن سالم بن محمد بن الحنفية في بيوتا غير مسكونة قال هي بيوت مكة * وقال آخرون هي البيوت الخربة والمتاع الذي قال الله فيها لكم قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال الخلاء والبول حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا حسن بن عيسى بن زيد عن أبيه في هذه الآية ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال التخلي في الخراب * وقال آخرون بل عني بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال بيوت التجار ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير اذن الحوانيت التي بالقيساريات والاسواق وقرأ فيها متاع لكم متاع للناس ولبني آدم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم بقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم كل بيت لا ساكن به لنا فيه

متاع ندخله بغير اذن لأن الاذن انما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول أو ليأذن للداخل ان كان له مالكا أو كان فيه ساكنا فأما ان كان لا مالك له فيحتاج الى اذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل الى ايناسه والتسليم عليه لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه فلا معنى للاستئذان فيه فاذا كان ذلك فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأووا اليها أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه حيث كان ذلك فان لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤويه اليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار فانه ليس لأحد دخولها الا باذن أربابها وسكانها فان ظن ظان أن التاجر اذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله فان الأمر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته اليه أو بغير سبب أباح له دخوله الا باذن ربه لا سيما اذا كان فيه متاع فان كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته اذن منه لمن أراد دخوله في الدخول فذلك بعد راجع الى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله الا باذنه واذا كان ذلك كذلك لم يكن من معنى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم في شئ وذلك أن التى وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير اذن من البيوت هى ما لم يكن مسكونا اذ حانوت التاجر لا سبيل الى دخوله الا باذنه وهو مع ذلك مسكون فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل * وقال جماعة من أهل التأويل هذه الآية مستثناة من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة حتى تستأنسوا الآية فنسخ من ذلك واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وليس في قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم دلالة على أنه استثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها حكم من الله في البيوت التى لها سكان وأرباب وقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حكم منه في البيوت التى لا سكان لها ولا أرباب معروفون فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر وانما يستثنى الشئ من الشئ اذا كان من جنسه أو نوعه في الفعل أو النفس فأما اذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه وقوله والله يعلم ما تبدون يقول تعالى ذكره والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان اذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة وما تكتمون يقول وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذى تقصدون به أطاعة الله والانتهاء الى أمره أم غير ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمؤمنين بالله وبك

من الاذهاب يزيد على أن الباء زائدة خالق كل شئ على الاضافة حمزة وعلى وخلف الآخرون خلق على لفظ الماضى كل منصوبا ۞ الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية ط لان ما بعدها صفة شجرة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم ٥ لا بناء على أن الظرف يتعلق بما قبله وهو كمشكاة أى مثل مشكاة فى بعض بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها تكرار كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف وهو سبحوا اسمه لا لان ما بعده صفة بيوت أو لان الظرف يتعلق بيسبح والآصال ط لمن قرأ يسبح بفتح الباء كأنه قيل من يسبح فقيل رجال أى يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لا لأن ما بعده صفة الزكاة لا لأن ما بعده أيضا صفة والابصار ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين قال فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله ط حساب ٥ ماء ط حسابه ط الحساب ٥ لا للعطف سحاب ط لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض ط يراها ط من نور ٥ صافات ط وتسبيحه ط يفعلون ٥ والارض ج فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير ٥ من خلاله ج لما قلنا عمن يشاء ط بالابصار ٥ ط والنهار ط الابصار ج من ماء ج للفاء مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لمثل ما قلنا أربع ط ما يشاء ط قدير ٥ مبينات ط مستقيم ٥ ذلك ط بالمؤمنين ٥ معرضون ٥ مذعنين ٥ ط ورسوله ط الظالمون ٥ ۞ التفسير انه سبحانه لما بين من الاحكام ما بين أردفها على عادة القرآن بالالهيات وقدم لذلك مثلين أحدهما فى أن دلائل الايمان فى غاية الظهور والثانى أن أديان الكفر فى نهاية الظلمة أما الاول فهو قوله (الله نور السموات والارض) واعلم أن النور فى اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الاجرام ولا شك أنه لا يمكن أن يكون إلها لانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك للدليل الدال على أن اله العالم ليس بجسم ولا جسمانى ولا زائل ولا منتقل الى غير ذلك من أمارات

يامحمد يغضوا من أبصارهم يقول يكفوا من نظرهم الى مايشتهون النظر اليه مماقد نهاهم الله عن النظر اليه ويحفظوا فروجهم أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس مايسترها عن أبصارهم ذلك أزكى لهم يقول فان غضها من النظر عما لا يحل النظر اليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل ان الله خبير بما يصنعون يقول ان الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه وحفظ فروجكم عن اظهارها لمن نهاكم عن اظهارها له * وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل الرملي قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنا الا هذه وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن فانه يعني الستر حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن قال يغضوا أبصارهم عما يكره الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال يغض من بصره أن ينظر الى ما لا يحل له اذا رأى ما لا يحل له غض من بصره لا ينظر اليه ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله انما قال الله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يامحمد للمؤمنات من أمتك يغضضن من أبصارهن عما يكره الله النظر اليه مما نهاكم عن النظر اليه ويحفظن فروجهن يقول ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم وقوله ولا يبدين زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن وهما زينتان احداهما ماخفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد والأخرى ماظهر منها وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية فكان بعضهم يقول زينة الثياب الظاهرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون ابن المغيرة عن الحجاج عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال الزينة زينتان فالظاهرة منها الثياب وماخفي الخلخالان والقرطان والسواران حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني الثوري عن أبي اسحق الهمداني عن أبي الأحوص عن عبد الله أنه قال ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها قال هي الثياب حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها قال الثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله مثله * قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله مثله

* قال

الحدوث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء في تأويل الآية وجوها الاول وهو قول ابن عباس والأكثرين أن المضاف محذوف أي هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره ويهدي الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فنظير الآية قولك زيد كرم وجود للمبالغة الثاني أن معناه منور السموات كقراءة من قرأ نور بالتشديد وعلى القولين فالمراد بالنور فالأكثرون على أنه الهداية والحق كما قال في آخر الآية يهدي الله لنوره من يشاء شبهه بالنور في ظهوره وبيانه وأضافه الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض أو على حذف المضاف أي نور أهل السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض بها وبالانبياء والعلماء وهو مروي عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية وقيل هو تدبيره اياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بأنه نور البلد اذا كان يدبر أمورهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذي يهتدى به في المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو نظمه اياهما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ما أرى لهذه الامور نورا الثالث ماذهب اليه الحكماء الاولون الاشراقيون واليه ميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالي على ماقرره في رسالته المسماة بمشكاة الانوار ان الله تعالى نور في الحقيقة بل لا نور الا هو بيانه أن للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هي القوة العاقلة ولا شك أن البصيرة أقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها وهي العين وأما القوة العاقلة فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها في الادراك وهي القلب أو الدماغ والادراك الحسي غير منتج لانه لا يصير سببا لاحساس آخر والادراك العقلي يصير سببا لادراكات أخر حتى تجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت

بالضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بها قوة ونورانية بكثرة توارد العلوم وتعاونها والقوة الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك من القرب القريب ولا من البعد البعيد والعقلية لا يختلف حالها في القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى ما تحت الثرى في لحظة واحدة بل يدرك ذات الله

* قال ثنا سفيان عن علقمة عن ابراهيم في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا بعض أصحابنا اما يونس واما غيره عن الحسن في قوله الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله الا ما ظهر منها قال الثياب قال أبو اسحق ألا ترى أنه قال خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا محمد ابن الفضل عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود الا ما ظهر منها قال هو الرداء * وقال آخرون الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبديه الكحل والخاتم والسواران والوجه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان قال ثنا مسلم الملائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكحل والخاتم حدثنا عمرو ابن عبد الحميد الآملي قال ثنا مروان عن مسلم الملائي عن سعيد بن جبير مثله ولم يذكر ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبي عبد الله نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال الظاهر منها الكحل والخدان حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والكف حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي عن سعيد بن جبير مثله حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو عن عطاء في قول الله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفان والوجه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة قال الكحل والسواران والخاتم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال والزينة الظاهرة الوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم فهذا تظهره في بيتها لمن دخل من الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال المسكتان والخاتم والكحل قال قتادة وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها الا الى ههنا وقبض نصف الذراع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن رجل عن المسور بن مخرمة في قوله الا ما ظهر منها قال القلبين والخاتم والكحل يعني السوار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الخاتم والمسكة قال ابن جريج وقالت عائشة القلب والفتخة قالت عائشة دخلت علي ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزينة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض فقالت عائشة يا رسول الله انها ابنة أخي وجارية فقال اذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر الا وجهها والا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى وأشار به أبو علي قال ابن جريج وقال مجاهد قوله الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والخاتم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن عامر الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والثياب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

وصفاته مع أنه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الأشياء الا ظواهرها والعقل يغوص في حقائق الأشياء وفي أجزائها وجزئياتها وفي ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد أخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التي لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون مقدما على وجود الشيء ويسمى العلم العقلي وادراك الحس تابع لوجود الشيء واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التي هي أشرف منها أولى بأن تكون نورا وكما أن نور المبصر يحتاج في ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس أو السراج مثلا فنور البصيرة أيضا يحتاج في ادراكه الى مرشد هو النبي أو القرآن فلذلك سمي القرآن نورا والنور الذي أنزلنا والنبي نورا وسراجا منيرا فروح النبي في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من أنوار أخرى فوقها لقوله علمه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار تنتهي الى ما لا نور أنور منه ولا أجل وأشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل في هذا المقام هو الذي قد سلف تحقيقه مرارا وهو أن الكمالات أنوار والملكات الذميمة ظلمات وأيضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فبكل كمال ينتهي الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود نفسه فلا ريب أن الممكن وجوده مستفاد من غيره الى أن ينتهي الى الواجب الوجود لذاته وهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم باشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره وفي بعض

الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعون ألفا قال العلماء الحجب ثلاثة أقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة أما المحجوبون بالاول فهم الذين بلغوا في الاشتغال بالعلائق البدنية الى حيث لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع وأما المحجوبون بالثاني فهم الذين اعتقدوا في الممكنات أنها غنية عن المؤثر فنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة وأما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا في بحار صفات الله وأفعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا التقرير أن الحجب لا تكاد تتناهى حيث لا نهاية للممكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ماهو المتعارف في باب التكثير * ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكاة الكوة في الجدار غير النافذة وهذا القول أصح عند أئمة اللغة وهي من لغة العرب ومنه المشكاة للزق الصغير وقيل هي بلغة الحبشة وعن ابن عباس وأبي موسى الاشعري أن المشكاة هي القائم الذي في وسط القنديل الذي يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرطبي ومثله قول الزجاج هي قصبة القنديل من الزجاجة التي يوضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هي الحلقة التي يتعلق بها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب وأصله من الضوء ومنه الصبح والدري فمن قرأ بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر أي أبيض متلألئ ومن قرأ بالهمز مضموم الدال كدريئ أو مكسورها كسكيت فمعناه أنه يدرأ الظلام بضوئه وقال أبو عبيد ان ضممت الدال وجب أن لا تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما أراد فعول على سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدراري من الكواكب هي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التي هي في العظم الاول ومعنى (من شجرة مباركة) أن ابتداء ثقوبه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهي الزيتون عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الباسور وقيل سميت مباركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين

ابن زيد في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها من الزينة الكحل والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سئل الاوزاعي عن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفين والوجه حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يبدين زينتهن قال الكف والوجه * وقال آخرون عني به الوجه والثياب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال قال يونس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الحسن الوجه والثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والثياب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك الوجه والكفان يدخل في ذلك اذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب وانما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل لاجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته في صلاته وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اباح لها أن تبديه من ذراعها الى قدر النصف فاذ كان ذلك من جميعهم اجماعا كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة كذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره واذا كان لها اظهار ذلك كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله الا ما ظهر منها لأن كل ذلك ظاهر منها وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهي جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم بن نافع قال ثنا الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال شققن البرد مما يلي الحواشي فاختمرن به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب أن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن فاختمرن به وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يقول تعالى ذكره ولا يبدين زينتهن التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك الخلخال والقرط والدملج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب وما وراء ما أبيح لها كشفه وابرازه في الصلاة وللاجنبيين من الناس والذراعين الى فوق ذلك الا لبعولتهن * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلحة بن مصرف عن ابراهيم ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن قال هذه ما فوق الذراع حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت رجلا يحدث عن طلحة عن ابراهيم قال في هذه الآية ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن قال ما فوق الجيب قال شعبة كتب به منصور الي وقرأته عليه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال تبدي لهؤلاء الرأس حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن

الى

أو بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام فقوله (زيتونة) بدل من شجرة ومعنى (لا شرقية ولا غربية) أن منبتها في أكثر الشام وزيتونها أجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن أراد شجرة الزيتون في الجنة إذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية أو غربية وضعف بأن المثل إنما يضرب بما يشاهدوا نهم ماشاهدوا شجرة الجنة وقيل أراد انها شجرة ملفوفة بالاشجار أو بأوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بأن الغرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول أثر الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فيكون فيه دليل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضحى ولا في مقنأة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك أجود لكمال الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير في مضحى ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوء فهذا ما يتعلق بحل الألفاظ على ظاهر التفسير أما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى أنه تعالى شبه الهداية وهي الآيات البينات في الظهور والجلاء بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون أن يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل وهذا المقصود لا يحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم تبق ظلمة أصلا والأمور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكاة وذلك ليكون أجمع للنور وأعون لتكاثف الأشعة وأصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم أن في الكلام قلبا والمراد

الى قوله عورات النساء قال الزينة التي يبدينها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانه لا تبديه الا لزوجها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن مسعود في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال الطوق والقرطين يقول الله تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة الا لبعولتهن وهم أزواجهن واحدهم بعل أو لآبائهن أو لآباء بعولتهن يقول أو لآباء أزواجهن أو لأبنائهن أو لأبناء بعولتهن أو لاخوانهن أو لبني اخوانهن ويعني بقوله أو لاخوانهن أو لاخواتهن أو لبني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن قيل عني بذلك نساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أو نسائهن قال بلغني أنهن نساء المسلمين لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها الا أن تكون أمة لها فذلك قوله أو ما ملكت أيمانهن * قال ثني الحسين قال ثني عيسى بن يونس عن هشام ابن الغازي عن عبادة بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أو نسائهن * قال ثنا عيسى بن يونس عن هشام عن عبادة قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه قال ثم ان أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقوله أو ما ملكت أيمانهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم أو مماليكهن فانه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن مخلد التميمي أنه قال في قوله أو ما ملكت أيمانهن قال في القراءة الاولى أيمانكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أو ما ملكت أيمانهن من اماء المشركين كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل من أنه لما قال أو نسائهن عني بهن النساء المسلمات دون المشركات ثم قال أو ما ملكت أيمانهن من الاماء المشركات ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا حاجة به اليهن ولا يريدهن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال فهذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن فالزينة التي تبديها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها وأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانها لا تبديه الا لزوجها حدثنا

كمصباح في مشكاة والصحيح أنه لا حاجة اليه لان هذا تشبيه مركب ولهذا قال جار الله أراد صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة كصفة
مشكاة ومنها كون المصباح في زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقدا بدهن
الزيت فليس في الأدهان ما يدانيه في اللمعان والتطويس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو التابعين قال هو التابع يتبعك يصيب من طعامك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال الذي يريد الطعام ولا يريد النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال الذين لا يهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا اسمعيل بن موسى السدي قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد في قوله غير أولي الاربة قال الأبله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قوله غير أولي الاربة قال هو الأبله الذي لا يعرف شيأ من النساء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير أولي الاربة من الرجال الذي لا أرب له بالنساء مثل فلان حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عمن حدثه عن ابن عباس غير أولي الاربة قال هو الذي لا تستحي منه النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي غير أولي الاربة قال من تبع الرجل وحشمه الذي لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي غير أولي الاربة قال الذي لا أرب له في النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال المعتوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال هو الأحمق الذي لا همة له بالنساء ولا أرب * وبه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله غير أولي الاربة من الرجال يقول الاحمق الذي ليست له همة في النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الذي لا حاجة له في النساء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال هو الذي يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم وليس يتبعهم لاربة نسائهم وليس له في نسائهم اربة وانما يتبعهم لارفاقهم اياه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم فحجبوه حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال ثنا حفص بن عمر العدني قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله أو التابعين غير أولي الاربة قال هو المخنث الذي لا يقوم زبه واختلف القراء في قوله غير أولي الاربة فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض

• أهل

نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وأما الامام الغزالي رضي الله عنه فانه يقول المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فأولها القوة الحساسة التي هي أصل الروح الحيواني وتوجد للصبي بل لكل حيوان وأوفق مثال لها من عالم الأجسام المشكاة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيها القوة الخيالية التي تحفظ ما يورده الحواس مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التي فوقها عند الحاجة اليه وأنت لا تجد شيأ في عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها في الاصل جوهر كثيف ولكن صفي ورقق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلي الكثيف بدليل أن الشيء المتخيل ذو قدر وشكل وحيز ولكنه اذا صفي وهذب صار موازيا للمعاني العقلية ومؤديا لأنوارها ولذلك يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعاني كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وعمن يختم فروج الناس وأفواههم على أنه مؤذن يؤذن في رمضان قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر في تسمية النبي سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال وهي كالمقدمة للعقل فمثل أن المشكاة كالظرف للزجاجة التي هي كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات فمثالها مثال الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة ازدياد أنوار المعارف فبالحري أن لا تشبه الا بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو

مادة المصباح وله من سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذى لا تتناهى
ثمرته الى حد محدود أولى أن يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسب أن يقال لها لا شرقية
ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه (٩٧) نار نور على نور وأما الشيخ الرئيس أبو على بن سينا

أهل المدينة والكوفة غير أولى الاربة بنصب غير ولنصب غير ههنا وجهان أحدهما على القطع من التابعين لان التابعين معرفة وغير نكرة والآخر على الاستثناء وتوجيه غير الى معنى الا فكأنه قيل الا وقرأ غير من ذكرت بخفض غير على أنها نعت للتابعين وجاز نعت التابعين بغير والتابعون معرفة وغير نكرة لان التابعين معرفة غير مؤقتة فتأويل الكلام على هذه القراءة أو الذين هذه صفتهم والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما فى الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الخفض فى غير أقوى فى العربية فالقراءة به أعجب الى والاربة الفعلة من الارب مثل الجلسة من الجلوس والمشية من المشى وهى الحاجة يقال لا أرب لى فيك لا حاجة لى فيك وكذا أربت لكذا وكذا اذا احتجت اليه فأنا آرب له أربا فأما الأربة بضم الالف فالعقدة وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على عورات النساء قال لم يدروا ما ثم من الصغر قبل الحلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يجعلن فى أرجلهن من الحلى ما اذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أن امرأة اتخذت (١) مرسين من فضة واتخذت جزعا فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال كان فى أرجلهن خرز فكن اذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا يضربن بأرجلهن فهو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال ويكون فى رجلها خلاخل فتحركهن عند الرجال فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لانه من عمل الشيطان حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال هو الخلخال لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال الاجراس من حليهن يجعلنها فى أرجلهن فى مكان الخلاخل فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الاجراس وقوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون يقول تعالى ذكره وارجعوا أيها المؤمنون الى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه لعلكم تفلحون يقول

(١) كذا بدون نقط ولعله برتين والبرة الخلخال ولم نعثر عليه فى غير هذا الموضع فحرره

فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكاة هى العقل الهيولانى وهو الاستعداد المحض والزجاجة هى العقل بالملكة وهى قوة النفس حين حصل لها البديهيات وأمكن لها بواسطتها الترقى الى النظريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهى الشجرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهى الزيت ويسمى حدسا وان كان فى النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهى التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالفعل بحيث تقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته أن تكون المعقولات حاضرة عندها متمثلة لها كأنها تشاهدها وهى نور على نور ويسمى عقلا مستفادا أما الاول فلأن الملكة نور ومشاهدة تلك الملكة نور آخر وأما الثانى فلأن ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ أبو على أن المخرج من العقل الهيولانى الى الملكة ثم منها الى العقل التام هو العقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه فى الآية بالنار وعن مقاتل أنه قال مثل نوره أى مثل نور الايمان فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب

عبدالله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل المشكاة نظير ابراهيم عليه السلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد وعن أبى بن كعب أنه قرأ مثل نور من آمن به ورأيت فى كتب الشيعة عن على رضى الله عنه مرفوعا للقمر وجهان يضىء بهما أهل السموات والارضين وعلى الوجهين مكتوب أتدرون ما كتابته

فقالوا الله ورسوله أعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والأرض وعلى وجه الأرض محمد وعلى نور الارضين وقيل المشكاة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما فى قلبه من الدين والشجرة ابراهيم عليه السلام ويوقد من شجرته كقوله واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية أن ابراهيم لم يكن يصلى قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلى قبل الكعبة

لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه اذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ يقول تعالى ذكره وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم والايامى جمع أيم وانما جمع الأيم أيامى لانها فعيلة فى المعنى فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة يتامى ومنه قول جميل

أحب الأيامى اذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

ولو جمعت أيايم كان صوابا والأيم يوصف به الذكر والأنثى يقال رجل أيم وامرأة أيم وأيمة اذا لم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

ان يكونوا فقراء يقول ان يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وامائكم أهل فاقة وفقر فان الله يغنيهم من فضله فلا يمنعنكم فقرهم من انكاحهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم قال أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم فى ذلك الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن أبو الحسن وكان اسمعيل بن صبيح مولى هذا قال سمعت القاسم بن الوليد عن عبد الله بن مسعود قال التمسوا الغنى فى النكاح يقول الله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنكحوا الايامى منكم قال أيامى النساء اللاتى ليس لهن أزواج وقوله والله واسع عليم يقول جل ثناؤه والله واسع الفضل جواد بعطاياه فزوجوا اماءكم فان الله واسع يوسع عليهم من فضله ان كانوا فقراء عليم يقول هو ذو علم بالفقير منهم والغنى لا يخفى عليه حال خلقه فى شئ وتدبيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ يقول تعالى ذكره وليستعفف الذين لا يجدون ما ينكحون به النساء عن اتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش حتى يغنيهم الله من سعة فضله ويوسع عليهم من رزقه وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم يقول جل ثناؤه والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واختلف أهل العلم فى وجه مكاتبة الرجل عبده الذى قد علم فيه خيرا وهل قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب فقال بعضهم فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذى قد علم فيه خيرا اذا سأله العبد ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أواجب على اذا علمت مالا أن أكاتبه قال ما أراه الا واجبا وقالها عمرو بن دينار قال قلت لعطاء أتأثره عن أحد قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبنه حدثنى محمد بن

وهى ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضىء أن نور محمد يكاد يتبين للناس قبل أن يتكلم قاله كعب وقال الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحى ومن هنا قال عبد الله بن رواحة

لو لم يكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن نورى يعرف الحق قبل أن يتبين لموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم به ولهذا يزداد نورا على نور قال أبى بن كعب المؤمن بين أربع خلال أن أعطى شكر وان ابتلى صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو فى سائر الناس كالرجل الحى الذى يمشى بين أموات يتقلب فى خمس من النور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت أبا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت الاشاعرة فى قوله يهدى الله لنوره من يشاء اشارة الى أن هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفى ولا تنفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة أراد يهدى الله لطريق الجنة أو أراد بقوله من يشاء الذين بلغوا حد التكليف والهدى محمول على زيادات الألطاف التى هى ضد الخذلان ولهذا قال فى الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين الانصاف وجانب جانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذى يستوى عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وأكد ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعنى النبى والمكلفين من أمته قالوا انما ذكره فى معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد فى التأكيد بقوله والله بكل شئ

سعد

علم فعنيه تحذير لمن لا يتفكر ولا يعتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله (فى بيوت) اعترض أبو مسلم على قول من قال انه يتعلق بكمشكاة أو بتوقد
لان كون المشكاة فى بعض بيوت الله لا تزيد المصباح انارة واضاءة وأيضا الموصوف واحد فلا يكون الا فى مكان واحد وقوله فى بيوت
أمكنة متعددة ولا يصح أن يكون شئ واحد فى أمكنة متعددة فى حالة واحدة وكذا لو جعل فى بيوت صفة مصباح أو زجاجة أو

سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لا ينبغى لرجل اذا كان عنده المملوك الصالح الذى له المال يريد أن يكاتب أن لا يكاتبه * وقال آخرون ذلك غير واجب على السيد وانما قوله فكاتبوهم ندب من الله سادة العبيد الى كتابة من علم فيه منهم خير لا ايجاب ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك بن أنس الامر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه اذا سأله ذلك ولم أسمع بأحد من الائمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده وقد سمعت بعض أهل العلم اذا سئل عن ذلك فقيل له ان الله تبارك وتعالى يقول فى كتابه فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يتلو هاتين الآيتين واذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله قال مالك فانما ذلك أمر أذن الله فيه للناس وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحدا وقال الثورى اذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه فان شاء السيد أن يكاتبه كاتبه ولا يجبر السيد على ذلك حدثنى بذلك على عن زيد عنه وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ليس بواجب عليه أن يكاتبه انما هذا أمر أذن الله فيه ودليل وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال واجب على سيد العبد أن يكاتبه اذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك أن ظاهر قوله فكاتبوهم ظاهر أمر وأمر الله فرض الانتهاء اليه ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة على أنه ندب لما قد بينا من العلة فى كتابنا المسمى البيان عن أصول الاحكام وأما الخير الذى أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم اذا علموه فيهم فهو القدرة على الاحتراف والكسب لاداء ما كوتبوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الكريم الجزرى عن نافع عن ابن عمر أنه كره أن يكاتب مملوكه اذا لم تكن له حرفة قال تطعمنى أوساخ الناس حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أشهب قال سئل مالك بن أنس عن قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فقال انه ليقال الخير القوة على الاداء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن زيد عن أبيه قول الله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال الخير القوة على ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء وأداء وأمانة * قال ثنا ابن علية قال ثنا عبد الله عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وطاوس أنهما قالا فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قالا مالا وأمانة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال أداء وأمانة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة قال كان ابراهيم يقول فى هذه الآية فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء أو أحدهما حدثنا أبو بكر قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبى سليمن عن عطاء فى قوله فكاتبوهم

كوكب وأجيب بأن هذه صفة موضحة لا مميزة وذلك أن المشكاة تكون غالبا فى بيوت العبادة أو المشكاة التى فيها مصباح اذا كانت فى مثل هذه البيوت الرفيعة كانت أعظم وأكثر ضخامة فتكون فى باب التمثيل أدخل وعن الثانى أنه أريد بالمشكاة النوع لا الواحد كما لو قيل الذى يصلح لخدمتى رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلتزم بيته فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب أبو مسلم الى أنه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا أى الانبياء والمؤمنين الذين مضوا وكانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبأن الذين خلوا هم المكذبون والأكثرون على أن البيوت هى المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم أو البناء وعن عكرمة هى البيوت كلها ومعنى الرفع البناء وذكر اسم الله عام فى كل ذكر وعن ابن عباس أن يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغى والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وقيل للصلوات الخمس وقيل صلاتا الصبح والعصر وكانتا واجبتين فقط فى أول الاسلام فزيد فيهما وعن ابن عباس ان صلاة الضحى لفى كتاب الله وتلا هذه الآية والاولى العموم قيل خص الرجال بالذكر لانهم من أهل الجماعات دون النساء ويحتمل أن يقال لانهم أصل والنساء تبع واختلفوا فى (لا تلهيهم تجارة) فقيل نفى الالهاء لانه لا تجارة ولا بيع كقوله * ولا ترى الضب فيها ينجحر * وقيل أثبت التجارة والبيع وبين أنهم مع ذلك لا يشغلهم شئ عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين وعن الحسن أما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ وما الفرق بين التجارة والبيع قيل الأول عام لان صناعة التاجر قد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشراء وخص البيع لأن الربح فيه يقين

ان علمتم فيهم خيرا قال أداء ومالا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار أحسبه كل ذلك المال والصلاح حدثني على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان ان علمتم فيهم خيرا يعنى صدقا ووفاء وأمانة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمت فيه خير النفس يؤدى اليك ويصدقك ما حدثك فكاتبه * وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم لهم مالا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ان علمتم فيهم خيرا قال لهم مالا فكاتبوهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم لهم مالا كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زاذان عن عطاء بن أبى رباح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال ان علمتم عندهم مالا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى محمد بن عمرو اليافعى عن ابن جريج أن عطاء بن أبى رباح كان يقول ما راه الا المال يعنى قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ثم تلا كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا * وأولى هذه الأقوال فى معنى ذلك عندى قول من قال معناه فكاتبوهم ان علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة وذلك أن هذه المعانى هى الاسباب التى بمولى العبد الحاجة اليها اذا كاتب عبده مما يكون فى العبد فأما المال وان كان من الخير فانه لا يكون فى العبد وانما يكون عنده أوله لا فيه والله انما أوجب علينا مكاتبة العبد اذا علمنا فيه خيرا لا اذا علمنا عنده أوله فلذلك لم نقل ان الخير فى هذا الموضع معنى به المال وقوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول تعالى ذكره وأعطوهم من مال الله الذى أعطاكم ثم اختلف أهل التأويل فى المأمور باعطائه من مال الله الذى أعطاه من هو وفى المال أى الاموال هو فقال بعضهم الذى أمر الله باعطاء المكاتب من مال الله هو مولى العبد المكاتب ومال الله الذى أمر باعطائه منه هو مال الكتابة والقدر الذى أمر أن يعطيه منه الربع * وقال آخرون بل ما شاء من ذلك المولى ذكر من قال ذلك حدثني عمرو بن على قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع المكاتبة حدثنا الحسن بن عرفة

وفى الشراء مظنون فالبيع أدخل فى الالهاء وقيل أراد بالتجارة الشراء اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة لأهل الجلب يقال تجر فلان فى كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو أهله وقيل هو الصلاة ومن هنا قال ابن عباس أراد باقام الصلاة اتمامها لمواقيتها وبايتاء الزكاة طاعة الله (١٠٠) والاخلاص له والتاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت ثم حكى أن هؤلاء الرجال مع ما ذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من أهوال يوم القيامة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها والمراد تقلب أحوالهما فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد أن كانت عمياء عن النظر والاعتبار وكأنهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الضحاك ان القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائى يحتمل أن يراد تقلبها على جمر جهنم أو تغير ماهياتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما أنضج بالنار ومرة بهيئة ما أحرق وقيل ان القلوب تتقلب فى ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من أى ناحية يؤخذ بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أى جهة يعطون كتابهم أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل قوله (ليجزيهم) متعلق بما قبله لفظا أو معنى أى يسبحون ويخافون أو يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعمائة وأكثر وقيل أراد بالاحسن الحسنات أجمع وهى الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضى أراد بذلك أن تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فيصح أن الله تعالى يجزيهم بأحسن الاعمال وهذا مبنى على مذهبه فى الاحباط والموازنة ومعنى (ويزيدهم من فضله) كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قد مر تفسيره فى البقرة ونحن نزيد قال

قال ثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربى عن عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع الكتابة يحطها عنه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن عبد الاعلى عن أبى عبدالرحمن عن على رضى الله عنه فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من أول نجومه * قال أخبرنا ابن علية قال عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السلمى عن على فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال الربع من مكاتبته حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبدالملك بن أبى سليمن عن عبدالملك بن أعين قال كاتب أبو عبدالرحمن غلاما فى أربعة آلاف درهم ثم وضع له الربع ثم قال لولا أنى رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع ماوضعت لك شيأ حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبدالأعلى عن أبى عبدالرحمن السلمى أنه كاتب غلاما له على ألف ومائتين فترك الربع وأشهدنى فقال لى كان صديقك يفعل هذا يعنى عليا رضوان الله عليه يتأول وآتوهم من مال الله الذى آتاكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن عبدالملك قال ثنى فضالة بن أبى أمية عن أبيه قال كاتبنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستقرض لى من حفصة مائتى درهم قلت ألا تجعلها فى مكاتبتى قال انى لا أدرى أدرك ذاك أم لا * قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان بلغنى أنه كاتبه على مائة أوقية * قال ثنا سفيان عن عبدالملك قال ذكرت ذلك لعكرمة فقال هو قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم من مكاتبتهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبدالملك بن أبى سليمن عن عطاء فى قوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال مما أخرج الله لكم منهم حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال آتهم مما فى يديك حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنى أبى عن أسباط عن السدى عن أبيه قال كاتبتنى زينب بنت قيس بن مخرمة من بنى المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف فتركت لى ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا أبو مسعود الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال كاتبنى أبو أسيد على ثنتى عشرة مائة فجئته بها فأخذ منها ألفا ورد على مائتين حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال كان ابن عمر اذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان فى آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مخرمة عن أبيه عن نافع قال كاتب عبدالله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم

حال المؤمن أنه يكون فى الدنيا فى النور وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح وفى الآخرة يفوز بالنعيم المقيم والثواب العظيم أتبعه ببيان أن الكافر يكون فى الدنيا فى أنواع الظلمات وفى الآخرة فى أصناف الحسرات وضرب لكل من حاليه مثلا أما المثل الدال على خيبته فى الآخرة فذلك قوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) قال الأزهرى هو ما يتراءى (١٠١) للعين وقت الضحى الأكبر فى الفلوات شبيها بالماء الجارى كأنه يسرب على وجه الارض أى يذهب وأما الآل فهو ما يتراءى فى أول النهار وظاهر كلام الخليل أنه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوى من الارض وقال الفراء هى جمع قاع كجيرة فى جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه أن الكافر يأتى ببعض أعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحسرته فيشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى ما يحييه ويبقيه واذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحياة فاذا جاءه ولم يجد شيأ عظم غمه وطال حزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو أنه كيف قال جاءه فأثبت أنه شئ لان العدم لا يتصور المجئ اليه ثم قال لم يجده شيأ فنفى كونه شيأ والجواب أراد شيأ نافعا كما يقال فلان ما عمل شيأ وان كان قد اجتهد أو المراد جاء موضع السراب فلم يجد هنالك شيأ أو أراد أنه تخيل أولا ضبابا وهباء شبه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب منه رق وانتثر وصار هواء وهذا قول الحكماء قوله (ووجد الله) أى وجد عقاب الله أو زبانية الله يأخذونه فيصلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما يتصور من الراحة والنعيم قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين فى الجاهلية ثم كفر فى الاسلام وأما المثل الآخر فهو قوله (أو كظلمات) وقد يقال معنى أو أنه شبه أعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات أو الاول لاعمالهم الظاهرة والثانى لعقائدهم الفاسدة واللجى العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب

وكذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم والظاهر أن الجمع للتكثير وأن أنواع الضلالات والأباطيل اجتمعت فيه والضمير في أخرج للواقع في الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب أن يراها ونفي القرب من الرؤية أبلغ من نفي الرؤية نفسها وقدمر هذا البحث في

فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذي وضع له * قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك سمعت بعض أهل العلم يقول ان ذلك أن يكاتب الرجل غلامه ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمى قال مالك وذلك أحسن ما سمعت وعلى ذلك أهل العلم وعمل الناس عندنا

حدثني علي قال ثنا زيد قال ثنا سفيان أحب الي أن يعطيه الربع أو أقل منه شيئا وليس بواجب وان يفعل ذلك حسن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله ابن حبيب أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال هو ربع المكاتبة * وقال آخرون بل ذلك حض من الله أهل الاموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب قال فالرقاب التي جعل فيها أحد سهمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون قال واياه عنى جل ثناؤه بقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أي سهمهم من الصدقة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثني يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن ابن زيد عن أبيه قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يحث الله عليه يعطونه

حدثني يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال حث الناس عليه مولاه وغيره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يعطي مكاتبه وغيره حث الناس عليه

حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قال في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة يقول الله وفي الرقاب * قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال التي في الصدقات وقرأ قول الله انما الصدقات للفقراء والمساكين وقرأ حتى بلغ وفي الرقاب فأمر الله أن يوفوهم منه فليس ذلك من الكتابة قال وكان أبي يقول ماله وللكتابة هو من مال الله الذي فرض له فيه نصيبا * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني وهو قول من قال عني به ايتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة وانما قلنا ذلك أولى القولين لان قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر من الله تعالى ذكره بايتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الاموال وأمر الله فرض على عباده الانتهاء اليه مالم يخبرهم أن مراده الندب لما قد بينا في غير موضع من كتابنا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ندب ففرض واجب واذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين الا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الاغنياء منهم وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب فبين أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم هو ما فرض

البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الأشاعرة في قوله (ومن لم يجعل الله له نورا) دلالة على أن الهداية بتخليق الله تعالى وبجعله وحمله المعتزلة على منح الألطاف وقدمر أمثال ذلك مرارا ولما وصف أنوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد فقال مستفهما على سبيل التقرير (ألم تر أن الله يسبح له) وقدمر مثله في سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى (صافات) أنهن يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله عز وجل وعلى الأول فالضمير في صلاته وتسبيحه اما لكل أو لله والمعنى كل مسبح قد علم صلاته التي تليق بحاله أو صلاة الله التي كلفه اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما لكل والصلاة بمعنى الدعاء ولا يبعد أن يلهمهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء في حكاياتهن مذكور في خواص الحيوانات ولا سيما في كتاب عجائب المخلوقات ثم بين أن المبدأ منه والمعاد اليه فقال (ولله ملك السموات) الآية ثم ذكر دليلا آخر من الآثار العلوية قائلا (ألم تر أن الله يزجي سحابا) أي يسوقه بالرياح (ثم يؤلف بينه) أي بين أجزائه أي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا متراكما سادا للافق (فترى الودق) المطر أو القطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله (من السماء من جبال فيها من برد) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض على أن قوله من جبال مفعول ينزل والثالثة للبيان أو الأوليان للبيان والثالثة للتبعيض ومعناه أنه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقدمر في أول البقرة في قوله أو كصيب من السماء معنى البرد وأنه بخار يجمد

على

على الاغنياء فى أموالهم له من الصدقة المفروضة اذ كان لاحق فى أموالهم لاحد سواها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) يقول تعالى ذكره زوجوا الصالحين من عبادكم واماثكم ولا تكرهوا اماءكم على البغاء وهو الزنا ان أردن تحصنا يقول ان أردن تعففا عن الزنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يقول لتلتمسوا باكراهكم اياهن على الزنا عرض الحياة وذلك ماتعرض لهم اليه الحاجة من رياشها وزينتها وأموالها ومن يكرههن يقول ومن يكره فتياته على البغاء فان الله من بعد اكراهه اياهن على ذلك لهم غفور رحيم ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن وذكر أن هذه الآية أنزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الصباح قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول جاءت مسيكة لبعض الانصار فقالت ان سيدى يكرهنى على الزنا فنزلت فى ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كانت جارية لعبد الله بن أبى ابن سلول يقال لها مسيكة فآجرها أو أكرهها «الطبرى شك» فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فشكت ذلك اليه فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعنى بهن حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن الشعبى فى قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال رجل كانت له جارية تفجر فلما أسلمت نزلت هذه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير عن جابر قال جاءت جارية لبعض الانصار فقالت ان سيدى أكرهنى على البغاء فأنزل الله فى ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة قال أمة لعبد الله بن أبى أمرها فزنت فجاءت ببرد فقال لها ارجعى فازنى قالت والله لا أفعل ان يك هذا خيرا فقد استكثرت منه وان يك شرا فقد آن لى أن أدعه قال ابن جريج وقال مجاهد نحو ذلك وزاد قال البغاء الزنا والله غفور رحيم قال للمكرهات على الزنا وفيها نزلت هذه الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عبد الله بن أبى أسره وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة فكان القرشى الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان ابن أبى يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشى فيطلب فداء ولده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا قال الزهرى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن ما أكرهن عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

بعدما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين ان فى السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما خلق فى الارض جبالا من حجر وقال أهل المعنى السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله (فيصيب به) الى آخر الآية أنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء أو يهلك بالبرد من يشاء (١٠٣) أن يعذبه به ويعصم منه من يشاء أن يعصمه ويريهم ضياء البرق فى السحاب بحيث يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما فى الطول والقصر وفى كل ذلك معتبر لذوى الابصار والذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوس على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثالثا من عجائب خلق الحيوان فقال (والله خلق كل دابة من ماء) قال علماء المعانى التنكير فى ماء للتنويع أى خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا أن شموله على التقدير الثانى أكثر وانما عرف فى قوله وجعلنا من الماء كل شئ حى لانه قصد هنالك معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذى هو جنس الماء وعن القفال أن قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من ماء فهى مخلوقة لله تعالى واحترز بها عن الاعتراض الذى ذكرنا فى سورة الانبياء وهو أن بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل أو أراد بالدابة من يدب على وجه الارض ومسكنهم هنالك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش الا بالماء ثم بين أن أصلهم وان كان واحدا الا أن خلقتهم مختلفة (فمنهم من يمشى على بطنه) وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم كذا ومنهم كذا وفى ضمير العقلاء واطلاق لفظة من تغليب للعقلاء وسمى الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة أو الاستعارة نظيره قوله فلان لا يتمشى له أمر وقد يوجد من الدواب ذوات أرجل أزيد من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلاوات بل مثل الحيوان الذى له أربع وأربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما لم يذكرها سبحانه

لانها نادرة بالنسبة الى سائرهن ومن العقلاء من زعم أن أمثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشي على أربع فقط وقيل ان في قوله تعالى (يخلق الله ما يشاء) تنبيها على سائر الاقسام ولا ريب أن اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا أنا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله في خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات (١٠٤) (١) اما في جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كانت أجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له في غير هذا العضو كالسلحفاة فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك فله فلوس والقنفذ له شوك واما في كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين واما في الوضع كما أن يدي الفيل أقرب الى الصدر من يدي الفرس واما في الانفعال كما أن عين الخطاف لا تحير في الضوء وعين الخفاش تحير واما في سائر الاحوال وذلك أن من الحيوانات بريا وبحريا أو بريا فقط أو بحريا فقط ومن البحري ما يعتمد في السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على أرجله كالضفادع وكل من البري والبحري له أماكن مختلفة من البر والبحر فنها ماله مأوى معلوم كالروابي أو الحفر أو الشقوق أو الجحرة في البر أو كالقعر أو الشط أو الصخر أو الطين في البحر ومنها ما مأواه كيف اتفق الا أن يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيارة فنها ما يسبح في الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء أيضا وكل طائر فانه يمشي على رجلين وقد يصعب عليه المشي كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد أو غشاء وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكي ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التي تنازع على الطعم ومنها ما يتعايش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذي لا يمكنه أن يعيش وحده ويضاهيه النحل والنمل الا أن النمل لا رئيس لها ومنها آكل لحم ومنها لاقط حب ومنها آكل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو انسي بالطبع كالانسان وما هو انسي بالمولد كالهرة والغرانيق أو بالقهر كالفهد ومنه ما لا يأنس كالنمر أو يبطئ استئناسه كالأسد ومن

ان أردن تحصنا يقول ولا تكرهوا اماءكم على الزنا فان فعلتم فان الله سبحانه لهن غفور رحيم واثمهن على من أكرههن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى آخر الآية قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فقال الله لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة في الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن يعني اذا أكرهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا قال عبدالله بن أبي ابن سلول أمر أمة له بالزنا فجاءته بدينار أو ببرد شك أبو عاصم فأعطته فقال ارجعي فازني بآخر فقالت والله ما أنا براجعة فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا ففي هذا أنزلت هذه الآية حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال في حديثه أمر أمة له بالزنا فزنت فجاءته ببرد فأعطته فلم يشك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يقول على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن للمكرهات على الزنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور قال غفور رحيم لهن حين أكرهن وقسرن على ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كانوا يأمرون ولائدهم يباغين يفعلن ذلك فيصبن فيأتينهم بكسبهن فكانت لعبدالله بن أبي ابن سلول جارية فكانت تباغي فكرهت وحلفت أن لا تفعله فأكرهها أهلها فانطلقت فباغت ببرد أخضر فأتتهم به فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين) يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات يقول مفصلات الحق من الباطل وموضحات ذلك

* واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين مبينات بفتح الياء بمعنى مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم الى الحق والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذ فصلها وبينها صارت مبينة بنفسها الحق لمن التمسه من قبلها واذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها فبين الله ذلك فيها فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الأمم وموعظة لمن اتقى الله فخاف عقابه وخشي عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة

(١) حاصل ما يفهم مما كتب هنا ان الاختلاف في جوهر العضو له صورتان اما أن تكون أجزاؤه موجودة في الانسان أو لا فالاول كذنب الفرس والثاني كصدف السلحفاة

زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم) يعنى تعالى ذكره بقوله الله نور السموات والأرض هادى من فى السموات والأرض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الله نور السموات والأرض يقول الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض حدثنى سليمن بن عمر ابن خلدة الرقى قال ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الهى يقول نورى هداى * وقال آخرون بل معنى ذلك الله مدبر السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس فى قوله الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما * وقال آخرون بل عنى بذلك النور الضياء وقالوا معنى ذلك ضياء السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب فى قول الله الله نور السموات والأرض قال فبدأ بنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأنه عقيب قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فهديناكم بها وبينا لكم معالم دينكم بها لأنى هادى أهل السموات وأهل الأرض وترك وصل الكلام باللام وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء وفيه المعنى الذى ذكرت استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ثم ابتدأ فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التى أنزلها اليهم فقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح يقول مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل فى بيانه كمشكاة وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بالهاء فى قوله مثل نوره وعلام هى عائدة ومن ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر المؤمن وقالوا معنى الكلام مثل نور المؤمن الذى فى قلبه من الايمان والقرآن مثل مشكاة ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب فى قول الله مثل نوره قال ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره يقول مثل نور المؤمن قال وكان أبىّ يقرؤها كذلك مثل المؤمن قال هو المؤمن قد جعل الايمان والقرآن فى صدره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبىّ بن كعب الله نور السموات والارض مثل نوره قال بدأ بنور نفسه فذكره ثم قال مثل نوره يقول مثل نور من آمن به قال وكذلك كان يقرأ أبىّ قال هو عبد جعل الله القرآن والايمان فى صدره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء

الحيوان ما لا صوت له ومنه ما له صوت وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع أشد تصويتا حتى الانسان ومنه ما له شبق يسفد كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل ولود أذون وكل صموخ بيوض سوى الخفاش ومنه هادئ الطبع قليل الغضب كالبقر ومنه شديد الجهل حال الغضب كالخنزير البرى (١٠٥) ومنه حليم حمول كالابل ومنه محتال مكار كالثعلب ومنه غضوب سفيه الا أنه قلق متردد كالكلب ومنه شديد الكيس مستأنس كالقرد والفيل ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذى رآه وفى قوله (ان الله على كل شئ قدير) اشارة الى أن اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وأمثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل أراد أن يبين أحوال المكلفين وأن فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة وهى قوله (لقد أنزلنا آيات مبينات) وانما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لأن المقصود هنالك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطئة مقدمة لما يجىء عقيبه من حال أهل النفاق والوفاق وقوله (وما أولئك) اشارة الى الضمير فى المتولى وانما قال (بالمؤمنين) معرفا لأنه أراد أنهم ليسوا بالذين عرفت محقا عنهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل أن يكون أولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا وأطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والنقض فان الحكم الكلى قلما يخلو عن منع ولمثل هذا قال فى الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل أنه حكم أولا على بعضهم بالتولى ثم صرح آخرا بأن الايمان منتف عن جميعهم

ويجوز أن يراد بالفريق المتولى رؤساء النفاق وقيل أراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى الباقين . قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك أعجبنى زيد وكرمه أما سبب نزول الآية فعن مقاتل أنها فى بشر من المنافقين كما سبق فى سورة النساء فى قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت فى المغيرة

ابن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فدفع الى علي منها مالا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فأبى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي قوله (يأتوا اليه) الجار صلة أي فانه قد يعدى بالى

ابن السائب عن سعيد بن جبير مثل نوره قال مثل نور المؤمن حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قوله مثل نوره قال نور المؤمن * وقال آخرون بل عني بالنور محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الهاء التي في قوله مثل نوره عائدة على اسم الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قول الله عز وجل الله نور السموات والأرض الآية فقال كعب الله نور السموات والأرض مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير في قوله مثل نوره قال محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عني بذلك هدى الله وبيانه وهو القرآن قالوا والهاء من ذكر الله قالوا ومعنى الكلام الله هادي أهل السموات والارض بآياته المبينات وهي النور الذي استنار به السموات والارض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه ووعظهم بها في قلوب المؤمنين كمشكاة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مثل نوره قال مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره ونوره الذي ذكر القرآن ومثله الذي ضرب له * وقال آخرون بل معنى ذلك مثل نور الله وقالوا يعني بالنور الطاعة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها أنوارا شتى وقوله كمشكاة اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك وبالزجاجة فقال بعضهم المشكاة كل كوة لا منفذ لها وقالوا هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله مثل نوره كمشكاة قال المشكاة وهي الكوة ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زجاجة الزجاجة صدره الزجاجة كأنها كوكب دري شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح الى قلبه فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب يكاد زيتها يضيء يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور حدثني علي قال ثنا

قال جار الله والأحسن أن يتصل بمذعنين ليفيد الاختصاص أي لا يتحاكمون اذا عرفوا أن الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا أنها متغايرة في الاعتبار فصحت القسمة ثم بين بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أنهم لا يخافون حيفه لانهم عارفون أمانته ولكن الظلم مركوز في جبلتهم وأنهم لا يستطيعون الظلم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يأبون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم ۞ التأويل للآية تأويلان أحدهما من عالم الآفاق والآخر من عالم الانفس أما الاول فالمشكاة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير راقية الى شرق الأزل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للأبد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء أي يظهر من العدم الى عالم الصورة المتولدة بالازدواج عالم الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالأول نور الصفة الرحمانية والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى أن فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى وأما التأويل الثاني فالمشكاة الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة الروحانية التي خلقت للبقاء كما مر والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب

والنار نار التجلي والهداية في الازل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد وتخرج أشعتها من روزنة الحواس فتستضيء أرض البشرية كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت هي للقلوب أذن الله أمر وأراد أن ترفع درجاتها من بين (١٠٧) سائر الارواح والنفوس الى أن تسع الله كما قال

وانما يسعني قلب عبدي المؤمن يروى أنه أوحى الى داود عليه السلام فرغ لي بيتا أسكن فيه فقال رب أنت منزه عن البيوت فقال فرغ لي قلبك ولن يتأتى هذا الرفع الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لا تلهيهم تجارة هي الفوز بدرجات الجنات كما قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله فاستبشروا ببيعكم وفيه أن الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الآخرة فيكون بحيث لا يتصرف فيه ما سوى الله وحينئذ يصلي صلاة الوصال ويفيض على المستعدين زكاة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه القلوب والابصار البصائر لأنها بيد الله يقلبها كيف يشاء أو كظلمات في بحر لجي هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفي اذا أخرج يد سعيه واجتهاده لم يكد يراها أي طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا أي لم يصبه رشاش النور الالهي في الازل يزجي سحاب المعاصي المتفرقة الى أن تتراكم فترى والودق هو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتباه ربه ينزل من سماء القلب من جبال من قساوة فيهما من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولى الابصار أصحاب البصائر الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذي روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله روحي فمنهم من يمشي أن تكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من يمشي على رجلين أي يضيع عمره في مشتهيات الفرج لأن الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد

عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كمشكاة يقول موضع الفتيلة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض الى كمشكاة قال المشكاة كوة البيت * وقال آخرون عني بالمشكاة صدر المؤمن وبالمصباح القرآن والايمان وبالزجاجة قلبه ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال مثل المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره كمشكاة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال والمصباح القرآن والايمان الذي جعل في صدره المصباح في زجاجة قال والزجاجة قلبه الزجاجة كأنها كوكب دري توقد قال فمثله مما استنار فيه القرآن والايمان كأنه كوكب دري يقول مضيء توقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له لا شرقية ولا غربية قال فمثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير وقد ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان أعطي شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة في الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني يحيى بن اليمان عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال المشكاة صدر المؤمن فيها مصباح قال القرآن * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب نحو حديث عبد الأعلى عن عبيد الله حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره كمشكاة قال مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كما قال ابراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة قال هذا ربي حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمشكاة كوة البيت فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري والمصباح السراج يكون في الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية قال هي شجرة لا يفيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى الزيت يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال معمر وقال الحسن ليست من شجر الدنيا ليست شرقية ولا غربية * وقال آخرون

على رجلين وان كان من ذوات الاربع ومنهم من يمشى على أربع هم أصحاب المناصب يركبون الدواب البتة أفى قلوبهم مرض انحراف فى
الفطرة أم ارتابوا بتشكيك أهل البدع والاهواء أم يخافون الحيف حين أمروا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية واليه المآب
(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله (١٠٨) ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله

هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده والمشكاة مثل لجوفه ذكر من قال ذلك حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس جميعا
المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه المصباح مثل الفؤاد والكوة مثل الجوف قال ابن جريج
كمشكاة كوة غير نافذة قال ابن جريج وقال ابن عباس قوله نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله
* وقال آخرون بل ذلك مثل للقرآن فى قلب المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب
قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
قال كمكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله الله نور السموات والارض مثل نوره نور القرآن
الذى أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة فقرأ
حتى بلغ مباركة فهذا مثل القرآن يستضاء به فى نوره ويعلمونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص
فهذا مثل ضربه الله لنوره وفى قوله يكاد زيتها يضىء قال الضوء اشراق ذلك الزيت والمشكاة
التى فيها الفتيلة التى فى المصباح والقناديل تلك المصابيح حدثنا محمد بن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن سعيد بن عياض فى قوله كمشكاة قال الكوة
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية فى قوله كمشكاة قال قال ابن
عمر المشكاة الكوة * وقال آخرون المشكاة القنديل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كمشكاة قال
القنديل ثم العمود الذى فيه القنديل حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد كمشكاة الصفر الذى فى جوف القنديل حدثنى اسحق بن شاهين
قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن رجل عن مجاهد قال المشكاة القنديل * وقال آخرون
المشكاة الحديد الذى يعلق به القنديل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا
محمد بن المفضل قال ثنا هشيم قال ثنا داود بن أبى هند عن مجاهد قال المشكاة الحدائد
التى يعلق بها القنديل * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن
فى قلب أهل الايمان به فقال مثل نور الله الذى أنار به لعباده سبيل الرشاد الذى أنزله اليهم فآمنوا
به وصدقوا بما فيه فى قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهى عمود القنديل الذى فيه الفتيلة وذلك
هو نظير الكوة التى تكون فى الحيطان التى لا منفذ لها وانما جعل ذلك العمود مشكاة لانه غير
نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التى فى الحائط التى لا تنفذ ثم قال فيها مصباح وهو
السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما فى قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ثم
قال المصباح فى زجاجة يعنى أن السراج الذى فى المشكاة فى القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل
للقرآن يقول القرآن الذى فى قلب المؤمن الذى أنار الله قلبه فى صدره ثم مثل الصدر فى خلوصه
من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها
بالكوكب الدرى فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذى فيه قلبه كأنها كوكب درى واختلفت

ورسوله ويخش الله ويتقه
فأولئك هم الفائزون وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم
ليخرجن قل لا تقسموا طاعة
معروفة ان الله خبير بما تعملون
قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على
الرسول الا البلاغ المبين وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم أمنا يعبدوننى
لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد
ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا
الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن
الذين كفروا معجزين فى الارض
ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها
الذين آمنوا ليستأذنكم الذين
ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا
الحلم منكم ثلاث مرات من قبل
صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء
ثلاث عورات لكم ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك
يبين الله لكم الآيات والله عليم
حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من
قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته
والله عليم حكيم والقواعد من
النساء اللاتى لا يرجون نكاحا
فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على
الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو
بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو

القراء

صديقكم ط ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين
يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم (١٠٩) فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله
غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم لواذا
فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن
تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم
ألا ان لله ما في السموات والارض
قد يعلم ما أنتم عليه ويوم
يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا
والله بكل شئ عليم ﴾ ۞ القراآت
ويتقه بكسر القاف واختلاس
الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير
زيد وأبو عمرو طريق الهاشمي
بكسر القاف وسكون الهاء على
أنها للسكت أبو عمرو غير عباس
وخلاد ورجاء ويحيى وحماد
وهبيرة من طريق الخراز وابن
مجاهد عن ابن ذكوان باسكان
القاف وكسر الهاء حفص غير
الخراز ووجهه أنه شبه تقه بكتف
فخفف وعلى هذا فالهاء ضمير فاعل
تحريك هاء السكت ضعيف
الباقون ويتقهي بالاشباع فان
تولوا باظهار النون وتشديد التاء
البزي وابن فليح كما استخلف مجهولا
أبو بكر وعمار وليبدلنهم خفيفا
ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو
بكر وحماد لا يحسبن على الغيبة
ابن عامر وحمزة ثلاث عورات
بالنصب حمزة وعلى وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل الآخرون
بالرفع لبعض شأنهم باسكان الضاد
وتشديد الشين شجاع وأبو شعيب
وحمله على الاخفاء أولى منه على
الادغام يرجعون مبنيا للفاعل
عباس ويعقوب ۞ الوقوف وأطعنا ط المفلحون ○ الفائزون ○ لنخرجن ط لا تقسموا ج لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة
ط تعملون ○ ما الرسول ج للشرط مع الفاء ما حملتم ط تهتدوا ط المبين ○ من قبلهم ص أمنا ط بناء على أن ما بعده مستأنف شيأ ط
فاسقون ○ ترحمون ○ في الارض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ○ مرات ط أي هي كذا وكذا المشايخ عبد

القراء في قراءة قوله درى فقرأته عامة قراء الحجاز درى بضم الدال وترك الهمز وقرأه بعض قراء
البصرة والكوفة درىء بكسر الدال وهمزة وقرأ بعض قراء الكوفة دوىء بضم الدال وهمزة وكأن
الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه الى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم من أن الزجاجة
في صفائها وحسنها كالدر وأنها منسوبة اليه لذلك من نعتها وصفتها ووجه الذين قرؤا ذلك بكسر
داله وهمزه الى أنه فعيل من درئ الكوكب أي دفع ورجم به الشيطان من قوله ويدرأ عنها العذاب
أي يدفع والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدرارى بغير همز وكان بعض
أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول هي الدرارئ بالهمز من يدرأن وأما الذين قرؤه بضم
داله وهمزه فان كانوا أرادوا به درو مثل سبوح وقدوس من درأت ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه
فصرفوا بعضها الى الكسرة فقالوا درىء كما قيل وقد بلغت من الكبر عتيا وهو فعول من عتوت
عتوا ثم حولت بعض ضماتها الى الكسر فقيل عتيا فهو مذهب والا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك
كذلك وجها وذلك أنه لا يعرف في كلام العرب فعيل وقد كان بعض أهل العربية يقول هو لحن
والذي هو أولى القراآت عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه درى بضم داله وترك همزه على
النسبة الى الدر لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاؤا وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل ففي ذلك مكتفى عن
الاستشهاد على صحتها بغيره فتأويل الكلام الزجاجة وهي صدر المؤمن كأنها يعني كأن الزجاجة
وذلك مثل لصدر المؤمن كوكب يقول في صفائها وضيائها وحسنها وانما يصف صدره بالنقاء من
كل ريب وشك في أسباب الايمان بالله وبعده من دنس المعاصي كالكوكب الذي يشبه الدر في
الصفاء والضياء والحسن واختلفوا أيضا في قراءة قوله توقد من شجرة مباركة فقرأ ذلك بعض
المكيين والمدنيين وبعض البصريين توقد من شجرة بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال
وكأنهم وجهوا معنى ذلك الى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد
بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة
قراء الكوفة توقد بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد الزجاجة موقدها من شجرة
مباركة لما لم يسم فاعله فقيل توقد وقرأه بعض أهل مكة توقد بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال
بمعنى تتوقد الزجاجة من شجرة ثم أسقطت احدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة وهذه
القراآت متقاربات المعاني وان اختلفت الالفاظ بها وذلك أن الزجاجة اذا وصفت بالتوقد أو بأنها
توقد فمعلوم معنى ذلك وان المراد به توقد فيها المصباح أو يوقد فيها المصباح ولكن وجهوا الخبر الى أن
وصفها بذلك أقرب به في الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه فاذا كان ذلك كذلك فبأي
القراآت قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراآت الى أن أقرأ بها في ذلك توقد بفتح التاء وتشديد
القاف وفتح الدال بمعنى وصف المصباح بالتوقد لان التوقد والاتقاد لا شك أنهما من صفته دون
الزجاجة فمعنى الكلام اذن كمشكاة فيها مصباح المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى ونذكر باقي
ما حضرنا مما لم نذكره قبل فقال بعضهم انما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية أي ليست شرقية

وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت وانما لها نصيب من الشمس بالغداة مادامت بالجانب الذى يلى الشرق ثم لا يكون لها نصيب منها اذا مالت الى جانب الغرب ولا هى غربية وحدها فتصيبها الشمس بالعشى اذا مالت الى جانب الغرب ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشى قالوا واذا كانت كذلك كان أجود لزيتها ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يسترها من الشمس جبل ولا واد اذا طلعت واذا غربت حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله لا شرقية ولا غربية قال الشجرة تكون فى مكان لا يسترها من الشمس شئ تطلع عليها وتغرب عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس لا شرقية ولا غربية قال هى التى بشق الجبل التى يصيبها شروق الشمس وغروبها اذا طلعت أصابتها واذا غربت أصابتها * وقال آخرون بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس لا شرقية ولا غربية قال هى شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية متيامنة الشام لا شرقى ولا غربى * وقال آخرون ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله لا شرقية ولا غربية قال والله لو كانت فى الارض لكانت شرقية أو غربية ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان يعنى ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لو كانت فى الارض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية ولكن والله ماهى فى الارض وانما هو مثل ضربه الله لنوره حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله لا شرقية ولا غربية قال هذا مثل ضربه الله ولو كانت هذه الشجرة فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية * وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال انها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشى دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهى شرقية غربية وانما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام لان الله انما وصف الزيت الذى يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة واذا كان شجره شرقيا غربيا كان زيته لا شك أجود وأصفى وأضوأ وقوله يكاد زيتها يضىء يقول تعالى ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضىء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول فكيف اذا مسته النار وانما أريد بقوله توقد من شجرة مباركة أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذى توقد من الشجرة المباركة التى وصفها جل ثناؤه فى هذه الآية وعنى بقوله يكاد زيتها يضىء أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضىء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها ولو لم تمسسه نار يقول ولو لم يزدها الله بيانا

ووضوحها

من قرأ ثلاث عورات بالرفع أى هو ثلاث لكم ط بعدهن ط أى هم طوافون على بعض ص الآيات ط حكيم ○ من قبلهم ط آياته ط حكيم ○ ط بزينة ط لهن ط عليم ○ صديقكم ط أشتاتا ط بناء على أن ما بعده استئناف حكم طيبة ط للعدول من المخاطبة الى الغيبة تعقلون ○ يستأذنوه ط ورسوله ط (١١٠) للشرط مع الفاء لهم الله ط رحيم ○ بعضا ط لواذا ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب أليم ○ والارض ط عليه ط فصلا بين حال وحال مع العدول من المخاطبة الى الغيبة بما عملوا ○ عليم ○

التفسير لما حكى سيرة المنافقين وما قالوه وفعلوه أتبعه ذكر ما كان يجب أن يفعلوه وما يجب أن يسلكه المؤمنون من طريق الأخلاق وعن الحسن أنه قرأ قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وهى النصب أقوى قال جار الله لأن أولى الاسمين بكونه اسما أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية وأن يقولوا يشبه المضمر كما بينا فى الأنعام فى قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فلا سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح واستقام أى لا ينبغى أن يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن عباس ومن يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل من عمره فأولئك هم الفائزون وهذه آية جامعة لأسباب الفوز وفقنا الله تعالى للعمل بها ثم حكى عن المنافقين أنهم يريدون أن يؤكدوا أساس الايمان بالأيمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين وكانوا يقولون والله ان أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فنهوا عن هذه الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر والخديعة والإفن حلف على فعل البر لا يجوز أن ينهى عنه وقوله (طاعة معروفة) مبتدأ محذوف الخبر أى طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة أو خبر محذوف المبتدأ أى أمركم الذى يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين أو طاعتكم طاعة

معروفة بأنها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى (فان تولوا) فان تتولوا فحذف احدى التاءين وما حمل الرسول هو أداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ أيها (١١١) الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفى الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال فى جوابه (ليستخلفنهم) أو القسم محذوف أى أقسم ليجعلنكم خلفاء فى الارض كما فعل ببنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد اهلاك الجبابرة (وليمكنن) لاجلهم الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشادة قواعده كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا اخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل (يعبدوننى) نصب على الحال أى وعدهم ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال مالهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وعلى الوجهين فقوله (لا يشركون) بدل من يعبدوننى أو بيان لها وفيه دليل على أن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والاخلاص له (ومن كفر) بهذه النعم الجسام وهى الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر (فأولئك هم الكاملون) فى الفسق قال أهل السنة فى الآية دلالة على امامة الخلفاء الراشدين لان قوله (منكم) للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين فى وقت الخطاب ومعلوم أن الأئمة الاربعة كانوا من أهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح فوجب أن يكونوا مرادين من الآية واعترض بأن قوله منكم لا يجوز أن يكون للبيان ولم لا يجوز أن يراد بالاستخلاف فى الارض هو امكان التصرف والتوطن

و وضوحا بانزاله هذا القرآن اليهم منبها لهم على توحيده فكيف اذ أنبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة الى حججه عليهم قبل ذلك فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وقوله نور على نور يعنى النار على هذا الزيت الذى كاد يضىء ولو لم تمسسه النار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نور على نور قال النار على الزيت « قال أبو جعفر » وهو عندى كما ذكرت مثل القرآن ويعنى بقوله نور على نور هذا القرآن نور من عند الله أنزله الى خلقه يستضيئون به على نور على الحجج والبيان الذى قد نصبه لهم قبل مجىء القرآن وانزاله اياه مما يدل على حقيقة وحدانيته فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وذكر عن زيد بن أسلم فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قوله نور على نور يضىء بعضه بعضا يعنى القرآن وقوله يهدى الله لنوره من يشاء يقول تعالى ذكره يوفق الله لاتباع نوره وهو هذا القرآن من يشاء من عباده وقوله ويضرب الله الامثال للناس يقول ويمثل الله الامثال والاشباه للناس كما مثل لهم مثل هذا القرآن فى قلب المؤمن بالمصباح فى المشكاة وسائر ما فى هذه الآية من الامثال والله بكل شىء عليم يقول والله بضرب الامثال وغيرها من الاشياء كلها ذو علم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فى بيوت أذن الله أن ترفع الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المشكاة التى فيها الفتيلة التى فيها المصباح قال المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع « قال أبو جعفر » قد يحتمل أن تكون فى من صلة توقد فيكون المعنى توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع وعنى بالبيوت المساجد وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قالا ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع وهى المساجد تكرم ونهى عن اللغو فيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع يعنى كل مسجد يصلى فيه جامع أو غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال مساجد تبنى حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا

فيها كما في حق بني اسرائيل سلمنا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة على عليه السلام والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الاحد عشر بعده وقيل ان في قوله (ومن كفر بعد ذلك) اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا (وأقيموا الصلاة) معطوف (١١٢) على أطيعوا وليس ببدع أن يقع بين المعطوفين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتأكيد من قرأ لا يحسبن على الغيبة فمفعولاه معجزين في الارض أي لا يحسبن الكفرة أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوهم في مثل ذلك وفاعله ضمير النبي أو المفعول الاول محذوف لأنه هو الفاعل بعينه أي لا يحسبن الكفار أنفسهم معجزين والمراد بهم الذين أقسموا أو عام قوله (ومأواهم) قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأواهم النار وحين ذكر من دلائل التوحيد وأحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الأصلي من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستئذان فذكر ههنا على وجه أخصر فقال (ليستأذنكم) قال القاضي هذا الخطاب للرجال ظاهرا ولكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين الرازي يثبت للنساء بقياس جلي لأنهن في باب حفظ العورة أشد حالا من الرجال وظاهر قوله (الذين ملكت أيمانكم) يشمل البالغين والصغار والأمر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتأديب كما يؤمرون بالصلاة لسبع أو هو تكليف لنا لما فيه من المصلحة لتناولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفك أهلك وولدك فظاهره الامر لهم وحقيقة الامر له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس أن المراد الصغار

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال في المساجد * قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد بيوت الله وانه حق على الله أن يكرم من زاره فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سالم بن عمر في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال هي المساجد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد * وقال آخرون عنى بذلك البيوت كلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد ونصر ابن عبد الرحمن الأودى قالا حدثنا حكام بن سلم عن اسمعيل بن أبي خالد عن عكرمة في بيوت أذن الله أن ترفع قال هي البيوت كلها وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لدلالة قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله على أنها بيوت بنيت للصلاة فلذلك قلنا هي المساجد واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أذن الله أن ترفع فقال بعضهم معناه أذن الله أن تبنى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أذن الله أن ترفع قال تبنى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه أذن الله أن تعظم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله أذن الله أن ترفع يقول أن تعظم لذكره وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد وهو أن معناه أذن الله أن ترفع بناء كما قال جل ثناؤه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية وقوله ويذكر فيها اسمه يقول وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها وقد قيل عنى به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال ويذكر فيها اسمه يقول يتلى فيها كتابه وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه فلذلك اخترنا القول به وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اختلفت القراء في قراءة قوله يسبح له فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يسبح له بضم الياء وكسر الباء بمعنى يصلي له فيها رجال ويجعل يسبح فعلا للرجال وخبرا عنهم وترفع به الرجال سوى عاصم وابن عامر فانهما قرآ ذلك يسبح له بضم الياء وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمر كأنهما أرادا يسبح الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع فسبح له رجال فرفعا الرجال بفعل مضمر والقراءة التي هي أولاهما بالصواب قراءة من كسر الباء وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم وانما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم الا بقوله يسبح له فيها فأما والخبر عنها دون ذلك تام فلا وجه لتوجيه قوله يسبح له الى غيره (١) فالى غير الخبر عن الرجال وعنى بقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يصلي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من

(١) لعله أي غير الخ تأمل كتبه مصححه

قال وليس للكبار أن ينظروا الى ما لكهم الا الى ما يجوز للحر أن ينظر اليه ثم انه هل يشمل الإماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لأن الانسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله فقد يكره أيضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن

قال ذلك حدثني علي بن الحسن الازدي قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل تسبيح في القرآن فهو صلاة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال يسبح له فيها بالغدو والآصال يقول يصلي له فيها بالغداة والعشي يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما ويذكر بهما عباده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أذن الله أن تبنى فيصلي فيها بالغدو والآصال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة المفروضة وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول تعالى ذكره لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد التي أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها واقام الصلاة تجارة ولا بيع كما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله والابصار قال هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم لا تلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله أنه نظر الى قوم من السوق قاموا وتركوا بياعاتهم الى الصلاة فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن سيار عمن حدثه عن ابن مسعود بنحو ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن سيار قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة تركوا بياعاتهم ونهضوا الى الصلاة فقال عبد الله هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * وقال بعضهم معنى ذلك لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن صلاتهم المفروضة عليهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وقوله واقام الصلاة يقول ولا يشغلهم ذلك أيضا عن اقام الصلاة بحدودها في أوقاتها * وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد قال ثنا عوف عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي عوف اسمه في واقام الصلاة قال يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة فان قال قائل أوليس قوله واقام الصلاة مصدرا من قوله أقمت قيل بلى فان قال أوليس المصدر منه اقامة كالمصدر من أجرت اجارة قيل بلى فان قال وكيف قال واقام الصلاة أو تجيز أن تقول أقمت اقاما قيل ولكني أجيز أعجبني اقام الصلاة فان قيل وما وجه جواز ذلك قيل ان الحكم في أقمت اذا جعل منه مصدر أن يقال اقواما كما يقال أقعدت فلانا اقعادا وأعطيته اعطاء ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة والميم وهي ساكنة بنوا المصدر على ذلك اذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الافعال وهي ساكنة فسقطت الاولى منهما فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف

وأنى لآمر جارتي أن تستأذن علي أو لها امرأته وكان ابن عباس ينام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال للوجوب ومن هؤلاء من قال إنه ناسخ لقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن ذلك يدل على أن الاستئذان واجب في كل حال وهذا يدل على وجوبه في الأوقات الثلاثة فقط ومنع لزوم النسخ بأن الأولى في المكلفين وهذه في غير المكلفين قالوا الذين ملكت أيمانكم يشمل البالغ قلنا لو سلم فلا نسخ أيضا لأن قوله غير بيوتكم لا يشمل العبد لأن الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لا يملك شيئا فلا يملك البيت أمر المالك والأطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله (منكم) أن يستأذنوا ثلاث مرات في اليوم والليلة احداها قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب النوم وثانيتها عند الظهيرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحر وظهوره فحينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثها بعد صلاة العشاء يعني الآخرة لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستئذان في هذه الأوقات فقال (ثلاث عورات) فمن قرأ ثلاث بالرفع فظاهر كما مر في الوقوف ومن قرأ بالنصب فقد قال في الكشاف انه بدل من ثلاث مرات أي أوقات ثلاث عورات قلت هذا بناء على أن قوله ثلاث مرات ظرف ويجوز أن يكون ثلاث مرات مصدرا بمعنى ثلاثة استئذانات ويكون ثلاث عورات تفسيرا وبيانا للاوقات الثلاثة لأنها منصوبة تقديرا وأصل العورة الخلل ومنه الاعور المختل العين وأعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب وأعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جار الله اذا رفعت ثلاث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف أي هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله (طوافون عليكم) أي هم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعني أن بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع

(بعضكم) بالابتداء وخبره (على بعض) أو بالفاعلية أي بعضكم طائف أو يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوافون وفي الآية دلالة على وجوب اعتبار العلل في الأحكام ما أمكن يروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم

وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ثم بين حكم الأطفال الأحرار بعد البلوغ وهو أن لا يكون لهم الدخول إلا بإذن في جميع الأوقات ومعنى (الذين من قبلهم) الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا على أنه إذا احتلم كان بالغا وأما إذا لم يحتلم فعند عامة العلماء وعليه الشافعي أنه إذا بلغ خمس عشرة سنة فهو بالغ حكما لما روى أن ابن عمر عرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يجيزه وكان له أقل من خمس عشرة سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن خمس عشرة سنة فأجازه وعن بعض السلف ويروى عن علي عليه السلام أيضا أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة الأشبار وعليه يحمل قول الفرزدق

ما زال مذ عقدت يداه إزاره
فسما وأدرك خمسة الأشبار

وإنبات العانة غير معتبر إلا في حق الأطفال الكفار وقد مر في أول سورة النساء وإنما ختم هذه الآية بقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) وقبلها وبعدها لكم الآيات لأنهما يشتملان على علامات يمكن الوقوف عليها وهي في الأولى الأوقات الثلاثة وفي الآخرة من بيوتكم أو بيوت آبائكم إلى آخرها ومثلهما في قوله يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات يعني حد الزانيين وحد القاذف وأما بلوغ الأطفال فلم يذكر لها علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالإضافة إلى نفسه (والله عليم) بمصالح العباد (حكيم) في أوامره ونواهيه ثم بين حكم

كالتكثير للحرف كما فعلوا ذلك في قولهم وعدته عدة ووزنته زنة إذ ذهبت الواو من أوله كثر من آخره بالهاء فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة حذفوا الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير وهي الهاء في آخرها لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف إليه من الحرف الزائد وقد قال بعضهم في نظير ذلك

إن الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا

يريد عدة الأمر فأسقط الهاء من العدة لما أضافها فكذلك ذلك في إقام الصلاة وقوله وإيتاء الزكاة قيل معناه وإخلاص الطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقوله وحنانا من لدنا وزكاة ونحو هذا في القرآن قال يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار يقول يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك والأبصار أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الله بن عياش قال زيد بن أسلم في قول الله في بيوت أذن الله أن ترفع إلى قوله تتقلب فيه القلوب والأبصار يوم القيامة وقوله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يقول فعلوا ذلك يعني أنهم لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كي يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله فيفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يقول تعالى ذكره يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته مما لم يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به فقال والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها كسراب يقول مثل سراب والسراب ما لصق بالأرض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض وذلك يكون أول النهار يرفع كل شيء ضحى وقوله بقيعة وهي جمع قاع كالجيرة جمع جار والقاع ما انبسط من الأرض واتسع وفيه يكون السراب وقوله يحسبه الظمآن ماء يقول يظن العطشان من الناس السراب ماء حتى إذا جاءه والهاء من ذكر السراب والمعنى حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يجده شيئا يقول لم يجد السراب شيئا فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيئا لأنه كان

عمله

النساء اللواتي خرجن عن محل الفتنة والتهمة فقال (والقواعد) وهي جمع قاعد بغير هاء كالحائض والطالق وقد زعم صاحب الكشاف أنها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لانه من أوصاف النساء الخاصة بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك أكد بقوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليس من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا تهمة أنه لا يحل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع شئ من الثياب الظاهرة وانما أبيح وضع الثياب حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أي غير مظهرات شيأ من الزين الخفية المذكورة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها لا يغيب منه شئ واختص التبرج في الاستعمال بتكشف المرأة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الافضل في كل باب فقال (وأن يستعففن خير لهن) وذلك أنهن في الجملة مظنة شهوة وفتنة وان عرض عارض الكبر والنصول فلكل ساقطة لاقطة وسئل بعض الظرفاء المذكورين عن حكمة تستر النساء فقال لانهن محل فتنة وشهوة فقيل فعلى هذا كان ينبغي أن لا يحسن تكليف العجائز بالتستر فأجاب بأنه كان يلزم اذ ذاك مصيبتان احداهما عدم رؤية الحسان والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة بسائر الصور التي يعتبر فيها الاذن فقال (ليس على الاعمى حرج) نفي الحرج عن الاصناف الثلاثة ذوي العاهات ثم قال (ولا على أنفسكم أن تأكلوا) فذهب ابن زيد الى أن المراد نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك أنه لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت

عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليها منه فان قال قائل وكيف قيل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فان لم يكن السراب شيأ فعلام أدخلت الهاء في قوله حتى اذا جاءه قيل انه شئ يرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد والهباء فاذا قرب منه المرء رق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى اذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيأ فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه والله سريع الحساب يقول والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج الى عقد أصابع ولا حفظ بقلب ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله * وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ثم ضرب مثلا آخر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قال وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد فيدخله النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أعمالهم كسراب بقيعة يقول الأرض المستوية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى قوله والله سريع الحساب قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبه وظن أنه قد قدر عليه حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيأ وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ ولا يكون آتيا على شئ حتى يأتيه الموت فاذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيأ ولم ينفعه الا كما نفع العطشان المشتد الى السراب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كسراب بقيعة قال بقاع من الارض والسراب عمله زاد الحرث في حديثه عن الحسن والسراب عمل الكافر اذا جاءه لم يجده شيأ اتيانه اياه موته وفراقه الدنيا ووجد الله عند فراقه الدنيا فوفاه حسابه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله كسراب بقيعة قال بقيعة من الأرض يحسبه الظمآن ماء هو مثل ضربه الله لعمل الكافر يقول يحسب أنه في شئ كما يحسب هذا السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين كفروا الى قوله ووجد الله عنده قال هذا مثل ضربه الله للذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قد رأى السراب ووثق بنفسه أنه ماء فلما جاءه لم يجده شيأ قال وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة وأنهم سيرجعون منها الى خير فلم يرجعوا منها الا كما رجع صاحب السراب فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده

المذكورة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج قال جار الله مثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي الآفات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين ريبة خوفا من أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك قال قتادة كانت الأنصار في أنفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا والقزازة احتراز مع القزة وهي مدح والكزازة ذم وروى الزهري عن سعيد بن المسيب وغيره أن المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في ماله وبيته فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت قال الأكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الأعمى إني لا أرى شيأ فربما آخذ الأجود وأترك الرديء والأعرج يفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة أو غيرها من أسباب الكراهة وأيضا كان المؤمنون يقولون الأعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والأعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الأكل كما ينبغي والمريض في
لا يتأتى له أن يأكل كما يأكل الأصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم في المؤاكلة حرج ثم إنه تعالى عدد من مواضع الأكل أحد عشر موضعا الأول قوله (من بيوتكم) وفيه سؤال وهو أنه أي فائدة في إباحة أكل الإنسان طعامه من بيته والجواب أراد من بيوت أزواجكم وعيالكم

لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار يقول تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات في بحر لجي ونسب البحر الى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه موج يقول يغشى البحر موج من فوقه موج يقول من فوق الموج موج آخر يغشاه من فوقه سحاب يقول من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر يقول عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله من نور قال يعني بالظلمات الأعمال وبالبحر اللجي قلب الانسان قال يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب قال ظلمات بعضها فوق بعض يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهو كقوله ختم الله على قلوبهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله أفلا تذكرون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو كظلمات في بحر لجي عميق وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة قال ظلمات بعضها فوق بعض وروي عن أبي بن كعب ما حدثني عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج الآية قال ضرب مثلا آخر للكافر فقال أو كظلمات في بحر لجي الآية قال فهو يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض قال شر بعضه فوق بعض وقوله إذا أخرج يده لم يكد يراها يقول إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يكد يراها فان قال لنا قائل وكيف قيل لم يكد يراها مع شدة هذه الظلمة التي وصف وقد علمت أن قول القائل لم أكد أرى فلانا انما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه فكيف فيها قيل في ذلك أقوال نذكرها ثم نخبر بالصواب من ذلك أحدها أن يكون معنى الكلام إذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أي لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذي معناه التأخير ويكون تأويل الكلام على ذلك إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها والثاني أن يكون معناه إذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله لم يكد

في دخوله في الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام كقوله وظنوا ما لهم من محيص ونحو ذلك والثالث أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد كما يقول القائل لآخر ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد ياس وشدة وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها والقول الآخر الذي قلنا انه يتوجه الى أنه بمعنى لم يرها قول أوضح من جهة التفسير وهو أخفى معانيه وانما حسن ذلك في هذا الموضع أعني أن يقول لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لان ذلك مثل لا يخبر عن كائن كان ومن لم يجعل الله له نورا يقول من لم يرزقه الله ايمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فما له من نور يقول فما له من ايمان وهدى ومعرفة بكتابه

القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والارض من ملك وانس وجن والطير صافات في الهواء أيضا تسبح له كل قد علم صلاته وتسبيحه (٢) والتسبيح عندك صلاة فيقال قيل ان الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق ولذلك فصل فيما بين ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال والصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال صلاته للناس وتسبيحه عامة لكل شئ ويتوجه قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه لوجوه أحدها أن تكون الهاء التي في قوله صلاته وتسبيحه من ذكر كل فيكون تأويل الكلام كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهو الهاء التي في الصلاة والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في علم ويكون علم فعلا للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه وألزمه والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله والعلم للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التي كلفه اياها وتسبيحه وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الاول وهو أن يكون المعنى كل مصل منهم ومسبح قد علم الله صلاته وتسبيحه وقوله والله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم لا يخفى عليه شئ من أفعالهم طاعتها ومعصيتها محيط بذلك كله وهو مجازيهم على ذلك كله وقوله ولله ملك السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله سلطان السموات والارض وملكها دون كل من هو دونه من

(٢) يظهر أن في الكلام سقطا يدرك من قوله فيقال قيل الخ تأمل كتبه مصححه

لان بيت المرأة بيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم ولهذا لم يذكر الأولاد في جملة الأقارب وان الولد أقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله (أو ما ملكتم مفاتحه) وفيه وجوه أحدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه * وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قيل أراد بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله (أو صديقكم) ومعناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد أكابر الصحابة وعن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الانس والثقة والانبساط بمنزلة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج أبو يوسف بالآية على أنه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك أنه تعالى أباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم وأورد عليه أن لا يقطع اذا سرق من صديقه فأجاب بأن السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن اباحة الاكل من هذه المواضع لا تتوقف على الاستئذان فعن قتادة أن الاكل مباح ولكن لا يحمل وجمهور العلماء أنكروا ذلك فقيل كان ذلك مباحا في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال أبو مسلم هذا في الاقارب الكفرة وفي هذه الآية اباحة ما حظر وفي قوله لا تجد قوما يؤمنون

بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب أنفسهم بأكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فلا حرج خصهم الله بالذكر لأن هذه العادة في الأغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا أن الاباحة انما حصلت في هذه الصورة لأجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ (١١٨) وحين نفى الحرج عنهم في نفس الأكل أراد أن ينفي الحرج عنهم في كيفية الاكل فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا وانتصب قوله (جميعا أو أشتاتا) على الحال أي مجتمعين أو متفرقين والأشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم أجمع أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على أنها نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون عن الانفراد في الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار لا يأكلون الا مع ضيفهم وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم أن ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى خوفا من أن يحصل عند الجمعية ما ينفر أو يؤذي فرفع الله الحرج ثم علمهم أدبا جميلا فقال (فاذا دخلتم بيوتا) أي من البيوت المذكورة لتأكلوا (فسلموا على أنفسكم) أي ابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب (تحية) بسلموا لأنه نحو قعدت جلوسا ومعنى (من عند الله) أنها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه أو أراد أن التحية طلب حياة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة له من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وتضعيف الثواب عن أنس قال كنت واقفا على رأس النبي صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه

بذلك

فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

سلطان وملك فاياه فارهبوا أيها الناس واليه فارغبوا الا الى غيره فان بيده خزائن السموات والارض لا يخشى بعطايا كم منها فقرا والى الله المصير يقول وأنتم اليه بعد وفاتكم مصيركم ومعادكم فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا فأحسنوا عبادته واجتهدوا في طاعته وقدموا لأنفسكم الصالحات من الاعمال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله يزجي يعني يسوق سحابا حيث يريد ثم يؤلف بينه يقول ثم يؤلف بين السحاب وأضاف بين الى السحاب ولم يذكر معه غيره وبين لا تكون مضافة الا الى جماعة أو اثنين لان السحاب في معنى جمع واحده سحابة كما يجمع النخلة نخل والتمرة تمر فهو نظير قول قائل جلس فلان بين النخل وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها وقوله ثم يجعله ركاما يقول ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه الى بعض ركاما يعني متراكما بعضه على بعض وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا خالد قال ثنا مطر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد بن عمير الليثي قال الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الارض قما ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره وقوله فترى الودق يخرج من خلاله يقول فترى المطر يخرج من بين السحاب وهو الودق قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

والهاء في قوله من خلاله من ذكر السحاب والخلال جمع خلل وذكر عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرؤن ذلك من خلله حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنا قتادة عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله * قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن رجل عن ابن عباس انه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرني عمارة بن أبي حفصة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأها من خلله بفتح الخاء من غير ألف * قال هرون فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال انها لحسنة ولكن خلاله أعم وأما قراء الامصار فانهم على القراءة الاخرى من خلاله وهي التي نختار لاجماع الحجة من القراء عليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فترى الودق يخرج من خلاله قال الودق القطر والخلال السحاب وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل في ذلك قولان أحدهما أن معناه وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقة كأن الجبال على هذا القول هي من برد كما يقال جبال من طين والقول الآخر أن الله ينزل من السماء قدر جبال وأمثال جبال من برد الى الارض كما يقال عندي بيتان تبنا والمعنى قدر بيتين من التبن والبيتان ليسا من التبن وقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يقول فيعذب

بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد من يشاء فيهلكه أو يهلك به زروعه وماله ويصرفه عمن يشاء من خلقه يعني عن زروعهم وأموالهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقول يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره والسنا مقصور وهو ضوء البرق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله يكاد سنا برقه قال ضوء برقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يكاد سنا برقه يقول لمعان البرق يذهب بالابصار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار قال سناه ضوءه يذهب بالابصار وقرأت قراء الامصار يكاد سنا برقه يذهب بفتح الياء من يذهب سوى أبي جعفر القارئ فانه قرأه بضم الياء يذهب بالابصار والقراءة التي لا أختار غيرها هي فتحها لاجماع الحجة من القراء عليها وأن العرب اذا أدخلت الباء في مفعول ذهبت لم يقولوا الا ذهبت به دون أذهبت به واذا أدخلوا الالف في أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء في مفعوله فيقولون أذهبته وذهبت به وقوله يقلب الله الليل والنهار يقول يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما اذا أذهب هذا جاء هذا واذا أذهب هذا جاء هذا ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يقول ان في انشاء الله السحاب وانزاله منه الودق ومن السماء البرد وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به وعظة لمن اتعظ به ممن له فهم وعقل لان ذلك ينبئ ويدل على أن له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شئ ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير) اختلفت القراء في قراءة قوله والله خلق كل دابة من ماء فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم والله خالق كل دابة وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم والله خلق كل دابة بنصب كل وخلق على مثال فعل وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الاضافة في قراءة من قرأ ذلك خالق تدل على أن معنى ذلك المضي فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله خلق كل دابة من ماء يعني من نطفة فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات وما أشبهها وقيل انما قيل فمنهم من يمشي على بطنه والمشي لا يكون على البطن لان المشي انما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له جاز كما قال ومنهم من يمشي على رجلين كالطير ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم فان قال قائل فكيف قيل فمنهم من يمشي ومن للناس وكل هذه الاجناس أو أكثرها لغيرهم قيل لانه تفريق ما هو داخل في قوله والله خلق كل دابة وكان داخلا في ذلك الناس وغيرهم ثم قال فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم فكنى عن جميعهم كنايته عن بني آدم ثم فسرهم بمن اذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة يخلق الله ما يشاء يقول يحدث الله ما يشاء من الخلق ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على احداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الاشياء غيره ذو قدرة لا يتعذر عليه شئ أراد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن صور الاذن قوله سبحانه (انما المؤمنون) الآية والمقصود أن يبين عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع) وهو الذي يجمع له الناس فلما كان الامر سبب الجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو أمر الحرب ونحوه من الامور التي يعم ضررها ونفعها وقال الضحاك هو الجمعة والاعياد وكل شئ تكون فيه الخطبة وذلك أنه لا بد في الخطوب الجليلة من ذوي رأي وقوة يستعان بهم وبآرائهم وتجاربهم في كفايتها ففارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعث عليه رأيه قال الجبائي في الآية دلالة على أن استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز أن يكونوا كاملي الايمان وان تركوا الاستئذان وأجيب بأن ترك الاستئذان من أهل النفاق لا نزاع أنه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية أنه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم ثالث الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة بانما وأوقع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فجعل الاستئذان كالمصدق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفي قوله (لبعض شأنهم) دليل على أن أمر الاستئذان مضيق لا يجوز ارتكابه في كل شأن وفي قوله (فأذن لمن شئت منهم) دلالة على أنه تعالى فوض بعض أمر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة أنها منسوخة بقوله لم أذنت لهم وفي قوله (واستغفر لهم الله) وجهان أحدهما أن هذا الاستغفار لاجل أنهم تركوا الاولى والافضل وهو أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه والآخر أنه جبر الهم على تمسكهم باذن الله تعالى في الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول) أي لا تقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي وذلك أن أمره فرض لازم وأمر غيره ليس بفرض وانما هو

وأدب مستحسن رعايته مع الأئمة والمتقدمين هذا ما عليه الأكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا
يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض وقيل أراد احذروا دعاء الرسول ربه عليكم اذا أسخطتموه
فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره والتسلل الانسلال والذهاب على سبيل التدرج واللواذ الملاوذة وهو أن يكون

هذا بذاك وذاك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل أنهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي أذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى (قد يعلم) يكثر العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفته عن القتال أي جبنت عنه وأقدم هو وخالفته الى القتال أي أقدمت وجبن هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل أو الزلازل وسائر الاهوال والعذاب الاليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليه السلام الفتنة أن يسلط عليهم سلطان جائر وقال الاصوليون في الآية دلالة على أن ظاهر الامر للوجوب لان تارك المأمور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة فاذا أخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بأن موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان الأمر لو اقتضاه على سبيل الندب وأنت تأتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من أن المندوب مأمور به
فان هذا أول المسئلة والظاهر أن الضمير في أمره للرسول ولو كان لله لم يضر لانه لا فرق بين أمر الله وأمر رسوله وأمر
الرسول متناول عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال أمر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا ثم بين
كمال قدرته وعلمه بقوله (ألا ان لله) الخ تأكيدا لوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله (ما أنتم عليه ويوم يرجعون) كلاهما

وسبيل الرشاد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يقول والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه فيهديه الى دين الاسلام وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول المنافقون صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم يقول ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعو الى المحاكمة الى غيره خصمها وما أولئك بالمؤمنين يقول وليس قائلو هذه المقالة يعني قوله آمنا بالله وبالرسول وأطعنا بالمؤمنين لتركهم الاحتكام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعراضهم عنه اذا دعوا اليه وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله يقول واذا دعي هؤلاء المنافقون الى كتاب الله والى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله اذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وان يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون الى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الاجابة الى ذلك قبل الذين يدعونهم الى الله ورسوله يأتوا الى رسول الله مذعنين يقول مذعنين منقادين لحكمه مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه قد أذعن فلان بحقه اذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يأتوا اليه مذعنين قال سراعا وقوله أفي قلوبهم مرض يقول تعالى ذكره أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول فهم يمتنعون من الاجابة الى حكمه والرضا به أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله اذا احتكموا الى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى أن يحيف رسول الله عليهم فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله كما يقال ما شاء الله ثم شئت بمعنى ما شئت ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فأفرد الرسول بالحكم ولم يقل ليحكما وقوله بل أولئك هم الظالمون يقول ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ أعرضوا عن الاجابة الى ذلك مما دعوا اليه أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لانفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا والتسليم له ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره انما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى حكم الله والى حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا الى ذلك ولم يعن بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضي ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم وقوله وأولئك هم المفلحون

المفلحون يقول تعالى ذكره والذين اذادعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا المفلحون يقول هم المنجحون المدركون طلباتهم بفعلهم ذلك المخلدون فى جنات الله

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ويتق عذاب الله بطاعته اياه فى أمره ونهيه فأولئك يقول فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ دعوا اليه بالله جهد أيمانهم يقول أغلظ أيمانهم وأشدها لئن أمرتهم يا محمد بالخروج الى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قل لا تقسموا لا تحلفوا فان هذه طاعة معروفة منكم فيها التكذيب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل لا تقسموا طاعة معروفة قال قد عرفت طاعتكم الى أنكم تكذبون ان الله خبير بما تعملون يقول ان الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم بكل ذلك

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وغيرهم من أمتك أطيعوا الله أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوا الرسول فان طاعته لله طاعة فان تولوا يقول فان تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم فانما عليه ما حمل يقول فانما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله اليكم على ما كلفه من التبليغ وعليكم ما حملتم يقول وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى طاعته فيما أمركم ونهاكم وقلنا ان قوله فان تولوا بمعنى فان تتولوا فانه فى موضع جزم لانه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على أن ذلك كذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان قوله تولوا فعلا ماضيا على وجه الخبر عن غيب لكان فى موضع قوله وعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا وقوله وان تطيعوه تهتدوا يقول تعالى ذكره وان تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق فى أموركم وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وغير واجب على من أرسله الله الى قوم برسالة الا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به يقول فليس على محمد أيها الناس الا أداء رسالة الله اليكم وعليكم الطاعة وان أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون وان عصيتموه بأنفسكم فتوبقون

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

للمنافقين على طريقة الالتفات اذ الاول عام والثانى لاهل النفاق وأقول يحتمل أن يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء فى قوله (فمنهم) لتلازم ما قبلها وما بعدها كقولك وربك فكبر ۞ التأويل ومن يطع الله ورسوله فيما يدعوانه الى الحضرة بترك ماسوى الله ويخش الله الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فأولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا (١٤١) بلا انفصال وزوال لئن أمرتهم بالخروج عن غير الله طاعة معروفة بالفعل دون القول ليستخلفنهم ليخرجن ما فى استعدادهم من خلافة الله فى أرض البشرية من القوة الى الفعل وليمكنن كل صنف حمل الامانة المودعة فيه على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم فمنهم حفاظ لاخبار النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ومنهم علماء الاصول ومنهم علماء الفروع ومنهم أهل المعرفة وأصحاب الحقائق وأرباب السلوك الكاملون المكملون وانهم خلفاء الله على الحقيقة وأقطاب العالم وأوتاد الارض وليبدلنهم من بعد خوفهم من الشرك الخفى أمنا يعبدوننى بالاخلاص لا يشركون بى شيأ من مطالب الدنيا والآخرة ليستأذنكم المريدون الذين هم تحت تصرفكم والذين لم يبلغوا أوان الشيخوخة ثلاث مرات فى المبادى وفى أوساط السلوك وفى نهاية أمرهم واذا صلحت أحوالهم فى هذه الاوقات صلح سائرها فى الاغلب والله المستعان والقواعد فيه اشارة الى أن المريد اذا صار بحيث أمن منه افشاء الاسرار وما استودع فيه من متولدات الاحوال فلا ضير عليه أن لا يبالغ فى التستر والاخفاء من الاغيار والكتمان خير له ليس على الاعمى حرج قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بدايه رضى الله عنه فيه اشارة الى أن من لا يبصر الا بالله ولا يمشى الا بالله ولا يعلم الا بالله فانهم مخصوصون بالتكون بكينونة الله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهى وهم السابقون المقربون فلا حرج فى الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وفى قوله ولا على أنفسكم الخ اشارة الى أنه لا حرج على أرباب النفوس على أن يكونوا مأكلهم من بيوتهم أو بيوت أبناء جنسهم وهى

خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وعملوا الصالحات يقول وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ليستخلفنهم في الأرض يقول ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها كما استخلف الذين من قبلهم يقول كما فعل من قبلهم ذلك ببني اسرائيل اذ أهلك الجبابرة بالشأم وجعلهم ملوكها وسكانها وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم يقول وليوطئن لهم دينهم يعني ملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها وقيل وعد الله الذين آمنوا ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ليستخلفنهم لأن الوعد قول يصلح فيه أن وجواب اليمين كقوله وعدتك أن أكرمك ووعدتك لأكرمنك واختلف القراء في قراءة قوله كما استخلف فقرأته عامة القراء كما استخلف بفتح التاء واللام بمعنى كما استخلف الله الذين من قبلهم من الامم وقرأ ذلك عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على مذهب ما لم يسم فاعله واختلفوا أيضا في قراءة قوله وليبدلنهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم وليبدلنهم بتشديد الدال بمعنى وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف الى الامن والعرب تقول قد بدل فلان اذا غيرت حاله ولم يأت مكان فلان غيره وكذلك كل مغير عن حاله فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما قيل بالتخفيف وليس بالفصيح فأما اذا جعل مكان الشيء المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل وذلك كقولهم أبدل هذا الثوب أي جعل مكانه آخر غيره وقد يقال بالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت وكان عاصم يقرؤه وليبدلنهم بتخفيف الدال والصواب من القراءة في ذلك التشديد على المعنى الذي وصفت قبل لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وأن ذلك تغيير حال الخوف الى الامن وأرى عاصما ذهب الى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجه المعنى الى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الامن فخفف ذلك ومن الدليل على ما قلنا من أن التخفيف انما هو ما كان في ابدال شيء مكان آخر قول أبي النجم

* عزل الامير للامير المبدل *

وقوله يعبدونني يقول يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي لا يشركون بي شيأ يقول لا يشركون في عبادتهم اياي الأوثان والأصنام ولا شيأ غيرها بل يخلصون لي العبادة فيفردونها الي دون كل ما عبد من شيء غيري وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه اليه في بعض الاوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف وما يلقون بسبب ذلك من الاذى والمكروه ذكر الرواية بذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الآية قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو الى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة الى المدينة قال فمكث بها هو وأصحابه خائفون يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم الى قوله فمن كفر بعد ذلك قال يقول من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعني الكفر بالله قال فأظهره الله على

الجنات ومراتبها كما قال فيها ما تشتهي الانفس وفي قوله أو ما ملكتم مفاتحه اشارة الى أن درجات الجنة مساكن أهل المكاسب كما أن مقامات أهل القرب عند مليك مقتدر منازل أهل المواهب قوله أو صديقكم فيه أن درج الجنات ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق فينال (١٢٢) به مرتبة لم يكن يصل اليها بمجرد أعماله ليس عليكم جناح فيه أنه لا حرج على أهل الجنة أن تكونوا كلهم من درجة واحدة أو من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا أي بلغتم منزلا من المنازل فسلموا أي استسلموا لأحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل أعلى وأطيب انما المؤمنون فيه أن المريد الصادق ينبغي أن لا يتنفس الا باذن شيخه فان الشيخ في قومه كالنبي في أمته أن تصيبهم فتنة من المال أو الجاه أو قبول الخلق أو التزويج أو السفر باذن الشيخ أو التردد على أبواب الملوك ونحو ذلك وما العصمة الا من واهبها وهو المستعان

(سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بطائف ألم تر الى ربك حروفها ٣٧٨٠ كلمها ٨٧٢ آياتها ٧٧)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل جزيرة منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد

سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك
خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك (١٢٧) ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء

جزيرة العرب فآمنوا ثم تجبروا فغير الله ما بهم وكفروا بهذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم قال القاسم قال أبو علي بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه * واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله فمن كفر بعد ذلك فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله وروي عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي الشعثاء قال كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود فقال حذيفة ذهب النفاق وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو الكفر بعد الإيمان قال فضحك عبد الله فقال لم تقول ذلك قال علمت ذلك قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض حتى بلغ آخرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن أبي الشعثاء قال قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة فقال حذيفة ذهب النفاق فلا نفاق وإنما هو الكفر بعد الإيمان فقال عبد الله تعلم ما تقول قال فتلا هذه الآية إنما كان قول المؤمنين حتى بلغ فأولئك هم الفاسقون قال فضحك عبد الله قال فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام فقلت من أي شيء ضحك عبد الله قال لا أدري إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يعجبه وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه فمن أي شيء ضحك لا أدري والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا قال لا يخافون غيري ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير﴾ يقول تعالى ذكره وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها وآتوا الزكاة التي فرضها الله عليكم أهلها وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم لعلكم ترحمون يقول كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وقوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض يقول تعالى ذكره لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم ومأواهم بعد هلاكهم النار ولبئس المصير الذي يصيرون إليه ذلك المأوى وقد كان بعضهم يقول لا يحسبن الذين كفروا بالياء وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك أن تحسب محتاج إلى منصوبين وإذا قرئ يحسبن لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين وأن منصوبه الثاني في الأرض وذلك لا معنى له إن كان ذلك قصد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى

ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ۞ القراآت جنة نأكل بالنون حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء التحتانية ويجعل لك بالرفع ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك أن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم يحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير ويزيد وسهل ويعقوب وعباس وحفص وقرأ ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الأول وبالياء في الثاني أن نتخذ على البناء للمفعول زيد ويزيد بما تقولون بتاء الخطاب يعقوب وعباس وحفص والسرندبي عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غير الخراز ۞ الوقوف نذيرا ه لا ابتداء على أن ما بعده بدل من الذي نزل والتعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه أو نصبه على المدح جاز الوقف تقديرا ه ولا نشورا ه آخرون ج لاحل الفاء مع اختلاف القائلين أو لاحتمال أن يكون فقد جاؤوا من قول الكفار أي جاء محمد ومن أعانه بظلم وزور وزورا ه ج للاحتمال المذكور أو لعطف المتفقتين مع عوارض وطول الكلام وأصيلا ه والأرض ط رحيما ه الأسواق ط نذيرا م منها ط مسحورا ه سبيلا ه الأنهار ط لمن جعل رفع يجعل على الاستئناف قصورا ه سعيرا ه لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا وزفيرا ه ثبورا الأول ه ط كثيرا ه المتقون ط لانتهاء الاستفهام مصيرا ه خالدين ط مسؤلا ه السبيل ه الذكر ج لجواز أن يكون المراد

وقد كانوا والحـواز أن يراد وصالوا وافيتصل بقوله نورا ه تقولون ه الالمن قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصيرا ج ه للشرط مع العطف كبيراه في الاسواق ط فتنة ط أتصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيرا ه ۞ التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة أولا في التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف هـذه المطالب وما أحسن هـذا الترتيب ومعنى (تبارك) كثرخيره وزاد أو تعالى عن أوصاف الممكنات وقدم في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وفي وصفه نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل أو المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على أن كل البركة والخير انما هو في القرآن وكانت هذه الصفة معلومة بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان كقوله ان هـذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا أن الاجماع دل على خروج الملائكة وما عدا الثقلين فبقي أن يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر أو الانذار كالنكير قالت المعتزلة لولم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية التي تحصل بالانذار لا على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفاته الاربع أولها (الذي له ملك السموات والارض) وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره الثانية (ولم يتخذ ولدا) وفيه رد النصارى واليهود الثالثة (ولم يكن له شريك في الملك) وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وأرباب الشرك الخفي أيضا ولكنه صرح بهذا الأخير في الصفة الرابعة وهي قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) قال جار الله المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له أو المراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكأنه قيل أوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجد متفاوتا أو

بقوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم فقال بعضهم عني بذلك الرجال دون النساء ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الاوقات الثلاثة هؤلاء الذين سموا في هذه الآية الا باذن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن نافع عن ابن عمر قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي على الذكور دون الاناث * وقال آخرون بل عني به الرجال والنساء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي في الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني به الذكور والاناث لان الله عم بقوله الذين ملكت أيمانكم جميع أملاك أيماننا ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل فتأويل الكلام يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم واماؤكم فلا يدخلوا عليكم الا باذن منكم لهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم يقول والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال عبيدكم المملوكون والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال لم يحتلموا من أحراركم قال ابن جريج قال لي عطاء بن أبي رباح فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن كما قال ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء قال وهي العتمة قلت فاذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا قال نعم قلت لعطاء هل استئذانهم الا عند وضع الناس ثيابهم قال لا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة واسمعيل بن محمد قالوا لا استئذان على خدم الرجل عليه الا في العورات الثلاث حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم يقول اذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبي الا باذن حتى يصلي الغداة فاذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن ثعلبة عن أبي مالك القرظي أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاذن في العورات الثلاث فقال اذا وضعت ثيابي من الظهيرة لم يلج علي أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتا ونسيت الثالثة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال كان الحسن يقول اذا أبات الرجل خادمه معه فهو اذنه وان لم يبته معه استأذن في هذه الساعات حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني موسى بن أبي عائشة عن الشعبي

أحدثه فقدره للبقاء الى أمد معلوم وعندي أن الكلام محمول على القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس أي قدره في الازل بقدر وأخلقه في وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر في قوله الله خالق كل شئ ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان قائلا (واتخذوا) الآية وحاصله أن اله العالم يجب أن يكون أقدر الاشياء وأشرفها لا أعجزها وأخسها وهو الجماد بل الملائكة والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف في شئ الا باذن الله فتكون الآية ردا على الكل وانما قال في هذه السورة (من دونه) لتقدم الذكر مفردا وفي مريم ويس من دون الله لان ماقبلهما بلفظ الجمع تعظيما فلن يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفي الانداد شرع في شبهات منكري النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم (ان هذا الا افك افتراه) أرادوا أنه كذب في نفسه أو أرادوا أنه كذب في اضافته الى الله تعالى وقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر لسان الذي وقد مر ماقيل في سبب نزوله في النحل فأجاب الله تعالى عن شبههم بقوله (فقد جاؤا ظلما وزورا) أي أتوهما فانتصب بوقوع المجئ عليه وعن الزجاج أنه انتصب بنزع الخافض أي أتوا بالظلم والزور فالظلم هو أنهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم في غاية الامانة والصدق والزور وهو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو أنصفوا من أنفسهم لعلموا أن العربي لا يتلقن من العجمي كلاما عربيا أعجز بفصاحته دهماءهم ولو استعان محمد في ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم قال أبو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم (انه أساطير الاولين) أي أحاديث سطرها المتقدمون كأخبار الأعاجم (اكتتبها) لنفسه كقولك استكب الماء أي سكبه لنفسه وأخذه وقد يظن أن في الكلام قلبا لانه يقال أمليت عليه فهو يكتتبه واكتتبها وأجيب بأن المعنى أراد اكتتابها فهي تقرأ عليه أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه ليحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال الضحاك ما يملى عليه بكرة يقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية

في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت ان الناس لا يعملون به قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن الشعبي وسألته عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت منسوخة هي قال لا والله ما نسخت قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ان ناسا يقولون نسخت ولكنها مما يتهاون الناس به * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية قال لا يعمل بها اليوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حنظلة أنه سمع القاسم بن محمد يسئل عن الاذن فقال يستأذن عند كل عورة ثم هو طواف يعني الرجل على أمه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد قال أخبرني رجل من أهل الطائف عن غيلان بن شرحبيل عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم قال الله ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم وانما العتمة عتمة الابل وقوله ثلاث عورات لكم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ثلاث عورات لكم برفع الثلاث بمعنى الخبر عن هذه الاوقات التي ذكرت كأنه عندهم قيل هذه الاوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا الا باذن ثلاث عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون بأهليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثلاث عورات بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الاولى وكأن معنى الكلام عندهم ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ثلاث عورات لكم والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم يقول تعالى ذكره ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ولا عليهم يعني ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا اثم بعدهن يعني بعد العورات الثلاث والهاء والنون في قوله بعدهن عائدتان على الثلاث من قوله ثلاث عورات لكم وانما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مماليكهم البالغون وصبيانهم الصغار بغير اذن بعد هذه الاوقات الثلاث اللاتي ذكرهن في قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير اذن يعني فيما بين صلاة الغداة الى الظهر وبعد الظهر الى صلاة العشاء انه رخص لخادم الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير اذن قال وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فأما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله الا باذن على كل حال وقوله طوافون عليكم رفع الطوافون بمضمر وذلك هم يقول لهؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس ويعني بالطوافين أنهم يدخلون ويخرجون على مواليهم

يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله (بكرة وأصيلا) أى دائما أوفى الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فأجاب عن هذه الشبهة بقوله (قل أنزله الذى يعلم السر) الآية والمعنى أن العالم بكل سر هو الذى يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحة مبانيه وبلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد فى المعاش والمعاد قال أبو مسلم أراد أنه يعلم كل سر خفى ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد والنفاق فهو يجازيكم عليه ولأجل هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على أنهم استحقوا بمكابرتهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشأن (مال هذا) الزاعم أنه رسول أى ما باله (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد فى الاسواق لطلب المعاش كما نتردد زعموا أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا أن يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده فى باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا أن يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا لا أقل من أن يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع هو أو ننتفع نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب (فيكون) لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل (أنزل) الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين (وقال الظالمون) من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وأمثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقدم مثل هذه الآية فى أواسط سورة بنى اسرائيل ثم حين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه بما يلجمهم ويفحمهم وهو قوله (تبارك) أى تكاثر خير (الذى ان شاء)

وأقربائهم فى منازلهم غدوة وعشية بغير اذن يطوفون عليهم بعضكم على بعض فى غير الاوقات الثلاث التى أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها الا باذن كذلك يبين الله لكم الآيات يقول جل ثناؤه كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان فى هذه الآية كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وغير ذلك من أموره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم} يقول تعالى ذكره واذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ويعنى بقوله منكم من أحراركم الحلم يعنى الاحتلام واحتلموا فليستأذنوا يقول فلا يدخلوا عليكم فى وقت من الأوقات الا باذن لا فى أوقات العورات الثلاث ولا فى غيرها وقوله كما استأذن الذين من قبلهم يقول كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الاحرار وخص الله تعالى ذكره فى هذه الآية الاطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده فى الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا وقد تقدمت الآية التى قبلها بتعريفهم حكم الاطفال الاحرار والمماليك لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم فى أن الاذن عليهم فى الساعات الثلاث التى ذكرها الله فى الآية التى قبل * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله يعنى من الصبيان الاحرار الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا اذا احتلموا على من كان من الناس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال يستأذن الرجل على أمه قال انما أنزلت واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فى ذلك كذلك يبين الله لكم آياته يقول هكذا يبين الله لكم آياته أحكامه وشرائع دينه كما بين لكم أمر هؤلاء الاطفال فى الاستئذان بعد البلوغ والله عليم حكيم يقول والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الاشياء حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى {والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم} يقول تعالى ذكره واللواتى قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن واحدتهن قاعد اللاتى لا يرجون نكاحا يقول اللاتى قد يئسن من البعولة فلا يطمعن فى الأزواج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن يقول فليس عليهن حرج ولا اثم أن يضعن ثيابهن يعنى جلابيبهن وهى القناع الذى يكون فوق الخمار والرداء الذى يكون فوق الثياب لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا وهى المرأة لا جناح عليها أن تجلس فى بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج لما يكره الله وهو قوله فليس عليهن جناح أن

وهب لك فى الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله (جنات) عن ابن عباس خيرا من ذلك أى مما عيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه فى رواية عكرمة خيرا من المشى فى الاسواق لابتغاء المعاش وفى قوله ان شاء دليل على أنه لا حق لاحد من العباد عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وان حصول الخيرات معلق بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذ أى قد (١٢٧) جعلنا لك فى الآخرة وبنينا لك قصورا والقصر

يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يضعن ثيابهن يعنى الجلباب وهو القناع وهذا للكبيرة التى قد قعدت عن الولد فلا يضرها أن لا تجلبب فوق الخمار وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها اذا بلغت المحيض أن تدنى الجلباب على الخمار وقال الله فى سورة الاحزاب يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان بالمدينة رجال من المنافقين اذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من الامة فأنزل الله فى ذلك يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول اذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله والقواعد من النساء التى قعدت من الولد وكبرت قال ابن جريج قال مجاهد اللاتى لا يرجون نكاحا قال لا يردنه فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال وضع الخمار قال التى لا ترجو نكاحا التى قد بلغت أن لا يكون لها فى الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فاذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن كان أبى يقول هذا كله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ذر عن أبى وائل عن عبد الله فى قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء شك سفيان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الرداء حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال هى الملحفة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله يقول فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال أخبرنى الحكم عن أبى وائل عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود فى قوله أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال هو الرداء قال الحسن قال عبد الرزاق قال الثورى وأخبرنى أبو حصين وسالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال هو الرداء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال تضع الجلباب المرأة التى قد عجزت ولم تزوج قال الشعبى فان أبى بن كعب يقرأ أن يضعن من ثيابهن حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال قلت لابن أبى نجيح قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال الجلباب قال يعقوب قال أبو يونس قلت له عن مجاهد قال نعم فى الدار والحجرة حدثنى

المسكن الرفيع فيحتمل أن يكون لكل جنة قصر وأن تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك فى الآخرة جنات وفى الدنيا قصورا عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه فى زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل شئ ولم يعطها أحدا قبلك ولا يعطها أحدا بعدك من غير أن ينقصك مما ادخر لك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لى فى الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم عرض على جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفى رواية أشبع يوما وأجوع ثلاثا فأحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت قوله (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز أن يراد ليس ما تعلقوا به شبهة عالية فى نفس المسئلة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها (وأعتدنا) جعلناها عتيدا ومعدة لهم وقد يستدل به على أن النار مخلوقة

ويحتمل أن يقال هو كقوله ونادى وسيق وقالت الاشاعرة البنية ليست شرطا فى الحياة وتوابعها فأجروا قوله (اذا رأتهم) على ظاهره وقالوا لا امتناع فى كون النار حية رائية مغتاظة على الكفار والمعتزلة أولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن وقوله غير متبرجات بزينة يقول ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن اذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدين ما عليهن من الزينة للرجال والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره وقوله وأن يستعففن خير لهن يقول وان تعففن عن وضع جلابيبهن وأرديتهن فيلبسنها خير لهن من أن يضعنها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن يستعففن خير لهن قال ان يلبسن جلابيبهن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي وأن يستعففن خير لهن قال ترك ذلك يعني ترك وضع الثياب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأن يستعففن خير لهن والاستعفاف لبس الخمار على رأسها كان أبي يقول هذا كله والله سميع ما تنطقون بألسنتكم عليم بما تضمره صدوركم فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم فتستوجبوا بذلك منه عقوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ * قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه فقال بعضهم أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الاكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيأ مما نهاهم الله عنه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو أشتاتا وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقال المسلمون ان الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الاموال فلا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله بعد ذلك ليس على الاعمى حرج الى قوله أو ما ملكتم مفاتحه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ليس على الاعمى حرج الآية كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض فقال بعضهم انما كان بهم التقذر والتقزز وقال بعضهم المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح والاعرج

الجبائي ذكر النار وأراد خزنتها والمراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم . قيل التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وأجيب بأن المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت أي سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج وقال قطرب علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر * متقلدا سيفا ورمحا * روي أن جهنم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه ويقول نفسي نفسي وحين وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد من جهنم وصف حالهم عند ما يلقون فيها عن ابن عباس أنه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون في تلك الابواب الضيقة وقال جار الله الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقال الصوفية المكان الضيق قلب الكافر في صدره كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان أهل جهنم مع ما هم فيه يكونون مقرنين في السلاسل والاصفاد وقد مر في آخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه النداء بواثبوراه أي يقال يا ثبور فهذا أوانك وههنا اضمار أي يقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) اذ هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أولأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم أولأنهم يجدون بسبب ذلك القول خفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد بسببه راحة قال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم وبخهم بقوله (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدوها فحذف الرابط للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل السكر

المخبس

المحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والاعمى لا يبصر طيب الطعام فأنزل الله ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والاعمى والاعرج فعنى الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس في الاعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه ولا في الاعرج حرج ولا في المريض حرج ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى على في هذا الموضع الى معنى في * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا لاهل الزمانة في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية لان قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لانه أطعمهم غير ملكه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم قال كان رجال زمنى قال ابن عمرو في حديثه عميان وعرجان وقال الحرث عمى عرج أولو حاجة يستتبعهم رجال الى بيوتهم فان لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم ومن عدد معهم من البيوت فكره ذلك المستتبعون فأنزل الله في ذلك ليس عليكم جناح وأحل لهم الطعام حيث وجدوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى والمريض والأعرج الى بيت أبيه أو الى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث ابن عمرو عن أبي عاصم * وقال آخرون بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم في بيوته من الغزاة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال قلت للزهري في قوله ليس على الأعمى حرج ما بال الأعمى ذكر ههنا والاعرج والمريض فقال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه الآية رخصة لهم * وقال آخرون بل عنى بقوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله قالوا وقوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم كلام منقطع عما قبله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا في الجهاد في سبيل الله وفي قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم قال هذا شئ قد انقطع انما كان هذا في الاول لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله قال وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيها أهلها واذا خرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم اذا شاؤا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن مقسم في قوله ليس على الأعمى حرج قال كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج فنزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا واختلفوا أيضا في معنى قوله أو ما ملكتم مفاتحه فقال بعضهم عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته

أحلى أم الصبر ولكن الغرض منه التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا أطيب أم ذاك والاضافة في جنة الخلد للتوضيح والتأكيد لا للتمييز فان الجنة معلوم أن نعيمها لا ينقطع قالت الأشاعرة في قوله (وعد) دلالة على أن الجنة انما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لأجل العمل وقالت المعتزلة في قوله (المتقون) اشارة الى أن الجنة لا تنال الا بالتقوى ولذلك أكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار (كانت لهم جزاء ومصيرا) أجابت الأشاعرة بأن كونه

ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أو ما ملكتم مفاتحه وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن * وقال آخرون بل عنى بذلك منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو ما ملكتم مفاتحه يعنى بيت أحدهم فانه يملكه والعبيد منهم مما ملكوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله أو ما ملكتم مفاتحه مما تخبون يا ابن آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أو ما ملكتم مفاتحه قال خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم * وأشبه الأقوال التى ذكرنا فى تأويل قوله ليس على الأعمى حرج الى قوله أو صديقكم القول الذى ذكرنا عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وذلك أن أظهر معانى قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج أنه لا حرج على هؤلاء الذين سموا فى هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها على ما أباح لهم من الأكل منها فاذ كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه الى الأغلب الأعرف من معانيه أولى من توجيهه الى الأنكر منها فاذ كان ذلك كذلك كان ما خالف من التأويل قول من قال معناه ليس فى الأعمى والأعرج حرج أولى بالصواب وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أنه يعنى ولا عليكم أيها الناس ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل فى الخطاب فقال أن تأكلوا من بيوت أنفسكم وكذلك تفعل العرب اذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت أنت وأخوك قمتما وأنت وزيد جلستما ولا تقول أنت وأخوك جلسا وكذلك قوله ولا على أنفسكم والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض غلب المخاطب فقال أن تأكلوا ولم يقل أن يأكلوا فان قال قائل فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالا اذ كان ملكا لهم أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم قيل له ليس الأمر فى ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله بن عبد الله أنهم كانوا اذا غابوا فى مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم دفع الغازى مفتاح مسكنه الى المتخلف منهم فأطلق له فى الأكل مما يخلف فى منزله من الطعام فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب فأعلمه الله أنه لا حرج عليه فى الأكل منه وأذن لهم فى أكله فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال انما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستتبع أكل طعام غير المستتبع لان ذلك لو كان كما قال من قال ذلك لقيل ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم أو من طعام آباء من دعاكم ولم يقل أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم وكذلك لا وجه لقول من قال معنى ذلك ليس على الاعمى حرج فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله لأن قوله أن تأكلوا خبر ليس وأن فى موضع نصب على أنها خبر لها فهى متعلقة بليس فمعلوم بذلك أن معنى الكلام ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته لا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه فى التخلف عن الجهاد فاذ كان الامر فى ذلك على ما وصفنا تبين أن معنى الكلام لا ضيق على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض ولا عليكم أيها الناس أن تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت اخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التى ملكتم مفاتحها أو من بيوت صديقكم اذا أذنوا لكم فى ذلك عند مغيبهم ومشهدهم والمفاتح الخزائن واحدها مفتح اذا أريد به المصدر واذا كان من المفاتيح التى يفتح بها فهى مفتح ومفاتح وهى ههنا

جزاء ثبت فى الأزل ولا عمل هنالك قالت المعتزلة لا غفران لصاحب الكبيرة لأن الجنة جاءت جزاء للمتقين خاصة فلا يعطى حقهم غيرهم أجابت الأشاعرة بأنه لم لا يجوز أن يرضى المتقون بادخال الله أهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفى قوله (لهم فيها ما يشاؤن) دلالة على أن حصول المرادات بأسرها لا تكون الا فى الجنة وأما فى الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير فى (كان) لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله (على ربك) أن ذلك

على التأويل الذي اخترناه جمع مفتح الذي يفتح به وكان قتادة يتأول في قوله أو صديقكم
ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أو صديقكم فلو أكلت
من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس قال معمر قلت لقتادة أولا أشرب من هذا الحب
قال أنت لي صديق وأما قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فان أهل التأويل
اختلفوا في تأويله فقال بعضهم كان الغني من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير فرخص لهم في
الاكل معهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن
جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان الغني يدخل
على الفقير من ذوي قرابته وصديقه فيدعوه الى طعامه ليأكل معه فيقول والله اني لأجنح أن
آكل معك والجنح الحرج وأنا غني وأنت فقير فأمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا * وقال آخرون
بل عني بذلك حي من أحياء العرب كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل الا مع غيره فأذن الله
لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره ذكر من قال ذلك حدثني علي قال
ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال كانوا يأنفون ويتحرجون
أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح
أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج
قال كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده حتى نزلت هذه الآية حدثت عن
الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كانوا لا يأكلون الا جميعا
ولا يأكلون متفرقين وكان ذلك فيهم دينا فأنزل الله ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى
وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد في قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان من العرب من لا يأكل
أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل الا جميعا فقال الله ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة قال نزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا في حي من العرب
كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه قال
وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة * وقال آخرون بل عني بذلك قوم كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم
ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤا ذكر من قال ذلك حدثني
أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سليمن عن أبي صالح وعكرمة قالا كانت الانصار
اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فرخص لهم قال الله لا جناح عليكم
أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله وضع الحرج
عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا اذا شاؤا أو أشتاتا متفرقين اذا أرادوا وجائز أن يكون ذلك نزل
بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الاكل مع الفقير وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر
أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا و بسبب غير ذلك ولا خبر بشئ من ذلك يقطع العذر ولا دلالة
في ظاهر التنزيل على حقيقة شئ منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما
لم يكن على صحته دليل وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله اختلف
أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم معناه فاذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم فسلموا على
أهليكم وعيالكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن الزهري وقتادة في قوله فسلموا على أنفسكم قالا بيتك اذا دخلته فقل سلام عليكم حدثنا

واجب على الله حتى انه لو لم يفعل استحق الذم وأجيب بأنه واجب بحكم الوعد لقوله (وعدا مسؤلا) كأن المكلفين سألوا بلسان الحال من حيث تحملوا المشقة الشديدة في طاعته أو سألوه حقيقة بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو سألته الملائكة في قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم أو من حقه أن يسئل ويطلب لانه حق واجب بحكم الاستحقاق أو بحسب الموعد على المؤمنين قوله (ويوم نحشرهم) رجوع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله (وما يعبدون) أنها الأصنام وظاهر قوله (أأنتم

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سلم على أهلك قال ابن جريج وسئل عطاء بن أبى رباح أحق على الرجل اذا دخل على أهله أن يسلم عليهم قال نعم وقالها عمرو بن دينار وتلوا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال عطاء بن أبى رباح ذلك غير مرة * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه قال ابن جريج وأخبرنى زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء اذا خرجت أواجب السلام هل أسلم عليهم فانما قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا قال ما أعلمه واجبا ولا آثر عن أحد وجوبه ولكن أحب الىّ وما أدعه الا ناسيا قال ابن جريج وقال عمرو بن دينار لا قال قلت لعطاء فان لم يكن فى البيت أحد قال سلم قل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله قلت له قولك هذا اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عمن تأثره قال سمعته ولم يؤثر لى عن أحد قال ابن جريج وأخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال السلام علينا من ربنا وقال عمرو بن دينار السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أحمد بن عبد الرحيم قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال ثنا صدقة عن زهير عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه حدثنا محمد بن عباد الرازى قال ثنا حجاج بن محمد الاعور قال قال لى ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فذكر مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم يقول سلموا على أهاليكم اذا دخلتم بيوتكم وعلى غير أهاليكم فسلموا اذا دخلتم بيوتهم * وقال آخرون بل معناه فاذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال هى المساجد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتك فقل السلام عليكم * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم فليسلم بعضكم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فسلموا على أنفسكم أى ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخل المسلم سلم عليه كمثل قوله لا تقتلوا أنفسكم انما هو لا تقتل أخاك المسلم وقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم قال يقتل بعضكم بعضا قريظة والنضير * وقال آخرون معناه فاذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين فقل مثل ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن ماهان قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال تقول السلام علينا من ربنا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال

أضللتم) أنه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلأجل هذا اختلفوا لحمله قوم ومنهم الكلبى على الأوثان ثم قالوا لا يبعد أن يخلق الله تعالى فيها الحياة والنور والنطق أو أراد أنهم تكلموا بلسان الحال وقال الأكثرون انه عام للاصنام وللعبودين العقلاء نظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد تستعمل فى العقلاء أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم كما اذا أردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد أطويل أم قصير والسائل الله وحده أو الملائكة

أخبرنا شعبة عن منصور قال شعبة وسألته عن هذه الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قال قال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج عن نافع أن عبد الله كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال ثنا منصور عن ابراهيم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت بيتا فيه يهود فقل السلام عليكم وان لم يكن فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه فاذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فليسلم بعضكم على بعض وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه قال فاذا دخلتم بيوتا ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت وقال فسلموا على أنفسكم يعنى بعضكم على بعض فكان معلوما اذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض أنه معنى به جميعها مساجدها وغير مساجدها ومعنى قوله فسلموا على أنفسكم نظير قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله تحية من عند الله ونصب تحية بمعنى تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية فكأنه قال فليحى بعضكم بعضا تحية من عند الله وقد كان بعض أهل العربية يقول انما نصبت بمعنى أمركم بها تفعلونها تحية منه ووصف جل ثناؤه هذه التحية بالمباركة الطيبة لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات يقول تعالى ذكره هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم كما فصل لكم فى هذه الآية ما أحل لكم فيها وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لعلكم تعقلون يقول لكى تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ما المؤمنون حق الايمان الا الذين صدقوا الله ورسوله واذا كانوا معه يقول واذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يقول على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور فى أمر نزل لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يقول اذا كان أمر طاعة لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال أمر من طاعة الله عام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال سأل مكحولا الشامى انسان وأنا أسمع ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله فى هذه الآية واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فقال مكحول فى يوم الجمعة وفى زحف وفى كل أمر جامع قد أمر أن لا يذهب أحد فى يوم جمعة حتى يستأذن الامام وكذلك فى كل جامع ألا ترى أنه يقول واذا كانوا معه على أمر جامع حدثنى يعقوب قال ثنى ابن علية قال أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان الرجل اذا كانت له حاجة والامام يخطب قام فأمسك بأنفه فأشار اليه الامام أن يخرج قال فكان رجل قد أراد الرجوع الى أهله فقام الى هرم بن حيان وهو يخطب فأخذ بأنفه فأشار اليه هرم أن يذهب فخرج الى أهله فأقام فيهم ثم قدم قال له هرم أين كنت قال فى

باذنه وانما قال أنتم وهم ولم يقل أأضللتم عبادى هؤلاء أم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عمن تولى فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب أن يجيب المعبودون بما أجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أأنت قلت للناس وكان القياس أن يقال ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه فى هداه الطريق والأصل هداه الى الطريق أو للطريق (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذى هو مختص بابليس

أهلى قال أباذن ذهبت قال نعم قمت اليك وأنت تخطب فأخذت بأنفى فأشرت الى أن اذهب فذهبت فقال أفاتخذت هـذا دغلا أو كلمة نحوها ثم قال اللهم أخر رجال السوء الى زمان السوء حدثني الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال هو الجمعة اذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه قال الامر الجامع حين يكونون معه فى جماعة الحرب أو جمعة قال والجمعة من الامر الجامع لا ينبغى لأحد أن يخرج اذا قعد الامام على المنبر يوم الجمعة الا باذن سلطان اذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ولا يخرج الا باذن واذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل اليه فالله أولى بالعذر وقوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله يقول تعالى ذكره ان الذين لا ينصرفون يا محمد اذا كانوا معك فى أمر جامع عنك الا باذنك لهم طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندى أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير اذن منك له بعد تقدمك اليه أن لا ينصرف عنك الا باذنك وقوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم يقول تعالى ذكره فاذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك الا باذنك فى هذه المواطن لبعض شأنهم يعنى لبعض حاجاتهم التى تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم فى الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم يقول وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ان الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فان دعاءه موجبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها * وقال آخرون بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوا يا رسول الله فى لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد فى تجهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوه يا رسول الله فى لين وتواضع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يفخموه ويشرفوه * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى التأويل الذى قاله ابن عباس وذلك أن الذى قبل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهى من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه فى الامر الذى يجمع جميعهم ما يكرهه والذى بعده وعيد للمنصرفين عنه بغير اذنه فالذى بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سخطه أن يضطره الى الدعاء عليهم أشبه

وحزبه وأنطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبى أو غيرهما ندا أو قصدوا تنزيهه من أن يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم أو ايذاء من كان بريئا من الجرم بل انما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم من قرأ (أن نتخذ) بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والأصل أن نتخذ أولياء من دونك فزيدت من لتأكيد معنى النفى ومن قرأ بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحن والثانى من أولياء

من أن يكون أمر الهم عالم بحرانه ذكره من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يقول تعالى ذكره انكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير اذنه تسترا وخفية منه وان خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا باذنه أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قول الله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال كانوا يستتر بعضهم ببعض فيقومون فقال فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال خلافا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير اذن النبي صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الفتنة ههنا الكفر واللواذ مصدر لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا ولذلك ظهرت الواو ولو كان مصدرا للذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما واذا قيل قاومتك قيل قواما طويلا واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك وقوله أو يصيبهم عذاب أليم يقول أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وأدخلت عن لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان لله ملك جميع السموات والارض يقول فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه فيستوجب بذلك عقوبته يقول فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم فأطيعوه وأتمروا لأمره ولا تنصرفوا عن رسوله اذا كنتم معه على أمر جامع الا باذنه وقوله قد يعلم ما أنتم عليه من طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك كما حدثني أيضا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم ما أنتم عليه صنيعكم هذا أيضا ويوم يرجعون اليه يقول ويوم يرجع الى الله الذين يخالفون عن أمره فينبئهم يقول فيخبرهم حينئذ بما عملوا في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم والله بكل شئ عليم يقول والله ذو علم بكل شئ عملتموه أنتم وهم وغيركم وغير ذلك من الامور لا يخفى عليه شئ بل هو محيط بذلك كله وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون اليه

﴿ آخر تفسير سورة النور ﴾

﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ قال أبو جعفر تبارك تفاعل من البركة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن

ولا تكون من زائدة لانها لا تزاد في المفعول الثاني تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي فمن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفي تفسير الآية على القراءة الأولى وجوه الأول أن المعنى اذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثاني ما كان يصح لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة

سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبوروق عن الضحاك عن عبدالله بن عباس قال تبارك تفاعل من البركة وهو كقول القائل تقدس ربنا . فقوله تبارك الذى نزل الفرقان يقول تبارك الذى نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون محمد لجميع الجن والانس الذين بعثه الله اليهم داعيا اليه نذيرا يعنى منذرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ان لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كل مادونه من الآلهة والأوثان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال النبى النذير وقرأ وان من أمة الاخلا فيها نذير وقرأ وما أهلكنا من قرية الالها منذرون قال رسل قال المنذرون الرسل قال وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ذو القرنين ثم بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع أحدا يحق أنه كان نبيا وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقال لم يرسل الله رسولا الى الناس عامة الا نوحا بدأ به الخلق فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا﴾ يقول تعالى ذكره تبارك الذى نزل الفرقان الذى له ملك السموات والأرض فالذى الثانية من نعت الذى الأولى وهما جميعا فى موضع رفع الأولى بقوله تبارك والثانية نعت لها وبعنى بقوله الذى له ملك السموات والأرض الذى له سلطان السموات والأرض ينفذ فى جميعها أمره وقضاءه ويمضى فى كلها أحكامه يقول فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن فى سلطانه ولا يعصوه يقول فلا تعصوا نذيرى اليكم أيها الناس واتبعوه واعملوا بما جاءكم به من الحق ولم يتخذ ولدا يقول تكذيبا لمن أضاف اليه الولد وقال الملائكة بنات الله ما اتخذ الذى نزل الفرقان على عبده ولدا فمن أضاف اليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه ولم يكن له شريك فى الملك يقول تكذيبا لمن كان يضيف الالوهة الى الاصنام ويعبدها من دون الله من مشركى العرب ويقول فى تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كذب قائلو هذا القول ما كان لله من شريك فى ملكه وسلطانه فيصلح أن يعبد من دونه يقول تعالى ذكره فأفردوا أيها الناس لربكم الذى نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والانس فان كل ذلك خلقه وفى ملكه فلا تصلح العبادة الا لله الذى هو مالك جميع ذلك وقوله وخلق كل شئ يقول تعالى ذكره وخلق الذى نزل على محمد الفرقان كل شئ فالأشياء كلها خلقه وملكه وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره يقول وأنا خالقكم ومالككم فأخلصوا الى العبادة دون غيرى وقوله فقدره تقديرا يقول فسوى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ يقول تعالى ذكره مقرعا مشركى العرب بعبادتهم مادونه من الآلهة ومعجبا أولى النهى منهم ومنبهم على موضع خطا فعلهم وذهابهم عن منهج الحق وركوبهم من سبل الضلالة مالا يركبه الا كل مدخول الرأى مسلوب العقل واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذى له ملك السموات والأرض وحده من غير شريك الذى خلق كل شئ فقدره آلهة يعنى أصناما بأيديهم يعبدونها لا تخلق شيأ وهى تخلق ولا تملك لانفسها نفعا تجره اليها ولا ضرا تدفعه عنها ممن أرادها بضر ولا تملك اماتة حى ولا احياء ميت ولا نشره من

عن أبى مسلم الثالث تقدير مضاف محذوف أى ما كان لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أى لما علمنا أنك لا ترضى بهذا ما فعلنا أو قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغى لعبيدك أن يدعوا من دون اذنك وليا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء أنا من المعبودين وفى الآية دلالة على أنه لا تجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا و(الذكر) ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع أو ما فيه حسن ذكرهم فى الدنيا والآخرة قالت

بعد مماته وتركوا عبادة خالق كل شئ وخالق آلهتهم ومالك الضر والنفع والذى بيده الموت والحياة والنشور والنشور مصدر نشر الميت نشورا وهو أن يبعث ويحيا بعد الموت ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة ماهذا القرآن الذى جاءنا به محمد الا افك يعنى الا كذب وبهتان افتراه اختلقه وتخرصه بقوله وأعانه عليه قوم آخرون ذكر أنهم كانوا يقولون انما يعلم محمدا هذا الذى يجيئنا به اليهود فذلك قوله وأعانه عليه قوم آخرون يقول وأعان محمدا على هذا الافك الذى افتراه يهود ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأعانه عليه قوم آخرون قال يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فقد جاؤا ظلما وزورا يقول تعالى ذكره فقد أتى قائلو هذه المقالة يعنى الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ظلما يعنى بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله الى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه فكأن ظلم قائلى هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم اياه بغير صفته والزور أصله تحسين الباطل فتأويل الكلام فقد أتى هؤلاء القوم فى قيلهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون كذبا محضا * وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا قال كذبا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث وأنه المعنى بقوله وقالوا أساطير الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من شياطين قريش وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه فى مجلسه اذا قام ثم يقول أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول ما محمد أحسن حديثا منى قال فأنزل الله تبارك وتعالى فى النضر ثمانى آيات من القرآن قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ماذكر فيه الأساطير فى القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس نحوه الا أنه جعل قوله فأنزل الله فى النضر ثمانى آيات عن ابن اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس. حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أساطير الاولين أشعارهم وكهانتهم وقالها النضر بن الحرث فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن ان هذا الا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذى جاءنا به محمد أساطير الاولين يعنون أحاديثهم التى كانوا يسطرونها

المعتزلة فى قوله ولكن متعتهم الخ دليل بين على أن الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى آبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل أنهم ضلوا بأنفسهم لا باضلالنا وقالت الأشاعرة بل فيه دلالة على أن الله تعالى هو المضل حقيقة كأنهم قالوا الهنا أنت الذى أعطيتهم جميع مطالبهم فى الدنيا حتى استغرقوا فى بحر الشهوات وأعرضوا عن التوجه الى طاعتك

في كتبهم اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود فهي تملى عليه يعنون بقوله فهي تملى عليه
فهذه الأساطير تقرأ عليه من قولهم أمليت عليك الكتاب وأمللت بكرة وأصيلا يقول وتملى عليه
غدوة وعشيا وقوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء
المكذبين بآيات الله من مشركي قومك ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الاولين وأن
محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بل هو الحق أنزله الرب الذي يعلم سر من في
السموات ومن في الارض ولا يخفى عليه شيء ومحصي ذلك على خلقه ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم
وأضمروه في نفوسهم انه كان غفورا رحيما يقول انه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم فيتفضل عليهم
بعفوه يقول فلأن ذلك من عادته في خلقه يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الافك والفاعلون ما فعلتم
من الكفر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض قال ما يسر
أهل الارض وأهل السماء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة
يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا﴾ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة وعرضوا
عليه أشياء وسألوه الآيات فكان فيما كلموه به حينئذ فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن
ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن
عباس عن ابن عباس أن قالوا له فان لم تفعل لنا هذا يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم واحياء
آبائهم والمجيء بالله والملائكة قبيلا وماذكره الله في سورة بني اسرائيل فخذ لنفسك سل ربك يبعث
معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة
تغنيك عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من
ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل فأنزل الله في قولهم أن
خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذها أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا أو يبعث معه ملكا يصدقه بما
يقول ويردعنه من خاصمه وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا فتأويل الكلام وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
الذي يزعم أن الله بعثه الينا يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في أسواقنا كما نمشي لولا أنزل اليه يقول
هلا أنزل اليه ملك ان كان صادقا من السماء فيكون معه منذرا للناس مصدقا له على ما يقول أو يلقى
اليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه الى التصرف في طلب المعاش أو تكون له جنة يقول
أو يكون له بستان يأكل منها واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة
وبعض الكوفيين يأكل بالياء بمعنى يأكل منها الرسول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين نأكل منها
بالنون بمعنى نأكل من الجنة * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك
للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه
هذه الخلال لنفسه لا لهم فاذ كانت مسألتهم اياه ذلك كذلك فغير جائز أن يقولوا له سل لنفسك
ذلك لنأكل نحن وبعد فان في قوله تعالى ذكره تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الأنهار دليلا بينا على أنهم انما قالوا له اطلب ذلك لنفسك لتأكل أنت منه لا نحن
وقوله وقال الظالمون يقول وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ان تتبعون أيها القوم باتباعكم

والاشتغال بخدمتك فان هي الا
فتنتك أما قوله (وكانوا قوما بورا)
فالاكثرون على أن البور جمع
بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ
وحائل وحول وحكى الأخفش أنه
اسم جمع يقال رجل بور أي فاسد
هالك لاخير فيه وامرأة بور وقوم
بور وكما يقال أنت بشر وأنتم بشر
قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك
بسبب اختيارهم الضلال وقالت
الاشاعرة أراد انهم كانوا في اللوح
المحفوظ من جملة الهالكين ولو
قيل انه فعل بالكافر ما صار معه
بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح
القول بالقدر أيضا قوله (فقد
كذبوكم) التفات لاجل الالزام والفاء

محمدا الا رجلا به سحر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل وأخطؤا طريق الهدى والرشاد فلا يستطيعون يقول فلا يجدون سبيلا الى الحق الا فيما بعثتك به ومن الوجه الذى ضلوا عنه وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى التمسوا الهدى فى غير ما بعثتك به اليهم فضلوا فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى فى غيره * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا يخرجهم من الامثال التى ضربوا لك وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره تقدس الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك واختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك التى فى قوله جعل لك خيرا من ذلك فقال بعضهم معنى ذلك خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن ذلك الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا فقال جنات تجرى من تحتها الأنهار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك خيرا مما قالوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قال مما قالوا وعن والك فيجعل لك مكان ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار * وقال آخرون عنى بذلك المشى فى الاسواق والتماس المعاش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد فيما يرى الطبرى عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ثم قال تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا * قال أبو جعفر والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك أشبه بتأويل الآية لأن المشركين انما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا يلقى اليه كنز واستنكروا أن يمشى فى الأسواق وهو لله رسول فالذى هو أولى بوعد الله اياه أن يكون وعدا بما هو خير مما كان عند المشركين عظيما لا مما كان منكرا عندهم وعنى بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار بساتين تجرى فى أصول أشجارها الانهار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جنات تجرى من تحتها الانهار قال حوائط وقوله ويجعل لك قصورا يعنى بالقصور البيوت المبنية وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويجعل لك قصورا قال بيوتا مبنية مشيدة كان ذلك فى الدنيا قال كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

فيه تدل على شرط مقدر كأنه قال ان زعمتم أنهم آلهتكم فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة أو بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا على اختلاف قراءتى الخطاب والغيبة قال جار الله الباء فى الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وفى الثانى كقولك كتبت بالقلم (فما تستطيعون) أنتم يا كفار أو فما يستطيع آلهتكم على القراءتين صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصى عن فعله وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال ثم

و يجعل لك قصورا مشيدة فى الدنيا كل هذا قالته قريش وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما (١) كان صغيرا اقصرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها مالم نعطه نبى قبلك ولا نعطى من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى فقال اجمعوها لى فى الآخرة فأنزل الله فى ذلك تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و يجعل لك قصورا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ يقول تعالى ذكره ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة و بعث الله الاموات أحياء لحشر القيامة وأعتدنا يقول وأعددنا لمن كذب ببعث الله الاموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة نارا تسعر عليهم وتتقد اذا رأتهم من مكان بعيد يقول اذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك أن تغلى وتفور يقال فلان تغيظ على فلان وذلك اذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين فى كلامه وزفيرا وهو صوتها فان قال قائل وكيف قيل سمعوا لها تغيظا والتغيظ لا يسمع قيل معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد حدثنى محمود بن خداش قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى قال ثنا أصبغ بن زيد الوراق عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول على مالم أقل فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قالوا يا رسول الله وهل لها من عين قال ألم تسمعوا الى قول الله اذا رأتهم من مكان بعيد الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سمعوا لها تغيظا و زفيرا قال أخبرنى منصور بن المعتمر عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبى الا خر ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم ليجثو على ركبتيه فيقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسى حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتنزوى و ينقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك فتقول انه ليستجير منى فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول أن تسعنى رحمتك قال فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فتشهق اليه النار شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾ يقول تعالى ذكره واذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال دعوا هنالك ثبورا واختلف أهل التأويل فى معنى الثبور فقال بعضهم هو الويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وادعوا ثبورا كثيرا يقول ويلا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقول لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا * وقال آخرون الثبور الهلاك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الثبور الهلاك * قال أبو جعفر والثبور فى كلام

ذكر وعيد كل ظالم بقوله (ومن يظلم) الآية فاستدلت المعتزلة به على وعيد الفاسق وخلوده وذلك أن الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون والانصاف أنه لا دلالة فى الآية على مطلوبهم لان من ليست من صيغ العموم عند بعضهم ولئن سلم فلعل المراد الأكثر أو أقوام بأعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما أنه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا تدل على الخلود ثم بين بقوله (وما أرسلنا) الآية أنه لا وجه لقولهم ماله هذا الرسول يأكل الطعام لان هذه عادة مستمرة

(١) لعله سقط من قلم الناسخ أو كبيرا كما يفيده ما قبله والذى فى ابن كثير صغيرا كان أو كبيرا فتنبه كتبه مصححه

العرب أصله انصراف الرجل عن الشئ يقال منه ما ثبرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه وهو فى هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله فى الدنيا والايمان بما جاءهم به نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه كما يقول القائل واندامتاه واحسرتاه على ما فرطت فى جنب الله وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى قوله دعوا هنالك ثبورا أى هلكة ويقول هو مصدر من ثبر الرجل أى أهلك ويستشهد لقيله فى ذلك ببيت ابن الزبعرى

اذ أجارى الشيطان فى سنن الغـ * ـى ومن مال ميله مثبور

وقوله لا تدعوا اليوم أيها المشركون ندما واحدا أى مرة واحدة ولكن ادعوا ذلك كثيرا وانما قيل لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان الثبور مصدر والمصادر لا تجمع وانما توصف بامتداد وقتها وكثرتها كما يقال قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال ثنا على بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التى وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذى يدوم نعيمه ولا يبيد الذى وعد من اتقاه فى الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا يقول كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله فى الدنيا بطاعته وثواب تقواهم اياه ومصيرا لهم يقول ومصيرا للمتقين يصيرون اليها فى الآخرة وقوله لهم فيها ما يشاؤن يقول لهؤلاء المتقين فى جنة الخلد التى وعدهموها الله ما يشاؤن مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خالدين فيها يقول لابثين فيها ماكثين أبدا لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها وقوله كان على ربك وعدا مسئولا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك فى الدنيا حين قالوا آتنا ما وعدتنا على رسلك يقول الله تبارك وتعالى كان اعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التى وصف صفتها فى الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس كان على ربك وعدا مسئولا قال فسألوا الذى وعدهم وتنجزوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان على ربك وعدا مسئولا قال سألوا اياها فى الدنيا طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم اذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم فكان ذلك وعدا مسئولا كما وقت أرزاق العباد فى الارض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين وقت ذلك على مسئلتهم وقرأ وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله وعدا مسئولا الى أنه معنى به وعدا واجبا وذلك أن المسئول واجب وان لم يسئل كالدين ويقول ذلك نظير قول العرب لأعطينك ألفا وعدا مسئولا بمعنى واجب لك فتسأله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والانس والجن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن

من الله فى كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان فى قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا أحد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا من انهم وقال ابن الانبارى المحذوف هو الواو بعد الا فتكون الجملة حالا كقوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) قال الكلبى والفراء والزجاج ان هذا فى رؤساء المشركين كأبى جهل وغيره وفيه

أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول بالياء جميعا بمعنى ويوم يحشرهم ربك ويحشر ما يعبدون من دونه فيقول وقرأته عامة قراء الكوفيين نحشرهم بالنون فنقول وكذلك قرأه نافع وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول تعالى ذكره يقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول أأنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم الى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا أم هم ضلوا السبيل يقول أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم أنت ولينا من دونهم ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى قد غلب عليهم الشقاء والخذلان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يقول قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا ولم تكن لهم أعمال صالحة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وكانوا قوما بورا قال هم الذين لا خير فيهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكانوا قوما بورا قال يقول ليس من الخير في شيء البور الذي ليس فيه من الخير شيء واختلفت القراء في قراءة قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فقرأ ذلك عامة قراء الامصار نتخذ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع فانهما قرآه أن نتخذ بضم النون فذهب الذين فتحوها الى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره وأما الذين قرؤا ذلك بضم النون فانهم وجهوا معنى الكلام الى أن المعبودين في الدنيا انما تبرؤا الى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه كما أخبر الله عن عيسى أنه قال اذ قيل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون لعلل ثلاث احداهن اجماع الحجة من القراء عليها والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبا فقال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فأخبر عن الملائكة أنهم اذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرؤا الى الله من ولايتهم فقالوا لربهم أنت ولينا من دونهم فذلك

فقراء الصحابة كأنه اذا رأى الشريف الوضيع وقد أسلم قبله أنف أن يسلم فأقام على كفره لئلا يكون للوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن أنه في أصحاب البلاء والعافية يقول أحدهم لم أجعل مثله في الخلق والخلق والعلم والعقل والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من

يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء بمعنى ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء والثالثة أن العرب لا تدخل من هذه التي تدخل في الجحد الا في الاسماء ولا تدخلها في الأخبار لا يقولون ما رأيت أخاك من رجل وانما يقولون ما رأيت من أحد وما عندي من رجل وقد دخلت ههنا في الاولياء وهي في موضع الخبر ولو لم تكن فيها من كان وجها حسنا وأما البور فمصدر واحد وجمع للبائر يقال أصبحت منازلهم بورا أي خالية لاشئ فيها ومنه قولهم بارت السوق وبار الطعام اذا خلا من الطلاب والمشتري فلم يكن له طالب فصار كالشئ الهالك ومنه قول ابن الزبعرى

يا رسول المليك ان لساني * راتق ما فتقت اذ أنا بور

وقد قيل ان بور مصدر كالعدل والزور والقطع لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وانما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لانهم لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم الى عبادتهم بما تقولون يعني بقولكم يقول كذبوكم بكذبكم * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون قال عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين بقولهم وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الانبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله فقد كذبوكم الى فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعوهم الى الضلالة وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى لانه في سياق الخبر عنهم والقراءة في ذلك عندنا فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء على التأويل الذي ذكرناه لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقد حكي عن بعضهم أنه قرأه فقد كذبوكم بما يقولون بالياء بمعنى فقد كذبوكم بقولهم وقوله جل ثناؤه فما تستطيعون صرفا ولا نصرا يقول فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون لا يستطيعونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون قال ابن جريج لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصر أنفسهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا قال وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق ما لكم لا تناصرون قال من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده وقال العابدون من دون

الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرأ هذه الآية وقال آخرون انه احتجاج عليهم في اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وعناصبتهم لهم العداوة وأنواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصبر ورتهم تابعين خادمين بعد أن كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فيمن بين أن فلانا لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة

الله لا ينصره اليوم إلهه الذي يعبد من دون الله فقال الله تبارك وتعالى بل هم اليوم مستسلمون وقرأ قول الله جل ثناؤه فان كان لكم كيد فكيدون وروى عن ابن مسعود في ذلك ما حدثنا به أحمد ابن يونس قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال هي في حرف عبد الله بن مسعود فما يستطيعون لك صرفا فان تكن هذه الرواية عنه صحيحة صح التأويل الذي تأوله ابن زيد في قوله فقد كذبوكم بما تقولون ويصير قوله فقد كذبوكم خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين ويكون تأويل قوله حينئذ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذي هداك الله له ولا نصر أنفسهم مما بهم من البلاء الذي هم فيه بتكذيبهم اياك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ومن يظلم منكم أيها المؤمنون يعني بقوله ومن يظلم ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا كالذي ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج في قوله ومن يظلم منكم قال يشرك نذقه عذابا كبيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ومن يظلم منكم قال هو الشرك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق من أكلك الطعام ومشيك في الاسواق وأنت لله رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا من انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كالذي تأكل أنت وتمشي فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة فان قال قائل فان من ليست في التلاوة فكيف قلت معنى الكلام الا من انهم ليأكلون الطعام قيل قلنا في ذلك معناه أن الهاء والميم في قوله انهم كناية أسماء لم تذكر ولا بد لها من أن تعود على من كني عنه بها وانما ترك ذكر من واظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله من المرسلين عليه كما اكتفى في قوله وما منا الا له مقام معلوم من اظهار من ولا شك أن معنى ذلك وما منا الا من له مقام معلوم كما قيل وان منكم الا واردها ومعناه وان منكم الا من هو واردها فقوله انهم ليأكلون الطعام صلة لمن المتروك كما يقال في الكلام ما أرسلت اليك من الناس الا من انه ليبلغك الرسالة فانه ليبلغك الرسالة صلة لمن وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يقول تعالى ذكره وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغني والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة وكيف رضي كل انسان منهم بما أعطي وقسم له وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطي غيره يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا وجعلته يطلب المعاش في الاسواق ولا بتليكم أيها الناس وأختبر طاعتكم ربكم واجابتكم رسوله الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم اياه لأني لو أعطيته الدنيا لسارع كثير منكم الى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال ثنى عبد القدوس عن الحسن في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الآية يقول هذا الأعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ويقول هذا الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا .

موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا قلت أراد أن كلا من الابتلاء والفتنة يستدعي التمييز فحسن الاستفهام بعده أي يفتنكم ليظهر أنكم تصبرون على البلاء أم لا ولعل الأظهر أن الاستفهام غير متعلق بالفتنة وانما هو مستأنف للوعيد كقوله فهل أنتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا عالما بمن صبر ومن لا يصبر فيجازي كلا منهم بحسب ذلك وقيل في الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حسين بعثناك فقيرا لتكون

غنيا مثل فلان ويقول هذا السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون قال يمسك عن هذا ويوسع على هذا فيقول لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ويبتلى بالوجع كذلك فيقول لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء ليعلم من يصبر ممن يجزع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد فيما يرى الطبري عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قال وأنزل عليه في ذلك من قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا وعلى ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم وقوله وكان ربك بصيرا يقول وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان ربك بصيرا ان ربك لبصير بمن يجزع ومن يصبر

طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطائع من المخلص وقالت الصوفية أتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم عما يقولون والله أعلم

(تم الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء التاسع عشر أوله القول في تأويل قوله تعالى وقال الذين لا يرجون)

(فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري)

(تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابورى)

الجزء التاسع عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

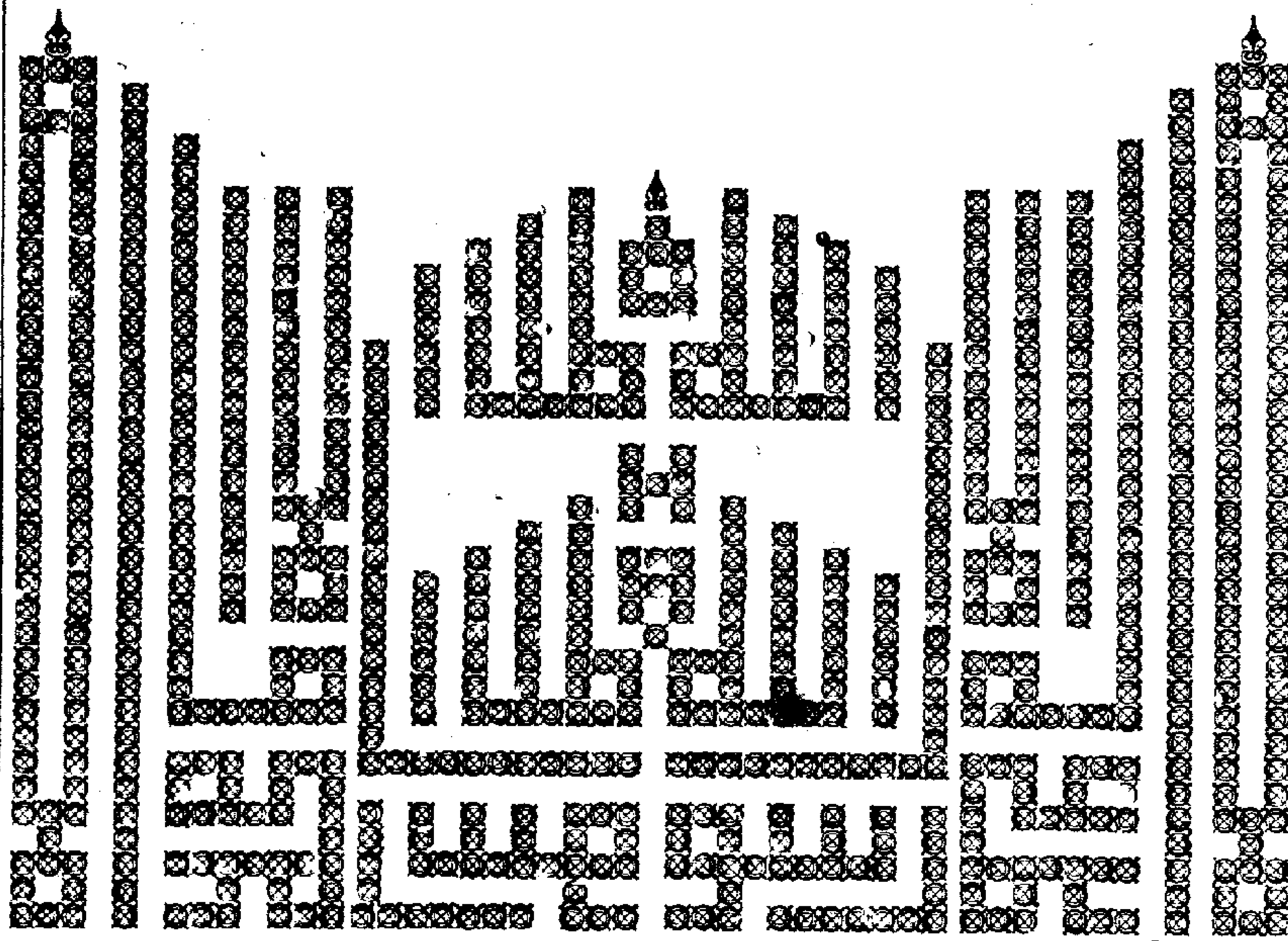
« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه «أى الطبرى» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفراينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه



الجزء التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ولا يخشون عقابنا هلا أنزل الله علينا ملائكته فتخبرنا أن محمدا محق فيما يقول وأن ما جاءنا به صدق أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ثم قال بعد أو تأتى بالله والملائكة قبيلا يقول الله لقد استكبر قائلو هذه المقالة فى أنفسهم وتعظموا وعتوا عتوا كبيرا يقول وتجاوزوا فى الاستكبار بقيلهم ذلك حده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال كفار قريش لولا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد استكبروا وعتوا عتوا لأن عتا من ذوات الواو فأخرج مصدره على الأصل بالواو وقيل فى سورة مريم وقد بلغت من الكبر عتيا وإنما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر فى هذا الوجه جمع الأسماء كقولهم قعد قعودا وهم قوم قعود فلما كان ذلك كذلك وكان العاتى يجمع عتيا بناء على الواحد جعل مصدره أحيانا موافقا لجمعه وأحيانا مردودا الى أصله

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا﴾ يقول تعالى ذكره يوم يرى هؤلاء الذين قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا بتصديق محمد الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ بخير ويقولون حجرا محجورا يعنى أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ومن الحجر قول المتلمس

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء

حنت الى نخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلك الدهاريس

ومنه قولهم حجر القاضي على فلان وحجر فلان على أهله ومنه حجر الكعبة لانه لا يدخل اليه في الطواف وانما يطاف من ورائه ومنه قول الآخر

فهممت أن (١) ألقى اليها محجرا * فلمثلها يلقى اليه المحجر

أي مثلها يركب منه المحرم * واختلف أهل التأويل في المخبر عنهم بقوله ويقولون حجرا محجورا ومن قائلوه فقال بعضهم قائلوا ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قول الله ويقولون حجرا محجورا قال تقول الملائكة حراما محرما أن تكون لكم البشرى حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي عن جدي عن الحسن عن قتادة ويقولون حجرا محجورا قال هي كلمة كانت العرب تقولها كان الرجل اذا نزل به شدة قال حجرا يقول حراما محرما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا لما جاءت زلازل الساعة فكان من زلازلها أن السماء انشقت فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها على شفة كل شئ تشقق من السماء فذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون يعني الملائكة تقول للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم يرون الملائكة قال يوم القيامة ويقولون حجرا محجورا قال عوذا معاذا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزاد فيه الملائكة تقوله * وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل المشركين اذا عاينوا الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيأ قالوا حجرا فقالوا حين عاينوا الملائكة قال ابن جريج قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام وأما الاستعاذة فانها الاستجارة وليست بتحريم ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم فيوجه الكلام الى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ يقول تعالى ذكره وقدمنا وعمدنا الى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ومنه قول الراجز

وقدم الخوارج الضلال * الى عباد ربهم فقالوا * ان دماءكم لنا حلال

يعني بقوله قدم عمد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقدمنا قال عمدنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فجعلناه هباء منثورا يقول فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وانما عملوه للشيطان والهباء هو الذي يرى كهيئة الغبار اذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشئ تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ولا يرى ذلك في الظل

الم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ام تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ﴾ ﴿ القراآت تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعل وكذلك في سورة ق عاصم وحمزة وعلي وخلف وأبو عمرو والآخرون بالتشديد للادغام وننزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون وينزل ماضيا مجهولا من التنزيل الملائكة بالرفع ياليتني اتخذت بفتح ياء المتكلم أبو عمرو قومي اتخذوا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وثمود بغير تنوين في الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الآخرون بالتنوين للمشاكلة أو بتأويل الحي لا القبيلة أو لأنه اسم الاب الأكبر الريح على التوحيد ابن كثير بشرا

(١) في اللسان أن أغشى اليها محجرا * فلمثلها يغشى الخ وحرره.

* واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال في هذه الآية هباء منثورا قال الغبار الذي يكون في الشمس * حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الشعاع في كوة أحدهم ان ذهب يقبض عليه لم يستطع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هباء منثورا قال شعاع الشمس من الكوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله هباء منثورا قال ما رأيت شيأ يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوة فهو الهباء * وقال آخرون بل هو ما تسفيه الرياح من التراب وتذروه من حطام الاشجار ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله هباء منثورا قال ما تسفي الريح وتبثه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة هباء منثورا قال هو ما تذرو الريح من حطام هذا الشجر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هباء منثورا قال الهباء الغبار * وقال آخرون هو الماء المهراق ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هباء منثورا يقال الماء المهراق وقوله جل ثناؤه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول تعالى ذكره أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرا وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا وأحسن منهم فيها مقيلا فان قال قائل وهل في الجنة قائلة فيقال وأحسن مقيلا فيها قيل معنى ذلك وأحسن فيها قرارا في أوقات قائلتهم في الدنيا وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة الا قدر ميقات النهار من أوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة فذلك معنى قوله وأحسن مقيلا ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول قالوا في الغرف في الجنة وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم في قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار فيقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال لم ينتصف النهار حتى يقضي الله بينهم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال وفي قراءة ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا

مذكور في الاعراف ميتا بالتشديد يزيد ونسقيه بفتح النون المفضل والبرجمي الباقون بضمها ﴿الوقوف﴾ ربنا ط كبيرا ه ط محجورا ه منثورا ه مقيلا ه تنزيلا ه (٤) للرحمن ط عسيرا ه سبيلا ه خليلا ه اذ جاءني ط لان ما بعده من اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل أن يكون من تتمة حكاية كلام الظالم خذولا ه مهجورا ه المجرمين ه ط ونصيرا ه واحدة ج على تقدير فرقنا انزاله كذلك أي كما ترى لنثبت وان وصلت وقفت على كذلك والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التوراة ثم أضمرت فعلا أي فرقناه لنثبت ترتيلا ه تفسيرا ه ط لأن ما بعده مبتدأ جهنم لا لأن ما بعده خبر سبيلا ه وزيرا ه ج للآية ولفاء العطف بآياتنا ط للفاء الفصيحة اى فذهبا وبلغا فعصوهما فدمرناهم تدميرا ه ط لان قوم نوح منصوب بمحذوف أي وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم آية ط لان ما بعده مستأنف أليما ه ج للآية ولاحتمال عطف عادا على الضمير في جعلناهم واحتمال انتصابه بمحذوف أي وأهلكنا عادا كثيرا ه الامثال ز فصلا بين الامرين المعظمين مع عطف الجملتين المتفقتين تتبيرا ه السوء ط يرونها لا للعطف مع الاضراب نشورا ه هزوا ط لحق المحذوف أي يقولون أهذا الذي رسولا ه عليها ط لانتهاء مقولهم سبيلا ه هواه ط وكيلا ه لا للعطف يعقلون ه ج لابتداء النفي سبيلا ه الظل ج لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع اتحاد المقصود ساكنا ج للعدول مع العطف دليلا ه يسيرا ه نشورا ه رحمته ج للعدول طهورا ه ج لتعلق اللام كثيرا ه ليذكروا ز والوصل أولى للفاء كفورا ه ﴿التفسير﴾ هذه شبهة رابعة لمنكري النبوة قال وانهم في قول الكلبي أبو جهل والوليد واضرابهما وتقريرها أن الحكيم لا بد أن يختار في مقصده طريقا يكون أسهل افضاء اليه ولا شك أن

انزال الملائكة ليشهدوا على صدق محمد أعون على المطلوب فلو كان محمد صادقا لكان مؤيدا بانزال الملائكة الشاهدين بصدقه قال الفراء معنى لا يرجون لا يخافون والرجاء في لغة تهامة الخوف وقال غيره الرجاء على أصله وهو الأمل الا أن الخوف

قال قال ابن عباس كان الحساب من ذلك في أوله وقال القوم حين قالوا في منازلهم من الجنة وقرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضي على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وأنهم يقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس فذلك قول الله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * قال أبو جعفر وانما قلنا معنى ذلك خير مستقرا في الجنة منهم في الدنيا لان الله تعالى ذكره عم بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها والقائلة من جميع أحوال أهل النار ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ولا في الدنيا دون الآخرة فالواجب أن يعم كما عم ربنا جل ثناؤه فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة وأحسن منهم مقيلا واذا كان ذلك معناه صح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله خير مستقرا على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم هذا خير من هذا وهذا أحسن من هذا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) اختلف القراء في قراءة قوله تشقق فقرأته عامة قراء الحجاز ويوم تشقق بتشديد الشين بمعنى تتشقق فأدغموا احدى التاءين في الشين فشددوها كما قال لا يسمعون الى الملا الأعلى وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ويوم تشقق بتخفيف الشين والاجتزاء باحدى التاءين من الأخرى والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ويوم تشقق السماء عن الغمام وقيل ان ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني اسرائيل وجعلت الباء في قوله بالغمام مكان عن كما تقول رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس بمعنى واحد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويوم تشقق السماء بالغمام قال هو الذي قال في ظلل من الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن قط الا لبني اسرائيل قال ابن جريج الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة * قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون حجابا منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة يقول والملائكة حوله * قال ثني حجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والانس وهو يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض فيقول أهل الارض جاءنا ربنا فيقولون لم يجئ وهو آت ثم تتشقق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف الى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل

يلزمه في هذه الصورة فان من لا يرجوا الجزاء والمعاد لا يخاف العقاب أيضا واللقاء الوصول لا بمعنى المكان والجهة فانه تعالى منزه عن ذلك بل بمعنى الرؤية عند الاشاعرة أو على ارادة الجزاء والحساب عند المعتزلة وقدمر في أوائل البقرة في قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ولعل تفسيره بلقاء الجزاء أنسب في هذا المقام لئلا يناقض قوله أو نرى ربنا أي جهرة وعيانا فيأمرنا بتصديقه واتباعه اللهم الا أن يراد ان الذين لا يرجون رؤيتنا في الآخرة اقترحوا رؤيتنا في الدنيا قال جار الله لا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله عزوجل لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وانه تعالى لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم انه سبحانه أجاب عن شبهتهم بقوله (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه ثم نسبهم الى الافراط في الظلم بقوله (وعتوا) ثم وصف العتو بالكبر قال جار الله اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفيها معنى التعجب كأنه قال ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم. وقال في التفسير الكبير تحرير هذا الجواب من

وجوه أحدها أن القرآن لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبعد ذلك لا يكون اقتراح أمثال هذه الآيات الا محض الاستكبار والاستنكار * وثانيها أن نزول الملائكة لو حصل لكان أيضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لخصوص

ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم شئ مبسوط كأنه القباء والعرش فوق ذلك ثم وقف * قال ثنا الحسن قال ثنا جعفر بن سليمن عن هرون بن رئاب عن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال اذا نظر أهل الارض الى العرش يهبط عليهم فوقهم شخصت اليه أبصارهم ورجفت كلاهم في أجوافهم قال وطارت قلوبهم من مقرها في صدورهم الى حناجرهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا وقوله ونزل الملائكة تنزيلا يقول ونزل الملائكة الى الارض تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن يقول الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه وقد كان في الدنيا ملوك فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار وكان يوما على الكافرين عسيرا يقول وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا يعني صعبا شديدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) يقول تعالى ذكره ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا يعني طريقا الى النجاة من عذاب الله وقوله يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا اختلف أهل التأويل في المعني بقوله الظالم وبقوله فلانا فقال بعضهم عني بالظالم عقبة بن أبي معيط لانه ارتد بعد اسلامه طلبا منه لرضا أبي بن خلف وقالوا فلان هو أبي ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم فزجره عقبة بن أبي معيط فنزل ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله خذولا قال الظالم عقبة وفلانا خليلا أبي بن خلف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي في قوله ليتني لم أتخذ فلانا خليلا قال كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية ابن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وهو الذي قال ليتني لم أتخذ فلانا خليلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري عن مقسم في قوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا قال اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذبه فلم يسلطه الله على ذلك فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال وهما اللذان أنزل الله فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم يعض الظالم على يديه الى قوله فلانا خليلا قال هو أبي بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم • فزجره •

كونه بنزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك ورد الآخر ترجيحا لأحد المثلين من غير مرجح * وثالثها أنهم بتقدير رؤية الرب وتصديقه لرسوله لا يستفيدون علما أزيد (٦) من تصديق المعجزات لا فرق بين أن يقول النبي اللهم ان كنت صادقا فأحي هذا الميت فيحييه وبين أن يقول ان كنت صادقا فصدقني فيصدقه فتعيين أحد الطرفين محض العناد * ورابعها أن العبد ليس له أن يعترض على فعل مولاه اما بحكم المالكية عند الاشعري أو بحكم المصلحة عند المعتزلي * وخامسها أن السائل الملح المعاند الذي لا يرضى بما ينعم عليه مذموم واظهار المعجز من جملة الايادي الجسيمة فرد احداها واقتراح الاخرى ليس من الادب في شئ * وسادسها لعل المراد اني لو علمت بأنهم ليسوا مستكبرين عاتين لأعطيتهم مطلوبهم لكني علمت انهم انما سألوا لأجل المكابرة والعناد فلا جرم لا أعطيهم * وسابعها لعلهم عرفوا من أهل الكتاب أن الله تعالى لا يرى في الدنيا وأنه لا ينزل الملائكة على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك فهم مستكبرون ساخرون واستدلت الاشاعرة بقوله لا يرجون لقاءنا على أن رؤية الله مرجوة واستدلت المعتزلة بقوله لقد استكبروا وعتوا أن اقتراح الرؤية مستنكر ولا يخفى ضعف الاستدلالين وانتصب يوم يرون باضمار اذكر فيكون لا بشرى مستأنفا أو بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى بالجنة وبرؤية الحق ويومئذ للتكرير وقوله للمجرمين ظاهر في موضع الضمير أو عام فيتناول هؤلاء لعمومه ولاجل هذا العموم استدلت المعتزلة به على القطع بوعيد كل مجرم وان كان من أهل القبلة وحمل الاشاعرة الجرم على الكفر أما قوله (حجرا محجورا) فانها كلمة يتلفظ بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة يضعونها موضع الاستعاذة يقول الرجل للرجل تفعل كذا فيقول حجرا وقد ذكره سيبويه في باب المصادر

فزجره عقبة بن أبي معيط حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويوم يعض الظالم على يديه قال عقبة بن أبي معيط دعا مجلسا فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لطعام فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال ما أنت بآكل حتى أشهد قال نعم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فلقيه أمية بن خلف فقال صبوت فقال ان أخاك على ما تعلم ولكني صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك فقلته وليس من نفسي * وقال آخرون عنى بفلان الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلانا خليلا قال الشيطان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني يقول جل ثناؤه مخبرا عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا من معصية ربه في طاعة خليله لقد أضلني عن الايمان بالقرآن وهو الذكر بعد اذ جاءني من عند الله فصدني عنه يقول الله وكان الشيطان للانسان خذولا يقول مسلما لما ينزل به من البلاء غير منقذه منه ولا منجيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) يقول تعالى ذكره وقال الرسول يوم يعض الظالم على يديه يارب ان قومي الذين بعثتني اليهم لأدعوهم الى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا * واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجورا فقال بعضهم كان اتخاذهم ذلك هجرا قولهم فيه السيء من القول وزعمهم أنه سحر وأنه شعر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال يهجرون فيه بالقول يقولون هو سحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وقال الرسول الآية يهجرون فيه بالقول قال مجاهد وقوله مستكبرين به سامرا تهجرون قال مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تهجرون قال بالقول السيء في القرآن غير الحق حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قول الله ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال قالوا فيه غير الحق ألم تر الى المريض اذا هذى قال غير الحق * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا لا يريدون أن يسمعوه وان دعوا الى الله قالوا لا وقرأ وهم ينهون عنه وينأون عنه قال ينهون عنه ويبعدون عنه * قال أبو جعفر وهذا القول أولى بتأويل ذلك وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذلك هجرهم اياه وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوا من مشركي قومه فلم تخصص بذلك من بينهم يقول فاصبر لما نالك منهم

التي ترك اظهار فعلها نحو معاذ الله وعمرك الله ومعناه منعا أي أسأل الله أن يمنع ذلك منعا كأن المستعيذ طالب من الله عز وجل أن يمنع المكروه ووصفه بالمحجور للتأكيد كما يقال شعر شاعر وجد جده والأكثرون على أن القائلين هم الكفار اذا رأوا الملائكة عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون ما كانوا يقولونه عند نزول كل شدة وقيل هم الملائكة ومعناه حراما محرما أي جعل الله الجنة والغفران أو البشرى حراما عليكم يروى أن الكفار اذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا وقال الكلبي الملائكة على أبواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيامة تأتي الملائكة المؤمنين بالبشرى فاذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ثم أخبر عن وعيد آخر لهم وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالا لها صورة الخير من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وأمثالها مع عدم بنائها على أساس الايمان فمثلت حالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها بحيث لم يترك منها أثرا والا فلا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولتنزهه سبحانه عن الجسمية وصفاتها قال أهل المعاني القادم الى الشيء قاصد له فالقصد هو المؤثر في القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا وقيل أراد بقدوم الملائكة بأمره الى موضع الحساب في الآخرة والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وقال مقاتل انه الغبار الذي يسطع من حوافر الدواب وفي أمثالهم أقل من الهباء شبه عملهم بالهباء في قلته وحقارته وأكد المعنى بوصف الهباء بالتناثر لأنك تراه منتظما مع الضوء حتى اذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب والمراد جعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر ولام الهباء واو بدليل الهبوة بمعناه ثم ميز حال الأبرار

عن حال الفجار بقوله (أصحاب الجنة يومئذ خير) ووجه صحة التفضيل ما بين فى قوله قل أذلك خير أم جنة الخلد أو التفاوت بين المنزلتين انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث انه موضع (٨) لا شرفيه أو هو على سبيل الفرض أى لو كان لهم مستقر كان مستقر أهل الجنة خيرا منه والمستقر مكان الاستقرار والمقيل المكان الذى يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم والاستمتاع بمغازلتهن وملامستهن كحال المترفين فى الدنيا ولا نوم فى الجنة وانما سمى مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفى اختيار لفظ الأحسن دون أن يقول خير مقيلا رمز الى التحسينات الحاصلة فى مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور وغير ذلك قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وعن سعيد بن جبير ان الله تعالى اذا أخذ فى فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغداة الى نصف النهار فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقال مقاتل يخفف الحساب على أهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من أيام الدنيا ثم يقيلون من يومهم ذلك فى الجنة وحاصل الآية أن أصحاب الجنة من المكان فى أطيب مكان ومن الزمان فى أحسن زمان ثم أراد أن يصف أهوال يوم القيامة فقال (ويوم تشقق) أى واذكر يوم تتفتح السماء بسبب غمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة فينزلون وفى أيديهم صحائف أعمال العباد قال الفراء الباء بمعنى عن لأن السماء لا تنشق بالغمام بل عن الغمام كما يقال انشقت الارض عن النبات أى ارتفع التراب عنه عند طلوعه وقال القاضى لا يمتنع أن يجعل الله تعالى الغمام بحيث يشقق السماء باعتماده عليها عن مقاتل تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وكذلك تشقق سماء سماء ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الرب تعالى قال العلماء هذا نزول الحكم والقضاء لا نزول الذات وأما نزول الملائكة

كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن عباس وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين قال يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوا من المجرمين كما جعل لمن قبله وقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا يقول تعالى ذكره لنبيه وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك الى الحق ويبصرك الرشد ونصيرا يقول ناصرا لك على أعدائك يقول فلا يهولنك أعداؤك من المشركين فانى ناصرك عليهم فاصبر لأمرى وامض لتبليغ رسالتى اليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله لولا نزل عليه القرآن يقول هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة قال الله كذلك لنثبت به فؤادك تنزيله عليك الآية بعد الآية والشئ بعد الشئ لنثبت به فؤادك نزلناه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا قال كان الله ينزل عليه الآية فاذا علمها نبى الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ويثبت به فؤاده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى قال كذلك لنثبت به فؤادك قال كان القرآن ينزل عليه جوابا لقولهم ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق ويعنى بقوله لنثبت به فؤادك لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك ونشجعك به وقوله ورتلناه ترتيلا يقول وشيأ بعد شئ علمناكه حتى تحفظته والترتيل فى القراءة الترسل والتثبت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله ورتلناه ترتيلا قال نزل متفرقا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ورتلناه ترتيلا قال كان ينزل آية وآيتين وآيات جوابا لهم اذا سألوا عن شئ أنزله الله جوابا لهم وردا عن النبى فيما يتكلمون به وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ورتلناه ترتيلا قال كان بين ما أنزل القرآن الى آخره أنزل عليه لأربعين ومات النبى صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين * وقال آخرون معنى الترتيل التبيين والتفسير ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ورتلناه ترتيلا قال فسرناه تفسيرا وقرأ ورتل القرآن ترتيلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) يقول تعالى ذكره ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه الا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاؤا به وأحسن منه تفسيرا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق قال الكتاب بما ترد به ما جاؤا به من الامثال التى جاؤا بها وأحسن تفسيرا وعنى بقوله وأحسن تفسيرا وأحسن مما جاؤا به من المثل بيانا وتفصيلا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى

مع كثرتهم وصغر حجم الارض بالقياس الى السماء فقالوا لا يبعد أن يوسع الله الارض عرضا وطولا بحيث تسع كل هؤلاء ومن المفسرين
من قال الملائكة يكونون في الغمام وهو سترة بين السماء والارض والله تعالى فوق (٩) أهل القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأحسن تفسيرا يقول أحسن تفصيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأحسن تفسيرا قال بيانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأحسن تفسيرا يقول تفصيلا وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا يقول تعالى ذكره لنبيه هؤلاء المشركون يا محمد القائلون لك لولا نزل هذا القرآن جملة واحدة ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم فيساقون الى جهنم شر مستقرا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة وأضل منهم في الدنيا طريقا * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أولئك شر مكانا من أهل الجنة وأضل سبيلا قال طريقا حدثنا محمد بن يحيى الأزدي قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا شيبان عن قتادة قوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو قال ثنا خلاد بن يحيى الكوفي قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد قال أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف يحشرهم على وجوههم قال الذي يحشرهم على أرجلهم قادر بأن يحشرهم على وجوههم حدثنا عبيد بن محمد الوراق قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود عن أنس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر أهل النار على وجوههم فقال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت الحسن يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فقالوا يا نبي الله كيف يمشون على وجوههم قال أرأيت الذي أمشاهم على أقدامهم أليس قادرا أن يمشيهم على وجوههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور بن زاذان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي خالد عن أبي هريرة قال يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أقدامهم وصنف على وجوههم فقيل كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الامم المكذبة رسلها ولقد آتينا يا محمد موسى الكتاب يعني التوراة كالذي آتيناك من الفرقان وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا يعني معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول فقلنا لهما اذهبا الى فرعون وقومه الذين كذبوا بأعلامنا وأدلتنا فدمرناهم تدميرا وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر من ذكره وهو فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ ۞ القول

قال تنشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم ويصيرون سبع صفوف حول العالم والظاهر أن اللام في الغمام للجنس ومنهم من قال هي للعهد والمعهود قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة كما كان لبني اسرائيل في التيه ومعنى (تنزيلا) توكيد للنزول ودلالة على اسراعهم فيه قال الزجاج (الحق) صفة الملك أي الملك الثابت الذي لا يزول (للرحمن) يومئذ ونظيره مالك يوم الدين ويجوز أن يكون يومئذ تكريرا لقوله ويوم تشقق واعرابهما واحد والفائدة في تخصيص ذلك اليوم أن يعلم أنه لا مالك فيه سواه لا بالصورة ولا في الحقيقة فيخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل رقاب الجبابرة قالت الاشاعرة ههنا لو وجب على الله يومئذ الثواب لاستحق الذم بتركه وكان خائفا أن لا يفعل فلم يكن له الملك على الاطلاق وأيضا لو كان العبد مالكا للثواب لم يكن الله تعالى مالكا مطلقا بل يكون عبدا ضعيفا لا يقدر على أن لا يؤدي ما عليه من العوض أو فقيرا محتاجا الى أن يدفع الذم عن نفسه بأداء ما عليه وكان ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين لا على المؤمنين واللام في الظالم ظاهر الاستغراق والشمول أو الجنس وعن ابن عباس أنه للعهد وذلك أن الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط

وكان يكثر مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى يأتي بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن

أبي أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه ولم تبزق في وجهه فوجده ساجدا (١٠) في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضي الله عنه بقتله وفي روايات الشيعة أن الظالم هو رجل بعينه وأن المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من الصحابة وفيه بعد لان تغيير القرآن كفر والعض على اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من لوازم الغيظ والتحسر غالبا ونظيره سقط في يده وأكل من بنانه وأمثال ذلك وقال الضحاك يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت فلا يزال كذلك كلما أكلها نبتت قال جار الله تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وفلان كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم فجعله كناية عنه قلت زعم بعض أئمة اللغة أنه لم يثبت استعمال فلان في الفصيح الا حكاية لا يقال جاءني فلان ولكن يقال قال زيد جاءني فلان لانه اسم اللفظ الذي هو علم لا اسم مدلول العلم ولذلك جاء في كلام الله تعالى يقول ياليتني الخ والذكر ذكر الله والقرآن أو موعظة الرسول أو نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله الذي أضله كما يضله الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو اشارة الى ابليس فانه هو الذي حمله على أن صار خليلا لذلك المضل وخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خذله أو أراد الجنس فيدخل فيه كل من تشيطن

يصنع

في تأويل قوله تعالى ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره وقوم نوح لما كذبوا رسلنا وردوا عليهم ما جاؤهم به من الحق أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس آية يقول وجعلنا تغريقنا اياهم واهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها وأعتدنا للظالمين عذابا أليما يقول وأعتدنا لهم من الكافرين بالله في الآخرة عذابا أليما سوى الذي حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا﴾ يقول تعالى ذكره ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرس واختلف أهل التأويل في أصحاب الرس فقال بعضهم أصحاب الرس من ثمود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وأصحاب الرس قال قرية من ثمود * وقال آخرون بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلج ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال ثنا جرير بن حازم قال قال قتادة الرس قرية من اليمامة يقال لها الفلج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس * وقال آخرون هم قوم رسوا نبيهم في بئر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي بكر عن عكرمة قال كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم * وقال آخرون هي بئر كانت تسمى الرس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأصحاب الرس قال هي بئر كانت تسمى الرس حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله وأصحاب الرس قال الرس بئر كان عليها قوم «قال أبو جعفر» والصواب من القول في ذلك قول من قال هم قوم كانوا على بئر وذلك أن الرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر

سبقت الى فرط باهل * تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله في كتابه الا أصحاب الاخدود فان يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فانا سنذكر خبرهم ان شاء الله اذا انتهينا الى سورة البروج وان يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا الا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة الا ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد الا ذلك الأسود ثم ان أهل القرية عدوا على النبي عليه السلام فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم قال وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه فيشتري به طعاما وشرابا ثم يأتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة فيعينه الله عليها فيدلي اليه طعامه وشرابه ثم يعيدها كما كانت قال فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم انه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان

من الجن والانس ثم ان الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل وقال (يارب ان قومى) يعنى قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى (١١) تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن أبى مسلم أن المراد وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وروى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى والجار محذوف أى جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا فله معنيان أحدهما أنهم زعموا أنه كلام لا فائدة فيه والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه لغوا فيه وجوز الكشاف أن يكون المهجور مصدرا بمعنى الهجر كالميسور والمجلود أى اتخذوه هجرا * سؤال هذا النداء بمنزلة قول نوح رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فكيف صارت شكاية نوح سببا لحلول العذاب بامته ولم تصر شكاية نبينا صلى الله عليه وسلم سببا لذلك * الجواب ان الكلام بالتمام وكان من تمام كلام نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يقتض الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته على الامة وان بلغ ايذاؤهم اياه الغاية ما أوذى نبى مثل ما أوذيت هذا مع أنه سبحانه سلاه وعزاه وأمره بالصبر على أذاهم حين قال (وكذلك جعلنا) بين ذلك أنه أسوة بسائر الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام البحث فيه قد سلف فى الانعام فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (وكفى بربك هاديا ونصيرا) الى مصالح الدين والدنيا أو الى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على أعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة وهى قولهم هلا نزل عليه القرآن حال كونه جملة واحدة أى مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعدية

يصنع ثم ذهب الى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان النبى عليه السلام يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون ما ندرى حتى قبض الله النبى فأهب الله الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة غير أن هؤلاء فى هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله وأصحاب الرس لأن الله أخبر عن أصحاب الرس أنه دمرهم تدميرا الا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون ذلك وجها وقرونا بين ذلك كثيرا يقول ودمرنا بين أضعاف هذه الامم التى سميناها لكم أمما كثيرة كما حدثنا الحسن ابن شبيب قال ثنا خلف بن خليفة عن جعفر بن على بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلفت بالمدينة عمى ممن يفتى على أن القرن سبعون سنة وكان عمه عبيد الله بن أبى رافع كاتب على رضى الله عنه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا حفص بن غياث عن الحجاج عن الحكم عن ابراهيم قال القرن أربعون سنة وقوله وكلا ضربنا له الامثال يقول تعالى ذكره وكل هذه الامم التى أهلكناها التى سميناها لكم أو لم نسمها ضربنا له الأمثال يقول مثلنا له الأمثال ونبهناها على حججنا عليها وأعذرنا اليها بالعبر والمواعظ فلم نهلك منهم أمة الا بعد الابلاغ اليهم فى المعذرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله وكلا ضربنا له الأمثال قال كل قد أعذر الله اليه ثم انتقم منه وقوله وكلا تبرنا تتبيرا يقول تعالى ذكره وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم فدمرناهم بالعذاب ابادة وأهلكناهم جميعا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال تبر الله كلا بعذاب تتبيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير وكلا تبرنا تتبيرا قال تتبير بالنبطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال بالعذاب * القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا) يقول تعالى ذكره ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التى أمطرها الله مطر السوء وهى سدوم قرية قوم لوط ومطر السوء هو الحجارة التى أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء قال حجارة وهى قرية قوم لوط واسمها سدوم قال ابن عباس خمس قريات فأهلك الله أربعا وبقيت الخامسة واسمها صعوة لم تهلك صعوة كان أهلها لا يعملون ذلك العمل وكانت سدوم أعظمها وهى التى نزل بها لوط ومنها بعث وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم يا سدوم يوم لكم من الله أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله زعموا ان لوطا ابن أخى ابراهيم صلوات الله عليهما وقوله أفلم يكونوا يرونها يقول جل ثناؤه أولم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم فيعتبروا ويتذكروا فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم بل كانوا لا يرجون نشورا يقول تعالى ذكره ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند

فقط لقرينة قوله جملة خلاف ما تقرر في أكثر المواضع من ارادة التكثير المفيد للتدريج كما مر في قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه وأنزل التوراة والانجيل والقائلون (١٢) قريش أو اليهود فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (لنثبت) الخ وتقريره من وجوه
أحدها أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئا كاتبا بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزله الله عليه منجما في عشرين سنة وعن ابن جريج في ثلاث وعشرين ليكون أقرب الى الضبط وأبعد عن النسيان والسهو وثانيها أن الاعتماد على الحفظ أقرب الى التحصيل من الاعتماد على الكتابة والحفظ لا بد فيه من التدرج وثالثها ان نزول الشرائع متدرجة أسهل على المكلف منها دفعة ورابعها أن نزول جبريل ساعة فساعة مما يقوي قلبه ويعينه على تحمل أعباء النبوة والرسالة وخامسها أن نزوله مفرقا يوجب وقوع التحدي على أبعاض القرآن وأجزائه ونزوله جملة يقتضي وقوع التحدي على مجموعه ولا ريب في أن الاول أدخل في الاعجاز وسادسها ان نزوله بحسب الوقائع والحوادث أوفق في باب التكاليف والاستبصار وأدل على الاخبار عن الحوادث في أوقاتها وسابعها أن في تجديد منصب السفارة في كل حين مزيد شرف لجبريل وللترتيل معان منها أنه قدره آية بعد آية ودفعة عقيب دفعة ومنها التأني في القراءة ومعنى ورتلناه أمرنا بترتيل قراءته ومنه حديث عائشة في قراءته لا يسرد كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعدها لعدها وهو مأخوذ من ترتيل الاسنان أي تفليجها يقال ثغر
مرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه ومنها انه نزله في مدد متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه ° ابن
في مدد متقاربة ثم ذكر أنهم محجوجون في كل أوان بقوله (ولا يأتونك بمثل) أي بسؤال عجيب من أسئلتهم الباطلة الذي كأنه مثل في

الله لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ولا يؤمنون بقيام الساعة فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا بعثا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ان يتخذونك الا هزوا يقول ما يتخذونك الا سخرية يسخرون منك يقولون هذا الذي بعث الله الينا رسولا من بين خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزؤن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يقولون اذا رأوه قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها وثبوتنا على عبادتها وسوف يعلمون حين يرون العذاب يقول جل ثناؤه سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة من أضل سبيلا يقول من الراكب غير طريق الهدى والسالك سبيل الردى أنت أو هم وبنحو ما قلنا في تأويل قوله لولا أن صبرنا عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها قال ثبتنا عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) يعني تعالى ذكره أرأيت يا محمد من اتخذ الهه شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر يعبده فكان معبوده والهه ما يتخيره لنفسه فلذلك قال جل ثناؤه أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا يقول تعالى ذكره أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله أم تحسب يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يتلى عليهم فيعون أو يعقلون ما يعاينون من حجج الله فيفهمون ان هم الا كالانعام يقول ما هم الا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها ولا تفقه بل هم من البهائم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم بل يكفرونها ويعصون من خلقهم وبرأهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد كيف مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يقول ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده ما بين صلاة الصبح الى طلوع الشمس حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا قال الظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثنا محمد بن عبد الله

البطلان الا ونحن نأتى بالجواب الحق الذى لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى ومؤدى من سؤالهم قال جار الله لما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير الكلام كيت وكيت (١٣) كما قيل معناه كذا وكذا ووجه آخر وهو أن يراد ولا يأتونك بمحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت صفته وحاله أن ينزل معه ملك أو يلقى اليه كنز أو ينزل عليه القرآن جملة الا أعطيناك نحن ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا وما هو أحسن بيانا لما بعثت به ومن جملة ذلك تنزيل القرآن مفرقا منجما فان ذلك أدخل فى الاعجاز كما مر ثم أوعد هؤلاء الجهلة بأنهم شر مكانا مع أهل الجنة والبحث عنه نظير ما مر فى صفة أهل الجنة خير مستقرا قال جار الله كأنه قيل لهم ان الذى يحملكم على هذه الاسئلة هو أنكم تضللون سبيله صلى الله عليه وسلم وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الاولين على عادة افتنانه فى الكلام تنشيطا للاذهان وتسلية لنبيه كأنه قال لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد بل آتينا موسى التوراة وقويناه بأخيه ومع ذلك كذب ورد ومعنى الوزير تقدم فى طه والوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا ولا شترا كهما فى النبوة قيل لهما (اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) ان حملناه على تكذيب آيات الالهية فظاهر وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة اخبار الله تعالى ويجوز أن يراد الى القوم الذين آل حالهم الى أن كذبوا

ابن بزيع قال ثنا أبو محصن عن حصين عن أبى مالك قال ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كيف مد الظل قال ظل الغداة قبل أن تطلع الشمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الظل ظل الغداة * قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعنى من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول ولو شاء لجعله دائما لا يزول ممدودا لا تذهبه الشمس ولا تنقصه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول دائما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال لا تصيبه الشمس ولا يزول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شاء لجعله ساكنا قال لا يزول حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال دائما لا يزول وقوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول جل ثناؤه ثم دللنا كم أيها الناس بنسخ الشمس اياه عند طلوعها عليه أنه خلق من خلق ربكم يوجده اذا شاء ويفنيه اذا أراد والهاء فى قوله عليه من ذكر الظل ومعناه ثم جعلنا الشمس على الظل دليلا وقيل معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التى تنسخه لم يعلم أنه شئ اذ كانت الاشياء انما تعرف باضدادها نظير الحلو الذى انما يعرف بالحامض والبارد بالحار وما أشبه ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول طلوع الشمس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال تحويه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول تعالى ذكره ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل الينا قبضا خفيا سريعا بالفىء الذى نأتى به بالعشى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال حوى الشمس الظل وقيل ان الهاء التى فى قوله ثم قبضناه الينا عائدة على الظل وان معنى الكلام ثم قبضنا الظل الينا بعد غروب الشمس وذلك أن الشمس اذا غربت غاب الظل الممدود قالوا وذلك وقت

فدمرناهم وعلى هذا فلا حذف والتدمير الاهلاك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) بأن كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كأنهم لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة أولان تكذيب (١٤) واحد من الرسل كتكذيب كلهم (أغرقناهم وجعلناهم) أى اغراقهم وقصتهم (للناس آية) محل إعتبار (وأعتدنا للظالمين) وهم قوم نوح أو لكل من سلك سبيلهم فى التكذيب وقصة عاد وثمود مذكورة مرارا وأما الرس فعن أبى عبيدة أنه البئر غير المطوية والقوم كانوا من عبدة الاصنام أصحاب آبار ومواش بعث الله عز وجل اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فابوا فبيناهم حول الرس انهارت بهم فخسف بهم و بديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله بالعنقاء وهى أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود والرس عند العرب الدفن يقال رس الميت اذا دفن وغيب فى الحفيرة وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وستجىء القصة فى سورة يس وعن على رضى الله عنه أنهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر رسوا نبيهم فى الارض وقيل هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا ثم حفروا بئرا فرسوه فيها وقالوا نرجو أن يرضى عنا الهنا وكان عامة قومهم يسمعون أنين نبيهم يقول الهى وسيدى ترى ضيق مكانى وشدة كربى وضعف قلبى فعجل قبض روحى حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجر كبريت متوقدا وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابن جرير

قبضه واختلف أهل التأويل فى معنى قوله يسيرا فقال بعضهم معناه سريعا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول سريعا * وقال آخرون بل معناه قبضا خفيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال خفيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قبضا يسيرا قال خفيا قال ان ما بين الشمس والظل مثل الخيط واليسير الفعيل من اليسر وهو السهل الهين فى كلام العرب فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد لان سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء وقيل انما قيل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ولا يقبل الظلام كله جملة وانما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا شيأ بعد شئ ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا) يقول تعالى ذكره الذى مد الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذى جعل لكم أيها الناس الليل لباسا وانما قال جل ثناؤه جعل لكم الليل لباسا لانه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون فصار لهم سترا يستترون به كما يستترون بالثياب التى يكسونها وقوله والنوم سباتا يقول وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم وتهدأ به جوارحكم وقوله وجعل النهار نشورا يقول تعالى ذكره وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم نشر الميت كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

ومنه قول الله لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والنهار نشورا قال ينشر فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك لانه عقيب قوله والنوم سباتا فى الليل فاذ كان ذلك كذلك فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه اذ كان النوم أخا الموت والذى قال مجاهد غير بعيد من الصواب لان الله أخبر أنه جعل النهار معاشا وفيه الانتشار للمعاش ولكن النشور مصدر من قول القائل نشر فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه كما صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا أصبح وقام من نومه الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى أرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يقول تعالى ذكره والله الذى ارسل الرياح الملقحة نشرا حياة أو من الحيا والغيث الذى هو منزله على عباده وأنزلنا من السماء ماء طهورا يقول وأنزلنا من السحاب الذى أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا يعنى أرضا قحطة عذية لا تنبت وقال بلدة ميتا ولم يقل ميتة لأنه أريد بذلك لنحيى به موضعا ومكانا ميتا ونسقيه من خلقنا انعاما من البهائم وأناسى كثيرا يعنى بالأناسى جمع انسان وجمع أناسى فجعل الياء عوضا من النون التى فى انسان وقد يجمع انسان أناسين كما يجمع النشيان نشايين فان قيل أناسى

باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا عبد أسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد يحتطب فيشترى له طعاما وشرابا (١٥) ويرفع الصخرة ويدليه اليه وكان كذلك ماشاء

أناسي جمع واحده انسي فهو مذهب أيضا محكي وقد يجمع أناسي مخففة الياء وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه كما يجمع القرقور قراقير وقراقر ومما يصحح جمعهم اياه بالتخفيف قول العرب أناسية كثيرة القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى اكثر الناس إلا كفورا) يقول تعالى ذكره ولقد قسمنا هذا الماء الذى أنزلناه من السماء طهورا لنحيي به الميت من الارض بين عبادى ليتذكروا نعمي عليهم ويشكروا أيادى عندهم واحسانى اليهم فأبى أكثرهم إلا كفورا يقول الا جحود النعمى عليهم وأيادى عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه قال سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوسا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه بين خلقه قال ثم قرأ ولقد صرفناه بينهم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمي قال ثنا الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ما عام با كثر مطرا من عام ولكنه يصرفه فى الارضين ثم تلا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد صرفناه بينهم قال المطر ينزله فى الأرض ولا ينزله فى الارض الاخرى قال فقال عكرمة صرفناه بينهم ليذكروا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قال المطر مرة ههنا ومرة ههنا حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبي زياد أنه سمع أبا جحيفة يقول سمعت عبد الله بن مسعود يقول ليس عام بأمطر من عام ولكنه يصرفه ثم قرأ عبد الله ولقد صرفناه بينهم وأما قوله فابى أكثر الناس إلا كفورا فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فابى أكثر الناس إلا كفورا قال قولهم فى الانواء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا) يقول تعالى ذكره ولو شئنا يا محمد لأرسلنا فى كل مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا فيخف عنك كثير من أعباء ما حملناك منه ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه ان صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده والمنازل الرفيعة قبله فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من أن تعبد آلهتهم فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا حتى ينقادوا للاقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها * وبنحو الذى قلنا فى قوله وجاهدهم به قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به قال بالقرآن * وقال آخرون فى ذلك بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا قال الاسلام وقرأ واغلظ عليهم وقرأ وليجدوا فيكم غلظة وقال هذا الجهاد الكبير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) يقول تعالى ذكره والله الذى خلط البحرين فأمرج أحدهما فى الآخر وأفاضه فيه وأصل المرج الخلط ثم يقال للتخلية مرج لأن الرجل اذا خلى الشئ حتى اختلط بغيره فكأنه قد مرجه ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله

الله فاحتطب يوما فلما أراد أن يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على آذانه سبع سنين ثم انتبه وتمطى وتحول لشقه الآخر فنام سبع سنين ثم هب فاحتمل حزمته وظن أنه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد أحدا وكان قومه استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وذلك النبي يسألهم عن الاسود فيقولون لا ندرى حاله حتى قبض الله تعالى النبي وقبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود أول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية ان صحت فلا مدخل لها فى المقصود فان المقام يقتضي ان يكونوا قوما كذبوا نبيهم فأهلكوا لأجل ذلك أما قوله (وقرونا بين ذلك) فالمشار اليه ما ذكر من الامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ومثله قول الحاسب فذلك كذا أى فما ذكر من الاعداد مجموعها كذا (وكلا) من الامم والقرون (ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا (وكلا تبرنا) أهلكنا أشنع الاهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتتبير التفتيت والتكسير وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا وكلا الثانى منصوب بتبرنا لانه ليس بمشتغل عنه بضميره والضمير فى (ولقد أتوا) لقريش والقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا ومطر

السوء الحجارة (أفلم يكونوا) فى مرات مرورهم على تلك القرية فى متاجرهم الى الشام (يرونها بل كانوا) قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا والى آثار عذاب الله نظر عبرة وادكار (و) من جملة كفرهم وعنادهم انهم (اذا رأوك ان يتخذونك الا) محل هزؤ ثم فسر

لعبد الله بن عمرو كيف بك يا عبد الله اذا كنت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه يعنى بقوله قد مرجت اختلطت ومنه قول الله فى أمر مريج أى مختلط وانما قيل للمرج مرج من ذلك لانه يكون فيه أخلاط من الدواب ويقال مرجت دابتك أى خليتها تذهب حيث شاءت ومنه قول الراجز * رعى بها مرج ربيع ممرجا * وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذى مرج البحرين يعنى أنه خلع أحدهما على الآخر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مرج البحرين أفاض أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وهو الذى مرج البحرين يقول خلع أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد مرج أفاض أحدهما على الآخر وقوله هذا عذب فرات الفرات شديد العذوبة يقال هذا ماء فرات أى شديد العذوبة وقوله وهذا ملح أجاج يقول وهذا ملح مر يعنى بالعذب الفرات مياه الانهار والامطار وبالملح الاجاج مياه البحار وانما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه وعظيم سلطانه يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وافساده اياه بقضائه وقدرته لئلا يضر افساده اياه بركبان الملح منهما فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم الى الماء فقال جل ثناؤه وجعل بينهما برزخا يعنى حاجزا يمنع كل واحد منهما من افساد الآخر وحجرا محجورا يقول وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يعنى أنه خلع أحدهما على الآخر فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب وقوله وجعل بينهما برزخا قال البرزخ الارض بينهما وحجرا محجورا يعنى حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه وهو مثل قوله وجعل بين البحرين حاجزا وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال محبسا قوله وحجرا محجورا قال لا يختلط البحر بالعذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال حاجزا لا يراه أحد لا يختلط العذب فى البحر قال ابن جريج فلم أجد بحرا عذبا الا الأنهار العذاب فان دجلة تقع فى البحر فأخبرنى الخبير بها أنها تقع فى البحر فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض فاذا رجعت لم ترجع فى طريقها من البحر والنيل يصب فى البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال البرزخ انهما يلتقيان فلا يختلطان وقوله حجرا محجورا أى لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا لا يبغى أحدهما على الآخر حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن رجاء عن الحسن فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا

ذلك الاستهزاء بأنهم يقولون مشيرين اليه على سبيل الاستحقار هذا الذى بعثه الله حال كونه رسولا بزعمه ويجوز أن يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث انه تسليم واقرار فى معرض الجحود والانكار وفى هذا جهل عظيم لانهم ان استحقروا صورته فانه أحسنهم خلقا وأعدلهم مزاجا مع انه لم يكن يدعى التميز بالصورة وان استهزؤا بالمعنى فبه قد وقع التحدى بظهور المعجز عليه وقامت الحجة عليهم فهم أحق بالاستهزاء منه حين أصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ابن أخت خالتهم اذ قالوا (ان كاد) هى مخففة من الثقيلة واللام فى (ليضلنا) هى الفارقة كأنهم سلموا أنه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف أن يغلبهم على دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم أطلقوا المقاربة أولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده فى دعوتهم حتى شارفوا على الايمان بزعمهم وحين وصفوه بالاضلال والمضلل لابد أن يكون ضالا فى نفسه فكأنهم وصفوه بالضلال فلا جرم أوعدهم الله على ذلك بقوله (وسوف يعلمون) الى آخر الآية وانما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة ثم بين انه لا تمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله (أرأيت من اتخذ الهه هواه) قدم المفعول الثانى للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا ثم نفى أن يكون هو حافظا عليهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل لست عليهم بمصيطر قال الكلبى نسختها آية القتال عن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ثم أضرب عن ذمهم باتخاذ الهوى الها الى نوع آخر قال

أشنع فى الظاهر قائلا (أم يحسب) وهى منقطعة ومعناه بل أيحسب وخص أكثرهم بالذكر اما لصون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء

قال هذا اليبس حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال جعل هذا ملحا أجاجا قال والأجاج المر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يقول خلع أحدهما على الآخر فلا يغير أحدهما طعم الآخر وجعل بينهما برزخا هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة وحجرا محجورا جعل الله بين البحرين حجرا يقول حاجزا يحجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وجعل بينهما سترا لا يلتقيان قال والعرب اذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا قال ستر ادون الذى تقول «قال أبو جعفر» وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى معنى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا دون القول الذى قاله من قال معناه انه جعل بينهما حاجزا من الارض أو من اليبس لان الله تعالى ذكره أخبر فى أول الآية أنه مرج البحرين والمرج هو الخلط فى كلام العرب على ما بينت قبل فلو كان البرزخ الذى بين العذب الفرات من البحرين والملح الاجاج أرضا أو يبسا لم يكن هناك مرج للبحرين وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما وانما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الاجاج عن افساده هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه فأما اذا كان كل واحد منهما فى حيز عن حيز صاحبه فليس هناك مرج ولا هناك من الاعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ويذكرون به وان كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى خلق من النطف بشرا انسانا فجعله نسبا وذلك سبعة وصهرا وهو خمسة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فجعله نسبا وصهرا النسب سبع قوله حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وبنات الاخت والصهر خمس قوله وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم الى قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وقوله وكان ربك قديرا يقول وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق وتصريفهم فيما شاء وأراد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم فتجلب اليهم نفعا اذا هم عبدوها ولا تضرهم ان تركوا عبادتها ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التى لا كفاء لأدناها وهى ما عدد علينا جل جلاله فى هذه الآيات من قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل الى قوله قديرا ومن قدرته القدرة التى لا يمتنع عليه معها شئ أراده ولا يتعذر عليه فعل شئ أراد فعله ومن اذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ولا له عنه دافع وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول تعالى ذكره وكان الكافر معينا للشيطان على ربه مظاهرا له على معصيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن

العقلاء وأما الآن منهم من كان يعرف الحق الا أن حب الرياسة يحمله على الخلاف وانما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما وأثرهما وباقى الآية تفسيرها مذكور فى آخر الاعراف فى قوله أولئك كالأنعام (١٧) بل هم أضل قال جار الله جعلوا أضل من الانعام لانها تنقاد لأربابها التى تعلفها وتعرف المحسن من المسئ وتجتذب المنافع وتجتنب المضار وتهتدى للمراعى والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون أعظم المنافع وهو الثواب ولا يتقون أشد المضار وهو العقاب ولا يهتدون للحق الذى هو المرتع الهنئ والمشرب الروى قلت ويحسن أيضا أن يذكر فى وجه التفضيل أن جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام تسبح لله تعالى بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الانعام فأولها الاستدلال من أحوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر فالمراد ألم تر الى صنع ربك أو ألم تر الى الظل كيف مده ربك واما بمعنى العلم وهو ظاهر وذلك أن الظل متغير ولكل متغير موجد وصانع والخطاب لكل من له أهلية النظر والاستدلال وللكلام فى تفسير الآية مجال الا أن ملخص الاقوال فيه اثنان الاول أن الظل أمر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة داخل السقوف الكاملة وأفنية الجدران وهو أعدل الاحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصرى ويؤذى بالتسخين ولذلك وصف الجنة به فى قوله وظل ممدود.

ثم ان الناظر فى الظل الى الجسم الملون كأنه لا يشاهد شيأ سوى الجسم واللون فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ظله فيظهر للعقول أنه كيفية زائدة على ما يشاهد مما أولا فمعنى الآية ألم تر الى عجيب صنع

ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على ربه ظهيرا قال معينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال عونا للشيطان على ربه على المعاصى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال على ربه عوينا والظهير العوين وقرأ قول الله فلا تكونن ظهيرا للكافرين قال لا تكونن لهم عوينا وقرأ أيضا قول الله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال ظاهروهم أعانوهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا يعنى أبا الحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل بن هشام وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا الى وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب ظهرت به فلم ألتفت اليه اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه وكأن الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول اليه من مظهور ربه كأنه قيل وكان الكافر مظهورا به والقول الذى قلناه هو وجه الكلام والمعنى الصحيح لان الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه فأولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه اياهم وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه

❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى من أرسلناك اليه الا مبشرا بالثواب الجزيل من آمن بك وصدقك وآمن بالذى جئتهم به من عندى وعملوا به ونذيرا من كذبك وكذب ما جئتهم به من عندى فلم يصدقوا به ولم يعملوا قل ما أسألكم عليه من أجر يقول له قل لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربى أجرا فتقولون انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه فيه ولا نعطيه من أموالنا شيأ الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا يقول لكن من شاء منكم اتخذ الى ربه سبيلا طريقا بانفاقه من ماله فى سبيله وفيما يقربه اليه من الصدقة والنفقة فى جهاد عدوه وغير ذلك من سبل الخير

❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره وتوكل يا محمد على الذى له الحياة الدائمة التى لا موت معها فثق به فى أمر ربك وفوض اليه واستسلم له واصبر على ما نابك فيه قوله وسبح بحمده يقول واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك قوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يقول وحسبك بالحى الذى لا يموت خابرا بذنوب خلقه فانه لا يخفى عليه شئ منها وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره وتوكل على الحى الذى لا يموت الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام فقال وما بينهما وقد ذكر السموات والارض والسموات جماع لانه وجه ذلك الى الصنفين والشيئين كما قال القطامى

ألم يحزنك أن حبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

يريد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه أراد الشيئين والنوعين وقوله فى ستة أيام قيل كان ابتداء

ربك (كيف مد الظل) أى جعله ممتدا منبسطا على الاجسام (ولو شاء لجعله ساكنا) لاصقا بكل مظل (ثم جعلنا الشمس) على وجوده (دليلا) فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف أن للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) أى أزلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال فى جانب المغرب شيأ بعد شئ وفى القبض على هذا الوجه منافع جمة * الثانى أنه سبحانه لما خلق السماء والارض ألقت السماء ظلها على الارض ممدودا منبسطا ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها دليلا على ذلك الظل لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل فى الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم لقبض الظل معنيان أحدهما انتهاء الاظلال الى غاية ما من النقصان بالتدريج وثانيهما قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام النيرة وقوله الينا يؤكد هذا المعنى الثانى فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * الاستدلال الثانى من أحوال الليل والنهار شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الراحة قاله أبو مسلم وذلك أن النوم سبب الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه عند طائفة وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة قال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث وتكون الآية نظير قوله وهو الذى يتوفاكم بالليل عن لقمان أنه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر * الاستدلال الثالث قوله (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر وقد مر ذلك تفسيره فى الاعراف وانه لم قال ههنا أرسل بلفظ الماضى وهناك يرسل أما قوله (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فهو علم بين الفقهاء فى

ذلك يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة ثم استوى على العرش الرحمن يقول ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه وذلك يوم السبت فيما قيل وقوله فاسأل به خبيرا يقول فاسأل يا محمد بالرحمن خبيرا بخلقه فانه خالق كل شئ ولا يخفى عليه ما خلق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فاسأل به خبيرا قال يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتك شيأ فاعلم أنه كما أخبرتك أنا الخبير والخبير في قوله فاسأل به خبيرا منصوب على الحال من الهاء التي في قوله به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اسجدوا للرحمن أي اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والاوثان قالوا أنسجد لما تأمرنا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لما تأمرنا بمعنى أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له وقرأته عامة قراء الكوفة لما يأمرنا بالياء بمعنى أنسجد لما يأمرنا الرحمن وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يدعى الرحمن فلما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة بالسجود له * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وزادهم نفورا يقول وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم اسجدوا للرحمن من اخلاص السجود لله وافراد الله بالعبادة بعدا ومما دعوا اليه من ذلك فرارا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ يقول تعالى ذكره تقدس الرب الذي جعل في السماء بروجا ويعني بالبروج القصور في قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة قالوا ثنا عبد الله بن ادريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد في قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قال قصورا في السماء فيها الحرس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى أبو معاوية قال ثنى اسمعيل عن يحيى بن رافع في قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قال قصورا في السماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم جعل في السماء بروجا قال قصورا في السماء حدثني اسمعيل بن سيف قال ثنى علي بن مسهر عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قال قصورا في السماء فيها الحرس * وقال آخرون هي النجوم الكبار ذكر من قال ذلك حدثني ابن المثنى قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا اسمعيل عن أبي صالح تبارك الذي جعل في السماء بروجا قال النجوم الكبار * قال ثنا الضحاك عن مخلد عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكواكب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بروجا قال البروج النجوم * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال هي قصور في السماء لان ذلك في كلام العرب ولو كنتم في بروج مشيدة وقول الاخطل

كأنها برج رومي يشيده * بان بجص وآجر وأحجار

يعني بالبرج القصر قوله وجعل فيها سراجا اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة

الاستدلال به على طهارة الماء في نفسه وعلى مطهريته لغيره حتى فسر الطهور بعضهم ومنهم أحمد بن يحيى بأنه الذي يكون طاهرا في نفسه مطهرا لغيره واعترض عليهم صاحب الكشاف بأن الذي قالوه ان كان شرحا (١٩) لبلاغته في الطهارة كان سديدا والا فليس فعول من التفعيل في شئ وأقول ان الزمخشري سلم أن الطهور في العربية على وجهين صفة كقولك ماء طهور أي طاهر واسم غير صفة ومعناه ما يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما لما يتوضأ به وتوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مدفوع لان الماء مما يتطهر به هو كونه مطهرا لغيره فكأنه سبحانه قال وأنزلنا من السماء ماء هو آلة للطهارة ويلزمه أن يكون طاهرا في نفسه ومما يؤكد هذا التفسير أنه تعالى ذكره في معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الاكمل ولا يخفى أن المطهر أكمل من الطاهر نظيره وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به * ولا ضير أن نذكر بعض أحكام المياه المستنبطة من الآية فنقول ههنا نظران الاول أن عين الماء هو طهور أم لا مذهب الاصم والاوزاعي أنه يجوز الوضوء بجميع المائعات وقال أبو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر في السفر وتجوز ازالة النجاسة بجميع المائعات المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعي وغيره من الائمة ان الطهورية مختصة بالماء لما مر في أول المائدة من ايجاب التيمم عند عدم الماء ولو شارك الماء مائع آخر لما أمر بالتيمم الا بعد اعوازه أيضا ودليله في الخبث قوله صلى الله عليه وسلم ثم اغسليه بالماء النظر الثاني في الماء وفيه بحثان الاول في الماء المستعمل وانه طاهر عند الشافعي وليس بمطهر في قوله الجديد أما الاول فلاطلاق الآية وأنزلنا من السماء ماء طهورا والاصل بقاؤه وتحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا لا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم وأبدانهم ولانه ماء طاهر لقي جسما طاهرا فأشبه ما اذا لقي حجارة وأما الثاني فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل أحدكم

والبصرة وجعل فيها سراجا على التوحيد ووجهوا تأويل ذلك الى أنه جعل فيها الشمس وهي السراج التي عنى عندهم بقوله جعل فيها سراجا كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال السراج الشمس وقرأته عامة قراء الكوفيين وجعل فيها سرجا على الجماع كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما وقمرا منيرا وجعلوا النجوم سرجا اذ كان يهتدى بها * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مشهورتان في قرأة الامصار لكل واحدة منهما وجه مفهوم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وقمرا منيرا يعني بالمنير المضيء ۞ القول في تأويل قوله تعالى { وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا } * اختلف أهل التأويل في تأويل قوله جعل الليل والنهار خلفة فقال بعضهم معناه أن الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر في أن ما فات في أحدهما من عمل يعمل فيه لله أدرك قضاؤه في الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة يقول من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار أو من النهار أدركه بالليل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله جعل الليل والنهار خلفة قال جعل أحدهما خلفا للآخر ان فات رجلا من النهار شيء أدركه من الليل وان فاته من الليل أدركه من النهار * وقال آخرون بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عمر بن قيس بن أبي مسلم الماصر عن مجاهد وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض * وقال آخرون بل معنى ذلك أن كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا قيس عن عمر بن قيس الماصر عن مجاهد قوله جعل الليل والنهار خلفة قال هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل لو كان الدهر ليلا كله كيف يدري أحد كيف يصوم أو كان الدهر نهارا كله كيف يدري أحد كيف يصلي قال والخلفة مختلفان يذهب هذا ويأتي هذا جعلهما الله خلفة للعباد وقرأ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا والخلفة مصدر فلذلك وحدت وهي خبر عن الليل والنهار والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفة وذلك اذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله كما قال الشاعر

ولها بالماطرون اذا * أكل النمل الذي جمعا
خلفة حتى اذا ارتبعت * سكنت من جلق بيعا

في الماء الدائم وهو جنب ولو بقي الماء كما كان طاهرا مطهرا لما كان للمنع منه معنى وكانت الصحابة لا يعتنون بحفظه ليستعملوه ثانيا ولو كان طهورا لحفظوا ما يغنيهم عن التيمم وقال مالك والسدي انه طاهر مطهر لاطلاق الآية والحديث والاصل بقاء صفته على ما كان عليه وروى أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح رأسه بفضل ما في يده وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة في جسده لم يصبها الماء فأخذ شعرة عليها بلل فأمرها على تلك اللمعة ولقياس ما انفصل من العضو على ما لم ينفصل منه وقال أبو حنيفة انه نجس قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة الحقيقية والمراد باستعمال الماء في المسئلة تأدي عبادة الطهارة به أو انتقال المنع اليه فيه وجهان لاصحاب الشافعي ويتفرع عليه أن المستعمل في الكرة الثانية والثالثة وفي تجديد الوضوء والاغسال المسنونة ليس بطهور على الاول طهور على الثاني والماء المستعمل في الحدث لا يجوز استعماله في الخبث على الأصح لانه مائع لا يرفع الحدث فلا يزيل الخبث كسائر المائعات * البحث الثاني الماء المتغير ان تغير بنفسه لطول المكث جاز الوضوء به لانه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من بئر بضاعة وكان ماؤها كأنه نقاعة الحناء وان تغير بغيره ولم يتصل به كما لو وقع بقرب الماء جيفة فأنتن الماء فهو أيضا مطهر وان اتصل به وكان طاهرا ولم يخالطه كما لو تغير بدهن أو عود أو كافور صلب فهو أيضا مطهر وان خالطه فان لم يمكن صون الماء عنه كالمتغير بالتراب والحمأة والورق المتناثر والطحلب فلا بأس بذلك دفعا للحرج وكذا لو جرى الماء في طريقه على معدن زرنيخ أو نورة أو كحل وان أمكن بأن يكون الماء مستغنيا عن جنس ذلك الخليط فان كان التغير قليلا بحيث لا يضاف الماء اليه أو لا يستحدث اسما وكما جديدا جاز التوضؤ به والا فلا خلافا لابي حنيفة حجة الشافعي أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به فذلك

وكما قال زهير

بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

يعني بقوله يمشين خلفة تذهب منها طائفة وتخلف مكانها طائفة أخرى وقد يحتمل أن زهيرا أراد بقوله خلفة مختلفات الالوان وأنها ضروب في ألوانها وهيآتها ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا وتجيء كذا وقوله لمن أراد أن يذكر يقول تعالى ذكره جعل الليل والنهار وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله فينيب الى الحق أو أراد شكورا أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لمن أراد أن يذكر قال ذاك آية له أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما * واختلفت القراء في قراءة قوله يذكر فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يذكر مشددة بمعنى يتذكر وقرأه عامة قراء الكوفيين يذكر مخففة وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد يقال ذكرت حاجة فلان وتذكرتها والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ يقول تعالى ذكره وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فقال بعضهم عني بقوله يمشون على الارض هونا أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد يمشون على الارض هونا قال بالحلم والوقار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يمشون على الارض هونا بالوقار والسكينة حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قالا بالسكينة والوقار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن شريك عن جابر عن عمار عن عكرمة في قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب عن عمرو الملائي يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن

الوضوء ان كان بالماء المتغير وجب أن لا يجوز الا به وليس كذلك بالاتفاق فهو بماء غير متغير وهو المطلوب ولقائل أن يقول ان هذا اشارة الى كيفية الوضوء لا الى كيفية الماء والمراد أنه تعالى لا يقبل الصلاة بما دون ذلك وأما الكمال فلا كلام فيه قال وأيضا اذا اختلط ماء الورد بالماء فتوضأ الانسان به يحتمل أن ينغسل بعض الاعضاء بماء الورد لا بالماء فيكون الحدث يقينا والطهر مشكوكا فيه والشك لا يرفع اليقين وهذا بخلاف ما اذا كان قليلا لا يظهر أثره فانه كالمعدوم وأيضا الوضوء تعبد لا يعقل معناه ولهذا لو توضأ بماء الورد لم يصح وضوءه ولو توضأ بالماء الكدر والمتعفن صح وضوءه وما لا يعقل معناه وجب الاعتماد فيه على مورد النص حجة أبي حنيفة اطلاق الآية وقوله فاغسلوا وجوهكم وقوله فان لم تجدوا ماء وهذا الشخص غسل ووجد الماء ولانه صلى الله عليه وسلم أباح الوضوء بسؤر الهرة وسؤر الحائض وان خالطهما شيء من لعابهما ولانه لا خلاف في جواز الوضوء بماء السيول وان تغير لونها الى ألوان ما تمر عليها في الصحارى من الحشائش وغيرها هذا كله اذا كان الخليط طاهرا فان كان نجسا فمذهب الحسن البصري والنخعي ومالك وداود واليه ميل الغزالي في الاحياء أن الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان الماء كثيرا أو قليلا ومذهب أبي حنيفة أن الماء ينجس باستعماله في البدن لأداء عبادة وتيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن سواء تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير قال أبو بكر الرازي ولا يختلف على هذا الحد ماء البحر وماء البئر والغدير والراكد والجاري لان ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري قال وأما اعتبار أصحابنا للغدير الذي اذا حرك أحد طرفيه لم يتحرك الطرف الآخر فانما هو كلام في وجه يغلب على الظن عدم بلوغ النجاسة الواقعة في أحد طرفيه

عباس قوله الذين يمشون على الارض هونا بالطاعة والعفاف والتواضع حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال يمشون على الارض بالطاعة حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال كتب الى ابراهيم بن سويد قال سمعت زيد بن أسلم يقول التمست تفسير هذه الآية الذين يمشون على الارض هونا فلم أجدها عند أحد فأتيت فى النوم فقيل لى هم الذين لا يريدون يفسدون فى الارض حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال لا يفسدون فى الارض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال لا يتكبرون على الناس ولا يتجبرون ولا يفسدون وقرأ قول الله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى الأشهب عن الحسن فى يمشون على الارض هونا قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة يمشون على الارض هونا قال حلماء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله يمشون على الارض هونا قال علماء حلماء لا يجهلون وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول واذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن واذا خاطبهم الآية قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى ابن المختار عن الحسن فى قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت منهم والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وانهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة الا فى مطعم ومشرب فقد قل علمه وحضر عذابه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا من القول حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما حلماء * قال ثنا الحسين قال ثنا يحيى بن يمان عن أبى الاشهب عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا هذا نهارهم فكيف ليلهم خير ليل صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون الى الله جل ثناؤه فى فكاك رقابهم * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبادة عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين

يقولون

الى الطرف الآخر وليس كلاما فى أن بعض المياه الذى فيه النجاسة قد يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله * ومن الناس من فرق بين القليل والكثير ثم اختلفوا فى حد الكثير فعن عبد الله بن عمر اذا كان الماء أربعين قلة لم ينجسه شئ وقال سعيد بن جبير الماء الراكد لا ينجسه شئ اذا كان بقدر ثلاث قلال وقال الشافعى اذا كان الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه الا ما غير طعمه أو ريحه أو لونه وقد ينصر من المذاهب قول مالك لوجوه منها قوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا ترك العمل به فى الماء الذى تغير لونه أو طعمه أو ريحه لظهور النجاسة فيه ولقوله خلق الماء طهورا لا ينجسه شئ الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه فبقى ما عداه على الاصل ومنها قوله تعالى فاغسلوا والمتوضئ بهذا الماء قد غسل أعضاءه ولا سيما اذا كانت النجاسة مستهلكة فيه لا يظهر عليه آثارها وخواصها من الطعم أو اللون أو الريح ومنها أن عمر توضأ من جرة نصرانية مع أن نجاسة أوانيهم غالبة على الظن فدل ذلك على أنه لم يعول الا على عدم التغير ومنها أن تقدير الماء بمقدار معلوم لو كان معتبرا كالقلتين عند الشافعى وعشر فى عشر عند أبى حنيفة لكان أولى المواضع بذلك مكة والمدينة لانه لا تكثر المياه هنالك لا الجارية ولا الراكدة ولم ينقل أنهم خاضوا فى تقدير المياه ولا أنهم سألوا عن كيفية حفظها وكانت أوانيهم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وكانوا لا يمنعون الهرة من شرب الماء وقد أصغى لها الاناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا يرون أنها تأكل الفارة ولم يكن فى بلادهم حياض تكرع السنانير فيها ومنها أن الشافعى نص على أن غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير بنجس وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن قوة الورود لم تمنع

المخالطة ومنها أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة وقال الشافعي اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير جاز الوضوء به وأي فرق بين الجاري والراكد والتعويل على قوة الماء بسبب الجريان ليس أولى من التعويل على عدم التغير ومنها أنه لو وقعت نجاسة في قلتين فكل كوز يؤخذ منه فهو طاهر عنده ومعلوم أن البول ينتهي فيه وهو قليل فأي فرق بينه اذا وقع ذلك البول في ذلك القدر من الماء ابتداء وبينه اذا وصل اليه عند اتصال غيره به ومنها أن الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ منها المتقشفون مع علمهم بان الايدي والاواني الطاهرة والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين وغير ذلك معتبرا لاشتهر وتواتر ومنها أن النصوص في التقدير متخالفة أما تقدير أبي حنيفة بالعشر في العشر فمجرد تحكم وأما تقدير الشافعي بالقلتين بناء على قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف لان راويه مجهول فان الشافعي لما روى هذا الخبر قال أخبرني رجل فيكون الحديث مرسلا والمرسل عنده ليس بحجة سلمناه ولكن القلة مجهولة فانها تصلح للكوز وللجرة ولكل ما يقل باليد وهي أيضا اسم لهامة الرجل ولقلة الجبل سلمنا لكن في متن الخبر اضطراب فقد روى اذا بلغ الماء قلتين وروى اذا بلغ قلة وروى أربعين واذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن لكنه متروك الظاهر لان قوله لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره فان الخبث اذا ورد عليه فقد حمله سلمنا اجراءه على الظاهر لكن الخبث لغوي وشرعي وحمله على اللغوي لكونه حقيقة أولى فمعنى الحديث أن لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول بموجبه لكن لم قلتم انه لا ينجس شرعا سلمنا أن المراد هو الخبث الشرعي لكن لم لا يجوز أن يكون معنى قوله لم يحمل خبثا أنه يضعف عن حمله أي يتأثر به أجاب بعض الشافعية عن هذا المنوع بأن كثيرا من المحدثين عينوا اسم الراوي في حديث

يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما) يقول تعالى ذكره والذين يبيتون لربهم يصلون لله يراوحون بين سجودهم في صلاتهم وقيامهم وقوله وقياما جمع قائم كما الصيام جمع صائم والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يقول تعالى ذكره والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا وقوله ان عذابها كان غراما يقول ان عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق لمن عذب به من الكفار ومهلكا له ومنه قولهم رجل مغرم من الغرم والدين ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه فيه ومنه قيل للرجل المولع بالنساء انه لمغرم بالنساء وفلان مغرم بفلان اذا لم يصبر عنه ومنه قول الأعشى

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ * ـط جزيلا فانه لا يبالي

يقول ان يعاقب يكن عقابه عقابا لازما لا يفارق صاحبه مهلكا له وقول بشر بن أبي حازم

ويوم النسار ويوم الجفا * ر كانا عقابا وكانا غراما

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسن اللاني قال أخبرنا المعافى بن عمران الموصلي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله ان عذابها كان غراما قال ان الله سأل الكفار عن نعمه فلم يردوها اليه فأغرمهم فأدخلهم النار * قال ثنا المعافى عن أبي الاشهب عن الحسن في قوله ان عذابها كان غراما قال قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه الا غريم جهنم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان عذابها كان غراما قال الغرام الشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ان عذابها كان غراما قال لا يفارقه وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما يقول ان جهنم ساءت مستقرا ومقاما يعني بالمستقر القرار وبالمقام الاقامة كأن معنى الكلام ساءت جهنم منزلا ومقاما واذا ضمت الميم من المقام فهو من الاقامة واذا فتحت فهو من قمت ويقال المقام اذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ومن المقام بضم الميم بمعنى الاقامة قول سلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الأعداء تأويب

ومن المقام الذي بمعنى المجلس قول عباس بن مرداس

فأي ما وأيك كان شرا * فقيد الى المقامة لا يراها

يعني المجلس القول في تأويل قوله تعالى (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) يقول تعالى ذكره والذين اذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في انفاقها * ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع وما الاسراف فيها والاقتار فقال بعضهم الاسراف ما كان من نفقة في معصية الله وان قلت قال واياها عنى الله وسماها اسرافا قالوا والاقتار المنع من حق الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا ولو أنفقت

صاعا في معصية الله كان سرفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال في النفقة فيما نهاهم وان كان درهما واحدا ولم يقتروا ولم يقصروا عن النفقة في الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله كل ما أنفق في معصية الله وان قل فهو اسراف ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله قال وما أمسك عن طاعة الله وان كثر فهو اقتار * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة أنه سئل عن الاسراف ما هو قال كل شئ أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف * وقال آخرون السرف المجاوزة في النفقة الحد والاقتار التقصير عن الذي لا بد منه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن مغيرة عن ابراهيم قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومي المكي قال سمعت وهيب بن الورد أبي الورد مولى بني مخزوم قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لا اسراف فيه ما هو قال هو ما سترك من الشمس وأكنك من المطر قال يرحمك الله فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا اسراف فيه ما هو قال ما سد الجوع ودون الشبع قال يرحمك الله فأخبرني عن هذا اللباس الذي لا اسراف فيه ما هو قال ما ستر عورتك وأدفأك من البرد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية والذين اذا أنفقوا الآية قال كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال ولا يأكلون طعاما للذة ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ويكتنون به من الحر والقر ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع وقواهم على عبادة ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن العلاء بن عبد الكريم عن يزيد بن مرة الجعفي قال العلم خير من العمل والحسنة بين السيئتين يعني اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وخير الاعمال أوساطها حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب ابن فروخ قال ثنا قتادة عن مطرف بن عبد الله قال خير هذه الامور أوساطها والحسنة بين السيئتين فقلت لقتادة ما الحسنة بين السيئتين فقال الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية * وقال آخرون الاسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا سالم بن سعيد عن أبي معدان قال كنت عند عون بن عبد الله بن عتبة فقال ليس المسرف من يأكل ماله انما المسرف من يأكل مال غيره * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك قول من قال الاسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده الى ما فوقه والاقتار ما قصر عما أمر الله به والقوام بين ذلك وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن المسرف والمقتر كذلك ولو كان الاسراف والاقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم فان قال قائل فهل لذلك من حد معروف تبينه لنا قيل نعم ذلك مفهوم في كل شئ من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البر وغير ذلك نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلا غير أن جملة ذلك هو ما بيناه وذلك نحو

القلتين فان يحيى بن معين قال انه جيد الاسناد فقيل له أن ابن علية وقفه على ابن عمر فقال إن كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه وقوله القلة مجهولة غير مسلم لان ابن جريج قال في روايته بقلال هجر ثم قال وقد شاهدت قلال هجر وكانت القلة تسع قربتين وشيأ واذا كانت هذه الرواية معتبرة فقط لم يكن في متن الحديث اضطراب وحمل الخبث على الشرعي أولى لان المسئلة شرعية وتفسير عدم حمل الخبث بالتأثر تعسف لانه صح في بعض الروايات اذا كان الماء قلتين لم ينجس ولانه لا يبقى لذكر القلتين حينئذ فائدة لان ما دون القلتين أيضا بتلك المثابة وزيف بأنه بعد التصحيح يوجب تخصيص عموم الكتاب والسنة الظاهرة البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر المجمل حجة من حكم بنجاسة الماء الذي خالطه نجاسة كيف كانت قوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وقوله انما حرم عليكم الميتة والدم وقال في الخمر رجس من عمل الشيطان حرم هذه الاشياء مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها وحال اختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ماء تيقنا فيه جزأ من النجاسة وأيضا الدلائل التي ذكرتموها مبيحة ودلائلنا حاظرة والحاظر غالب على المبيح بدليل أن الجارية المشتركة لا يحل لواحد منهما وطؤها وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة أطلق من غير فرق بين القليل والكثير أجاب مالك بانه لا نزاع في تحريم استعمال النجاسات لكن الكلام في أنه متى مالم يتغير فليس للنجاسة أثر لانها انقلبت عن صفتها فكأنها معدومة والنهي عن البول في الماء لتنفر الطبع او للتنزيه لا للتحريم واعلم أنه سبحانه بين في سورة الانفال أن من غاية انزال الماء من السماء تطهير المكلفين به حين قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ففي وصفه ههنا بكونه طهورا اشارة الى ذلك ثم رتب على الانزال غايتين أخريين أولاهما تتعلق بالنبات والثانية

أكل

أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه و ينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه وأداء فرائضه فذلك من السرف وأن يترك الاكل وله اليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه فذلك من الاقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو كل ما جانس ما ذكرنا فأما اتخاذ الثوب للجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس وحضوره المحافل والجمع والاعياد دون ثوب مهنته أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه مما ارتفع عما قد يسد الجوع مما هو دونه من الاغذية غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته فذلك خارج عن معنى الاسراف بل ذلك من القوام لان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك وحض على بعضه كقوله ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين ثوبا لمهنته وثوبا لجمعته وعيده وكقوله اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثره عليه وما أشبه ذلك من الاخبار التي قد بيناها في مواضعها وأما قوله وكان بين ذلك قواما فانه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بينا * و بنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي سليمن عن وهب بن منبه في قوله وكان بين ذلك قواما قال الشطر من أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وكان بين ذلك قواما النفقة بالحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان بين ذلك قواما قال القوام أن ينفقوا في طاعة الله و يمسكوا عن محارم الله * قال أخبرني ابراهيم بن نشيط عن عمر مولى غفرة قال قلت له ما القوام قال القوام أن لا تنفق في غير حق ولا تمسك عن حق هو عليك والقوام في كلام العرب بفتح القاف وهو الشيء بين الشيئين تقول للمرأة المعتدلة الخلق انها لحسنة القوام في اعتدالها كما قال الحطيئة

طافت أمامة بالركبان آونة * يا حسنها من قوام ما ومنتقبا

فأما اذا كسرت القاف فقلت انه قوام أهله فانه يعني به أن به يقوم أمرهم وشأنهم وفيه لغات أخر يقال منه هو قيام أهله وقيمهم في معنى قوامهم فمعنى الكلام وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار قواما معتدلا لا مجاوزة عن حد الله ولا تقصيرا عما فرضه الله ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه وأذن فيه ورخص * واختلفت القراء في قراءة قوله ولم يقتروا فقرأته عامة قراء المدينة ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من أقتر يقتر وقرأته عامة قراء الكوفيين ولم يقتروا بفتح الياء وضم التاء من قتر يقتر وقرأته عامة قراء البصرة ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر والصواب من القول في ذلك أن كل هذه القراآت على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب وقراآت مستفيضات في قراء الامصار بمعنى واحد فبأيتها قرأ القارئ فمصيب وقد بينا معنى الاسراف والاقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا من كلام العرب فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وفي نصب القوام وجهان أحدهما ما ذكرت وهو أن يجعل في كان اسم الانفاق بمعنى وكان انفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما أي عدلا والآخر أن يجعل بين هو الاسم فتكون وان كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع كما يقال كان دون هذا لك كافيا يعني به أقل من هذا كان لك كافيا فكذلك يكون في قوله وكان بين ذلك قواما لان معناه وكان الوسط من ذلك قواما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات

بالحيوان الاعجم فالناطق وفي هذا الترتيب تنبيه على أن الكائنات تبتدئ في الوجود من الاخس الى الاشرف وفيه ان الغرض من الكل هو نوع الانسان مع أن حياة الاناسي بحياة أرضهم وأنعامهم قال (٢٥) (ميتا) مع قوله بلدة بالتأنيث لان فعيلا غير جار على الفعل فكأنه اسم جامد وصف به أو بتأويل البلد والمكان والأناسي جمع انسي أو جمع إنسان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء وفعيل قد يستوي فيه الواحد والجمع فلهذا لم يقل وأناسي كثيرين ومثله وقرونا بين ذلك كثيرا * أسئلة أو ردها جار الله مع أجوبتها الاول أن انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة الاحياء والسقي كما تقول حملني الامير على فرس جواد لأصيد به الوحش الجواب لما كان سقي الاناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم واشارة الى أن من حق استعمال الماء في الباطن والظاهر أن يكون طاهرا غير مخالط لشيء من القاذورات قلت قد قررنا فائدة هذا الوصف بوجه آخر آنفا * السؤال الثاني لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان المنتفع بالماء الجواب لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الانسان وعامة منافعه متعلقة بها فسقيها انعام عليه * الثالث ما معنى تنكير الأنعام والاناسي ووصفهم بالكثرة الجواب لان بعض الانعام والأناسي الذين هم بقرب الاودية والانهار العظام لا يحتاجون الى ماء السماء احتياجا بينا ولمثل هذا نكر البلدة في قوله بلدة ميتا قوله سبحانه (ولقد صرفناه) الاكثرون على أن الضمير عائد الى ما ذكر من الدلائل أي كررنا أحوال الاظلال وذكر انشاء السحاب وانزال المطر في القرآن وفي سائر الكتب السماوية ليتفكروا و يعتبروا و يعرفوا حق النعمة فيه و يشكروا فأبى

أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها ＊ وقال آخرون فانه يرجع الى أقرب المذكورات وهو المطر أى صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات (٣٦) المتباينة من وابل وطل وغير ذلك فأبوا الا كفورا وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا استقلالا فان جعلوا الانواء كالوسائط والامارات فلا بأس والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانية والعشرين للقمر فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر فى المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهو أكثر أو الى أربعة عشر وسوأقل والعرب تضيف الامطار والحر والبرد الى الساقط منها أو الى الطالع فاذا مضت مدة النوء ولم يحدث شئ من مطر وغيره يقال خوى نجم كذا أى سقط ولم يكن عنده أثر علوى عن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله عز وجل قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية ويؤيد هذا التفسير تنكير البلدة والانعام والاناسى قال الجبائى فى قوله ليذكروا دليل على أنه تعالى أراد من الكل التذكر والايمان وفى قوله فأبى أكثر الناس دلالة على أن المكلف له قدرة على الفعل والترك اذ لا يقال للزمن مثلا انه أبى أن يسعى وقال الكعبى الضمير فى بينهم لكل الناس فيكون الاكثر داخلا فى ذلك العام اذ لا يجوز أن يقال أنزلناه على قريش ليؤمنوا فأبى أكثر بنى تميم الا كفورا وعند هذا يظهر أنه أراد من جميع المكلفين أن يؤمنوا ويعتبروا ومعارضة الاشاعرة معلومة ۞ التأويل ويوم تشقق السماء سماء القلب عن غمام البشرية وهو يوم سعادة الطالبين الصادقين ونزل ملائكة الصفات الروحانية

وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ﴾ يقول تعالى ذكره والذين لا يعبدون مع الله الها آخر فيشركون فى عبادتهم اياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ولا يقتلون النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق اما بكفر بالله بعد اسلامها أو زنا بعد احصانها أو قتل نفس فتقتل بها ولا يزنون فيأتون ما حرم الله عليهم اتيانه من الفروج ومن يفعل ذلك يقول ومن يأت هذه الافعال فدعا مع الله الها آخر وقتل النفس التى حرم الله بغير الحق وزنى يلق أثاما يقول يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه وهو أنه يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ومن الأثام قول بلعام بن قيس الكنانى

جزى الله ابن عروة حيث أمسى ＊ عقوقا والعقوق له أثام

يعنى بالأثام العقاب وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول فى الاسلام ممن كان منه فى شركه هذه الذنوب فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك اسلام فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال ابن جريج وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى قال ثنا سفيان عن أبى معاوية عن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم ما الكبائر قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك أو تزنى بحليلة جارك وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه من كتاب الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور عن أبى وائل عن عمرو ابن شرحبيل عن عبد الله قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال ثم أن تزانى حليلة جارك فأنزل تصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا على بن قادم قال ثنا أسباط ابن نصر الهمدانى عن منصور عن أبى وائل عن أبى ميسرة عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنى عمى يحيى بن عيسى عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الذنب أكبر ثم ذكر نحوه حدثنى أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا السرى يعنى ابن اسمعيل قال ثنا الشعبى عن مسروق قال قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الارض وقعدت أسفل منه ووجهى حيال ركبتيه فاغتنمت

الملك الحقيق يومئذ للرحمن اذ لم يبق غيره ورجع الكل اليه وذلك مقام الوحدة والفناء فى الله والبقاء به وكان يوما على الكافرين عسيرا اذ لم يبق من صفات النفوس الكافرة وحظوظها أثر ولا عين ويوم يعض الظالم خلوته

نفسه وهو المشرك يشركاظاهراً أو خفياً على يديه والآية حكمها عام فى كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى وعن مالك بن دينار انك ان تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار لنثبت به فؤادك (٣٧) بأن نخلق قلبك بقلب القرآن وكان بذر التوحيد

خلوته وقلت بأبى وأمى يا رسول الله أى الذنوب أكبر قال أن تدعو لله نداً وهو خلقك قلت ثم مه قال أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك قلت ثم مه قال أن تزانى حليلة جارك ثم تلا هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو حدثت عن سعيد بن جبير أن عبد الرحمن بن أبزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التى فى النساء ومن يقتل مؤمناً متعمداً الى آخر الآية والآية التى فى الفرقان ومن يفعل ذلك يلق أثاماً الى ويخلد فيه مهاناً قال ابن عباس اذا دخل الرجل فى الاسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمناً متعمداً فلا توبة له والتى فى الفرقان لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله بغير الحق فما ينفعنا الاسلام قال فنزلت الا من تاب قال فمن تاب منهم قبل منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو قال حدثنى الحكم عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن أبزى فقال سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما عن الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الآية والتى فى النساء ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم فسألت ابن عباس عن ذلك فقال لما أنزل الله التى فى الفرقان قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس التى حرم الله ودعونا مع الله الهاً آخر فقال الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً الآية فهذه لأولئك وأما التى فى النساء ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم الآية فان الرجل اذا عرف الاسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم فلا توبة له فذكرته لمجاهد فقال الا من ندم حدثنا محمد بن عوف الطائى قال ثنا أحمد بن خالد الذهبى قال ثنا شيبان عن منصور بن المعتمر قال ثنى سعيد بن جبير قال لى سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر الى من تاب وعن قوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً الى آخر الآية قال فسألت عنها ابن عباس فقال أنزلت هذه الآية فى الفرقان بمكة الى قوله ويخلد فيه مهاناً فقال المشركون فما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش قال فأنزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً الى آخر الآية قال وأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له حدثنى ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الآية قال نزلت فى أهل الشرك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر فذكر نحوه حدثنى عبد الكريم بن عمير قال ثنا ابراهيم بن المنذر قال ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان مولى لبنى الديل من أهل المدينة عن فليح الشماس عن عبيد بن أبى عبيد عن أبى هريرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ثم انصرفت فاذا امرأة عند بابى ثم سلمت ففتحت ودخلت فبينا أنا فى مسجدى أصلى اذ نقرت الباب فأذنت لها فدخلت فقالت انى جئتك أسألك عن عمل عملت هل لى من توبة فقالت انى زنيت وولدت فقتلته فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة فقامت وهى تدعو بالحسرة تقول يا حسرتاه أخلق هذا الحسن للنار قال ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ثم جلسنا ننتظر الاذن عليه فأذن لنا فدخلنا

أوقع فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى سر ألم نشرح لك صدرك وكان يتربى بما أنزل عليه بل على قلبه منجماً فلما أورق كان ورقه الرحمن علم القرآن فلما أزهر كان زهره فأوحى الى عبده ما أوحى فلما أثمر كانت ثمرته فاعلم أنه لا اله الا الله يحشرون على وجوههم لان توجههم الى أسفل سافلى الطبيعة فيحشرون منكوسين الى جهنم البعد عن الحضرة ألم تر الى ربك فيه أن نبينا صلى الله عليه وسلم رآه وقد قال لموسى لن ترانى وذلك لبقاء أنانيته كيف مد الظل عالم الاجسام ولو شاء لجعله ساكناً فى كتم العدم ثم جعلنا شمس عالم الارواح على وجود ذلك الظل دليلاً بأن كانت محركة لها الى غاياتها المخلوقة هى لاجلها فعرف من ذلك أنه لولا الارواح لم تخلق الاجساد ولم تكون بالاجسام وفى قوله ثم قبضناه الينا اشارة الى أن كل مركب فانه سيحل الى بسائطه اذا حصل على كماله الاخير وبوجه آخر الظل ما سوى نور الانوار يستدل به على صانعه الذى هو شمس عالم الوجود وهذا شأن الذاهبين من غيره اليه وفى قوله ثم جعلنا اشارة الى مرتبة أعلى من ذلك وهى الاستدلال به على غيره كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وهذه مرتبة الصديقين وقوله ثم قبضناه كقوله كل شئ هالك الا الى الله تصير الامور وبوجه آخر الظل هو حجاب الذهول والغفلة والشمس شمس التجلى المعروفة من أفق

العناية عند صباح الهداية ولو شاء لجعله دائماً لا يزول وانما يستدل على الذهول بالعرفان وفى قوله ثم قبضناه اشارة الى أن الكشف التام يحصل بالتدريج عند انقضاء عدة التكليف ثم بين حكمة الاظلال بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباساً كيلا تحترقوا بدوام شمس

ثم خرج من كان معي وتخلفت فقال مالك يا أبا هريرة ألك حاجة فقلت له يا رسول الله صليت معك البارحة ثم انصرفت وقصصت عليه ما قالت المرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلت لها قال قلت لها لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال أبو هريرة فخرجت فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا الا وقفت عليها فقلت ان تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة فلتأتني ولتبشر فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء فاذا هي عند بابي فقلت أبشري فاني دخلت على النبي فذكرت له ما قلت لي وما قلت لك فقال بئس ما قلت لها أما كنت تقرأ هذه الآية فقرأتها عليها فخرت ساجدة فقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت ان هذه الجارية وابنها حران لوجه الله واني قد تبت مما عملت حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو ابن مالك عن أبي الجوزاء قال اختلفت الى ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شئ من القرآن الا سألته عنه ورسولي يختلف الى عائشة فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول ان الله يقول لذنب لا أغفره * وقال آخرون هذه الآية منسوخة بالتي في النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان والتي في النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال زيد بن ثابت قد عرفت الناسخة من المنسوخة نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الضحاك بن مزاحم هذه السورة بينها وبين النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثمان حجج وقال ابن جريج وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة فقال لا فقرأ عليه هذه الآية كلها فقال سعيد بن جبير قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في الاثام من القول قال أهل التأويل الا أنهم قالوا ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بواد في جهنم يدعى أثاما ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر ابن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أبي أيوب الازدي عن عبد الله بن عمرو قال الأثام واد في جهنم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يلق أثاما قال واديا في جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما قال واديا في جهنم فيه الزناة حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا محمد بن زياد قال ثنا شرقي بن قطامي عن لقمان ابن عامر الخزاعي قال جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا لي بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة

حياة العرفان الذي يطهر قلوب المشتاقين عن الجنوح الى المساكنات وما يتداخلها في بعض الاوقات من الغفلات لنحيي به بلدة القلوب الميتة عن نور الله بنور الله ونسقيه من جملة مخلوقاتنا من هو على طبع الانعام لغلبة الصفات الحيوانية عليه فيسقى زرع ايمانه بماء الرحمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله تنبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقلة ونسقيه من الانس من سكن الى رياض الانس يفطمه به عن مواضع الانسانية الى المشارب الروحانية ويطهره عن وصمة الملاحظات ويذيقه طعم المكاشفات ولقد صرفنا الذي هو ماء حياة القلوب بينهم ليذكروا به أيام جوار الحق وأوطانهم الحقيقية فأبى أكثر الناسين تلك المعاهدة والمشاهدة الا كفورا بنعمة القرآن وما عرفوا قدرها والله المستعان واليه المآب ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموت والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش زنة الرحمن فسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل

فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون (٢٩) ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان

غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

زنة عشر عشراوات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى الى غى وأثام قلت وما غى وأثام قال بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكر الله فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يلق أثاما قال الأثام الشر وقال سيكفيك ما وراء ذلك يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يلق أثاما قال نكالا قال وقال انه واد فى جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن هشيم قال أخبرنا زكريا بن أبى مريم قال سمعت أبا امامة الباهلى يقول ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوى فيها أو بصخرة تهوى عظمها كعشر عشراوات سمان فقال له رجل فهل تحت ذلك من شئ قال نعم غى وأثام قوله يضاعف له العذاب يوم القيامة اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء الأمصار سوى عاصم يضاعف جزما ويخلد جزما وقرأه عاصم يضاعف رفعا ويخلد رفعا كلاهما على الابتداء وأن الكلام عنده قد تناهى عند يلق أثاما ثم ابتدأ قوله يضاعف له العذاب والصواب من القراءة عندنا فيه جزم الحرفين كليهما يضاعف ويخلد وذلك أنه تفسير للأثام لا فعل له ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته معناه متى تأته عاشيا وقوله ويخلد فيه مهانا ويبقى فيه الى ما لا نهاية فى هوان وقوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا يقول تعالى ذكره ومن يفعل هذه الأفعال التى ذكرها جل ثناؤه يلق أثاما الا من تاب يقول الا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك وانابته الى ما يرضاه الله وآمن يقول وصدق بما جاء به محمد نبى الله وعمل عملا صالحا يقول وعمل بما أمره الله من الاعمال وانتهى عما نهاه الله عنه قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال فى الاسلام فيبدله بالشرك ايمانا وبقيل أهل الشرك بالله قيل اهل الايمان به وبالزناعفة واحصانا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال هم المؤمنون كانوا قبل ايمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم الى الحسنات وأبدلهم مكان السيئات حسنات حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية قال هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن سعيد قال نزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية فى وحشى وأصحابه قالوا كيف لنا بالتوبة وقد عبدنا الأوثان وقتلنا المؤمنين ونكحنا المشركات فأنزل الله فيهم الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالا مع المسلمين للمشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

﴿ القراآت ملح بفتح الميم وكسر اللام كحذر أولانه مقصور مالح وكذلك فى فاطر قتيبة يأمرنا على الغيبة حمزة وعلى سرجا بضمتين حمزة وعلى وخلف أن يذكر من الذكر حمزة وخلف يقتروا بضم التاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى المفضل وبضم الياء وكسر التاء من الاقتار أبو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل الباقون بفتح الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد بالرفع فيهما من المضاعفة ومن الخلود أبو بكر وحماد مثله ولكن يخلد مجهولا من الاخلاد المفضل يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع من الخلود ابن عامر مثله ولكن بالجزم فيهما ابن كثير ويعقوب ويزيد الآخرون كالاول ولكن بالجزم فيهما فيهى باشباع الكسرة ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمى وذرياتنا على التوحيد أبو عمرو وعلى

وخلف وعاصم والمفضل ويلقون بفتح اليـاء وسكون اللام وتخفيف القاف من اللقاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل
الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف (٣٠) من باب التفعيل ۞ الوقوف نذيرا ه والوصل أولى للفاء كبيرا ه أجاج

حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال بالشرك ايمانا و بالقتل امساكا و بالزنا احصانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر وهـذه الآية مكية نزلت بمكة ومن يفعل ذلك يعنى الشرك والقتل والزنا جميعا لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النـار وليس له عند الله خير فأنزل الله الا من تاب من المشركين من أهل مكة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يقول يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا الايمان بالله والدخول فى الاسلام وهو التبديل فى الدنيـا وأنزل الله فى ذلك ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم يعنيهم بذلك لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا يعنى ما كان فى الشرك يقول الله لهم أنيبوا الى ربكم وأسلموا له يدعوهم الى الاسلام فهاتان الآيتان مكيتان والتى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية هـذه مدنية نزلت بالمدينة و بينها و بين التى نزلت فى الفرقان ثمـان سنين وهى مبهمة ليس منها مخرج حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد قال سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه يبدل الله سيئاتهم حسنات فقال

بدلن بعـد حره خريفا * و بعد طول النفس الوجيفا

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين لا يدعون مع الله الهـا آخر الى قوله يخلد فيه مهانا فقال المشركون ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد الا معنـا قال فأنزل الله الا من تاب وآمن قال تاب من الشرك وآمن قال وآمن بعقاب الله و رسوله وعمل عملا صالحا قال صـدق فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسـنات قال يبدل الله أعمـالهم السيئة التى كانت فى الشرك بالاعمال الصالحة حين دخلوا فى الايمان * وقال آخرون بل معنى ذلك فاولئك يبدل الله سيئاتهم فى الدنيا حسنات لهم يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن عمرو البصرى قال ثنا قريش بن أنس أبو أنس قال ثنى صالح بن رستم عن عطاء الخراسانى عن سـعيد بن المسيب فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة حدثنا الحسن ابن عرفة قال ثنا محمد بن حازم أبو معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم انى لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل النـار دخولا الجنـة قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال نحوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت كذا وكذا وعملت كذا وكذا قال فيقول يارب لقد عملت أشـياء ما أراها ههنا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال فيقال له لك مكان كل سيئة حسـنة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من تأوله فاولئك يبـدل الله سيئاتهم أعمـالهم فى الشرك حسـنات فى الاسـلام بنقلهم عما يسخطه الله من الاعمال الى ما يرضى وانمـا قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان الاعمـال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليـه من القبح وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة الى خلاف ما كانت عليـه الا بتغييرها عمـا كانت عليه من صـفتها فى حال أخرى فيجب ان فعل ذلك كذلك أن يصـير شرك الكافر الذى كان شركا فى الكفر بعينه ايمانا يوم القيامة بالاسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة وذلك ما لا يقوله ذو حجى وقوله وكان الله غفورا

ج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا ه وصهرا ه قديرا ه ولا يضرهم ط ظهيرا ه ونذيرا ه سبيلا ه بحمده ط خبيرا ه ج لأن الذى يصلح صـفة للحى والوقف على العرش على تقـدير هو الرحمن اذ لا وقف عليه أيضا بنـاء على أن الرحمن بدل من المستـتر فى استوى و يصلح أن يكون الذى مبتدأ والرحمن خبره خبيرا ه وما الرحمن ه قد قيل ولا وجه له لان الكل مقول قالوا نفورا ه سجدة منيرا ه شكورا ه سلاما ه وقياما ه جهنم ق قد قيل والوصل أولى لاتحاد القائل غراما ه كذلك ومقاما ه قواما ه ولا يزنون ج للشرط مع واو العطف أثاما ه لمن قرأ يضاعف بالرفع على الاستئناف دون الجزم على ابدال الجملة من الجمـلة لتقارب معنييهما مهانا ه لا وقد يوقف على جعل الا بمعنى لكن والوصل أولى لان لكن تقتضى الوصـل أيضا حسنات ط رحيما ه متابا ه الزور ه لا كراما ه وعميانا ه اماما ه وسلاما ه لا لاتصال الحـال فيها ط ومقاما ه دعاؤكم ج لاختلاف الجملتين لزاما ه ۞ التفسير انه سبحانه لمـا قرر سـيرة القوم من كفران النعمة وايذاء النبى أراد تهييج نبيه على استمـرار الدعوة وفى الآية لطف ممزوج بنوع تأديب وارشاد و فحواه ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و بعثنا فى كل قرية نبيا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضل بالتشدد فى الدين ففى أول الآية بيان كمال الاقتدار وأنه لا حاجة به الى نبى محمـد كان أو غيره ولكن فى مفهوم لو دلالة على أنه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المنصب الشريف

لكمال للعناية به و بأمته فعليه أن يترك طاعة الكافرين فيما يريدونه عليه مما يوافق أهواءهم النهى كقولك للمتحرك لاتسكن لا كقولك
للساكن لاتسكن فانه صلى الله عليه وسلم لم يترك طاعة الله طرفة عين ثم بالغ (٣١) فى النهى بأن أمره بضده قائلا (وجاهدهم به)
أى بالقرآن أو بترك طاعتهم أو بسبب كونك نذير القرى كلها لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الا مجاهدة قريته وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده وعظم وصار جامعا لكل مجاهدة ثم ذكر دليلا رابعا على التوحيد فقال (وهو الذى مرج البحرين) أى خلاهما وأرسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة أى خليتها لترعى وسمى الماءين الكثيرين بحرين والفرات البليغ العذوبة والتركيب يدل على كسره العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الشدة والتوهج وقوله (هذا) اشارة الى ما ارتسم فى الذهن بعد ذكر البحرين والبرزخ الحائل الذى جعل الله بينهما من قدرته يفصل بينهما و يمنعهما التمازج (وحجرا محجورا) كلمة يقولها المتعوذ كما قلنا فى السورة كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه و يقول له هذا القول ونظيره فى سورة الرحمن بينهما برزخ لا يبغيان فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا وكل منهما مجاز فى غاية الحسن ۞ سؤال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى والجواب من وجهين أحدهما أن فى البحار مواضع فيها مياه عذبة يعرفها الملاحون يحمل منها الماء الى حين الوصول الى الموضع الآخر
وثانيهما لعل المراد من البحر العذب الأودية العظام كالنيل والفرات وجيحون ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض ووجه الاستدلال على هذا الوجه أن يقال العذوبة والملوحة ان كانتا بسبب طبيعة الارض أو الماء فلا بد من الاستواء والا فلا بد

غفورا رحيما يقول تعالى ذكره وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده وراجع طاعته وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها قوله ومن تاب يقول ومن تاب من المشركين فآمن بالله ورسوله وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله فأطاعه فان الله فاعل به من ابداله سيء أعماله فى الشرك بحسنها فى الاسلام مثل الذى فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا قال هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان هؤلاء الا معنا قال ومن تاب وعمل صالحا فان لهم مثل ما لهؤلاء فانه يتوب الى الله متابا لم تحظر التوبة عليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) اختلف أهل التأويل فى معنى الزور الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه فقال بعضهم معناه الشرك بالله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك فى قوله لا يشهدون الزور قال الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين لا يشهدون الزور قال هؤلاء المهاجرون قال والزور قولهم لآلهتهم وتعظيمهم اياها * وقال آخرون بل عنى به الغناء ذكر من قال ذلك حدثنى على بن عبد الأعلى المحاربى قال ثنا محمد بن مروان عن ليث عن مجاهد فى قوله والذين لا يشهدون الزور قال لا يسمعون الغناء * وقال آخرون هو قول الكذب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله والذين لا يشهدون الزور قال الكذب * قال أبو جعفر وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به والشرك قد يدخل فى ذلك لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل و يدخل فيه الغناء لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلى سامعه سماعه والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه اياه حتى يظن صاحبه أنه حق فكل ذلك مما يدخل فى معنى الزور فاذا كان ذلك كذلك فأولى الأقوال بالصواب فى تأويله أن يقال والذين لا يشهدون شيأ من الباطل لا شركا ولا غناء ولا كذبا ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور لأن الله عم فى وصفه اياهم أنهم لا يشهدون الزور فلا ينبغى أن يخص من ذلك شيء الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله واذا مروا باللغو مروا كراما اختلف أهل التأويل فى معنى اللغو الذى ذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين و يكلمونهم به من الأذى ومرورهم به كراما اعراضهم عنهم وصفحهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال صفحوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا أوذوا مروا كراما قال صفحوا * وقال آخرون بل معناه واذا مروا بذكر النكاح كفوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنا

من قادر مختار يخص كل واحد من الماءين بصفة مخصوصة * الاستدلال الخامس من احوال خلقة الانسان والماء إما العنصر كقوله وجعلنا من الماء كل شئ حى او النطفة ومعنى (فجعله (٣٢) نسبا وصهرا) أنه قسم البشر قسمين ذوى نسب وذوات صهر والاول الذكور الذين ينسب اليهم فيقال فلان وفلانة بنت فلان ومنه أخذ الشاعر،

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

والثانى الاناث التى يصاهر بهن ونحوه قوله عز من قائل فجعل منه الزوجين الذكر والانثى والأصهار أهل بيت المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان يقال صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم (وكان ربك قديرا) حين خلق من ماء واحد صنفين مختلفين بل أشخاصا متباينة لاتكاد تنحصر ثم عاد الى تهجين سيرة عبدة الاوثان فقال (ويعبدون) الآية يروى أنها نزلت فى أبى جهل المراد بالكافر والاولى حمله على العموم والظهير المظاهر أى المعاون أى هذا الجنس يظاهر الشيطان على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هى المظاهرة على رسوله أو على دينه ويجوز أن يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى أن بعض الكفرة مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله جل وعلا وقال أبو مسلم هو من قولهم ظهر فلان بحاجتى اذا نبذها وراء ظهره والمراد أن الكافر بكفره هين على ربه غير ملتفت اليه قوله (وما أرسلناك) الى قوله سبيلا وجه تعلقه بما قبله أن الكفار يطلبون العون على الله وعلى رسوله ولا أجهل ممن استفرغ جهده فى ايذاء من يبذل وسعه فى اصلاح مهماته دينا ودنيا حتى يبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية ولا يسألهم على ذلك أجرا الا أن يشاؤا التقرب بالانفاق فى الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا الى رحمة ربهم ونيل ثوابه ومعنى الاستثناء

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا ذكروا النكاح كفوا عنه حدثنى الحرث قال ثنا الاشيب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد فى قول الله واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبى مخزوم عن سيار واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا مروا بالرفث كفوا * وقال آخرون اذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكرين له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال هؤلاء المهاجرون واللغو ما كانوا فيه من الباطل يعنى المشركين وقرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان * وقال آخرون عنى باللغو ههنا المعاصى كلها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اللغو كله المعاصى * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم اذا مروا باللغو مروا كراما واللغو فى كلام العرب هو كل كلام او فعل باطل لاحقيقة له ولا أصل أو ما يستقبح فسب الانسان الانسان بالباطل الذى لاحقيقة له من اللغو وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح فى بعض الأماكن فهو من اللغو وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذى لاحقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه وسماع الغناء مما هو مستقبح فى أهل الدين فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو فلا وجه اذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو أن يقال عنى به بعض ذلك دون بعض اذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام واذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كراما مرورهم كراما فى بعض ذلك بأن لا يسمعوه وذلك كالغناء وفى بعض ذلك بأن يعرضوا عنه و يصفحوا وذلك اذا أوذوا باسماع القبيح من القول وفى بعضه بأن ينهوا عن ذلك وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول وفى بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم فيستصرخهم المراد ذلك منهم فيصرخونهم وكل ذلك مرورهم كراما وقد حدثنى ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصبح ابن مسعود لكريما * وقيل ان هذه الآية مكية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت السدى يقول واذا مروا باللغو مروا كراما قال هى مكية وانما عنى السدى بقوله هذا ان شاء الله أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأمرهم اذا مروا باللغو الذى هو شرك أن يقاتلوا أمراءه واذا مروا باللغو الذى هو معصية لله أن يغيروه ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة وهذا القول نظير تأويلنا الذى تأولناه فى ذلك فى القول فى تأويل قوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يقول تعالى ذكره والذين اذا ذكرهم مذكر بحجج الله لم يكونوا صما لا يسمعون وعميا لا يبصرونها ولكنهم يقاظ القلوب فهماء العقول يفهمون عن الله ما يذكرهم به ويفهمون عنه ما ينبههم عليه فيوعون مواعظه آذانا سمعته وقلوبا واعته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى

عن الاجر والتقدير الا افعل من شاء هو معنى قولك لمن سعيت له في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فيكون في تسمية حفظ المال ثوابا فائدتان احداهما قلع شبهة الطمع في شئ من الثواب والثانية اظهار الشفقة وأنه

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لم يخروا عليها صما وعميانا فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يفقهون حقا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قلت للشعبي رأيت قوما قد سجدوا ولم أعلم ما سجدوا منه أسجد قال والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال هذا مثل ضربه الله لهم لم يدعوها الى غيرها وقرأ قول الله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فان قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صما وعميانا أو يخر الكافرون صما وعميانا اذا ذكروا بآيات الله فينفى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار قيل نعم الكافر اذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى وخره عليها كذلك اقامته على الكفر وذلك نظير قول العرب سببت فلانا فقام يبكي بمعنى فظل يبكي ولا قيام هنالك ولعله أن يكون بكى قاعدا وكما يقال نهيت فلانا عن كذا فقعد يشتمني ومعنى ذلك فجعل يشتمني وظل يشتمني ولا قعود هنالك ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول قعد يشتمني كقولك قام يشتمني وأقبل يشتمني قال وأنشدني بعض بني عامر

لا يقنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون أن تلتقي الأركاب * ويقعد الأير له لعاب

بمعنى يصير فكذلك قوله لم يخروا عليها صما وعميانا انما معناه لم يصموا عنها ولا عموا عنها ولم يصيروا على باب ربهم صما وعميانا كما قال الراجز * ويقعد الأير له لعاب * بمعنى ويصير ﴿القول في تأويل قوله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما)﴾ يقول تعالى ذكره والذين يرغبون الى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين يعنون من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت كثيرا سأل الحسن قال يا أبا سعيد قول الله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين في الدنيا والآخرة قال لا بل في الدنيا قال وما ذاك قال المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله حدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا سالم بن قتيبة قال ثنا حزم قال سمعت الحسن فذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قرأ حضرمي ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال وانما قرة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرأنا عليه في قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون الجرائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله ربنا هب لنا من ازواجنا

ان حفظ ماله رضي الساعي به كما يرضى المثاب بالثواب هذا ما قاله جار الله وقال القاضي معناه لا أسألكم أجرا لنفسي وأسألكم أن تطلبوا الأجر لأنفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين أن الكفار متظاهرون على ايذائه وأمره لأن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره بأن يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع وتمسك بقاعدة التنزيه والتحميد وفي وصفه ذاته بالحي الذي لا يموت اشارة الى أن الذي يوثق به في المصالح يجب أن يكون موصوفا بهذه الصفة وليس الا الله وحده وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق والا صار ضائعا اذا مات ذلك المخلوق ثم ختم الآية بما لا مزيد عليه في الوعيد أي لا يحتاج معه الى غيره لأنه خبير بأحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به أي حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالعلم جمالا وكفى بالأدب مالا ثم زاد لعلمه وقدرته مبالغة وبيانا فقال (الذي خلق) الخ وقد سبق تفسيره في الأعراف وأما قوله (فاسأل به خبيرا) ففيه وجوه قال الكلبي الضمير في به يعود الى ما ذكر من خلق السماء والأرض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لأن كيفية ذلك الخلق والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه

وعن ابن عباس أن ذلك الخبير هو جبرائيل وقال الأخفش والزجاج الباء بمعنى عن فسئل به مثل اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقال ابن جرير الباء زائدة

والمعنى فاسأله حال كونه عالما بكل شئ وجوز جار الله أن تكون الباء تجريدية كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته والمراد فاسأل بسؤاله خبيرا اى ان سألته وجدته عالما به وقيل الباء (٣٤) للقسم ولعل الوجه الأول أقرب الى المراد نظيره ولا ينبئك مثل خبير ثم أخبر عن قوم أنهم (قالوا وما الرحمن) والواو عاطفة وقعت في كلام فحكى كما هو فاحتمل أنهم جهلوا الله سبحانه واحتمل أنهم عرفوه لكن جحدوه واحتمل أنهم عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سألوا عنه ومن ههنا ذهب بعضهم الى تفسير آخر لقوله فاسأل به خبيرا وهو أن الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة قال القاضي والأقرب أن المراد انكارهم لله لا للاسم لأن هذه اللفظة عربية وهم يعلمون أنها تفيد المبالغة في الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة كقول فرعون وما رب العالمين وان قلنا انهم كانوا مقرين لكنهم جهلوا أنه تعالى سمى بهذا الاسم فالسؤال عن الاسم ومعنى (لما تأمرنا) للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده مثل أمرتك الخير فاتسع أولا ثم حذف ثانيا ويجوز أن تكون ما مصدرية أي لأمرك لنا ومن قرأ على الغيبة فالضمير لمحمد أو للمسمى بالرحمن كأنهم قالوا هذا القول فيما بينهم والضمير في (زادهم) للقول وهو اسجدوا للرحمن أي وزادهم أمره (نفورا) ومن حقه أن يكون باعثا على الفعل والقبول قال الضحاك لما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين فمعنى الآية وزادهم سجودهم نفورا ومن السنة أن يقول الساجد والقارئ اذا بلغ هذا الموضع زادنا الله خضوعا ما زاد للأعداء نفورا ثم ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال (تبارك) الخ فالبروج هي الأقسام

وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك يحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للاسلام حدثنا محمد بن عون قال ثنا محمد بن اسمعيل ابن عياش قال ثني أبي عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا الى المقداد بن الأسود فقال لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بعث عليها نبي من الانبياء في فترة وجاهلية ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى ان كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالاسلام فيعلم أنه ان مات دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار وانها للتي قال الله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية حدثني ابن عون قال ثني علي ابن الحسن العسقلاني عن عبد الله بن المبارك عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن المقداد نحوه وقيل هب لنا قرة أعين وقد ذكر الازواج والذريات وهم جمع وقوله قرة أعين واحدة لأن قوله قرة أعين مصدر من قول القائل قرت عينك قرة والمصدر لا تكاد العرب تجمعه وقوله واجعلنا للمتقين اماما اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه اجعلنا أئمة يقتدى بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثني عون بن سلام قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله واجعلنا للمتقين اماما يقول أئمة يقتدى بنا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واجعلنا للمتقين اماما أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا قال ابن زيد كما قال لابراهيم اني جاعلك للناس اماما * وقال آخرون بل معناه واجعلنا للمتقين اماما نأتم بهم ويأتم بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واجعلنا للمتقين اماما قال أئمة نقتدي بمن قبلنا ونكون أئمة لمن بعدنا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واجعلنا للمتقين اماما قال اجعلنا مؤتمين بهم مقتدين بهم * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك اماما يأتمون بنا في الخيرات لأنهم انما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم اماما وقال واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل أئمة وقد قالوا واجعلنا وهم جماعة لأن الامام مصدر من قول القائل أم فلان فلانا اماما كما يقال قام فلان قياما وصام يوم كذا صياما ومن جمع الامام أئمة جعل الامام اسما كما يقال أصحاب محمد امام وأئمة للناس فمن وحد قال يأتم بهم الناس وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحويي أهل الكوفة وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية الامام في قوله للمتقين اماما جماعة كما تقول كلهم عدول قال ويكون على الحكاية كما يقول القائل اذا قيل له من أميركم هؤلاء أميرنا واستشهد لذلك بقول الشاعر

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي * ان العواذل لسن لي بأمير

القول

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادى وذلك من ابتداء قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا الآية يجزون يقول يثابون على أفعالهم هذه التى فعلوها فى الدنيا الغرفة وهى منزلة من منازل الجنة رفيعة بما صبروا يقول بصبرهم على هذه الأفعال ومقاساة شدتها وقوله ويلقون فيها تحية وسلاما اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ويلقون مضمومة الياء مشددة القاف بمعنى وتتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويلقون بفتح الياء وتخفيف القاف والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءتين الى أن أقرأ بها ويلقون فيها بفتح الياء وتخفيف القاف لأن العرب اذا قالت ذلك بالتشديد قالت فلان يتلقى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام قرنته بالباء وقلما تقول فلان يلقى السلام فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد أن يقال ويتلقون فيها بالتحية والسلام وانما اخترنا القراءة بذلك (٣) كما تجيز أخذت بالخطام وأخذت الخطام وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾ يقول تعالى ذكره أولئك يجزون الغرفة بما صبروا خالدين فى الغرفة يعنى أنهم ماكثون فيها لابثون الى غير أمد حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما يقول واقامة وقوله قل ما يعبأ بكم ربى يقول جل ثناؤه لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت اليهم أى شئ يعد بكم وأى شئ يصنع بكم ربى يقال منه عبأت به أعبأ عبأ وعبأت الطيب أعبؤه اذا هيأته كما قال الشاعر

كأن بنحره وبمنكبيه * عبيرا بات يعبؤه عروس

يقول يهيئه ويعمله يعبؤه عبأ وعبوأ ومنه قولهم عبأت الجيش بالتشديد والتخفيف فأنا أعبئه أهيئه والعبء الثقل * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ما يعبأ بكم ربى يصنع لولا دعاؤكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قل ما يعبأ بكم ربى قال يعبأ يفعل وقوله لولا دعاؤكم يقول لولا عبادة من يعبده منكم وطاعة من يطيعه منكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم يقول لولا ايمانكم وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حببه الى المؤمنين وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لولا دعاؤكم قال لولا دعاؤكم اياه لتعبدوه وتطيعوه وقوله فقد كذبتم يقول تعالى ذكره لمشركى قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذى أرسل

الاثنا عشر للفلك وأساميها مشهورة الحمل والثور والجوزاء الخ شبهت بالقصور العالية واشتقاق البروج من التبرج لظهوره والسراج الشمس ومن جمع أراد الشمس والكواكب الكبار والخلفة للهيئة من الخلافة يريد الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلفة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ومثله قوله واختلاف الليل والنهار فى أحد تفاسيره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فمن فاته شئ من وظائف العبادة فى أحدهما قضاه فى الآخر وعن مجاهد وقتادة والكسائى يقال لكل مختلفين هما خلفتان فالمعنى ان أحدهما أسود والآخر أبيض أو هذا طويل وهذا قصير ثم بين أن هذه النعمة سبب للتذكر لمن أراد ذلك أو للشكر لمن أراده أما التذكر فلدلالة الانتقال والتغير على الناقل والمغير وأما الشكر فلأن الليل سبب الراحة والسكون والنهار سبب لسهولة التصرف فى المعايش قال بعضهم معنى أو الفاصلة أنه ان كان كافرا تذكر وان كان مؤمنا شكر وقيل أراد ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته فى أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر والشكور مصدر كالكفور ثم أراد أن يختم السورة بوصف عباده المخلصين فقال (وعباد الرحمن) وهو مبتدأ خبره فى آخر السورة أولئك يجزون الغرفة أو خبره (الذين يمشون) والاضافة الى الرحمن للتخصيص والتشريف وقرئ وعباد جمع عابد وصف سيرتهم مع الخلق بالنهار أولا ثم وصف معاملتهم مع الحق بالليل ثانيا ثم قسم الوصف الأول الى نوعين أحدهما ترك الايذاء وهو المراد بقوله (الذين يمشون على الارض هونا) مصدر وضع للمبالغة موضع الحال أو الصفة للمشى بمعنى هينين أو مشيا هينا والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعضهم الركوب فى الاسواق والمشى

اليكم وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربى فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم وخلافكم أمر ربكم عذابا لكم ملازما قتلا بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا كما قال أبوذؤيب الهذلى

ففاجأه بغادية لزام * كما يتفجر الحوض اللقيف

يعنى باللزام الكبير الذى يتبع بعضه بعضا و باللقيف المتساقط الحجارة المتهدم ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بأيدى أوليائه وألحق بعضهم ببعض فكان ذلك العذاب اللزام * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنى مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبدالله قال صليت مع ابن الزبير فسمعته يقرأ فقد كذب الكافرون حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى قال ثنا سعيد بن أدهم السدوسى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبدالمجيد قال سمعت مسلم بن عمار قال سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما يقول كذب الكافرون أعداء الله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال فسوف يلقون لزاما يوم بدر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبدالرحمن خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله فسوف يكون لزاما قال أبى بن كعب هو القتل يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن ابراهيم قال اللزام يوم بدر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال هو يوم بدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن منصور عن سفيان عن ابن مسعود قال اللزام القتل يوم بدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما جاء به من عند الله فسوف يكون لزاما وهو يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبدالله قال قد مضى اللزام كان اللزام يوم بدر أسروا سبعين وقتلوا سبعين * وقال آخرون معنى اللزام القتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسوف يكون لزاما قال فسوف يكون قتالا اللزام القتال * وقال آخرون اللزام الموت ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فسوف يكون لزاما قال موتا وقال بعض أهل العلم بكلام العرب معنى ذلك فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أوشر وقد بينا الصواب من القول فى ذلك وللنصب فى اللزام وجه آخر غير الذى قلناه وهو ان يكون فى قوله يكون

فى الاسواق دون الركوب سيرة المرسلين قال عزمن قائل وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وثانيهما تحمل الايذاء واليه الاشارة بقوله (واذا خاطبهم (٦٣) الجاهلون) يعنى السفهاء وقليلو الأدب (قالوا سلاما) يعنى سلام توديع ومتاركة كسلام ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين قال لأبيه سلام عليك ولا نسخ فى الآية على ما زعم الكلبى وابو العالية من أنها نسخت بآية القتال فان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الأدب مستحسن عقلا وشرعا والبيتوتة هى أن يدركك الليل نمت أولم تنم وصفهم باحياء الليل أو أكثره وقوله (لربهم) اما أن يتعلق بما قبله أو بما بعده أى يبيتون لله على اقدامهم و يفرشون خدودهم و يعفرون جباههم وقيل من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قاله ابن عباس ثم وصفهم بأنهم يقولون فى سجودهم وقيامهم (ربنا اصرف عنا) الآية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل خوفا من عذاب جهنم وقوله (غراما) أى هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه وفلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسأل ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الموجع وعن محمد بن كعب فى غراما انه سأل الكفار عن نعمه فما أدوها اليه فأغرمهم فأدخلهم النار (وساءت) اما بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقر حال أوتمييز واما بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم وهو الرابط أيضا محذوف أى ساءت مستقرا ومقاما هى والظاهر أن الجملتين من قول الداعين وجوز جارالله أن يكون من كلام الله والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين بأن يكون مجهول • قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وأن يكونا مترادفين كل منهما تعليل لقوله ربنا اصرف قال المتكلمون التعليل الأول

مجهول ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل * اذا كان طعنا بينهم وعناقا * وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول في تأويل ذلك قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والانداد وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل

(آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده)

﴿ تفسير سورة الشعراء ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين﴾ قال أبو جعفر وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة وقد بينا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته وقد ذكرنا عنهم من الاختلاف في قوله طسم وطس نظير الذي ذكرنا عنهم في الم والمر والمص وقد حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله طسم قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله طسم قال اسم من أسماء القرآن فتأويل الكلام على قول ابن عباس والسميع ان هذه الآيات التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته اليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم وفكر فيه بعقل أنه من عند الله جل جلاله لم يتخرصه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقوله من عنده بل أوحاه اليه ربه وقوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين يقول تعالى ذكره لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها ان لم يؤمن قومك بك ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع هو القتل والاهلاك في كلام العرب ومنه قول ذي الرمة

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشئ نحته عن يديك المقادر

* وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس باخع نفسك قاتل نفسك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين قال لعلك من الحرص على ايمانهم مخرج نفسك من جسدك قال ذلك البخع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لعلك باخع نفسك عليهم حرصا وأن من قوله أن لا يكونوا مؤمنين في موضع نصب بباخع كما يقال زرت عبد الله أن زارني وهو جزاء ولو كان الفعل الذي بعد أن مستقبلا لكان وجه الكلام في أن الكسر كما يقال أزور عبد الله ان يزرني القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فظلت أعناقهم لها فقال بعضهم معناه فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلة ذكر من قال ذلك

اشارة الى أن عقاب أهل النار مضرة خالصة والتعليل الثاني اشارة الى كونها دائمة وقد يفرق بين المستقر والمقام بأن المستقر للعصاة من أهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص لهم منها ثم وصفهم بالتوسط في الانفاق (٣٧) والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر عن عمر كفى شرها أن لا يشتهي رجل شيأ الا اشتراه فأكله ثم بالغ في نسبة انفاقهم الى الاعتدال بقوله (وكان) أي الانفاق (بين ذلك قواما) والمنصوبان يجوز أن يكونا خبرين وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وقال في الكشاف يجوز أن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا ولعل معناه أنه يقوم مقام لفظ المستقر اذا كان متعلقا به في قولك الانفاق بين ذلك وقد ذكر مثله في أول الشعراء في قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان دون هذا كافيا يريد أقل من ذلك فيكون المعنى وكان الوسط بين ذلك قواما وضعفه في الكشاف بأن ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة وأقول اذا أريد بالقوام حاق الوسط وبقوله بين ذلك أعم منه لم يلزم التكرار وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله عز وجل تصديقه والذين لا يدعون الى قوله ولا يزنون قال جار الله نفي هذه الأمور الشنيعة عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين تعريض بما

كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكورة قد يرتكب هذه الأمور تدينا فبين الله تعالى أن (٣٨) المكلف لا يصير بتلك الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه

مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الوأد وغيره كما مر فى سبب النزول (ومن يفعل ذلك) أى المذكور فترك المأمورات أو ارتكب المنهيات والأثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما وقيل هو الاثم والمضاف محذوف أى يلق جزاء الاثم وقرأ ابن مسعود أياما بتشديد الياء التحتانية يعنى أيام الشدة ومعنى مضاعفة العذاب لمن ارتكب مخالفة المذكورات أن يعذب على الشرك وعلى المعاصى الاخر جميعا هذا عند من يرى تعذيب الكفار بفروع الشرائع والمخالف يدعى أن المشار اليه بقوله ذلك هو قوله والذين لا يدعون قال القاضى قوله (ويخلد فيه) أى فى ذلك التضعيف أو المضعف ففيه دليل على أن حال الزيادة كحال الأصل فى الدوام فيكون عقاب المعصية دائما واذا كان كذلك فى حق الكافر لزم ان يكون كذلك فى حق المؤمن وأجيب بأن الشيئين قد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما أقبح فلا يلزم أن يكون للانفراد حكم الاجتماع وفى قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى أن العقاب هو المضرة الخالصة الدائمة المقرونة بالإذلال والاهانة كما أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال والتعظيم وقوله (الا من تاب) لا يفهم منه الا أن التائب لا يضاعف له العذاب ولا يلزم منه أن يكون مثابا فلذلك قال (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة أن هذا التبديل انما يكون فى الدنيا فيجعلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يبشرهم الله تعالى بأنه يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة اذا تابوا وآمنوا

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال فظلوا خاضعة أعناقهم لها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله خاضعين قال لو شاء الله لنزل عليه آية يذلون بها فلا يلوى أحد عنقه الى معصية الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أن لا يكونوا مؤمنين ان نشأ نتزل عليهم من السماء آية قال لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال ملقين أعناقهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال الخاضع الذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين و يقول الأعناق هم الكبراء من الناس * واختلف أهل العربية فى وجه تذكير خاضعين وهو خبر عن الأعناق فقال بعض نحويى البصرة يزعمون أن قوله أعناقهم على الجماعات نحو هذا عنق من الناس كثير أو ذكر كما يذكر بعض المؤنث كما قال الشاعر

تمززتها والديك يدعو صباحه * اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فجماعات هذا أعناق أو يكون ذكره لاضافته الى المذكر كما يؤنث لاضافته الى المؤنث كما قال الأعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال العجاج * لما رأى متن السماء أبعدت *

وقال الفرزدق

اذا القنبضات السود طوفن بالضحى * رقدن عليهن الحجال المسجف

وقال الاعشى

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الأرض يهماء وبيداء خيفق
لمحقوقة أن تستجيبى لصوته * وأن تعلمى أنى المعان الموفق

قال ويقولون بنات نعش وبنو نعش ويقال بنات عرس وبنو عرس وقالت امرأة أنا امرؤ لا أخبر السر قال وذكر لرؤبة رجل فقال هو كان أحد بنات مساجد الله يعنى الحصا وكان بعض نحويى الكوفة يقول هذا بمنزلة قول الشاعر

ترى أرماحهم متقلديها * اذا صدأ الحديد على الكماة

فمعناه عنده فظلت أعناقهم خاضعيها هم كما يقال يدك باسطها بمعنى يدك باسطها أنت فاكتفى بما ابتدأ به من الاسم أن يكون فصار الفعل كأنه للاول وهو للثانى وكذلك قوله لمحقوقة أن تستجيبى لصوته انما هو لمحقوقة أنت والمحقوقة الناقة الا أنه عطفه على المرء لما عاد بالذكر وكان آخر منهم يقول الأعناق الطوائف كما يقال رأيت الناس الى فلان عنقا واحدة فيجعل الاعناق الطوائف والعصب ويقول يحتمل أيضا أن تكون الاعناق هم السادة والرجال الكبراء فيكون كأنه قيل فظلت رؤس القوم وكبراؤهم لها خاضعين وقال أحب الى من هذين الوجهين فى العربية أن يقال ان

وعملوا باثر الأعمال الصالحة وانما أفرد التوبة والايمان بالذكر أولا لعلوشأنهما وقال الزجاج السيئة بعينها لاتصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه (٣٩) السيآت وذهب سعيد بن المسيب ومكحول

ان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون بخضوعها فجعل الفعل أولا للأعناق ثم جعلت خاضعين للرجال كما قال الشاعر

على قبضة مرجوة ظهر كفه * فلا المرء مستحي ولا هو طاعم

فأنث فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر وتكفي منه كما أنك تكتفي بأن تقول خضعت لك من أن تقول خضعت لك رقبتي وقال ألا ترى أن العرب تقول كل ذي عين ناظر وناظرة اليك لان قولك نظرت اليك عيني ونظرت اليك بمعنى واحد بترك كل وله الفعل و برده الى العين فلوقلت فظلت أعناقهم لها خاضعة كان صوابا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال وأن يكون معنى الكلام فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء وأن يكون قوله خاضعين مذكرا لانه خبر عن الهاء والميم في الأعناق فيكون ذلك نظير قول جرير

أرى مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

وذلك أن قوله مر لو أسقط من الكلام لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله فظلت أعناقهم لأدى ما بقي من الكلام عنها وذلك أن الرجال اذا ذلوا فقد ذلت رقابهم واذا ذلت رقابهم فقد ذلوا فان قيل في الكلام فظلوا لها خاضعين كان الكلام غير فاسد لسقوط الأعناق ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها فصرف الخبر بالخضوع الى أصحاب الأعناق وان كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم اذا كان الاسم المبتدأ به وما أضيف اليه يؤدي الخبر كل واحد منهما عن الآخر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين) يقول تعالى ذكره وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك وحقيقة ما تدعوهم اليه مما يحدثه الله اليك ويوحيه اليك لتذكرهم به الا أعرضوا عن استماعه وتركوا اعمال الفكر فيه وتدبره ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) يقول تعالى ذكره فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله وأعرضوا عنه فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم وتمردهم على ربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر الى الارض كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لانبات فيها من كل زوج كريم يعني بالكريم الحسن كما يقال للنخلة الطيبة الحمل كريمة وكما يقال للشاة أو الناقة اذا غزرتا فكثرت ألبانهما ناقة كريمة وشاة كريمة * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أنبتنا فيها من كل زوج كريم قال من نبات الأرض مما تأكل الناس والأنعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

الى ظاهر الآية وهو أنه تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة وأكدوا هذا الظاهر بما روى عن أبي هريرة مرفوعا ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيآت قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيآتهم حسنات وقال القاضي والقفال انه تعالى يبدل بالعقاب الثواب فذكر السبب وأراد المسبب ثم عمم الحكم فذكر أن جميع الذنوب بمنزلة الخصال المذكورة أي ومن يترك المعاصي كلها ويندم عليها وأتى بالعمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله عز وجل متابا مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز أن ترجع الفائدة الى تخصيص اسم الله أي فانه تائب متابا الى الله الذي هو المفيض لكل الخيرات يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يليق بكرمه ويحتمل أن ترجع الفائدة الى تنكير متابا والمتاب المرجع أي يرجع الى الله مرجعا حسنا أي مرجع وقيل هو وعد للتائبين المخلصين فيما مضى بأنه سيوفقهم للتوبة في المستقبل ثم وصفهم بأنهم لا يشهدون الزور فان كان من الشهادة فالمضاف محذوف أي لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود الحضور فللمفسرين أقوال فعن قتادة هي مجالس الباطل وعن أبي حنيفة اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين وعن ابن عباس هي المجالس التي يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى

رسوله والتحقيق أنه يدخل فيه حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي كمحاضر الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظارة الى ما لم تسوغه الشريعة لأن الحضور والنظر الى تلك المجالس دليل الاهانة وبعث لفاعله عليه لا زجر له عنه وفي مواعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من كل زوج كريم قال حسن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فى انباتنا فى الارض من كل زوج كريم لآية يقول لدلالة لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث على حقيقته وأن القدرة التى بها أنبت الله فى الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها لن يعجزه أن ينشر بها الأموات بعد مماتهم أحياء من قبورهم وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين نبوتك يا محمد بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر يقول جل ثناؤه وقد سبق فى علمى أنهم لا يؤمنون فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمى فيهم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول وان ربك يا محمد لهو العزيز فى نقمته لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه يقول تعالى ذكره وانى ان أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندى عقوبتى بتكذيبهم اياك فلن يمنعهم منى مانع لأنى أنا العزيز الرحيم يعنى أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته وكان ابن جريج يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قال كل شئ فى الشعراء من قوله عزيز رحيم فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم يقول عزيز حين انتقم من أعدائه رحيم بالمؤمنين حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك فى هذا الموضع لأن قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث لم يكونوا أهلكوا فيوجه الى أنه خبر من الله عن فعله بهم واهلاكه ولعل ابن جريج بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن اهلاكه من أهلك من الأمم وذلك ان شاء الله اذا كان عقيب خبرهم كذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى بن عمران أن ائت القوم الظالمين يعنى الكافرين قوم فرعون ونصب القوم الثانى ترجمة عن القوم الاول وقوله ألا يتقون يقول ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون وترك اظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه وانما قيل ألا يتقون بالياء ولم يقل ألا تتقون بالتاء لأن التنزيل كان قبل الخطاب ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا كما قيل قل للذين كفروا سيغلبون وستغلبون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لربه رب انى أخاف من قوم فرعون الذين أمرتنى أن آتيهم أن يكذبون بقيلى لهم انك ارسلتنى اليهم ويضيق صدرى من تكذيبهم اياى ان كذبونى ورفع قوله ويضيق صدرى عطفا به على أخاف وبالرفع فيه قرأته عامة قراء الأمصار ومعناه وانى يضيق صدرى وقوله ولا ينطلق لسانى يقول ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلنى به اليهم للعلة التى كانت بلسانه وقوله ولا ينطلق لسانى كلام معطوف به على يضيق وقوله فأرسل الى هرون يعنى هرون أخاه ولم يقل فأرسل الىّ هرون ليوازرنى وليعيننى اذ كان مفهوما معنى الكلام وذلك كقول القائل لو نزلت بنا نازلة لفزعنا اليك بمعنا لفزعنا اليك لتعيننا وقوله ولهم على ذنب يقول ولقوم فرعون على دعوى ذنب أذنبت اليهم وذلك قتله النفس التى قتلها منهم

الخاطئين (واذا مروا باللغو) وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح (مروا كراما) مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه مع المشتغلين به وأصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت لا تبالى بما يحلب منها للغزارة فاستعير للصفح عن الذنب ويقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه وأكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كفوا عنه قال جار الله قوله (لم يخروا عليها) ليس نفيا للخرور ولكنه اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمراد أنهم اذا ذكروا بآيات الله أى وعظوا بها ونبهوا حرصوا على استماعها بآذان واعية وعيون باكية لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان لا يعونها ولا يبصرون ما فيها فهم متساقطون عليها غير منتفعين بها قوله (من أزواجنا) من للبيان وتسمى فى علم البيان تجريدية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة بالأزواج والذرية كقولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد ويجوز أن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا لا فى الأمور الدنيوية من الجاه والمال والجمال بل فى الأمور الأخروية من الطاعة والصلاح عن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله عز وجل بهم أولادهم وأزواجهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم وتنكير أعين اما لأنه أراد أعينا مخصوصة هى أعين المتقين ولهذا اختير جمع القلة لأن أعين المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وقليل من عبادى الشكور واما لاجل تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره ونحوه الا بتنكير المضاف اليه أى هب لنا منهم سرورا وفرحا قال الزجاج يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يحبه وقال المفضل فى قرة العين

ثلاثة أقوال أحدها برد دمعها لأنه دليل السرور والضحك كما أن حره دليل الحزن والغم والثاني قرتها أن تكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا وقوله (اماما) في معنى الجمع اكتفى به لدلالته على الجنس (٤١) ولعدم اللبس كما قال يخرجكم طفلا أو أريد كل واحد منا أو اجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا أو هو جمع آم كصائم وصيام وصاحب وصحاب وقيل في الآية دلالة على أن الرياسة يجب أن تطلب ويرغب فيها والأقرب أنهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليهم ويقتدى بهم ومن هنا فسره القفال بأن المراد اجعلنا حجة للمتقين قالت الأشاعرة الامامة في الدين لا تكون الا بالعلم والعمل فدل ذلك على أن العلم والعمل بل جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة انهم سألوا من الألطاف ما بها يختارون أفعال الخير الى أن يصيروا أئمة وأجيب بأن تلك الألطاف مفعولة لا محالة فيكون سؤالها عبثا ثم بين جزاء عبادة العباد بقوله (أولئك يجزون الغرفة) أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اكتفاء بالجنس وقيل الغرفة اسم الجنة وقوله (بما صبروا) أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار وعلى الفقر وغير ذلك ولهذا أطلق اطلاقا يشمل كل مصبور عليه ثم بين بقوله (ويلقون) أن تلك المنافع مقرونة بالتعظيم والتحية والدعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة من الآفات وهما من الملائكة أو من الله ومن بعضهم لبعض ثم ذكر أنه غني عن طاعة الكل وأنه انما كلفهم لينتفعوا بذلك قال الخليل ما أعبأ بفلان أي ما أصنع به كأنه يستقله ويستحقره ويدعي أن وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبأ بكم ربي يريد أي وزن يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية أو نافية والدعاء اما مضاف الى المفعول أي لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة واما الى الفاعل أي لولا

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون قال قتل النفس التي قتل منهم حدثنا القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قتل موسى النفس * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله ولهم علي ذنب قال قتل النفس وقوله فأخاف أن يقتلون يقول فأخاف أن يقتلون قودا بالنفس التي قتلت منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني اسرائيل) يقول تعالى ذكره كلا أي لن يقتلك قوم فرعون فاذهبا بآياتنا يقول فاذهب أنت وأخوك بآياتنا يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم وقوله انا معكم مستمعون من قوم فرعون ما يقولون لكم ويجيبونكم به وقوله فأتيا فرعون فقولا الآية يقول فأت أنت يا موسى وأخوك هرون فرعون فقولا انا رسول رب العالمين اليك بأن أرسل معنا بني اسرائيل وقال رسول رب العالمين وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لأنه أراد به المصدر من أرسلت يقال أرسلت رسالة ورسولا كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسوء ولا أرسلتهم برسول

يعني برسالة وقال الآخر

ألا من مبلغ عني خفافا * رسولا بيت أهلك منتهاها

يعني بقوله رسولا رسالة فأنث لذلك الهاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه وهو فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما اليه فقال فرعون ألم نربك فينا يا موسى وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وذلك مكثه عنده قبل قتله القتيل الذي قتله من القبط وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتله النفس التي قتل من القبط ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قال قتل النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما قيل وفعلت فعلتك لأنها مرة واحدة ولا يجوز كسر الفاء اذا أريد بها هذا المعنى وذكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك وفعلت فعلتك بكسر الفاء وهي قراءة لقراءة القراء من أهل الأمصار مخالفة وقوله وأنت من الكافرين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأنت من الكافرين بالله على ديننا ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يعني على ديننا هذا الذي تعيب وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال ربيناك

ايمانكم أولولا عبادتكم أولولا دعاؤكم اياه فى الشدائد كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله أولولا شكركم له على احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم أوما يصنع بعذابكم

لولا دعاؤكم معه آلهة أوما خلقتكم وبى اليكم حاجة الا أن تسألونى فأعطيكم أو تستغفرونى فأغفر لكم قوله (فقد كذبتم) أى اذا أعلمتكم أنى لا أعتد بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى (فسوف يكون لزاما) وهو عقاب الآخرة نظيره قول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتى أن احسن الى من يطيعنى فقد عصيت فسوف ترى عقوبتى والخطاب لجنس الانس واذا وجد فى جنسهم التكذيب فقد صح الخطاب والأوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به ليذهب الوهم كل مذهب من أنواع الايعاد وقيل يكون العقاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وقد لوزم اذذاك بين القتلى لزاما والله تعالى أعلم ﴿التأويل ولو شئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وان أمر النبوة ليس يتعلق بالقربات والمزاجات بل بمحض المشيئة الأزلية يروى ان موسى عليه السلام سئم الرسالة وتبرم فى بعض الأيام فأوحى الله تعالى فى ليلة واحدة الى ألف من بنى اسرائيل فأصبحوا أنبياء فضاق قلب موسى وغار وقال يارب انى لا أطيق ذلك فقبض الله أرواحهم فى ذلك اليوم وفيه كمال الحكمة فان العزة فى القلة ومنه تظهر فائدة الخاتمة وعموم رسالته وفيه تأديب الخواص وعصمتهم عن رؤية الأعمال فلا تطع كفار النفس وسائر القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلاق جهادا كبيرا لا تواسيهم بالرخص ولكن بحملهم على العزائم وهو الذى مرج بحر الروح وبحر النفس هذا عذب فرات من الأخلاق الحميدة الربانية وهذا ملح أجاج من الصفات الذميمة الحيوانية والبرزخ هو القلب وفى فائدة مرج الأجاج هو احتياج الانسان الى الأخلاق الذميمة لدفع المضرات الدنيوية والأخروية فى مقامها وحرام على الروح أن

فينا وليدا فهذا الذى كافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأنت من الكافرين يقول كافر النعمة ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وانما كان يزعم أنه هو الرب فغير جائز أن يقول لموسى ان كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدى فعلت الفعلة وأنت من الكافرين الايمان عنده هو دينه الذى كان عليه موسى عنده الا أن يقول قائل انما أراد وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى على قولك اليوم فيكون ذلك وجها يتوجه فتأويل الكلام اذا وقتلت الذى قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك واحساننا اليك فى قتلك اياه وقد قيل معنى ذلك وأنت الآن من الكافرين لنعمتى عليك وتربيتى اياك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون فعلت تلك الفعلة التى فعلت أى قتلت تلك النفس التى قتلت اذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين قبل أن يأتينى من الله وحى بتحريم قتله على والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال فتقول قد جهل فلان الطريق وضل الطريق بمعنى واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنا من الضالين قال من الجاهلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وفى قراءة ابن مسعود وأنا من الجاهلين * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وأنا من الضالين قال من الجاهلين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنت من الكافرين فقال موسى لم أكفر ولكن فعلتها وأنا من الضالين وفى حرف ابن مسعود فعلتها اذا وأنا من الجاهلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قبل أن يأتينى من الله شئ كان قتلى اياه ضلالة خطأ قال والضلالة ههنا الخطأ لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال فعلتها اذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين وقوله ففررت منكم لما خفتكم الآية يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون ففررت منكم معشر الملا من قوم فرعون لما خفتكم أن تقتلونى بقتلى القتيل منكم فوهب لى ربى حكما يقول فوهب لى ربى نبوة وهى الحكم كما حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فوهب لى ربى حكما والحكم النبوة وقوله وجعلنى من المرسلين يقول وألحقنى بعداد من أرسله الى خلقه مبلغا عنه رسالته اليهم بارساله اياى اليك يا فرعون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون وتلك نعمة تمنها على يعنى بقوله وتلك تربية فرعون اياه يقول وتربيتك اياى وتركك استعبادى كما استعبدت بنى اسرائيل نعمة منك تمنها على بحق

تكون منشأ الأخلاق الذميمة وعلى النفس أن تكون معدن الأخلاق الحميدة فجعله نسبا وصهرا أهل النسب هم الذين صحب نسبتهم الى عالم الأمر وهو قوله ونفخت فيه من روحي وأهل الصهر هم الذين بقوا فى عالم الخلق (٤٣) واختلطوا بالصفات البشرية من الحرص

وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى فترك ذكر وتركتنى لدلالة قوله أن عبدت بنى اسرائيل عليه والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ونظير ذلك فى الكلام أن يستحق رجلان من ذى سلطان عقوبة فيعاقب أحدهما ويعفو عن الآخر فيقول المعفو عنه هذه نعمة على من الامير أن عاقب فلانا وتركنى ثم حذف وتركنى لدلالة الكلام عليه ولأن فى قوله أن عبدت بنى اسرائيل وجهين أحدهما النصب لتعلق تمنها بها واذا كانت نصبا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها على لتعبدك بنى اسرائيل والآخر الرفع على أنها رد على النعمة واذا كانت رفعا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها على تعبيدك بنى اسرائيل ويعنى بقوله أن عبدت بنى اسرائيل أن اتخذتهم عبيدا لك يقال منه عبدت العبيد وأعبدتهم كما قال الشاعر

علام يعبدنى قومى وقد كثرت * فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تمنها على "أن عبدت بنى اسرائيل قال قهرتهم واستعملتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال تمن على "أن عبدت بنى اسرائيل قال قهرت وغلبت واستعملت بنى اسرائيل حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وتلك نعمة تمنها على "أن عبدت بنى اسرائيل وربيتنى قبل وليدا * وقال آخرون هذا استفهام كان من موسى لفرعون كأنه قال أتمن على "أن اتخذت بنى اسرائيل عبيدا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وتلك نعمة تمنها على "قال يقول موسى لفرعون أتمن على "أن اتخذت أنت بنى اسرائيل عبيدا * واختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى البصرة وتلك نعمة تمنها على "فيقال هذا استفهام كأنه قال أتمنها على "ثم فسر فقال أن عبدت بنى اسرائيل وجعله بدلا من النعمة وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول ويقول هو غلط من قائله لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يلقى وهو يطلب فيكون الاستفهام كالخبر قال وقد استقبح ومعه أم وهى دليل على الاستفهام واستقبحوا

تروح من الحى أم تبتكر * وماذا يضرك لو تنتظر

قال وقال بعضهم هو أتروح من الحى وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم وقال أكثرهم بل الأول خبر والثانى استفهام وكأن أم اذا جاءت بعد الكلام فهى الالف فأما وليس معه أم فلم يقله انسان وقال بعض نحويى الكوفة فى ذلك ما قلنا وقال معنى الكلام وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين لنعمتى أى لنعمة تربيتى لك فأجابه فقال نعم هى نعمة على "أن عبدت الناس ولم تستعبدنى وقوله قال فرعون ومارب العالمين يقول وأى شئ رب العالمين "قال موسى هو رب السموات والارض وما بينهما يقول ومالك ما بين السموات والارض من شئ ان كنتم موقنين يقول ان كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والارض وما بينهما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين

والشهوة والغضب وأشار الى هذه الصنف بقوله ويعبدون من دون الله الآية وكان الكافر النفس على ربه ظهيرا فى اظهار صفة قهره لأنه مظهرها وما أرسلناك الا مبشرا لاهل النسب ونذيرا لأهل الصهر الا من شاء الأجر من شاء أن يتوسل الى الرب بطاعته أيلى وبخدمته لى ومن ههنا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ واجلاله الى الله وتوكل أصل التوكل أن يعلم العبد أن الحادثات بأسرها مستندة إلى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من أصول الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فانه مقام أرباب الأحوال وأصحاب الكمال وسبح بحمده أى بما حمد به نفسه كقوله أنت كما اثنيت على نفسك والقديم لا يليق به الا الحمد القديم وزادهم نفورا لأن الرحمن اقبل عليهم بقهره ولو كان أقبل عليهم بلطفه لخضعوا واستكانوا تبارك الذى جعل فى سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهى اثنا عشر التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والاخلاص والتسليم والتفويض والرضا وهى منازل الأحوال السيارة شمس التجلى وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشترى المحبة وعطارد الكشوف ومريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذى جعل ليل السر ونهار التجلى خلفة رعاية لحقوق القلب وحظوظ النفس ان أراد أن يتعظ عند السر أو أراد شكورا عند التجلى وعباد الرحمن دون الشيطان والدنيا والهوى والنفس يمشون فى أرض الوجود عند السير الى الله هونا لئلا يتأذى بأثارة غبار صفات بشريتهم أحد واذا

قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله قال لمن حوله ألا تستمعون قال فرعون لمن حوله من قومه ألا تستمعون لما يقول موسى فاخبر موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسئلة فرعون اياه وقيله له ومارب العالمين ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون وجوابه اياه عما سأله اذ قال لهم فرعون ألا تستمعون الى قول موسى فقال لهم الذي دعوته اليه والى عبادته ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم الاولين فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك وأخبرهم عما يدعو اليه فرعون وقومه إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يقول ان رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل اليكم لمغلوب على عقله لأنه يقول قولا لانعرفه ولا نفهمه وانما قال ذلك ونسب موسى عدو الله الى الجنة لأنه كان عنده وعند قومه أنه لارب غيره يعبد وأن الذي يدعوه اليه موسى باطل ليست له حقيقة فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته اذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت هو فرعون وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر كانوا قبل فرعون قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشئ له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ولذلك قال لهم فرعون انه مجنون لان كلامه كان عندهم كلاما لا يعقلون معناه الذي أدعوكم وفرعون الى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها وما بينهما من شئ لا الى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ولا الى عبادة فرعون الذي هو ملكها ان كنتم تعقلون يقول ان كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم وتفهمون بها ماتسمعون مما يعين لكم فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح اذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر وتبين لفرعون ولمن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى الى عبادته هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق وتماديا في الغي لموسى لئن اتخذت الها غيري يقول لئن أقررت بمعبود سواي لاجعلنك من المسجونين يقول لأسجننك مع من في السجن من أهله * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال أولو جئتك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون لما عرفه ربه وأنه رب المشرق والمغرب ودعاه الى عبادته واخلاص الالوهة له وأجابه فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشئ مبين يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك اليه وانما قال ذلك له لأن من أخلاق الناس السكون للانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فلما قال موسى له ما قال من ذلك قال له فرعون فأت بالشئ المبين حقيقة ما تقول فانا لن نسجنك حينئذ ان اتخذت الها غيري ان كنت من الصادقين يقول ان كنت محقا فيما تقول وصادقا فيما تصف وتخبر فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فتحولت ثعبانا وهي الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله مبين يقول يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قوله فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يقول مبين له خلق حية وقوله ونزع يده فاذا هي بيضاء يقول وأخرج

موسى

خاطبهم الجاهلون وهم كل ماسوى الله من الدنيا والآخرة ومافيهما من اللذة والنعيم قالوا سلاما سلام مودع والذين يبيتون لربهم لاحظ أنفسهم في الرواح ساجدون وفي الصباح واجدون وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود وباطن في الوجود مزين ومع هذه الأحوال والمقامات يقفون في موقف الاعتذار والتذلل قائلين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم القطيعة والبعد اذا أنفقوا وجودهم في ذات الله وصفاته لم يبالغوا في الرياضة الى حد تلف البدن ولم يقتروا في بذل الوجود بالركون الى الشهوات لايدعون مع الله إلها آخر بأن لايرفعوا حوائجهم الى الأغيار ولا يشوبون أعمالهم بالرياء والسمعة ولا يحبون مع الله غيره ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها بكثرة المجاهدة الا بسطوات تجلي صفات الحق في مثل هذا القتل حياة أبدية ولا يزنون بالتصرف في عجوز الدنيا بغير اذن الله يضاعف له العذاب وهو عذاب النيران وعذاب الحرمان عن نعيم الجنان ومن قرب الرحمن الامن تاب من عبادة الدنيا وهوى النفس وآمن بكرامات الأولياء ومقامات الأصفياء وعمل عملا صالحا هو الاعراض عن غير الله وهو الاكسير الأعظم الذي لوطرح ذرة منه على ملء الأرض سيئة يبدلها ابريز الحسنات ومن تاب رجع عن انانيته الى هوية الحق وعمل صالحا بالدوام على هذه الحالة فانه يتوب يرجع الى الله متابا لامزيد عليه وهو جذبة ارجعي وحينئذ لايشهد الزور أي لايساكن غير الحق واذا مروا باللغو وهو ماسوى الحق لايلتفت اليه واذا ذكر بآيات ربه تأمل فيها حق التأمل ودعا الله بأن يهب له من ازدواج الروح والجسد ومتولداتهما من القلب والنفس وملكات الأعمال الصالحة ماتقر به عين القلب وعين السر وعين الروح أي يتنور بنورها و يصير اذ ذاك مقتدى للمتقين لمتقي الجسد من مخالفات الشريعة ولمتقي النفس من الأوصاف الذميمة

ولمتق الروح عما سوى الله فيجزى الغرفة فى مقام العندية بما صبر فى البداية على التكاليف الشرعية وفى الوسط على تبديل الأخلاق الحميدة بالذميمة وفى النهاية بافناء الوجود ثم أخبر عن استغنائه عن وجود الخلق (٤٥) وعدمهم لولا دعاؤهم اياه بلسان الحاجة فى حس العدم أولو لا دعاؤه اياهم فى الأزل بلسان القدرة فقد كذبتم حين ادعيتم الغنى عن الصانع فسوف يكون خسران السعادة الأبدية لازما لكم أعاذنا الله منه

(سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخرها حروفها ٤٥٤٢ كلمها ١٢٩٩ آياتها مائتان وسبع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم

موسى يده من جيبه فاذا هى بيضاء تلمع للناظرين لمن ينظر اليها ويراها حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على قال ثنا الاعمش عن المنهال قال ارتفعت الحية فى السماء قدر ميل ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها فجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت فجعل فرعون يقول ياموسى أسألك بالذى أرسلك قال فأخذه بطنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم) يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه اليه وصدق ما أتاه به من عند ربه للملا حوله يعنى لأشراف قومه الذين كانوا حوله ان هذا الساحر عليم يقول ان موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا عليم يقول ذو علم بالسحر وبصر به يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره يقول يريد أن يخرج بنى اسرائيل من أرضكم الى الشأم بقهره اياكم بالسحر وانما قال يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملا حوله من القبط والمعنى به بنو اسرائيل لأن القبط كانوا قد استعبدوا بنى اسرائيل واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهانا فلذلك قال لهم يريد أن يخرجكم وهو يريد أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر الى الشأم وانما قلت معنى ذلك كذلك لان الله انما أرسل موسى الى فرعون يأمره بارسال بنى اسرائيل معه فقال له ولأخيه فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل وقوله فماذا تأمرون يقول فأى شئ تأمرون فى أمر موسى وما به تشيرون من الرأى فيه قالوا أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يقول تعالى ذكره فأجاب فرعون الملا حوله بأن قالوا له أخر موسى وأخاه وأنظره وابعث فى بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون اليك كل سحار عليم بالسحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) يقول تعالى ذكره فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة لميقات يوم معلوم يقول لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم وذلك يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لموسى أو للسحرة فلعلنا نتبع السحرة ومعنى لعل ههنا كى يقول كى نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين موسى وانما قلت ذلك معناها لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون فغير معقول أن يقول من كان على دين أنظر الى حجة من هو على خلافى لعلى أتبع دينى وانما يقال أنظر اليها كى أزداد بصيرة بدينى فأقيم عليه وكذلك قال قوم فرعون فاياها عنوا بقيلهم لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين وقيل ان اجتماعهم لميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالاسكندرية ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقيل للناس هل أنتم مجتمعون قال كانوا بالاسكندرية قال ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ قال وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به فقال خذها يا موسى قال فكان فرعون مما يلى الناس منه أنه كان لا يضع على الارض شيأ قال فأحدث يومئذ تحته قال وكان ارساله الحية فى القبة الحمراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) يقول تعالى ذكره فلما جاء السحرة فرعون لوعد موسى

لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الهاً غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين
قال فأت به ان كنت من الصادقين (٤٦) فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملاء حوله ان هذا

لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم

وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ ۞ القراآت طسم وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع

وموعد فرعون قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً سحرنا قبلك ان كنا نحن الغالبين موسى قال فرعون لهم نعم لكم الأجر على ذلك وانكم لمن المقربين منا فقالوا عند ذلك لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين وترك ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون على أن ذلك معناه فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم فألقوا حبالهم وعصيهم من أيديهم وقالوا بعزة فرعون يقول أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه ومنعة مملكته انا لنحن الغالبون موسى

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فألقى موسى عصاه حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم فاذا هي تلقف ما يأفكون يقول فاذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له وانما هو مخاييل وخدعة فألقي السحرة ساجدين يقول فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل خروا لوجوههم سجداً لله مذعنين لله بالطاعة مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل قائلين آمنا برب العالمين الذي دعانا موسى الى عبادته دون فرعون وملئه رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الايمان به انه لكبيركم الذي علمكم السحر يقول ان موسى لرئيسكم في السحر وهو الذي علمكموه ولذلك آمنتم به فلسوف تعلمون عند عقابي اياكم وبال ما فعلتم وخطأ ما صنعتم من الايمان به

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون﴾ يقول لأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفاً في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ثم الرجل من الجانب الآخر وذلك هو القطع من خلاف ولأصلبنكم أجمعين فوكد ذلك بأجمعين اعلاماً منه أنه غير مستبق منهم أحداً قالوا لا ضير يقول تعالى ذكره قالت السحرة لا ضير علينا وهو مصدر من قول القائل قد ضار فلان فلاناً فهو يضيره ضيراً ومعناه لا ضرر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا ضير قال يقول لا يضرنا الذي تقول وان صنعته بنا وصلبتنا انا الى ربنا منقلبون يقول انا الى ربنا راجعون وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك ايانا وثباتنا على توحيده والبراءة من الكفر به

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل السحرة انا نطمع انا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل ايماننا به فلا يعاقبنا بها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا قال السحر والكفر الذي كانوا فيه أن كنا أول المؤمنين يقول لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن كنا

أول

بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وقرأ حمزة ويزيد بمظهرة النون عند الميم انى أخاف بفتح الياء أبوجعفر ونافع وابن كثير وأبوعمرو
ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما يعقوب أرجه مثل ما فى الاعراف آين لنا بالمد وبالياء يزيد وأبوعمرو وزيد وقالون وقرأ

أولى المؤمنين قال كانوا كذلك يومئذ أوّل من آمن بآياته حين رأوها وقوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى يقول وأوحينا الى موسى اذ تمادى فرعون فى غيه وأبى الا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا أن أسر بعبادى يقول أن سر ببنى اسرائيل ليلا من أرض مصر انكم متبعون ان فرعون وجنده متبعوك وقومك من بنى اسرائيل ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم أرض مصر

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسل فرعون فى المدائن يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ان هؤلاء يعنى بهؤلاء بنى اسرائيل لشرذمة قليلون يعنى بالشرذمة الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة وشرذمة كل شئ بقيته القليلة ومنه قول الراجز

جاء الشتاء وقميصى أخلاق * شراذم يضحك منه التواق

وقيل قليلون لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة فلما جمع جمع جماعاتهم قيل قليلون كما قال الكميت

فرد قواصى الاحياء منهم * فقد رجعوا كحى واحدينا

وذكر أن الجماعة التى سماها فرعون شرذمة قليلين كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى عبيدة ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا * قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبدالله قال الشرذمة ستمائة ألف وسبعون ألفا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى عن عبدالله ابن شداد بن الهاد قال اجتمع يعقوب وولده الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج وامع موسى وهم ستمائة ألف فقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه فى عسكره ثمانمائة ألف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن أبى السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بنى اسرائيل قال فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بنى اسرائيل كانوا ستمائة ألف قال وكان مقدمة فرعون سبعمائة ألف كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة وفى يده حربة وهو خلفهم فى الدهم فلما انتهى موسى ببنى اسرائيل الى البحر قالت بنو اسرائيل يا موسى أين ما وعدتنا هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا فقال موسى للبحر انفلق أبا خالد قال لا لن أنفلق لك يا موسى أنا أقدم منك خلقا قال فنودى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر وكانوا اثنى عشر سبطا قال الجريرى فأحسبه قال انه كان لكل سبط طريق قال فلما انتهى أول جنود فرعون الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها فاشتد فاتبعه الخيل قال فلما تتام آخر جنود فرعون فى البحر وخرج آخر بنى اسرائيل أمر البحر فانصفق عليهم فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراآه بنو اسرائيل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعنى بنى اسرائيل حدثنى محمد بن عمرو

ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد بهمزة ثم ياء وعن قنبل ان لنا على الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة آمنتم بالمد أبوجعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب آمنتم على الخبر حفص غير الخزاز الآخرون أآمنتم بهمزتين بعبادى انكم بفتح الياء نافع وأبو جعفر حاذرون بالألف عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر الباقون بغير الالف فاتبعوهم بالتشديد زيد عن يعقوب الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء تراءى الجمعان بكسر الراء والهمزة فى الوصل حمزة ونصير وهبيرة فى طريق الخزاز واختلفوا فى الوقف فعن الكسائى بكسر الراء والهمزة على وزن تربعى وفى رواية أخرى عنه ترائى أى تراعى والمشهور عنه ترأ بكسر الراء وفتح الهمزة وأما حمزة فانه يقف ترى بترك الهمزة وكسر الراء ويمدو يشير الى موضع الهمزة وهو المصدر وأما هبيرة فانه يقف تريا بكسر الراء ويشير الى فتح الهمزة الباقون يقفون تراءى على وزن تراعى معى ربى بفتح الياء حفص ۞ الوقوف طسم ه المبين ه مؤمنين ه خاضعين ه معرضين ه يستهزؤن ه كريم ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه الظالمين ه لا للابدال أو البيان تسجيلا عليهم بالظلم فرعون ط للعدول عن الأمر الى الاستفهام يتقون ه يكذبون ه لمن قرأ ويضيق بالرفع على الاستئناف هرون ط يقتلون ه قال كلا لا للعطف معنى لا لفظا مستمعون ه العالمين ه لا لتعلق أن بنى اسرائيل ط سنين ه الكافرين ه الضالين ه المرسلين ه اسرائيل ط العالمين ه وما بينهما ط لأن جواب الشرط محذوف أى ان كنتم موقنين

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال هم يومئذ ستمائة ألف ولا يحصى عدد أصحاب فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال أوحى الله الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على الأبواب فانى سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى للبحر فيأتيك أمرى ففعل فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا فأرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف رجل وخرج فرعون فى الكرش العظمى وقال ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال قطعة وكانوا ستمائة ألف مائتا ألف منهم أبناء عشرين سنة الى أربعين * قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال كان مع فرعون يومئذ ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير على خيل * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم يرد أوائل الخيل على أواخرها فاتبعهم حتى انتهى الى البحر وقوله وانهم لنا لغائظون يقول وان هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون فذكر أن غيظهم اياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وانهم لنا لغائظون يقول بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا وقد يحتمل أن يكون معناه وانهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعوارى التى كانوا استعاروها منهم من الحلى ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم اياهم وخروجهم من أرضهم بكره لهم لذلك وقوله وانا لجميع حاذرون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وانا لجميع حاذرون بمعنى أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وانا لجميع حذرون بغير ألف وكان الفراء يقول كأن الحاذر الذى يحذرك الآن وكأن الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه الا حذرا ومن الحذر قول ابن أحمر

هل أنسأن يوما الى غيره * انى حوالىّ وانى حذر

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن أبى اسحق قال سمعت الأسود بن يزيد يقرأ وانا لجميع حاذرون قال مقوون مؤدون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى ابن عبيد عن أيوب عن أبى العوجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ وانا لجميع حاذرون يقول مؤدون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وانا لجميع حاذرون يقول حذرنا قال جمعنا أمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وانا لجميع حاذرون قال مؤدون معدون فى السلاح والكراع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج أبو معشر عن محمد بن قيس قال كان مع فرعون ستمائة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا سليمن بن معاذ الضبى عن عاصم ابن بهدلة عن أبى رزين عن ابن عباس أنه قرأها وانا لجميع حاذرون قال مؤدون مقوون ۞ القول

فلا تكذبونى موقنين ○ تستمعون ○ الاولين ○ لمجنون ○ وما بينهما ط تعقلون ○ المسجونين ○ مبين ○ الصادقين ○ مبين ○ج للآية مع العطف للناظرين ○ عليم ○لا (٤٨) لأن ما بعده صفة بسحره ق قد قيل بناء على أن ما بعده قول الملأ لفرعون والجمع للتعظيم والأصح أنه من تتمة قول فرعون تأمرون ○ حاشرين ○لا لأن ما يتلوه جواب عليم ○ معلوم ○لا للعطف مجتمعون لا لاتصال المعنى الغالبين ○ لمن المقربين ○ ملقون ○ الغالبون ○ ما يأفكون ○ للآية وللدلالة على اسراعهم فى السجود ساجدين ○ العالمين ○ وهرون ط لكم ○ للابتداء بان مع اتحاد القول السحر ط للفاء ولام الابتداء فلسوف تعلمون ○ لتقدير القسم أجمعين ○ لا ضير ط توقية لحق ان والا فالأصل هو الوصل لأن ما بعده هو القول فى الحقيقة كما فى الاعراف منقلبون ○ج للآية مع اتحاد المقول المؤمنين ○ متبعون ○ حاشرين ○ للآية مع ان التقدير بأن هؤلاء قليلون ○ لغائظون ○ حاذرون ○ ط لابتداء الخبر من الله وعيون ○لا كريم ○ لا لتعلق الكاف كذلك ط أى كما وعدنا بنى اسرائيل ايراثها ثم أخبر عن وقوع الموعود لبنى اسرائيل مشرقين ○ لمدركون ○ ووجه الوصل الاسراع فى تداركهم عن خوف الادراك كلا ج لاحتمال أن يكون للردع وأن يكون بمعنى حقا سيهدين ○ البحر ط لاجل الفاء الفصيحة أى فضرب فانفلق العظيم ○ الآخرين ○ أجمعين ○ الآخرين ○ لآية ط مؤمنين ○ الرحيم ○ ۞ التفسير قال جار الله معنى طسم ان آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين وقدم مثله فى أول يوسف والبخع الاهلاك وقدم فى أول الكهف عزاه وعرفه أن غمه وحزنه لا ينفع كما أن وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع ثم بين أنه قادر على تنزيل آية

ملجئة الى الايمان ولكن المشيئة والحكمة تقتضيان بناء الامر على صورة الاختبار قال صاحب الكشاف وجه عطف فظلت على ننزل كما قيل فى قوله فأصدق وأكن كأنه قيل أنزلنا فظلت وأقول الظاهر أن الفاء فى (٤٩) فظلت للسببية بدليل عدم المستتر فيه كما فى ننزل

فى تأويل قوله تعالى ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين﴾ يقول تعالى ذكره فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء وكنوز ذهب وفضة ومقام كريم قيل ان ذلك المقام الكريم المنابر وقوله كذلك يقول هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم فى هذه الآية والتى قبلها وأورثناها يقول وأورثنا تلك الجنات التى أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بنى اسرائيل وقوله فأتبعوهم مشرقين فأتبع فرعون وأصحابه بنى اسرائيل مشرقين حين أشرقت الشمس وقيل حين أصبحوا

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فأتبعوهم مشرقين قال خرج موسى ليلا فكسف القمر وأظلمت الأرض وقال أصحابه ان يوسف أخبرنا أنا سننجى من فرعون وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره فوجد عجوزا بيتها على قبره فأخرجته له بحكمها وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا أن قالت احملنى فأخرجنى معك فجعل عظام يوسف فى كسائه ثم حمل العجوز على كسائه فجعله على رقبته وخيل فرعون هى ملء أعنتها خضراء فى أعينهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فأتبعوهم مشرقين قال فرعون وأصحابه وخيل فرعون فى ملء أعنتها فى رأى عيونهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ يقول تعالى ذكره فلما تناظر الجمعان جمع موسى وهم بنو اسرائيل وجمع فرعون وهم القبط قال أصحاب موسى انا لمدركون أى انا لملحقون الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى تشاؤما بموسى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قلت لعبد الرحمن فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال تشاءموا بموسى وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا **حدثنا** موسى قال ثنا أسباط عن السدى فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد رمقهم قالوا انا لمدركون قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح العاصف فنظر أصحاب موسى خلفهم الى الريح والى البحر أمامهم قالوا يا موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى الأعرج انا لمدركون وقرأه الأعرج انا لمدّركون كما يقال نزلت وأنزلت والقراءة عندنا التى عليها قراء الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله كلا ان معى ربى سيهدين قال موسى لقومه ليس الأمر كما ذكرتم كلا لن تدركوا ان معى ربى سيهدين يقول سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه كما **حدثنى** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال لقد ذكر لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دهم الخيل سوى ما فى جنده من شية الخيل وخرج موسى حتى اذا قابله

ووجه العدول الى الماضى كما قيل فى ونادى وسبق وجه مجىء خاضعين خبرا عن الأعناق اذ الاعناق تكون مقحما لبيان موضع الخضوع وأصل الكلام فظلوا لها خاضعين أى حين وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وقيل أعناقهم رؤساؤهم كما يقال لهم الرؤس والصدور وقيل أراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ومعنى (ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) قد مر فى سورة الانبياء نبه سبحانه بذلك على أنه مع اقتداره على أن يجعلهم ملجئين الى الايمان حكيم يأتيهم بالقرآن حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم ذكر أنه تعالى لا يجدد لهم توجيه موعظة وتذكير الا جددوا ما هو نقيض المقصود وذلك النقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب فى غاية الحسن كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من أخذ فى الشقاء فانه يعرض أولا ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ فى التكذيب والانكار الى حيث

يستهزئ وفى قوله (فسيأتيهم) وعيد لهم بعذاب بدر أو يوم القيامة وقد مر مثله فى أول الانعام ثم بين أنه مع حكمته فى انزال القرآن حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلائل الحسية ما يكفى للتأمل فى باب النظر والاستدلال والزوج الصنف

والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد في بابه منه وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه ونبات كريم مرضي
فيما يتعلق به من المنافع فما من نبت الا وفيه نفع وفائدة من جهة وان كانت فيه مضرة من جهة أخرى ويحتمل أن يراد

البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون في جنده من خلفهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين أي للنجاة وقد وعدني ذلك ولا خلف لموعوده **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كلا ان معي ربي سيهدين يقول سيكفيني وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون وقوله فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال فتقدم هرون فضرب البحر فأبى أن ينفتح وقال من هذا الجبار الذي يضربني حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد وضربه فانفلق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال أوحى الله فيما ذكر الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظار أمره وأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سليمن التيمي عن أبي السليل قال لما ضرب موسى بعصاه البحر قال ايها أبا خالد فأخذه افكل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح والبحر يرمي بتياره ويموج مثل الجبال وقد أوحى الله الى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا فقال له يوشع يا كليم الله أين أمرت قال ههنا قال فجاز البحر ما يواري حافره الماء فذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وقال له الذي يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم قحمه البحر فأرسب في الماء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وقوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول تعالى ذكره فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم وذكر أنه انفلق اثنتى عشرة فلقة على عدد الأسباط لكل سبط منهم فرق ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وكان الطريق كما اذا انفلقت الجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان فنظر آخرهم الى أولهم حتى خرجوا جميعا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا انفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وكان بنو اسرائيل اثنى عشر سبطا وكانت الطرق بجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ينظر بعضهم الى بعض وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم الى بعض **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل على نشز من الارض **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

أخبرنا

بالكريم النافع منه وتكون المضار مسلوبة عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل دون أن يقول كم أنبتنا فيها من زوج كريم هو أن كلا قد دل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على أن هذا محيط مفرط الكثرة قلت فالحاصل أن خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق أفراد كثيرة فقوله كل زوج اشارة الى خلق كل نوع من أنواع النبات وقوله كم أنبتنا اشارة الى كثرة أفراد كل نوع منه وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية الجود والرحمة ولهذا ختم الكلام بقوله (ان في ذلك) الانبات أو في كل واحد من تلك الازواج (لآية) على الابداء والاعادة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لان الله تعالى طبع على قلوبهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) فمن عزته قدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلائل ليتفكروا ويعتبروا والرحمة اذا صدرت عن القدرة كانت أعظم موقعا واعلم أنه سبحانه كرر بعض الآيات في هذه السورة لاجل التأكيد والتقرير فمن ذلك أنه كرر قوله ان في ذلك لآية الى قوله الرحيم في ثمانية مواضع أولها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والثانية في قصة موسى ثم ابراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ومن ذلك قوله ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الا على رب العالمين وهو
مذكور في خمسة مواضع في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك أنه كرر فاتقوا الله وأطيعون في قصة نوح وهود وصالح وليس في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين لذكرها في مواضع من غير هذه

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كالطود العظيم قال كالجبل العظيم ومنه قول الاسود بن يعفر

حلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد

يعني بالأطواد جمع طود وهو الجبل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يعني بقوله تعالى ذكره وأزلفنا ثم الآخرين وقربنا هنالك آل فرعون من البحر وقدمناهم اليه ومنه قوله وأزلفت الجنة للمتقين بمعنى قربت وأدنيت ومنه قول العجاج

طي الليالي زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال قربنا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال هم قوم فرعون قربهم الله حتى أغرقهم في البحر حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى ببني اسرائيل البحر من البحر فلما نظر فرعون الى البحر منفلقا قال ألا ترون البحر فرق مني قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم فذلك قول الله وأزلفنا ثم الآخرين يقول قربنا ثم الآخرين هم آل فرعون فلما قام فرعون على الطرق وأبت خيله أن تتقحم فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيانة فتشامت الحصن ريح الماذيانة فاقتحمت في أثرها حتى اذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر فجعل يدسها في فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال أقبل فرعون فلما أشرف على الماء قال أصحاب موسى يا مكلم الله ان القوم يتبعونا في الطريق فاضرب بعصاك البحر فاخلطه فأراد موسى أن يفعل فأوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا يقول أمره على سكناته انهم جند مغرقون انما أمكر بهم فاذا سلكوا طريقكم غرقتهم فلما نظر فرعون الى البحر قال ألا ترون البحر فرق مني حتى تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف وقال فرعون أنا راجع فمكر به جبرائيل عليه السلام فأقبل على فرس أنثى فأدناها من حصان فرعون فطفق فرسه لا يقر وجعل جبرائيل يقول تقدم ويقول ليس أحد أحق بالطريق منك فتشامت الحصن الماذيانة فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره فلما انتهى فرعون الى وسط البحر أوحى الله الى البحر خذ عبدي الظالم وعبادي الظلمة سلطاني فيك فاني قد سلطتك عليهم قال فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال وضرب بعضها بعضا فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما رد من آيات الله ولطول علاج موسى اياه فدخل في أسفل البحر فأخرج طينا فحشاه في فم فرعون لكيلا يقولها الثانية فتدركه الرحمة قال فبعث الله اليه ميكائيل يعيره آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين و قال جبرائيل يا محمد ما بغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين

السورة وليس في قصة موسى لانه رباه فرعون حيث قال ألم نربك فينا وليدا ولا في قصة ابراهيم لان أبا في المخاطبين حيث يقول اذ قال لأبيه وقومه وهو قد رباه فاستحيا موسى وابراهيم أن يقولا وما أسألكم عليه من أجر (٥١) وان كانا منزهين من طلب الاجر ثم انه تعالى أعاد في هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع أممهم اعتبارا لهذه الامة وبدأ بقصة موسى لما فيها من غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعري هو الكلام القديم الذي لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة واليه ميل أبي منصور الماتريدي أنه من جنس الحروف والاصوات وأنه وقع على وجه علم به موسى أنه من قبل الله تعالى وقد عرفه أنه سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله (ألا يتقون) كلام مستأنف فيه تعجيب لموسى من حالهم الشنعاء في قلة خوفهم وكثرة ظلمهم أو هو حال أدخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف أن يكذب عند أداء الرسالة فاستظهر بهرون وفي قراءة النصب خاف التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان في الكلام ولعله أراد بهذه الحبسة عقدة في لسانه قبل اجابة دعوته أو بقية يروى أنها بقيت بعد الاجابة كما مر في طه ومعنى (فأرسل الى هرون) أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يصدقني في أمري فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر أن لهم عليه ذنبا فسمي جزاء الذنب ذنبا او المضاف محذوف أي تبعة ذنب وهو قود قتل القبطي كما سيجيء تفصيله في سورة القصص فيمكن أن يقتل قبل أداء الرسالة فلا يتمكن من المقصود وهذا قد جوزه الكعبي وغيره من البغداديين وقال الاكثرون الاقرب من حال الأنبياء أنهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة أنه يمكنهم من أدائها فلا معنى لخوف من القتل قبل الأداء نعم لو خاف بعد الأداء جاز وذلك لما جبل عليه طبع الانسان من التنفر عن القتل فيسأل الله الامان من ذلك وقد جمع الله له بقوله (كلا) الكلاءة وبقوله (فاذهبا) اجتباء

أخيه كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهرون ومعكم ومستمعون خبران لان أو الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما في المعية من المجاز لان المصاحبة من صفات الاجسام (٥٢) فالمراد معية النصرة والمعونة وأما الاستماع فمجاز أيضا وان كان اطلاق السمع على الله حقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء ولابد فيه من الجارحة تحاصل الآية انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى بينكما وبينه وانما وحد الرسول في قوله (انا رسول رب العالمين) لانه أراد كل واحد أو أراد الرسول بمعنى المصدر أي ذو رسالة رب العالمين يقال أرسلتهم برسول أي برسالة أو جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام أي فأتيا فرعون فقالا له ذلك يروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف انه موسى فعند ذلك قال (ألم نربك فينا وليدا) أي صبيا وذلك لقرب عهده من الولادة قيل مكث فيهم ثلاثين سنة من أول عمره وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة ففر منهم والفعلة الوكزة عدد عليه نعمه ثم وبخه بقتل نفس منهم وسماه كافرا لنعمه بسبب ذلك وجوز جار الله أن يراد وأنت اذ ذاك ممن يكفر بالساعة فيكون قد افترى على موسى أو جهل أمره لانه كان يعايشهم بالتقية وانما قلنا انه افتراء أو جهل لان الكفر غير جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز أن يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته أو بآلهة كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك وآلهتك ثم ان موسى ما أنكر تربيته ولكن أنكر الكفر فلم ينسب نفسه الا الى الضلال وأراد به الذهاب عن الصواب أو أراد النسيان أو الخطأ وعدم التدبر في أدبار الامور ثم ذكر موهبة ربه في حقه حيث فر من فرعون وملئه المؤتمرين بقتله والحكم العلم

احدهما من الجن وهو ابليس والآخر فرعون قال أنا ربكم الأعلى ولقد رأيتني يا محمد وأنا أحشو في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها وقد زعم بعضهم أن معنى قوله وأزلفنا ثم الآخرين وجمعنا قال ومنه ليلة المزدلفة قال ومعنى ذلك أنها ليلة جمع وقال بعضهم وأزلفنا ثم وأهلكنا وقوله وأنجينا موسى ومن معه أجمعين يقول تعالى ذكره وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني اسرائيل أجمعين وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه وقوله ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريقي اياهم في البحر اذ كذبوا رسولي موسى وخالفوا أمري بعد الاعذار اليهم والانذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي وعظة لهم وعبرة ان اذكروا واعتبروا وأن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم ولك آية في فعلي بموسى وتنجيتي اياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه واظهاري اياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم على أني سالك فيك سبيله ان أنت صبرت صبره وقمت من تبليغ الرسالة الى من أرسلتك اليه قيامه ومظهرك على مكذبيك ومعليك عليهم وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين فسابق لهم في علمي أنهم لا يؤمنون وان ربك لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه الرحيم بمن أنجى من رسله واتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ يقول تعالى ذكره واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر ابراهيم حين قال لأبيه وقومه أي شئ تعبدون قالوا له نعبد أصناما فنظل لها عاكفين يقول فنظل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها وقد بينا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول في معنى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال الصلاة لأصنامهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لهم هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة اذ تدعونهم واختلف أهل العربية في معنى ذلك فقال بعض نحويي البصرة معناه هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم فحذف الدعاء كما قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها * قد أحكمت حكمات القد والأبقا

وقال يريد أحكمت حكمات الابق فألقى الحكمات وأقام الأبق مقامها وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن لأن العرب تقول سمعت زيدا متكلما يريدون سمعت كلام زيد ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي انما يقع على كلامهم ثم يقولون سمعت زيدا أي سمعت كلامه قال ولو لم يقدم في بيت زهير حكمات القد لم يجز أن ينسق بالأبق عليها لأنه لا يقال رأيت الأبق وهو يريد الحكمة وقوله أو ينفعونكم أو يضرون يقول أو تنفعكم هذه

الاصنام

الأصنام فيرزقونكم شيئاً على عبادتكموها أو يضرونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم أو يهلكوكم اذا هلكتم وأولادكم قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك وذلك جوابهم ابراهيم عن مسألته اياهم هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون فكان جوابهم اياه لا ما يسمعوننا اذا دعوناهم ولا ينفعوننا ولا يضرون يدل على أنهم بذلك أجابوه قولهم بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وذلك أن بل رجوع عن مجحود كقول القائل ما كان كذا بل كذا وكذا ومعنى قولهم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وجدنا من قبلنا من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم واتباعا لمنهاجهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون يعنى بالأقدمين الأقدمين من الذين كان ابراهيم يخاطبهم وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم ابراهيم من عبادة الأصنام فانهم عدو لى الا رب العالمين يقول قائل وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم فان معنى ذلك فانهم عدو لى لو عبدتهم يوم القيامة كما قال جل ثناؤه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله الا رب العالمين نصبا على الاستثناء والعدو بمعنى الجمع ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر مثل القعود والجلوس ومعنى الكلام أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم فانى منه برىء لا أعبده الا رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين﴾ يقول فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين للصواب من القول والعمل ويسددنى للرشاد والذى هو يطعمنى ويسقين يقول والذى يغذونى بالطعام والشراب ويرزقنى الأرزاق واذا مرضت فهو يشفين يقول واذا سقم جسمى واعتل فهو يبرئه ويعافيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ يقول والذى يميتنى اذا شاء ثم يحيينى اذا أراد بعد مماتى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فربى هذا الذى بيده نفعى وضرى وله هذه القدرة والسلطان وله الدنيا والآخرة لا الذى لا يسمع اذا دعى ولا ينفع ولا يضر وانما كان هذا الكلام من ابراهيم احتجاجا على قومه فى أنه لا تصلح الألوهة ولا ينبغى أن تكون العبودة الا لمن يفعل هذه الأفعال لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرا وقيل ان ابراهيم صلوات الله عليه عنى بقوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين والذى أرجو أن يغفر لى قولى انى سقيم وقولى بل فعله كبيرهم هذا وقولى لسارة انها أختى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة

بالتوحيد وكمال العقل والرأى ولا تدخل فيه النبوة ظاهرا لئلا يلزم شبه التكرار بقوله (وجعلنى من المرسلين) قال جار الله (وتلك) اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بعد أن فسرت بقوله (أن عبدت) نظيره قوله وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على كأنه أبى أن يسمى نعمته الا نقمة لان تعبيدهم أى تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم بذبح أبنائهم صار هو السبب فى حصوله عنده وفى تربيته فلهذا قال الزجاج أن مع ما بعده فى موضع نصب أى انما صارت نعمة على لان عبدت بنى اسرائيل اذ لو لم تفعل ذلك لكفلنى أهلى ولم يلقونى فى اليم ومن هنا قال جار الله ان قول موسى فعلتها اذن جواب لقول فرعون وفعلت فعلتك وجزاء له كأن فرعون قال جازيت نعمتى بما فعلت فقال موسى فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء وقال الحسن أراد أنك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفقت على فلا نعمة لك بالتربية على ان التربية كانت من قبل أمى وعشيرتى ولم يكن منك الا انك لم تقتلنى وقيل أراد انك كنت تدعى أن بنى اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد فى الاطعام والكسوة واعلم ان للعلماء خلافا فى نعمة الكافر فقيل انها لا تستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر لانعامه لزم الجمع بين الاهانة والتعظيم فى حق شخص واحد فى وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذى يستحقه على الايمان وفى الآية نوع دلالة على كل من القولين ثم ان موسى حين ادى رسالته من قوله انا رسول رب العالمين (قال فرعون وما رب العالمين) وقد سبق مرارا أن كفره احتمل أن يكون كفر عناد وأن يكون كفر جهالة والذى يختص بالمقام هو ان ما انما يطلب به حقيقة الشىء وماهيته وهذا هو الذى قصده فرعون بسؤاله ولم يعرف أن الماهية لا تطلق على ذاته تعالى اذ لا أجزاء لها

أحدية ولا تقديرية ولا بأي وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغنائه عن الكل من كل الوجوه فلا يصح أن يسئل عنه بما هو ولا بكيف هو ولا بأي شئ هو ولا بهل هو غاية (٥٤) ذلك أن ينبه على وجوده الذي هو أظهر الاشياء بلوازمه وآثاره على وجه يعم الكل كما يقال انه رب السموات والارض وما بينهما أو بأخص من ذلك بأن يقال مثلا ربكم ورب آبائكم الاولين وهو الاستدلال بالأنفس أو يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المفروضة على السماء من لدن طلوع الكواكب الى غروبها و بالعكس وهو الاستدلال بالآفاق وقد راعى في الجواب الأول طريقة اللطف فختم بقوله (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وجلائه وخاشنهم في الأخير بقوله (ان كنتم تعقلون) حين نسبوه الى الجنون بعد أن تهكموا به بقوله ان رسولكم ويمكن أن يراد بقوله وما بينهما ثانيا ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول أن الاول هو الاستدلال بالامكان على طريقة الحكيم والثاني هو الاستدلال بالحدوث على طريقة المتكلمين والاول أقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثاني أقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام الى حد العناد والمخاشنة هدده فرعون بقوله (ان اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) وهذا أبلغ من أن لو قال لأسجننك والمعنى لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه يطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع وحينئذ عدل موسى الى الحجة الأصلية في الباب وهو ادعاء المعجز المنبئ عن صدقه فقال (أولو جئتكم) أي أتفعل في ذلك - قال، ولو جئتك بشئ أي جائيا بالمعجزة وفي قولها (ان كنت من الصادقين) ان سلم أنه قاله جدا لا هزلا وجدالا دلالة على ماركز في العقول من أن

عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد نحوه ويعني بقوله يوم الدين يوم الحساب يوم المجازاة وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله ابراهيم اياه رب هب لي حكما يقول رب هب لي نبوة وألحقني بالصالحين يقول واجعلني رسولا الى خلقك حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك الى خلقك وائتمنته على وحيك واصطفيته لنفسك وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين يقول واجعل لي في الناس ذكرا جميلا وثناء حسنا باقيا فيمن يجيء من القرون بعدي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قوله وآتيناه أجره في الدنيا قال ان الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلا فسأل الله فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين حتى لا تكذبني الأمم فأعطاه الله ذلك فان اليهود آمنت بموسى وكفرت بعيسى وان النصارى آمنت بعيسى وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلهم يتولى ابراهيم قالت اليهود هو خليل الله وهو منا فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم ألحق ولايته بكم فقال ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فهذا أجره الذي عجل له وهي الحسنة اذ يقول وآتيناه في الدنيا حسنة وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قال اللسان الصدق الذكر الصدق والثناء الصالح والذكر الصالح في الآخرين من الناس من الأمم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾ يعني ابراهيم صلوات الله عليه بقوله واجعلني من ورثة جنة النعيم أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة وأسكني ذلك واغفر لأبي يقول واصفح لأبي عن شركه بك ولا تعاقبه عليه انه كان من الضالين يقول انه كان ممن ضل عن سبيل الهدى فكفر بك وقد بينا المعنى الذي من اجله استغفر ابراهيم لأبيه صلوات الله عليه واختلاف أهل العلم في ذلك والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ولا تخزني يوم يبعثون يقول ولا تذلني بعقابك اياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا ولا بنوه الذين كانوا له فيها فيدفع ذلك عنه عقاب الله اذا عاقبه ولا ينجيه منه وقوله الا من أتى الله بقلب سليم يقول ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع الا القلب السليم والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الممات * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قلت لمحمد ما القلب السليم قال أن يعلم أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد الا من أتى الله بقلب سليم قال لا شك فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا من أتى الله بقلب سليم قال ليس فيه شك فى الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا من أتى الله بقلب سليم قال سليم من الشرك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان ابن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قول الله الا من أتى الله بقلب سليم قال هو الخالص ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وأزلفت الجنة للمتقين وأدنيت الجنة وقربت للمتقين الذين اتقوا عقاب الله فى الآخرة بطاعتهم اياه فى الدنيا وبرزت الجحيم للغاوين يقول وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل وقيل للغاوين أينما كنتم تعبدون من دون الله من الأنداد هل ينصرونكم اليوم من الله فينقذونكم من عذابه أو ينتصرون لأنفسهم فينجونها مما يراد بها وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون يقول فرمى ببعضهم فى الجحيم على بعض وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم وأصل كبكبوا كببوا ولكن الكاف كررت كما قيل بريح صرصر يعنى به صر ونهنهنى يعنى به نهنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فكبكبوا قال فدهوروا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكبكبوا فيها يقول فجمعوا فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فكبكبوا فيها قال طرحوا فيها فتأويل الكلام فكبكب هؤلاء الأنداد التى كانت تعبد من دون الله فى الجحيم والغاوون وذكر عن قتادة أنه كان يقول الغاوون فى هذا الموضع الشياطين ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال الغاوون الشياطين فتأويل الكلام على هذا القول الذى ذكرنا عن قتادة فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين وقوله وجنود ابليس أجمعون يقول وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود ابليس أجمعون وجنوده كل من كان من تباعه من ذريته كان أو من ذرية آدم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الغاوون والأنداد التى كانوا يعبدونها من دون الله وجنود ابليس وهم فى الجحيم يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين يقول تالله لقد كنا فى ذهاب عن الحق ان كنا لفى ضلال مبين يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه لمن تأمله وتدبره أنه ضلال وباطل وقوله اذ نسويكم برب العالمين يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله تالله ان كنا لفى ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ نسويكم برب العالمين قال لتلك الآلهة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين فى الجحيم وما أضلنا الا المجرمون

دعوى الرسالة ان اقترنت بظهور المعجزة على يده تحقق صدقها وقد شنع فى الكشاف ههنا أن نفى أهل القبلة من خفى عليهم ما لم يخف على فرعون حتى جوزوا القبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات (٥٥) وفى التخطئة سهو من وجهين أحدهما أنه لا قبيح عند الأشاعرة عقلا والثانى أنه على تقدير التسليم لا يلزم تجويز كل قبيح وهذا من ذلك للزوم الاشتباه وباقى القصة سبق نظيرها فى الاعراف فلنقتصر فى التفسير على ما يختص بالسورة قوله (قال للملا حوله) قال فى الكشاف الظرف فى محل النصب على الحال وأقول الأصوب أن يجعل نعتا للملا أى الاشراف حوله على طريقة قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبنى

قوله (لميقات يوم معلوم) اليوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى كما مر فى طه قوله (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع وحث عليه كقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحثه على الانطلاق قوله (لعلنا نتبع السحرة) لم يكن غرضهم اتباع السحرة فى دينهم وانما غرضهم الاصلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا تبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله (بعزة فرعون) هى من أيمان الجاهلية ولا يصح الحلف فى الاسلام الا بالله تعالى وبصفاته كما مر فى البقرة والمائدة قوله (فألقى السحرة) لم يسم فاعله وهو الله تعالى فى الحقيقة حين ألقى داعية الايمان فى قلوبهم ويجوز أن ينسب الى ما عاينوا من المعجزات الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا أى خروا قوله (لا ضير) أى لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل قوله (أن نطمع) الطمع فى هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى ويحتمل الظن بناء على أن المرء لا يعلم ما يختاره أو يؤل اليه عند الوفاة ومعنى (أن كنا) لأن كنا وكانوا أول طائفة مؤمنين من أهل زمانهم أو من قوم فرعون أو من أهل المشهد قوله (انكم متبعون) تعليل للاسراء أى بنيت تدبير أمركم على أن

فتقدموا لو يتبعكم فرعون وجنوده الى أن يغشاهم من اليم ما يغشاهم قوله (لشرذمة) هي الطائفة القليلة ثم وصفهم بالقلة واختار جمع
السلامة ليدل على أن كل حزب منهم في غاية (٥٦) القلة وذلك بالنسبة الى عسكره والا فهم كثير في أنفسهم يروى أن فرعون
ارسل في أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وكان قوم موسى اذ ذاك ستمائة ألف وسبعين ألفا ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله (وانهم لنا لغائظون) معناه انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون أفعالا لغيظنا كأخذ الحلي وادعاء الاستقلال والاستخلاص عن ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلمة وائتلافا ومن عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فالحذر المتيقظ وهو يفيد الثبات والحاذر الذي يجدد حذره وقيل هو تام السلاح لانه فعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه وكل هذه المعاذير لأجل أن لا يظن به العجز وخلاف ما ادعاه من القهر والتسلط وقرئ حادرون بالدال غير المعجمة والحادر السمين القوي أراد أنهم أقوياء أشداء (فأخرجناهم من جنات) أي بساتينهم التي فيها عيون الماء (وكنوز) الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى والمقام الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وقال الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال (كذلك) يحتمل النصب أي أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على الوصف أي
مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وعلى هذا فيوقف على كريم خفي
(فأتبعوهم) أي فلحقوهم ومن قرأ بالتشديد فظاهر والاشراق الدخول في وقت الشروق (فلما تراءى الجمعان) أي رأى قوم موسى قوم فرعون

يعني بالمجرمين ابليس وابن آدم الذي سن القتل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما أضلنا الا المجرمون قال ابليس وابن آدم القاتل وقوله فما لنا من شافعين يقول فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد فيعفو عنا وينجينا من عقابه ولا صديق حميم من الأقارب واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بالشافعين وبالصديق الحميم فقال بعضهم عني بالشافعين الملائكة وبالصديق الحميم النسيب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فما لنا من شافعين قال من الملائكة ولا صديق حميم قال من الناس قال مجاهد صديق حميم قال شقيق * وقال آخرون كل هؤلاء من بني آدم ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا اسحق بن سعيد البصري المسمعي عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعي قال كان قتادة اذا قرأ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال يعلمون والله أن الصديق اذا كان صالحا نفع وأن الحميم اذا كان صالحا شفع وقوله فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين يقول فلو أن لنا رجعة الى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بايماننا به من المؤمنين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ان فيما احتج به ابراهيم على قومه من الحجج التي ذكرناها لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم ابراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ويقتدون بهم في ذلك ما سن فيهم في الدار الآخرة من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود ابليس في الجحيم وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين وان ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد من دونه ثم لم يتب من كفره حتى هلك الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من اثم وجرم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون اني لكم رسول أمين) يقول تعالى ذكره كذبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم اليهم لما قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به وتكذيبكم رسله اني لكم رسول من الله أمين على وحيه الي برسالته اياي اليكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به وأطيعوني في نصيحتي لكم وأمري اياكم باتقائه وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمري اياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم من ثواب ولا جزاء ان أجري الا على رب العالمين دونكم ودون جميع خلق الله فاتقوا عقاب الله على كفركم به وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله وأطيعون يقول وأطيعوني في نصيحتي لكم وأمري اياكم باخلاص العبادة لخالقكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون) يقول تعالى ذكره قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك يا نوح ونقر بتصديقك فيما تدعونا اليه وانما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات قال وما علمي بما كانوا يعملون قال نوح لقومه وما علمي بما كان أتباعي يعملون انما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه ولم أكلف علم باطنهم وانما كلفت الظاهر فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون يقول ان حساب باطن أمرهم الذي

وحصل كل من الفريقين بمرأى للآخر (قال أصحاب موسى) خوفا وفزعا (انا لمدركون) لملحقون قال موسى تثبيتا لهم وردعا عما هم عليه من الجزع والفزع (كلا ان معى ربى) بالنصرة والمعونة (سيهدين) سبيل النجاة (٥٧) والخلاص كما وعدنى ثم بين أنه كيف هداه بقوله

خفى عنى الاعلى ربى لو تشعرون فانه يعلم سر أمرهم وعلانيته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون قال هو أعلم بما فى نفوسهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعنى على التصديق بما جئت به من عند الله ان أنا الا نذير مبين يقول ما أنا الا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به مبين يقول نذير قد أبان لكم انذاره ولم يكتمكم نصيحته قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين يقول قال لنوح قومه لئن لم تنته يا نوح عما تقول وتدعو اليه وتعيب به آلهتنا لتكونن من المشتومين يقول لنشتمنك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح رب ان قومى كذبون فيما أتيتهم به من الحق من عندك وردوا على نصيحتى لهم فافتح بينى وبينهم فتحا يقول فاحكم بينى وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك وكذب رسولك كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال فاقض بينى وبينهم قضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال يقول اقض بينى وبينهم ونجنى يقول ونجنى من ذلك العذاب الذى تأتى به حكما بينى وبينهم ومن معى من المؤمنين يقول والذين معى من أهل الايمان بك والتصديق لى وقوله فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون يقول فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين فى الفلك المشحون يعنى فى السفينة الموقرة المملوءة وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله الفلك المشحون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى الفلك المشحون قال يعنى الموقر حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المشحون الموقر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الفلك المشحون قال المفروغ منه المملوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المشحون المفروغ منه تحميلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قول الله الفلك المشحون قال هو المحمل وقوله ثم أغرقنا بعد الباقين من قومه الذين كذبوه وردوا عليه النصيحة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين فى الفلك المشحون حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذبوه لآية لك ولقومك المصدقيك منهم والمكذبيك فى أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم اذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم واهلاك المكذبين بالله وكذلك سنتى فيك وفى قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول

(فأوحينا) الآية ومعنى (فانفلق) فضرب فانفلق (فكان كل فرق) أى كل جزء متفرق منفلق منه (كالطود) وهو الجبل العظيم ومع ذلك وصفه بالعظيم (وأزلفنا ثم) أى قربنا حيث انفلق البحر (الآخرين) وهم قوم فرعون والمقرب منه بنو اسرائيل أو قوم فرعون أيضا أى أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد ويجوز أن يراد قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم حسبانا أن لم يكن لهم البحر يبسا كما كان لبنى اسرائيل أو عقلا أى أذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم أو بحر من وراء مصر يقال له اساف قالت الاشاعرة انه تعالى أضاف الازلاف الى نفسه مع ان جتماعهم فى طلب موسى كفر أجاب الجبائى بأن قوم فرعون تبعوا بنى اسرائيل وبنو اسرائيل انما فعلوا ذلك بأمر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبير الله وهؤلاء تبعوهم أضافه الى نفسه توسعا وهذا كما يتعب أحدنا فى طلب غلام له فيجوز أن يقول أتعبنى الغلام لما حدث ذلك عند فعله أو المراد أزلفناهم الى الموت والأجل وقال الكعبى أراد أنه جمع تفرقهم كيلا يصلوا الى موسى وقومه أو أراد أنه حلم عنهم وترك لهم البحر يابسا حتى طمعوا فى دخوله واعترض بأن كل ذلك لابد أن يكون له أثر فى استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم فيعود المحذور (ان فى ذلك) الذى حدث فى البحر من انجاء البعض

واغراق البعض أو فى ذلك الذى ذكر من القصة بطولها (لآية) عجيبة للمتدبر المتفكر فى الامور الالهية (وما كان أكثرهم مؤمنين) حين سألوا بعد النجاة أن يجعل لهم موسى الها غير الله واتخذوا العجل وقترحوا

ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا وان ربك لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره الرحيم بالتائب منهم أن يعاقبه بعد توبته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت عاد المرسلين • اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت عاد رسل الله اليهم اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون عقاب الله على كفركم به اني لكم رسول من ربي يأمركم بطاعته ويحذركم على كفركم بأسه أمين على وحيه ورسالته فاتقوا الله بطاعته والانتهاء الى ما يأمركم وينهاكم وأطيعون فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أطلب منكم على أمري اياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا ان أجري الا على رب العالمين يقول ما جزائي وثوابي على نصيحتي اياكم الا على رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع كل مكان مشرف من الأرض مرتفع أو طريق أو واد ومنه قول ذي الرمة

طراق الخوافي مشرف فوق ريعه * لدى ليلة في ريشه يترقرق

(وقول الأعشى)

ويهماء قفر تجاوزتها * اذا خب في ريعها آلها

وفيه لغتان ريع وريع بكسر الراء وفتحها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أتبنون بكل ريع آية تعبثون يقول بكل شرف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بكل ريع قال فج حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله أتبنون بكل ريع آية قال بكل طريق حدثني سليمن بن عبيد الله الغيلاني قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا مسلم بن خالد قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أتبنون بكل ريع قال الريع الثنية الصغيرة حدثني يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم ابن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة بكل ريع قال فج وواد قال وقال مجاهد بكل ريع بين جبلين * قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أتبنون بكل ريع قال شرف ومنظر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بكل ريع قال بكل طريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله بكل ريع بكل طريق ويعني بقوله آية بنيانا علما وقد بينا في غير موضع من كتابنا هذا أن الآية هي الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن اعادتها في هذا الموضع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي

قال

انزاحات خارجة عن قانون الأدب ويحتمل أن يعود الضمير الى هذه الامة بدليل واتل عليهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يغتم بتكذيب قومه بعد ظهور المعجزات (٥٨) ونزول الآيات ۞ التأويل الطاء طوله في كمال عظمته والسين سلامته عن كل عيب ونقص والميم مجده الذي لا نهاية له أو الطاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته على الأنبياء والمرسلين والميم مشاهدته جمال رب العالمين أو الطاء طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين الى الله والميم مشي الماشين لله الذين يمشون على الأرض هونا ان نشأ ننزل من سماء قلوبهم آية من واردات الحق فظلت أعناق نفوسهم لها خاضعين فسيأتيهم بعد مفارقة الارواح الأجساد أنباء ما كانوا به يستهزؤن لظهور نتائج معاملاتهم الخبيثة على أرواحهم أولم يروا الى أرض قلوب العارفين كم أنبتنا فيها من أشجار أصناف الايمان والتوكل واليقين والاخلاص وسائر الاخلاق الكريمة وما كان أكثرهم مؤمنين لان جناب الحق لعزته يجل عن أن يكون شرعة لكل وارد وان ربك لهو العزيز الذي لا يوجد بالسعي الرحيم حين أدرك أولياءه بجذبات العناية كما أدرك موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله مظهر لطفه كما أنه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار في غاية الكمال ويعلم منه أن الانسان له استعداد في مظهرية صفة القهر ليس لابليس فلذلك عاند ابليس آدم وقال أنا خير منه وعاند فرعون الرب وقال أنا ربكم الأعلى وأن له استعدادا في مظهرية صفة اللطف ليس للملك ولهذا صار الانسان مسجودا للملائكة أن أرسل معنا بني اسرائيل فيه أن موسى القلب مرسل الى فرعون النفس لئلا تستعبد الصفات الروحانية فان لفرعون النفس في البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية فاستعملهم في قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده فعرفه فرعون النفس وقال ألم

نربك فينا وليدا فان موسى القلب كان في حجر فرعون النفس الى أن بلغ أوان الحلم وهي خمس عشرة سنة فقتل قبطي الشهوة حتى كفر بالله
الهوى وكان قبل القتل ضالا عن حضرة الربوبية ففررت منكم الى الله لما خفت (٥٩) أن تقطعوا على الطريق الى الله رب سموات
القلوب وأرض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات النفس ألا تستمعون قال موسى القلب لتعارفه بربه ربكم ورب آبائكم الأولين يعني الآباء العلوية الروحانية وفي قوله ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون اشارة الى كمال ضدية القلب والنفس فما يصدر عن القلب تعده النفس من الجنون وبالعكس رب مشرق الروح من أفق البدن ورب مغربه فيه وما بينهما من مدة التعلق وقد مر نظيره في محاجة ابراهيم في البقرة لأجعلنك من المسجونين في سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا استيلاء للنفس عليه الا بشبكة حب الجاه والرياسة فانها آخر ما يخرج من رؤس الصديقين فقال موسى القلب لا تقدر على أن تسجنني فان معي عصا الذكر واليد المنزوعة عما سوى الله وباقي التأويل قد سبق قوله فأخرجناهم أي من جنات صفات الأوصاف الروحانية وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم في حضرة أكرم الأكرمين وأورثناها بني اسرائيل فيه أن النفس اذا فنيت ورث القلب منها صفاتها وبقوتها تصير الى مقامات لم يمكنه الوصول اليها بقوة صفاته ولو مات القلب ورثت النفس منه صفاته وبقوتها تتنزل الى دركات لم يمكنها الوصول اليها بمجرد صفاتها فأتبعوهم أي لحق أوصاف النفس أوصاف القلب عند اشراق شمس الروح فكان كل فرق فيه
أي كل صفة من أوصاف الروح كجبل عظيم في العبور عنه وأزلفنا ثم الآخرين أي قربنا صفات النفس بتبعية صفات القلب الى بحر الروح
وأنجينا موسى ومن معه من الأوصاف في بحر الروح بالوصول الى الحضرة ثم أغرقنا أوصاف النفس في بحر الروحانية فان الوصول الى الحضرة

قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بكل ريع آية قال الآية علم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بكل ريع آية قال آية بنيان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آية بنيان حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله بكل ريع آية قال بنيان الحمام وقوله تعبثون قال تلعبون وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس تعبثون قال تلعبون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تعبثون قال تلعبون وقوله وتتخذون مصانع اختلف أهل التأويل في معنى المصانع فقال بعضهم هي قصور مشيدة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتتخذون مصانع قال قصور مشيدة وبنيان مخلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مصانع قصور مشيدة وبنيان حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن مجاهد قال مصانع يقول حصون وقصور حدثني يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم عن رجل عن مجاهد قوله مصانع لعلكم تخلدون قال أبرجة الحمام * وقال آخرون بل هي مآخذ الماء ذكر من قال ذلك حدثني الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مصانع قال مآخذ الماء

قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان المصانع جمع مصنعة والعرب تسمي كل بناء مصنعة وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة وجائز أن يكون كان مآخذ الماء ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان ولا هو مما يدرك من جهة العقل فالصواب أن يقال فيه ما قال الله انهم كانوا يتخذون مصانع وقوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون فتبقون في الأرض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال في بعض الحروف وتتخذون مصانع كأنكم تخلدون وكان ابن زيد يقول لعلكم في هذا الموضع استفهام ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال هذا استفهام يقول لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم في هذا الموضع بمعنى كيما وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين يقول واذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف وضربا بالسياط كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج واذا بطشتم بطشتم جبارين قال القتل بالسيف والسياط ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم وانتهوا عن اللهو واللعب وظلم الناس وقهرهم بالغلبة والفساد

فى خواص القلب وغاية سير النفس هو الاستغراق فى بحر الروحانية ان فى ذلك لآية لأرباب العرفان وما كان أكثرهم مؤمنين بهذه المنازل
فانه لا يصير اليها الا الشاذ من المجذوبين بجذبة (٦٠) ارجعى الى ربك جعلنا الله من المستعدين لها والله أعلم ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال
لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
أصناما فنظل لها عاكفين قال هل
يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم
أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا
كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
فانهم عدو لى إلا رب العالمين الذى
خلقنى فهو يهدين والذى هو
يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين والذى يميتنى ثم يحيين
والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى
يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى
بالصالحين واجعل لى لسان صدق
فى الآخرين واجعلنى من ورثة
جنة النعيم واغفر لأبى انه كان من
الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى
الله بقلب سليم وأزلفت الجنة
للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من
دون الله هل ينصرونكم أو
ينتصرون فكبكبوا فيها هم
والغاوون وجنود ابليس أجمعون
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان
كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما
لنا من شافعين ولا صديق حميم
فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين
ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال
لهم أخوهم نوح ألا تتقون
انى لكم رسول أمين فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من
أجر ان أجرى الا على رب العالمين
فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون
وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم

فى الأرض واحذروا سخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون وأعانكم به من بين المواشى والبنين والبساتين والأنهار انى أخاف عليكم عذاب يوم من الله عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين﴾ يقول تعالى ذكره قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم معتدل عندنا وعظك ايانا وتركك الوعظ فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به وقوله ان هذا الا خلق الاولين اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبى جعفر وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم ان هذا الا خلق الاولين من قبلنا وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء ان هذا الا خَلْق الاولين بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى ماهذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين وأحاديثهم واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معناه ماهذا الا دين الأولين وعادتهم وأخلاقهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان هذا الا خلق الأولين يقول دين الاولين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان هذا الا خلق الأولين يقول هكذا خلقة الأولين وهكذا كانوا يحيون ويموتون * وقال آخرون بل معنى ذلك ماهذا الا كذب الأولين وأساطيرهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان هذا الا خلق الاولين قال أساطير الاولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا خلق الاولين قال كذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا الا خلق الاولين قال ان هذا الا أمر الاولين وأساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود ان هذا الا خلق الأولين يقول ان هذا الا اختلاق الأولين * قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله أنه كان يقرأ ان هذا الا خلق الاولين و يقول شئ اختلقوه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال علقمة ان هذا الا خلق الأولين قال اختلاق الأولين وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ ان هذا الا خلق الأولين بضم الخاء واللام بمعنى ان هذا الا عادة الأولين ودينهم كما قال ابن عباس لأنهم انما عوتبوا على البنيان الذى كانوا يتخذونه وبطشهم بالناس بطش الجبابرة وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم واقتفاء منهم آثارهم فقالوا ماهذا الذى نفعله الا خلق الأولين يعنون بالخلق عادة الأولين ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل قولهم وما نحن بمعذبين لأنهم لو كانوا لا يقرون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ما قالوا وما نحن بمعذبين بل كانوا يقولون ان هذا الذى جئتنا به ياهود الا خلق الأولين وما لنا من معذب يعذبنا ولكنهم كانوا مقرين بالصانع و يعبدون الآلهة على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها و يقولون انها تقربنا الى الله زلفى فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته سواء

علينا

فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ۝ فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ۝ ثم أغرقنا بعد الباقين ۝ ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ ۞ القراآت لي الا واغفر لأبي انه بفتح الياء فيهما (٦١) أبو جعفر ونافع وأجرى الا بفتح الياء أبو جعفر

علينا أوعظت ام لم تكن من الواعظين ثم قالوا له ماهذا الذى نفعله الا عادة من قبلنا وأخلاقهم وما الله معذبنا عليه كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا انهم كانوا يقولون لرسلهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره فكذبت عاد رسول ربهم هودا والهاء في قوله فكذبوه من ذكر هود فأهلكناهم يقول فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان في اهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها العبرة وموعظة لقومك يا محمد المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله وان ربك لهو العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم بالمؤمنين به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى كذبت ثمود رسل الله اذ دعاهم صالح أخوهم الى الله فقال لهم ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم اياه وخلافكم أمره بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله انى لكم رسول من الله أرسلني اليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره أمين على رسالته التى أرسلها معى اليكم فاتقوا الله أيها القوم واحذروا عقابه وأطيعون في تحذيرى اياكم وأمر ربكم باتباع طاعته وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصحى اياكم وانذاركم من جزاء ولا ثواب ان أجرى الا على رب العالمين يقول ان جزائى وثوابى الا على رب جميع ما في السموات وما في الارض وما بينهما من خلق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين لا تخافون شيأ في جنات وعيون يقول في بساتين وعيون ماء وزروع ونخل طلعها هضيم يعنى بالطلع الكفرى واختلف أهل التأويل في معنى قوله هضيم فقال بعضهم معناه اليانع النضيج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونخل طلعها هضيم يقول أينع وبلغ فهو هضيم وقال آخرون بل هو المتهشم المتفتت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قوله ونخل طلعها هضيم قال محمد بن عمرو في حديثه تهشم هشيما وقال الحرث تهشم تهشما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهدا يقول في قوله ونخل طلعها هضيم قال حين تطلع يقبض عليه فيهضمه فقال ابن جريج قال مجاهد اذا مس تهشم وتفتت قال هو من الرطب هضيم تقبض عليه فتهضمه * وقال آخرون هو الرطب اللين ذكر من قال ذلك حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة قوله ونخل طلعها هضيم قال الهضيم الرطب اللين * وقال آخرون هو الراكب بعضه بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله طلعها هضيم اذا كثر حمل النخلة فركب

ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص وأتباعك على أنه جمع تابع أوتبع يعقوب أنا الا بالمد أبو نشيط عن قالون معى من المؤمنين بفتح ياء المتكلم حفص وورش ۞ الوقوف ابراهيم م لئلا يوهم ان اذ ظرف اتل وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون ۝ عاكفين ۝ تدعون ۝ يضرون ۝ يفعلون ۝ تعبدون ۝ لا لأن الضمير بعده توكيد الأقدمون ۝ والوصل أولى للفاء العالمين ۝ لا لأن الذى صفة الرب يهدين ۝ لا يشفين ۝ ويسقين ۝ يحيين ۝ لا الدين ۝ بالصالحين ۝ لا الآخرين ۝ لا النعيم ۝ لا الضالين ۝ لا يبعثون ۝ ولا بنون ۝ لا سليم ۝ ط بناء على أن ما بعده الى آخر أحوال الجنة والنار هو من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل هو من تتمة كلام ابراهيم العالمين ۝ المجرمون ۝ شافعين ۝ حميم ۝ ط المؤمنين ۝ لآية ط مؤمنين ۝ الرحيم ۝ المرسلين ج ۝ لأن اذ تصلح ظرفا للتكذيب مفعولا لاذكر تتقون ج ۝ لأن ما بعده من تمام المقول أمين ۝ لا للفاء وأطيعون ج ۝ من أجر ج العالمين ج ۝ وأطيعون ۝ لا الأرذلون ۝ ط يعملون ج ۝ لأن ما بعده من تمام المقول تشعرون ۝ لذلك المؤمنين ج ۝ مبين ۝ المرجومين ۝ ط كذبون ۝ ج المؤمنين ۝ المشحون ج ۝ الباقين ۝ لآية ط مؤمنين ۝ ط الرحيم ۝

۞ التفسير القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام وكان يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم للالزام والتبكيت ومثله أهل المعاني بأن يقول أحد للتاجر ما مالك وهو يعلم أن ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق جمال وليس بمال وانما قال في سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة ذا لانه أراد

هنالك مزيد التوبيخ ولذلك بنى الكلام على الزيادة ثم أردفه بقوله أئفكا آلهة دون الله تريدون وحين صرح هنالك بالتوبيخ لم يجيبوه وههنا ظنوا أنه يريد الاستفهام حقيقة فأجابوه ولكنهم بسطوا الكلام بسطا ولم يقتصروا على أصناما بل زادوا ناصبه وعقبوه بقولهم (فنظل لها عاكفين) اظهارا للابتهاج والافتخار قال فى الكشاف وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبنى على النقل الصحيح والظن به حسن قال لابد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم قلت ويحتمل أن يكون المحذوف مفعولا ثانيا أى هل يسمعونكم تدعون اذ تدعون وهو حكاية حال ماضية لان اذ للمضى ومعناه استحضار الاحوال الماضية التى كانوا يدعونها فيها وحين تمسكوا فى الجواب بطريقة التقليد قائلين على سبيل الاضراب (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) نبههم ابراهيم بقوله (أفرأيتم) على أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديما أو حديثا ولا بأن يكون فى مرتكبيه كثرة أو قلة وصرح بأن معبوديه أعداء لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا أو لأن الذى يغرى على عبادتها هو الشيطان وهو أعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه أراد تصوير المسئلة فى نفسه ليكون أدل على النصح وأقرب الى القبول كأنه قال انى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعى أن رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وقوله (الا رب العالمين) استثناء منقطع أى لكن رب العالمين حبيب لى ثم وصف لهم الرب بأنه (الذى خلقنى فهو يهدين) أى خلق بدنى على كماله الممكن له ثم يهدين فى الاستقبال الى ضروب مصالح الدين والدنيا كامتصاص الدم فى البطن والثدى بعد الولادة نظيره ما مر فى طه الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ثم نبه بقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين) أى أن الذى يتعلق به قوام البدن

بعضها بعضا حتى نقص بعضها بعضا فهو حينئذ هضيم وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال الهضيم هو المتكسر من لينه ورطوبته وذلك من قولهم هضم فلان فلانا حقه اذا انتقصه وتحيفه فكذلك الهضم فى الطلع انما هو التنقص منه من رطوبته ولينه اما بمس الايدى واما بركوب بعضه بعضا وأصله مفعول صرف الى فعيل وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين يقول تعالى ذكره وتتخذون من الجبال بيوتا فاختلفت القراء فى قراءة قوله فارهين فقرأته عامة قراء اهل الكوفة فارهين بمعنى حاذقين بنحتها وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة فرهين بغير ألف بمعنى أشرين بطرين واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معنى فارهين حاذقين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وعبد الله بن شداد وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال أحدهما حاذقين وقال الآخر يتجبرون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال حاذقين بنحتها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فارهين يقول حاذقين * وقال آخرون معنى فارهين مستفرهين متجبرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن عبد الله بن شداد فى قوله فرهين قال يتجبرون * قال أبو جعفر والصواب فارهين * وقال آخرون ممن قرأه فارهين معنى ذلك كيسين ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فارهين قال كيسين حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ فارهين قال كيسين * وقال آخرون فرهين أشرين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين يقول أشرين ويقال كيسين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بيوتا فرهين قال شرهين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بمثله * وقال آخرون معنى ذلك أقوياء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين قال الفره القوى * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فرهين قال معجبين بصنيعكم * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قراءة من قرأها فارهين وقراءة من قرأ فرهين قراءتان معروفتان مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى علماء القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى قراءة من قرأ فارهين حاذقين بنحتها متخيرين لمواضع نحتها كيسين من الفراهة ومعنى قراءة من قرأ فرهين مرحين أشرين وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا فيكون فارها مبنيا على بنائه وأصله من فعل يفعل ويكون فره صفة كما يقال فلان حاذق بهذا الامر وحذق ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العوفى من الازد

لا أستكين اذا ما أزمة أزمت * ولن ترانى بخير فاره الطلب

من الاغتذاء بالطعام والاساغة بالشراب هو من جملة انعام الله تعالى لأنه خلق هناك قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها ولولاها لما تم أمر الانتفاع بالغذاء بل نفس الغذاء من جملة نعمه الشاملة ثم قال ﴿وإذا مرضت (٦٣) فهو يشفين﴾ وذلك أن البدن ليس دائما على النهج الطبيعي بحيث تصدر عنه الأفعال الموضوع هو لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وبما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث باسراف الانسان في المطعم والمشرب وأيضا الصحة تحتاج الى سبب قاهر يقسر الأخلاط والقوى على النسبة المطلوبة أما المرض فانه بسبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الاصلي وأيضا فيه رعاية الأدب في مقام المدح وتعداد النعم وانما لم يراع هذه النكتة في قوله (والذي يميتني) لأن الاماتة ليست بضر كالمرض اما بعدم الاحساس وقتئذ واما لأنها مقدمة الوصول الى عالم الخير والراحة وانما زاد لفظة هو في الاطعام والشفاء لأنهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوي فأكد اعلاما بأن ذلك في الحقيقة من الله وأما الاماتة والاحياء فلا يدعيهما مدع فأطلق ثم أشار الى ما بعد الاحياء من المجازاة بقوله (والذي أطمع) فحمل الأشاعرة الطمع على مجرد الظن والرجاء بناء على أنه لا يجب لأحد على الله شيء وحمله المعتزلة على اليقين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الأمة أخرى كما أنه أضاف الخطيئة الى نفسه لمثل ذلك وقد تحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وانما علق المغفرة بيوم الدين لأن أثرها يتبين يومئذ وهو في الدنيا خفي قال بعضهم فائدة زيادة لي هي أن يعلم أن المغفرة فائدتها تعود اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك كمالا لم يكن له والمراد أطمع أن يغفر لي لمجرد عبوديتي له واحتياجي اليه لا بواسطة شفيع كما قال لجبرئيل أما اليك فلا وحين قدم الثناء شرع

أي مرح الطلب وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم وخلافكم أمره وأطيعون في نصيحتي لكم وانذاري اياكم عقاب الله ترشدوا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله واجترائهم على سخطه وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون يقول الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه ولا يصلحون يقول ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله وقوله انما أنت من المسحرين اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه انما أنت من المسحورين ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما أنت من المسحرين قال من المسحورين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله انما أنت من المسحرين قال انما أنت من المسحورين * وقال آخرون معناه من المخلوقين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمرو عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله انما أنت من المسحرين قال من المخلوقين واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك فكان بعض أهل البصرة يقول كل من أكل من انس أو دابة فهو مسحر وذلك لأن له سحرا يقري ما أكل فيه واستشهد على ذلك بقول لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

وقال بعض نحويي الكوفيين نحو هذا غير أنه قال أخذ من قولك انتفخ سحرك أي انك تأكل الطعام والشراب فتسحر به وتعلل وقال معنى قول لبيد من هذا الانام المسحر من هذا الانام المعلل المخدوع قال ويروى أن السحر من ذلك لأنه كالخديعة والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرته عن ابن عباس أن معناه انما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا ولست ربا ولا ملكا فنطيعك ونعلم أنك صادق فيما تقول والمسحر المفعل من السحر وهو الذي له سحر

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبيها صالح ما أنت يا صالح الا بشر مثلنا من بني آدم تأكل ما نأكل وتشرب ما نشرب ولست برب ولا ملك فعلام نتبعك فان كنت صادقا في قيلك وأن الله أرسلك الينا فأت بآية يعني بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول ان كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله الينا وقد حدثني أحمد بن عمرو البصري قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا داود بن أبي الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن صالحا النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله الى قومه فآمنوا به واتبعوه فمات صالح فرجعوا عن الاسلام فأتاهم صالح فقال لهم أنا صالح قالوا ان كنت صادقا فأتنا بآية فأتاهم بالناقة فكذبوه وعقروها فعذبهم الله وقوله قال

في الدعاء تعليماً لأمته اذا ارادوا مسألة فقال (رب هب لي حكما) وهو اشارة الى كمال القوة النظرية (وألحقني بالصالحين) وهو اشارة الى كمال القوة العملية ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة (٦٤) لمن الصالحين وقيل الحكم النبوة اذ النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى وزيف بأنه كان حاصلا فكيف يطلبه والظاهر أنه أراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارجية أعني العلوم النظرية كما بينا قالت الأشاعرة في الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال انه طلب العلم من الله فلولا أن العلم بخلقه والا كان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على منح الألطاف قيل الحكم المطلوب بالدعاء ان كان هو العلم بغير الله لزم أن يكون سائلا لما يشغله عن الله وهو باطل وإن كان العلم بالله بقدر ما هو شرط صحة الايمان لزم طلب ما هو حاصل لأدنى المؤمنين فضلا عن ابراهيم فاذن هو العلم الزائد على ما هو ضروري في الايمان وهو الوقوف على حقيقة الذات والصفات ثم لا يكشف المقال عنها غير الحال وبه يصير المؤمن من الواصلين الى العين دون السامعين الى الأثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله (واجعل لي لسان صدق) والاضافة فيه كقوله قدم صدق وقال ابن عباس وقد أعطاه الله ذلك لقوله وتركنا عليه في الآخرين ولهذا اتفق أهل الاديان قاطبة على حبه وادعاء متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا لذاته من حيث هو كافر وانما المقصود أن يكون ممدوح كل انسان ومحمودا بكل لسان وفائدة الثناء على الشخص بعد وفاته هو انصراف الهمم الى ما به يحصل له عند الله زلفى وقد يصير ذلك المدح داعيا للمادح أو لمن يسمعه الى اكتساب مثل تلك الفضائل وقيل سأل ربه أن يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سأل ما هو غاية كل سعادة فقال (واجعلني من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى هذه الوراثة في قوله وتلك الجنة التي أورثتموها وكذلك في سورة مريم تلك الجنة التي نورث من عبادنا ثم طلب السعادة الحقيقية لا شك

هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يقول تعالى ذكره قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة هذه ناقة يا قوم لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم مالكم من الشرب ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيأ ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيأ ويعني بالشرب الحظ والنصيب من الماء يقول لها حظ من الماء ولكم مثله والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر وقد حكي عن العرب سماعا آخرها أقلها شربا وشربا وقوله ولا تمسوها بسوء يقول لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ولا تمسوها بسوء لا تعقروها وقوله فيأخذكم عذاب يوم عظيم يقول فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم فعقروا الناقة التي قال لهم صالح لا تمسوها بسوء فأصبحوا نادمين على عقرها فلم ينفعهم ندمهم وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم ان في ذلك لآية يقول ان في اهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله وان ربك يا محمد لهو العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم بمن آمن به من خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قوم لوط من أرسله الله اليهم من الرسل حين قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون الله أيها القوم اني لكم رسول من ربكم أمين على وحيه وتبليغ رسالته فاتقوا الله في أنفسكم أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله وأطيعون فيما دعوتكم اليه أهدكم سبيل الرشاد وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم الى ربي جزاء ولا ثوابا ان أجري الا على رب العالمين يقول ما جزائي على دعايتكم الى الله وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله اليكم الا على رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ يعني بقوله أتأتون الذكران من العالمين أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم يقول وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن فأحله لكم وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم قال تركتم أقبال النساء الى أدبار الرجال وأدبار النساء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله بل أنتم قوم عادون يقول بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم وأحله لكم من الفروج الى ما حرم عليكم منها كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

الناس التصاقا به وهو أبوه قائلا (واغفر لابى) وقد سبق فى آخر التوبة وفى مريم ما يتعلق به من المباحث * وههنا سؤال وهو أنه متى حصلت الجنة بدعائه امتنع حصول الخزى فكيف قال بعده (ولا تخزنى) وأيضا قال تعالى (٦٥) ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وما كان

حجاج عن ابن جريج بل أنتم قوم عادون قال قوم معتدون * القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين) يقول تعالى ذكره قال قوم لوط لئن لم تنته يا لوط عن نهينا عن اتيان الذكران لتكونن من المخرجين من بين أظهرنا وبلدنا قال انى لعملكم من القالين يقول لهم لوط انى لعملكم الذى تعملونه من اتيان الذكران فى أدبارهم من القالين يعنى من المبغضين المنكرين فعله * القول فى تأويل قوله تعالى (رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) يقول تعالى ذكره فاستغاث لوط حين توعده قومه بالاخراج من بلدهم ان هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة فقال رب نجنى وأهلى من عقوبتك اياهم على ما يعملون من اتيان الذكران فنجيناه وأهله من عقوبتنا التى عاقبنا بها قوم لوط أجمعين الا عجوزا فى الغابرين يعنى فى الباقين لطول مرور السنين عليها فصارت هرمة فانها أهلكت من بين أهل لوط لانها كانت تدل قومها على الاضياف وقد قيل انه انما قيل من الغابرين لانها لم تهلك مع قومها فى قريتهم وأنها انما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه فكانت من الغابرين بعد قومها ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادتها * القول فى تأويل قوله تعالى (ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) يقول تعالى ذكره ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير وأمطرنا عليهم مطرا وذلك ارسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء فساء مطر المنذرين يقول فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فى اهلاكنا قوم لوط الهلاك الذى وصفنا بتكذيبهم رسولنا العبرة وموعظة لقومك يا محمد يتعظون بها فى تكذيبهم اياك وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق وما كان أكثرهم مؤمنين فى سابق علم الله وان ربك لهو العزيز الرحيم بمن آمن به * القول فى تأويل قوله تعالى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون) يقول تعالى ذكره كذب أصحاب الأيكة والايكة الشجر الملتف وهى واحدة الايك وكل شجر ملتف فهو عند العرب ايكة ومنه قول نابغة بنى ذبيان

تجلو بقادمتى حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد

وأصحاب الايكة هم أهل مدين فيما ذكر * ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين يقول أصحاب الغيضة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين قال الايكة مجمع الشجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة قال أهل مدين والايكة الملتف من الشجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كذب أصحاب الأيكة المرسلين قال الايكة الشجر بعث الله شعيبا الى قومه من أهل مدين والى أهل البادية قال وهم أصحاب ليكة وليكة والايكة واحد وقوله اذ قال لهم شعيب ألا تتقون يقول تعالى ذكره قال لهم شعيب ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم انى لكم من الله رسول أمين على وحيه

نصيب الكافر كيف يستجير منه المعصوم أجاب عنه فى التفسير الكبير كما أن حسنات الابرار سيآت المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزى كل واحد ما يليق بحاله فكأنه سأل الشركة أولا ثم الخصوصية ثانيا وأقول يحتمل أن يكون هذا الدعاء من تتمة دعائه لابيه اى لا تخزنى ولا تفضحنى بسبب تعذيب أبى يوم يبعث الضالون أو العباد كلهم ومثل هذا الضمير مما يعلم عوده بالقرينة ويجوز أن يكون سأل الجنة بشرط التعظيم والاجلال ويجوز أن يكون أخر هذا الدعاء لما يعقبه من حديث يوم القيامة وأهوالها وأحوالها فأراد أن لا ينقطع نظم الكلام وفى قوله (الا من أتى الله بقلب سليم) اشارة الى ما وصفه الله به فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفى هذا الاستثناء وجوه منها أنه منقطع والمضاف محذوف أى الا حال من أتى الله بقلب سليم والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية كالجهل وسائر الأخلاق الذميمة ويندرج فى سلامة القلب سلامة سائر الجوارح لانه رئيسها ولا شك أن المال والبنين ليسا من جنس سلامة القلب فيكون الاستثناء منقطعا ومنها أنه متصل وذلك على وجهين أحدهما لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه

وثانيهما أن يجعل من باب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * والمضاف المحذوف الحال أو السلامة نظيره أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها

فاتقوا عقاب الله على خلافكم أمره وأطيعون ترشدوا ۞ القول في قوله تعالى ﴿وما أسئلكم عليه من أجران أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يقول وما أسألكم على نصحي لكم من جزاء وثواب ما جزائي وثوابي على ذلك الا على رب العالمين أوفوا الكيل يقول أوفوا الناس حقوقهم من الكيل ولا تكونوا من المخسرين يقول ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين﴾ يعني بقوله وزنوا بالقسطاس زنوا بالميزان المستقيم الذي لا بخس فيه على من وزنتم له ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن ولا تعثوا في الارض مفسدين يقول ولا تكثروا في الارض الفساد وقد بينا ذلك كله بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا أيها القوم عقاب ربكم الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين يعني بالجبلة الخلق الاولين وفي الجبلة للعرب لغتان كسر الجيم والباء وتشديد اللام وضم الجيم والباء وتشديد اللام فاذا نزعت الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا وربما سكنوا الباء من الجبل كما قال أبو ذؤيب

منايا يقربن الحتوف لاهلها * جهارا ويستمتعن بالأنس الجبل

* وبنحو ما قلنا في معنى الجبلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يقول خلق الاولين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والجبلة الاولين قال الخليقة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والجبلة الاولين قال الخلق الاولين الجبلة الخلق وقوله قالوا انما أنت من المسحرين يقول قالوا انما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب كما نعلل بهما نحن ولست ملكا وما أنت الا بشر مثلنا تأكل وتشرب وان نظنك لمن الكاذبين يقول وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا اليه الا ممن يكذب فيما يقول فان كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم فأسقط علينا كسفا من السماء يعني قطعا من السماء وهي جمع كسفة جمع كذلك كما تجمع تمرة تمرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله كسفا من السماء جانبا من السماء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأسقط علينا كسفا من السماء قال ناحية من السماء عذاب ذلك الكسف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ربي أعلم بما تعملون يقول بأعمالكم هو بها محيط لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيكم

أن يكون الموصول مفعولا لينفع والاستثناء مفرغ أي لا ينفع مال ولا بنون أحدا الا رجلا سلم قلبه مع ماله و بنيه حيث أنفقه في طاعة الله وما قصر في باب تأديبهم وارشادهم او سلم قلبه (٦٦) من فتنة المال والبنين فلم يكفر ولم يعص وقد يفسر السليم بالذائب من خشية الله تعالى وعين انجر الكلام الى ذكر يوم القيامة وصف الله تعالى أو ابراهيم أحواله وأهواله فقال (وأزلفت الجنة للمتقين) قال المفسرون الجنة تقرب من موقف السعداء ليكون لهم فرحا معجلا وتجعل النار بارزة مكشوفة للأشقياء ليزدادوا غما وحسرة ولمثل هذا اليوم وبخهم بقوله (أينما كنتم تعبدون) يعني الآلهة التي كنتم تعبدونها (من دون الله هل ينفعونكم) بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وذلك قوله (فكبكبوا فيها هم) أي الآلهة (والغاوون) الذين عبدوهم قال جار الله الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها أعاذنا الله منها والمراد بجنود ابليس شياطينهم أو متبعوه من عصاة الجن والانس (قالوا) يعني الغاوين وجنود ابليس (وهم) يعني والحال ان الاصنام وعبدتهم (فيها يختصمون) قال أكثر المفسرين يجوز ان ينطق الله الاصنام بحيث يصح منها التخاصم وقيل ان هذا التخاطب بين العصاة والشياطين اذ سووهم برب العالمين والمراد بالمجرمين على التفسيرين الرؤساء والكبراء وعن السدي الاولون الذين سنوا الشرك وعن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) خالص يهمه ما يهمنا وفيه نفي الشفعاء والصديق رأسا أو نفي للذين كانوا عدوهم شفعاء وأصدقاء من الاصنام والرؤساء أو نفي للانتفاع بهم قصدوا بها بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من الفائدة فكل عديم النفع حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء

لاجل الخشية عادة ولكن الصديق الصادق أعز من الكبريت الأحمر حتى زعم بعض الحكماء أنه اسم لا معنى له وجوز أن يكون الصديق في معنى الجمع والكرة الرجعة الى الدنيا ولو في معنى التمني وقوله (فنكون) جواب (٦٧) التمني أو عطف في المعنى على كرة أي ليت لنا كرة فان نكون وعلى هذا جاز أن تكون لو على أصل الشرط والجواب محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ثم بين أن فيما ذكره من قصة ابراهيم عليه السلام لآية لمن يريد أن يستدل بذلك وما كان أكثر قوم ابرهيم بمؤمنين * القصة الثالثة قصة نوح ولا ريب أن نبأه عظيم فقد كان يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك لم يزد قومه الا التكذيب والقوم مؤنث بدليل قوله كذبت وكان أمينا فيهم مشهورا كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش وكرر قوله فاتقوا الله وأطيعون تأكيدا وتقريرا في النفوس مع أنه علق كل واحد بسبب وهو الأمانة في الاول وقطع الطمع في الثاني نظيره قول الرجل لغيره ألا تتقي الله في عقوقي وقد ربيتك صغيرا ألا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيرا وقدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته لأن تقوى الله علة طاعته قوله (وما علمي) يريد أي شيء علمي ومعناه انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله عز وجل واطلاعه على باطنهم ومكنون ضمائرهم كأنهم طعنوا في ايمانهم أيضا فذكر أن حسابهم على الله وأنه لم يبعث الا للنذارة ويجوز أن يكون فسر لهم الرذالة بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد فبنى جوابه على ذلك وقال ماعلمي الا اعتبار الظاهر والله يتولى السرائر وفي قوله (لو تشعرون) اشارة الى أنهم لا يصدقون بالحساب والجزاء وفيها انكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (رب ان قومي كذبون) ليس اخبارا لانه علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكومة والفلك المشحون المملوء من كل زوجين اثنين مع نوح وأهله

بها بجزائكم فكذبوه يقول فكذب به قومه فأخذهم عذاب يوم الظلة يعني بالظلة سحابة ظللتهم فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا وأحرقتهم وبذلك جاءت الآثار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن زيد بن معاوية في قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة قال أصابهم حر أقلقهم في بيوتهم فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة فابتدروها فلما تتاموا تحتها أخذتهم الرجفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر في قوله عذاب يوم الظلة قال كانوا يحفرون الاسراب ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر وكانت الظلة سحابة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول بعث شعيب الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث الله عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبي صغيرة قال ثني يزيد الباهلي قال سألت عبد الله بن عباس عن هذه الآية فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال عبد الله بن عباس بعث الله عليهم ومدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا البيوت فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها أرسلها الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يوم الظلة قال اظلال العذاب اياهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عذاب يوم الظلة قال أظل العذاب قوم شعيب * قال ابن جريج لما أنزل الله عليهم أول العذاب أخذهم منه حر شديد فرفع الله لهم غمامة فخرج اليها طائفة منهم ليستظلوا بها فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة فصب الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا فذلك قوله عذاب يوم الظلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر بن راشد قال ثني رجل من أصحابنا عن بعض العلماء قال كانوا عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم في الرزق حتى اذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون أن يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن ابن عباس قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة فكذبه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة قوم شعيب حبس الله عنهم الظل والريح فأصابهم حر شديد ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها زعموا يستظلون فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم حدثني

﴿التأويل﴾ واتل عليهم نبأ ابراهيم القلب اذ قال لابيه وقومه وهو الروح وما يتولد منه نعبد اصناما أو هو ما تهوى الله فنظل لها عاكفين الا ان ادركتنا العناية فنتعرض عنها بل وجدنا (٦٨) آباءنا وهم الارواح والآباء العلوية كذلك يتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لي

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال بعث الله اليهم ظلة من سحاب وبعث الى الشمس فأحرقت ما على الارض فخرجوا كلهم الى تلك الظلة حتى اذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وقوله انه كان عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره ان عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة بتكذيبهم نبيهم شعيبا لآية لقومك يا محمد وعبرة لمن اعتبر ان اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم اياك سنتنا في أصحاب الأيكة وما كان أكثرهم مؤمنين في سابق علمنا فيهم وان ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من أعدائه الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب الى طاعته ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لتنزيل رب العالمين والهاء في قوله وانه كناية الذكر الذي في قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لتنزيل رب العالمين قال هذا القرآن * واختلفت القراء في قراءة قوله نزل به الروح الأمين فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نزل به مخففة الروح الأمين رفعا بمعنى أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد وهو جبريل وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة نزل مشددة الزاي الروح الأمين نصبا بمعنى أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الروح الأمين اذ نزل على محمد بالقرآن لم ينزل به الا بأمر الله اياه بالنزول ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو ايمان بالله وان الله اذا أنزله به نزل * وبنحو الذي قلنا في أن المعنى بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله نزل به الروح الأمين قال جبريل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قول الله نزل به الروح الأمين قال جبريل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الروح الامين جبريل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الروح الامين قال جبريل وقوله على قلبك يقول نزل به الروح الامين فتلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك وقوله لتكون من المنذرين يقول لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا اليه من قومهم فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله وقوله بلسان عربي مبين يقول لتنذر قومك بلسان عربي مبين يبين لمن سمعه أنه عربي وبلسان العرب نزل والباء من قوله بلسان من صلة قوله نزل وانما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع اعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك لئلا يقولوا انه نزل بغير لساننا فنحن انما نعرض عنه ولا نسمعه لانا لا نفهمه وانما هذا تقريع لهم وذلك أنه تعالى ذكره قال ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين

ان تعلقت فصرت محجوبا بهم عن الله خلقني فهو يهدين الى حضرته ويطعمني من طعام العبودية الذي يعيش القلوب ويسقيني من شراب طهور التجلي واذا مرضت بتعلقات الكونين فهو يشفين بالجذبة الالهيـة والذي يميتني عن أوصاف البشرية ثم يحيين بأوصاف الروحانيـة ويميتني عن أوصاف الروحانيـة ثم يحيين بالأوصاف الربانيـة ثم يميتني عن أنانيتي ثم يحيين بهويتـه والذي أطمع أن يستر ظلمة خطيئة وجودي بطلوع شمس نهار الدين رب هب لي من ربوبيتك حكما على بذل وجودي في هويتك وألحقني بالذين صلحوا لقبول الفيض الالهي بلا واسـطة واجعـل لي لسان صـدق في الآخرين من النفس وصـفاتها ليعرضوا عما سوى الله واغفر لابي الروح انه كان من الضالين حين رد من العالم العلوي الى السـفلي من قولهم ضـل المـاء في اللبن ولا تخـزني بتعلقات الكونين قال نوح القلب وما علمي بمـا كانوا يعملون يعني أراذل الجسـد والاعضـاء لانهم عملة عالم الشهادة وأنا من عملة عالم الغيب ان حسابهم الا على ربي فيما يعملون من الأعمـال الحيوانيـة لحاجة ضرورية يعفو عنها والشهوة حيوانية يؤاخذهم بها لو تشعرون الفرق بينهما قالوا أي النفس وصفاتها لئن لم تنتـه يا نوح القلب عما تدعونا اليـه على خـلاف ارادتنـا لتكونن من المرجومـين بأحجار الوسـاوس والهواجس في الفلك المشحون أي في فلك الشريعة المملوء بالاوامر والنواهي والحكم والمواعظ والاسرار والحقائق ثم أغرقنا بعد الباقين بطوفان استيلاء الاخلاق الذميمة وآفات الدنيا الدنية وباقي القصص اشارات الى رسول القلب المسلم من الله

وقومه النفس وصفاتها واليه المرجع والمآب لما قرّرناه ﴿كذبت عاد المرسلين • اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون • انى لكم رسول أمين •
فاتقوا الله وأطيعون • وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين • (٦٩) أتبنون بكل ريع آية تعبثون • وتتخذون مصانع

ثم قال لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه بل يفهمونها لانه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين بلسانهم العربى ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن كما أتى هذه الامم التى قصصنا نبأها فى هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانه لفى زبر الاولين • أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل • ولو نزلناه على بعض الاعجمين • فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين • كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين • لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لفى زبر الاولين يعنى فى كتب الأولين وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص وانما هو وان هذا القرآن لفى بعض زبر الاولين يعنى أن ذكره وخبره فى بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله وقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل يقول تعالى ذكره أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر من ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بنى اسرائيل وقيل عنى بعلماء بنى اسرائيل فى هذا الموضع عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل فى عصره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال كان عبد الله بن سلام من علماء بنى اسرائيل وكان من خيارهم فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم الله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وخيارهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله علماء بنى اسرائيل قال عبد الله ابن سلام وغيره من علمائهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أولم يكن لهم آية قال محمد أن يعلمه قال يعرفه علماء بنى اسرائيل * قال ابن جريج قال مجاهد علماء بنى اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال أولم يكن للنبى آية علامة أن علماء بنى اسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين يقول تعالى ذكره ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لا تنطق وانما قيل على بعض الاعجمين ولم يقل على بعض الاعجميين لان العرب تقول اذا نعتت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية هذا رجل أعجم وللمرأة هذه امرأة عجماء وللجماعة هؤلاء قوم عجم وأعجمون واذا أريد هذا المعنى وصف به العربى والاعجمى لانه انما يعنى أنه غير فصيح اللسان وقد يكون كذلك وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر

من وائل لاحىَّ يعدلهم * من سوقة عرب ولا عجم

فأما اذا أريد به نسبة الرجل الى أصله من العجم لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان فانه يقال هذا رجل عجمى وهذان رجلان عجميان وهؤلاء قوم عجم كما يقال عربى وعربيان وقوم عرب واذا قيل هذا رجل أعجمى فانما نسب الى نفسه كما يقال للاحمر هذا أحمرى ضخم وكما قال العجاج

* والدهر بالانسان دوّارى * ومعناه دوّار فنسبه الى فعل نفسه * ونحو الذى قلنا فى تأويل

لعلكم تخلدون • واذا بطشتم بطشتم
جبارين • فاتقوا الله وأطيعون • واتقوا
الذى أمدكم بما تعلمون • أمدكم
بأنعام وبنين • وجنات وعيون • انى
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم • قالوا
سواء علينا أوعظت أم لم تكن من
الواعظين • ان هذا الا خلق الأولين •
وما نحن بمعذبين • فكذبوه فأهلكناهم
ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم •
كذبت ثمود المرسلين • اذ قال لهم
أخوهم صالح ألا تتقون • انى لكم
رسول أمين • فاتقوا الله وأطيعون •
وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى
الا على رب العالمين • أتتركون فيما
ههنا آمنين • فى جنات وعيون •
وزروع ونخل طلعها هضيم •
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين •
فاتقوا الله وأطيعون • ولا تطيعوا أمر
المسرفين • الذين يفسدون فى الأرض
ولا يصلحون • قالوا انما أنت من
المسحرين • ما أنت الا بشر مثلنا فأت
بآية ان كنت من الصادقين • قال
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم • ولا تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب يوم عظيم • فعقروها
فأصبحوا نادمين • فأخذهم
العذاب ان فى ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو
العزيز الرحيم • كذبت قوم لوط
المرسلين • اذ قال لهم أخوهم لوط
ألا تتقون • انى لكم رسول أمين •
فاتقوا الله وأطيعون • وما أسئلكم
عليه من أجر ان أجرى الا على رب
العالمين • أتأتون الذكران من

العالمين • وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون • قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين • قال انى لعملكم من القالين •
رب نجنى وأهلى مما يعملون • فنجيناه وأهله أجمعين • الا عجوزا فى الغابرين • ثم دمرنا الآخرين • وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين • ان فى ذلك

لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) ۞ القراآت أوعظت مدغما عباس ونصير خلق الاولين بفتح الخاء وسكون
اللام ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب (٧٠) ويزيد وعلي كذبت ثمود مثل بعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم
وحمزة وعلي وخلف ۞ الوقوف
المرسلين ه تتقون ه أمين
ه وأطيعون ه أجره العالمين
ه تعبثون هلا تخلدون ه ج
جبارين ه وأطيعون ه ج
تعلمون ه ج وبنين هلا وعيون
ه ج عظيم ه ط الواعظين هلا
للاحتراز عن الابتداء بقولهم
الأولين ه لا لذلك بمعذبين ه ج
فأهلكناهم ط لآية ط مؤمنين ه
الرحيم ه المرسلين ه ط تتقون
ه أمين هلا وأطيعون ه أجر
ه العالمين ه آمنين هلا لتعلق
الظرف وعيون هلا هضيم ه
فارهين ه ج للآية مع العطف
وأطيعون ه ج لذلك المسرفين
هلا لأن الذين صفتهم ولا يصلحون
ه المسحرين ه ج لانقطاع
النظم مع اتحاد المقول مثلنا ز من
الصادقين ه معلوم ه ج عظيم ه
نادمين هلا العذاب ط لآية ط
مؤمنين ه الرحيم ه المرسلين
هلا ألا تتقون ه ج أمين
هلا وأطيعون ه ج أجر ج
العالمين ه ط من العالمين هلا
للعطف من أزواجكم ه عادون
ط المخرجين ه القالين ه
يعملون ه أجمعين ه الغابرين
ه الآخرين ه ج مطر المنذرين
ه لآية ط مؤمنين ه الرحيم ه
۞ التفسير القصة الرابعة قصة
هود ولنذكر من تفسيرها ما هو غير
مكرر الريع بالكسر وقرئ بالفتح
المكان المرتفع ومنه الغلة لارتفاعها
والآية العلم وفي هذا البناء وجوه
فعن ابن عباس أنهم كانوا يبنون

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت واقفا الى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة فتلا هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين قال لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به لقالوا لولا فصلت آياته حتى يفقهه عربي وعجمي لو فعلنا ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة فقرأ هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم قال فقال جملي هذا أعجم فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين وروي عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال لو أنزله الله أعجميا كانوا أخسر الناس به لانهم لا يعرفون بالعجمية وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له لانه وجه الكلام الى أن معناه ولو أنزلناه أعجميا وانما التنزيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين يعني ولو نزلنا هذا القرآن العربي على بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح ولم يقل ولو نزلناه أعجميا فيكون تأويل الكلام ما قاله وقوله فقرأه عليهم يقول فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الاعجم ما كانوا به مؤمنين يقول لم يكونوا ليؤمنوا به لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه لئلا يشتد وجده بادبارهم عنه واعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه والدخول فيما دعاهم اليه حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم فقال له لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ثم قال مؤيسه من ايمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته كما هلك بعض الامم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة ولو نزلناه على بعض الاعجمين يا محمد لا عليك فانك رجل منهم ويقولون لك ما أنت الا بشر مثلنا وهلا نزل به ملك فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق وأنه تنزيل من عندي ما كانوا به مصدقين فخفض من حرصك على ايمانهم به ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من ايمانهم من الشقاء والبلاء فقال كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم كذلك نسلكه التكذيب والكفر في قلوب المجرمين ويعني بقوله سلكناه أدخلنا والهاء في قوله سلكناه كناية من ذكر قوله ما كانوا به مؤمنين كأنه قال كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الايمان بهذا القرآن وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله كذلك سلكناه قال الكفر في قلوب المجرمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم (١) حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد ابن أبي الزرقاء عن سفيان عن حميد عن الحسن في هذه الآية كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال خلقناه * قال ثنا زيد عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن في بيت أبي خليفة عن قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال الشرك سلكه في قلوبهم وقوله لا يؤمنون به

(١) لعل تفسير ابن زيد سقط من قلم الناسخ ان لم يكن مثل ما قبله فاقتصر عليه المؤلف اختصارا وحرر

بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف به حتى
فخرهم وغناهم فنهوا عنه ونسبوا الى العبث وقيل كانوا يقتنون الحمام قاله مجاهد والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون

حتى يروا العذاب الاليم يقول فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن حتى يروا العذاب الاليم في عاجل الدنيا كما رأت ذلك الامم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة ورفع قوله لا يؤمنون لان العرب من شأنها اذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع لا ربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا تنفلت وأحكمت العقد لا ينحل جزما ورفعا وانما تفعل ذلك لان تأويل ذلك ان لم أحكم العقد انحل فجزمه على التأويل ورفعه بأن الجازم غير ظاهر ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر *

لو كنت اذ جئتنا حاولت رؤيتنا * أو جئتنا ماشيا لا تعرف الفرس

(وقول الآخر)

لطالما حلأتماها لا ترد * فخلياها والسجال تبترد

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون﴾ يقول تعالى ذكره فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن العذاب الاليم بغتة يعني فجأة وهم لا يشعرون يقول لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة فيقولوا حين يأتيهم بغتة هل نحن منظرون أي هل نحن مؤخرعنا العذاب ومنسأ في آجالنا لنتوب وننيب الى الله من شركنا وكفرنا بالله فنراجع الايمان به وننيب الى طاعته وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول تعالى ذكره أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ يقول تعالى ذكره ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا وتكذيبهم رسولنا ما أغنى عنهم يقول أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم والمتاع الذي متعناهم به من الحياة اذ لم يتوبوا من شركهم هل زادهم تمتيعنا اياهم ذلك الا خبالا وهل نفعهم شيئا بل ضرهم بازديادهم من الآثام واكتسابهم من الاجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفرأيت ان متعناهم سنين الى قوله ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون قال هؤلاء أهل الكفر القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون﴾ يقول تعالى ذكره وما أهلكنا من قرية من هذه القرى التي وصفت في هذه السورة الا لها منذرون يقول الا بعد ارسالنا اليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم ذكرى يقول الا لها منذرون ينذرونهم تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا ففي الذكرى وجهان من الاعراب أحدهما النصب على المصدر من الانذار على ما بينت والآخر الرفع على الابتداء (١) كأنه قيل ذكرى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى قال الرسل قال ابن جريج وقوله ذكرى قال الرسل وقوله وما كنا ظالمين يقول وما كنا ظالميهم في تعذيبناهم واهلاكهم لأنا انما أهلكناهم اذ عتوا علينا وكفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد

(١) كذا في الاصل ولعله كأنه قيل هم ذكرى تأمل وحرر

ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو ظلما وعلوا فوصفوا بكونهم اذ ذاك جبارين وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن أراد أنهم يبادرون العذاب من غير تفكر في العواقب والحاصل أن اتخاذ الأبنية الرفيعة يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والبطش الشديد يدل على حب التفرد بالعلو فكأنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل هذه لمن له الصفات الالهية لا العبدية ثم بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها بقوله (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) ايقاظا لهم عن سنة الغفلة مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله (أمدكم بأنعام) عليها تدور معايشكم (وبنين) بهم يتم أمر حفظها والقيام بها (وجنات) يحصل بها التفكه والتنزه (وعيون) بمائها يكمل النماء ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها على أنه كما قدر أن يتفضل عليهم بهذه النعم الجسام فهو قادر على العذاب فيكون فيه مزيد حث على التقوى وكمال تنفر عن العصيان ثم شرع في حكاية جواب القوم وأنهم قالوا ان وعظه وعدم وعظه بالنسبة اليهم سيان وانما لم يقل أوعظت أم لم تعظ مع كونه أخصر لانه المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أو لم تكن من مباشريه وذويه رأسا وهذا أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قرأ (خلق الاولين) بفتح الخاء فمعناه ان هذا الا اختلاق الاولين وأكاذيبهم أو ما هذا الا خلق الاقدمين نحيا ونموت ولا بعث ولا جزاء والقراءة الاخرى معناها لسنا نحن الا على دين الاولين من آبائنا أوليس ما نحن عليه من الحياة والموت الا عادة جارية لا خرق لها أو ما هذا الذي جئت به من تلفيق الا كاذيب الا عادة مستمرة من المتنبئين ثم أكدوا انكارهم المعاد بقولهم (وما نحن بمعذبين) فاظهروا بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فأخبر الله تعالى عن اهلاكهم وقد سبقت كيفية ذلك مرارا * القصة الخامسة قصة صالح قال جار الله الهمزة

في (أتتركون) يجوز أن تكون للانكار أي لا تتركون مخلدين في الأمن والراحة ولكل نعمة زوال ويجوز أن تكون للتقرير أي قد تركتم في أسباب الامن والفراغ أجمل أولا بقوله (٧٢) (فيما ههنا) أي في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (في جنات وعيون)

الاعذار اليهم والانذار ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي لهم أن يفعلوه فأبوا الا التمادي في الغي * وقوله وما تنزلت به الشياطين يقول تعالى ذكره وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ولكنه ينزل به الروح الامين وما ينبغي لهم يقول وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه ولا يصلح لهم ذلك وما يستطيعون يقول وما يستطيعون أن يتنزلوا به لانهم لا يصلون الى استماعه في المكان الذي هو به من السماء انهم عن السمع لمعزولون يقول ان الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما تنزلت به الشياطين قال هذا القرآن وفي قوله انهم عن السمع لمعزولون قال عن سمع السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة بنحوه الا أنه قال عن سمع القرآن والقراء مجمعة على قراءة وما تنزلت به الشياطين بالتاء ورفع النون لانها نون أصلية واحدهم شيطان كما واحد البساتين بستان وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك وما تنزلت به الشياطون بالواو وذلك لحن وينبغي أن يكون ذلك ان كان صحيحا عنه أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين وذلك بعيد من هذا ﴿القول في تأويل قوله تعالى (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تدع يا محمد مع الله الها آخر أي لا تعبد معه معبودا غيره فتكون من المعذبين فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا وقوله وأنذر عشيرتك الاقربين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك من قومك الاقربين اليك قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم وذكر أن هذه الآية لما نزلت بدأ ببني جده عبد المطلب وولده فحذرهم وأنذرهم ذكر الرواية بذلك حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا محمد بن عبد الرحمن قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا بني عبد المطلب اني لا أملك لكم من الله شيأ سلوني من مالي ما شئتم حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي ويونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد ويا صفية ابنة عبد المطلب ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا سلامة قال قال عقيل ثني الزهري قال قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيأ يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيأ حدثني محمد بن عبد الملك قال ثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول

وذكر النخل بعد ذكر الجنات اما تخصيص للجنات بغير النخل واما تخصيص للنخل بالذكر تنبيها على فضله ومزيته وطلع النخلة ما يبدو منها كنصل السيف وقد مر في الانعام والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم أراد أنه وهب لهم أجود النخل وألطفه كالبرني مثلا وقيل وصف نخيلهم بالحمل الكثير فانه اذا كثر الحمل هضم أي لطف وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة وفارهين حال من الناحتين قال علماء المعاني جعل الأمر مطاعا مجاز حكمي وانما المطاع بالحقيقة هو الآمر وفي قوله (ولا يصلحون) اشارة الى ان افسادهم في الارض غير مقترن بالاصلاح رأسا والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة أرادوا أنه بشر ذو سحر وهو ضعيف لانه يلزم التكرار بقوله (ما أنت الا بشر مثلنا) الا أن يقال انه بيان والشرب النصيب من الماء كالسقي للحظ من السقي وقرئ بالضم عن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء * سؤال لم أخذهم العذاب وقد ندموا والندم توبة جوابه كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل أو ندموا ندم توبة في غير أوانها وذلك عند عيان العذاب وقيل ندموا على ترك عقر ولدها وفيه بعد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم

* القصة السادسة قصة لوط أنكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس لا الاناث على كثرتهن أو أنكر عليهم كونهم مختصين من العالمين بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى المأتي وعلى الثاني الى الآتي والعالمون على هذا كل

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين قال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ثم ذكر نحو حديث يونس عن سلامة غير أنه زاد فيه ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ ولم يذكر في حديثه فاطمة حدثني يونس قال ثنا سلامة ابن روح قال قال عقيل ثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع قريشا ثم أتاهم فقال لهم هل فيكم غريب فقالوا لا الا ابن أخت لنا لا نراه الا منا قال انه منكم فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهم في آخر كلامه لا أعرفن ماورد على الناس يوم القيامة يسوقون الآخرة وجئتم الى تسوقون الدنيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيأ يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ يافاطمة بنت محمد سليني ماشئت لا أغني عنك من الله شيأ حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت الحجاج يحدث عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ألا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله يامعشر بني كعب بن لؤي يامعشر بني عبد مناف يامعشر بني هاشم يامعشر بني عبد المطلب يقول لكلهم أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فاني والله ما أملك لكم من الله شيأ الا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا أبو عثمان عن زهير بن عمرو وقبيصة بن مخارق أنهما قالا أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين لحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه علا صخرة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم قال يا آل عبد منافاه ياصباحاه اني نذير ان مثلي ومثلكم مثل رجل أتى الجيش فخشيهم على أهله فذهب يربؤهم فخشي أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف بهم ياصباحاه أو كما قال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر عن عوف عن قسامة بن زهير قال بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين جاء فوضع اصبعه في أذنه ورفع من صوته وقال يابني عبد مناف واصباحاه * قال ثني أبو عاصم قال ثنا عوف عن قسامة بن زهير قال أظنه عن الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني عبد الله بن أبي زياد قال ثنا أبو زيد الأنصاري سعد بن أوس عن عوف قال قال قسامة بن زهير حدثني الاشعري قال لما نزلت ثم ذكر نحوه الا أنه قال وضع اصبعيه في أذنيه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماينكح من الحيوان ولاشيء من الحيوان يرتكب هذه الفعلة الا الانسان قوله (من أزواجكم) اما بيان لما خلق واما للتبعيض فيراد بما خلق العضو المباح منهن فلعلهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم والعادي المتجاوز (٧٣) الحد في ظلم أي (بل أنتم قوم عادون) في جميع المعاصي وهذه واحدة منها أو بل أنتم قوم أحقاء بأن تنسبوا الى العدوان حيث فعلتم هذه الجريمة العظيمة (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن نهينا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالف أراد أنه كامل في قلاهم عصبية للدين أو أنه معدود في زمرة مبغضيهم كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم أو سأل العصمة عن مثل عملهم ولقد عصمهم الله (الا عجوزا) رضيت بفعلهم وأعانت على ذلك وكانت من أهله بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان ومعنى (في الغابرين) الا عجوزا مقدرا غبورها أي بقاؤها في الهلاك واللام في المنذرين للجنس لتصلح فاعلية فعل الذم والمخصوص محذوف أي ساء مطر جنس المنذرين مطر أولئك المعهودين والله أعلم (كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه
عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب (٧٤) المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون

فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ۞ القراآت ليكة بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة وبفتح التاء على أنها ممتنعة من الصرف للعلمية والتأنيث وكذلك في صاد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون الأيكة معرفا مجرورا كسفا بفتح السين حفص غير الخراز الآخرون بسكونها ربي أعلم بفتح الياء نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ونزل به مخففا الروح الأمين مرفوعين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل حتى مشددا الروح الامين منصوبين أولم تكن بتاء التأنيث آية بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية آية بالنصب فتوكل بالفاء أبو جعفر

على الصفا ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه فبين رجل يجيء وبين آخر يبعث رسوله فقال يا بني هاشم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني يا بني أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لكم سائر اليوم ما دعوتموني الا لهذا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا له مالك فقال أرأيتكم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ألا كنتم تصدقونني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا أو جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وقد تب كذا قرأ الاعمش الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية بن هشام عن سفيان عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الصفا فقال يا صباحاه * قال ثنا خالد ابن عمرو قال ثنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال يا صباحاه فجعل يعددهم يا بني فلان ويا بني فلان ويا بني عبد مناف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عمرو بن مرة الجملي قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال أتى جبلا فجعل يهتف يا صباحاه فأتاه من خف من الناس وأرسل اليه المتثاقلون من الناس رسلا فجعلوا يجيئون يتبعون الصوت فلما انتهوا اليه قال ان منكم من جاء لينظر ومنكم من أرسل لينظر من الهاتف فلما اجتمعوا وكثروا قال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا مصبحتكم من هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا فقرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن وأنذرهم كما أمر فجعل ينادي يا قريش يا بني هاشم حتى قال يا بني عبد المطلب اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمرو أنه كان يقرأ وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك المخلصين * قال ثنا سلمة قال ثني محمد ابن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين قال فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى ما أناديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت حتى جاء جبرائيل فقال يا محمد انك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب

ونافع وابن عامر الباقون بالواو من تنزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزى وابن فليح يتبعهم بالتخفيف نافع وادي باليلمق الوقف

يعقوب والسرنديي عن قنبل وقرأ قتيبة بالامالة ﴿الوقوف﴾ المرسلين ج ٥ تتقون ٥ أمين ٥ لا و طيعون ٥ ج أجر ج

حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشئ حاجة وما أرى الا مواضع أيديهم وآيم الله الذى نفس على بيده ان كان الرجل الواحد ليأكل ماقدمت لجميعهم ثم قال اسق الناس فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا وآيم الله ان كان الوجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب الى الكلام فقال لهذ ما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا على ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعدلنا من الطعام مثل الذى صنعت ثم اجمعهم لى قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس فأكلوا حتى مالهم بشئ حاجة قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى عبد المطلب انى والله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى وكذا وكذا قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وانى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبى الله أكون وزيرك فأخذ برقبتى ثم قال ان هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبى الحسن قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ثم قال يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى قصى قال ثم فخذ قريشا قبيلة قبيلة حتى مر على آخرهم انى أدعوكم الى الله وأنذركم عذابه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنذر عشيرتك الاقربين قال أمر محمد أن ينذر قومه ويبدأ بأهل بيته وفصيلته قال وكذب به قومك وهو الحق **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قال النبى صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب اتقوا النار ولو بشق تمرة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنذر عشيرتك الاقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين جمع النبى صلى الله عليه وسلم بنى هاشم فقال يا بنى هاشم ألا لا ألفينكم تأتونى تحملون الدنيا ويأتى الناس يحملون الآخرة ألا ان أوليائى منكم المتقون فاتقوا النار ولو بشق تمرة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته قال وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله واخفض جناحك يقول وألن جانبك وكلامك لمن اتبعك من المؤمنين كما **حدثنى**

العالمين ٥ ط المخسرين ج ٥ المستقيم ج ٥ مفسدين ج ٥ الاولين ٥ ط المسحرين ٥ لا الكاذبين ٥ ج ﴿نصف آى القرآن﴾ الصادقين ٥ ط تعملون ٥ الظلة ط عظيم ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ العالمين ٥ الأمين ٥ لا المنذرين ٥ لا مبين ٥ الاولين ٥ اسرائيل ط ٥ الأعجمين ٥ لا مؤمنين ٥ ط المجرمين ٥ ط بناء على أن لايؤمنون مستأنف للبيان ولو جعل حالا فلا وقف الأليم ٥ لا لايشعرون ٥ لا منظرون ٥ ط يستعجلون ٥ سنين ٥ لا للعطف يوعدون ٥ لا لان قوله ما أغنى جملة نفى أو استفهام قامت مقام الشرط يمتعون ٥ ط منذرون ٥ وقد يوقف عليها بناء على أن ذكرى ليس بمفعول له والمراد ذكرناهم والوقف على ذكرى جائز ظالمين ٥ الشياطين ٥ يستطيعون ٥ ط لمعزولون ٥ ط المعذبين ج ٥ الأقربين ج ٥ للعطف المؤمنين ٥ تعملون ٥ ج الرحيم ٥ لا تقوم ٥ لا الساجدين ٥ العليم ٥ الشياطين ٥ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار أثيم ج ٥ بناء على أن يلقون حال من ضمير الشياطين أى تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك وان جعل مستأنفا كأن قائلا قال لم تنزل فقيل يفعلون كيت وكيت فلك الوقف كاذبون ٥ ط الغاوون ٥ ط يهيمون ٥ لا لايفعلون ٥ ظلموا ط ينقلبون ٥ ﴿التفسير﴾ القصة السابعة قصة شعيب وانه كان أخا مدين دون أصحاب الايكة ولهذا لم يقل أخوهم شعيب يروى أن أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو التى حملها المقل قال فى الكشاف قرئ أصحاب ليكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ

بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف في هذه السورة وفي سورة ص ثم اعترض عليه بان ليكة اسم لا يعرف
قلت انه لا يلزم من عدم العلم بالشيء عدم ذلك الشيء (٧٦) والظن بالمتواتر يجب أن يكون أحسن من ذلك أمرهم شعيب بايفاء الكيل
ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وأن يجعل الشخص خاسرا فكأنه أمره بالايفاء مرتين توكيدا ثم زاد في البيان بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وقد مر في سورة سبحان قال في الكشاف ان كان من القسط وهو العدل وجعلت السين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي قلت ان كان مكررا فوزنه فعلال أيضا وقوله (ولا تبخسوا) تأكيد آخر وقد سبق في هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذي تفضل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين قال في الكشاف الفرق بين ادخال الواو ههنا في قوله (وما أنت الا بشر) وبين تركها في قصة ثمود هو أنه قصد ههنا معنيان منافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهنالك جعل المعنى الثاني مقررا للاول قلت الفرق بين والاشكال في تخصيص كل من القصتين بما خصت به ولعل السبب فيه هو أن صالحا قلل في الخطاب فقللوا في الجواب وأكثر شعيب في الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء فأكثروا في الجواب وان في قولهم (وان نظنك) هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شأن مقدر واللام في قوله (لمن الكاذبين) هي الفارقة والكسف بالسكون والحركة جمع كسفة وهي القطعة وقد مر في سبحان في اقتراحات قريش والمعنى ان كنت صادقا في دعوة النبوة فادع الله أن يسقط
علينا قطع السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فأرادوا بذلك اظهار كذبه فلم عنهم شعيب ولم يدع
عليهم بل فوض الامر الى الله بقوله ربي أعلم بما تعملون يروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال يقول لن لهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره فان عصتك يا محمد عشيرتك الاقربون الذين أمرتك بانذارهم وأبوا الا الاقامة على عبادة الاوثان والاشراك بالرحمن فقل لهم اني بريء مما تعملون من عبادة الاصنام ومعصية باريء الأنام وتوكل على العزيز في نقمته من أعدائه الرحيم بمن أناب اليه وتاب من معاصيه الذي يراك حين تقوم يقول الذي يراك حين تقوم الى صلاتك وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذي يراك حين تقوم قال أينما كنت وتقلبك في الساجدين اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم ثم تركع وحين تسجد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتقلبك في الساجدين يقول قيامك وركوعك وسجودك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت أبي وعلي بن بذيمة يحدثان عن عكرمة في قوله يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال عكرمة في قوله وتقلبك في الساجدين قال قائما وساجدا وراكعا وجالسا * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تقلبك في المصلين وابصارك منهم من هو خلفك كما تبصر من هو بين يديك منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وتقلبك في الساجدين كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتقلبك في الساجدين قال المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وتقلبك في الساجدين قال المصلين قال كان يرى في الصلاة من خلفه * وقال آخرون بل معنى ذلك وتقلبك مع الساجدين أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال وتقلبك في الساجدين قال يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتقلبك في الساجدين قال في المصلين حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتقلبك في الساجدين قال في الساجدين المصلين * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تصرفك في الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال سألت الحسن عن قوله وتقلبك في الساجدين قال في الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك وتصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله والساجدون في قول قائل هذا القول الأنبياء ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله الذي يراك الآية قال كما كانت الانبياء من قبلك * قال أبو جعفر وأولى
الاقوال

بصيحة جبرائيل وأهلكت أصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة وذلك أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى الصحراء فأظلتهم سحابة وجدوا (٧٧) لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وحين سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصص المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد إلى مخاطبته قائلا (وإنه) أي وإن الذي نزل عليك من الأخبار (لتنزيل رب العالمين) أي منزله والباء في نزل به على القراءتين للتعدية ولكنها في قراءة التشديد تقتضي مفعولا آخر هو الروح أي جعل الله تعالى الروح الأمين نازلا به على قلبك محفوظا مفهوما (لتكون من المنذرين) من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون قوله بلسان متعلقا بنزل أي نزله (بلسان عربي) لتنذر به فإنه لو نزله بالأعجمي لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ومن هذا الوجه ينشأ فائدة أخرى لقوله على قلبك أي نزلناه بحيث تفهمه ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك والظاهر من نقل أئمة اللغة أن القلب والفؤاد مترادفان ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن بعضهم أن القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد وذكر كلاما طويلا في أن محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب في الحقيقة فلهذا قال نزله على قلبك ونحن قد تركنا نقله لقلة تعلقه بالمقام ولضعف دلائله مع مخالفته لما عليه معظم أرباب المعقول قوله (وإنه لفي زبر الأولين) يعني أن ذكر القرآن مثبت في الكتب السماوية للأمم المتقدمة وإن معاني القرآن في تلك الزبر وقد يحتج به لأبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة وقيل الضمير فيه وفي أن يعلمه للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه حجة ثابتة على نبوته قد شهد بها علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره من الذين أسلموا منهم واعترفوا أن نعته وصفته في كتبهم مذكور وكان

الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد لأن ذلك هو الظاهر من معناه فأما قول من وجهه إلى أن معناه وتقلبك في الناس فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة وإن كان له وجه لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله فإنه ليس المفهوم من قول القائل فلان مع الساجدين أو في الساجدين أنه مع الناس أو فيهم بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود السجود المعروف وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر وكذلك أيضا في قول من قال معناه تتقلب في أبصار الساجدين وإن كان له وجه فليس ذلك الظاهر من معانيه فتأويل الكلام إذا وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ويرى تقلبك في المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس وقوله إنه هو السميع العليم يقول تعالى ذكره إن ربك هو السميع تلاوتك يا محمد وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك يقول فرتل فيها القرآن وأقم حدودها فإنك بمرأى من ربك ومسمع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) يقول تعالى ذكره هل أنبئكم أيها الناس على من تنزل الشياطين من الناس تنزل على كل أفاك يعني كذاب بهات أثيم يعني آثم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل أفاك أثيم قال كل كذاب من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنزل على كل أفاك أثيم قال كذاب من الناس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كل أفاك أثيم قال هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن سعيد بن وهب قال كنت عند عبد الله بن الزبير فقيل له إن المختار يزعم أنه يوحى إليه فقال صدق ثم تلا هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم وقوله يلقون السمع يقول تعالى ذكره يلقي الشياطين السمع وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء إلى كل أفاك أثيم من أوليائهم من بني آدم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يلقون السمع قال الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك كذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يلقون السمع الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك قال يلقون السمع قال القول وقوله وأكثرهم كاذبون يقول وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله وأكثرهم كاذبون عن عروة عن عائشة قالت الشياطين تسترق السمع فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه قال ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم

مشركو قريش يذهبون الى اليهود يتعرفون منهم هذا الخبر من قرأ يكن بالتذكير وآية بالنصب على الخبر والاسم أن يعلمه فظاهر ومن
قرأ تكن بالتأنيث وآية بالرفع على الاسم والخبر أن يعلمه فقيل ليست بقوية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويمكن أن

يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ يقول تعالى ذكره والشعراء يتبعهم أهل الغى لا أهل الرشاد والهدى * واختلف أهل التأويل فى الذين وصفوا بالغى فى هذا الموضع فقال بعضهم رواة الشعر ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق بن منصور قال ثنا قيس عن يعلى عن عكرمة عن ابن عباس وحدثنى أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال الرواة * وقال آخرون هم الشياطين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الشياطين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يتبعهم الغاوون قال يتبعهم الشياطين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عكرمة فى قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال عصاة الجن * وقال آخرون هم السفهاء وقالوا نزل ذلك فى رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وانهما تهاجيا وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين تهاجيا مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء * وقال آخرون هم ضلال الجن والانس ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله والشعراء يتبعهم الغاوون قال الغاوون المشركون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه ان شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن وذلك أن الله عم بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض فذلك على جميع أصناف الغواة التى دخلت فى عموم الآية وقوله ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أنهم يعنى الشعراء فى كل واد يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد بل جائرا عن الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل وانما هذا مثل ضربه الله لهم فى افتنانهم فى الوجوه التى يفتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألم تر أنهم

يجاب بأن الفعل المضارع مع أن ليس من المعارف الصريحة وقد توجه هذه القراءة بتقدير ضمير القصة فى تكن وجملة آية أن يعلمه لهم لغوا أولهم آية وأن يعلمه بدل من آية قال جار الله انما كتب علموء بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو ولذلك كتبت الصلوة والزكوة بالواو ثم أكد بقوله (ولو نزلناه) ماص من آية لو نزله بالأعجمى فقرأه عليهم بعض الأعجمين لم يؤمنوا به لأنهم لم يكونوا يفهمونه وقال جار الله معناه ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذى لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك) أى مثل هذا السلك (سلكناه) فى قلوبهم وقررناه فيها فعلى أى وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى تغييرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثل هذه الآية فى أول الحجر والحاصل أنهم لا يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان اليأس احدى الراحتين قال فى الكشاف ليس الفاء فى قوله (فيأتيهم بغتة فيقولوا) لأجل ترادف العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة وانما المعنى ترتيبها فى الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ونظيره قولك ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله لا تريد الترتب فى الوجود ولكن فى الشدة قلت هذا فى معنى صحيح ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعذيب فى الوجود يظهر بالتأمل ان شاء الله العزيز ثم نكرهم بقوله (أفبعذابنا يستعجلون) وفيه

في كل واد يهيمون يقول في كل لغو يخوضون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في كل واد يهيمون قال في كل فن يفتنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أنهم في كل واد قال فن يهيمون قال يقولون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله في كل واد يهيمون قال يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل وقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول وأن أكثر قيلهم باطل وكذب كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول أكثر قولهم يكذبون وعنى بذلك شعراء المشركين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد قال رجل لأبي يا أبا أسامة أرأيت قول الله جل ثناؤه والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال له أبي إنما هذا لشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين ألا ترى أنه يقول إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخره فقال فرجت عني يا أبا أسامة فرج الله عنك وقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا استثناء من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلي بن مجاهد وإبراهيم بن المختار عن ابن إسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون قال جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخر السورة في حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك * قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة وطاوس قالا قال والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فنسخ من ذلك واستثنى فقال إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم استثنى المؤمنين منهم يعني الشعراء فقال إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فذكر مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا قال هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن إسحق عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن أبي حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وقوله وذكروا الله كثيرا اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء

انكار وتهكم أي كيف يستعجل العذاب من لا طاقة له به حتى إستمهل بعد أن كان من العمر في مهله وجوز في الكشاف أن يكون يستعجلون حكاية حال ماضية يوبخون بها عند استنظارهم أو يكون متصلا بما بعده وذلك (٧٩) أنهم اعتقدوا العذاب غير كائن فلذلك استعجلوه وظنوا أنهم يمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فأنكر الله عليهم استعجالهم الصادر عن الأشر والبطر والاستهزاء والاتكال على طول الأمل ثم قال هب أن الامر كما ظنوه من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد أو الأجل أو القيامة هل ينفعهم ذلك عن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فتلا عليه هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فأبلغت. ثم بين أنه ما أهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم وعلى هذا يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا لأنذر بمعنى التذكرة فان أنذر وذكر متقاربان أو حالا من الضمير في منذرون أو مفعولا له متعلقا به أي ينذرونهم ذوي تذكرة أو لأجل الموعظة والتذكير أو التقدير هذه ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز أن يكون صفة لمنذرون على حذف المضاف أي ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لبلوغهم في التذكرة أقصى غاياتها والبحث عن وجود الواو وعدمه في مثل هذا التركيب قدمر في أول الحجر في قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم الا أنا نذكر ههنا سبب تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب أن الواو تفيد مزيد الربط والاجتماع في الحال وفي الوصف ان جوزنا فسواء قدرنا الجملتين أعني قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا أو وصفا فالمقام يقتضي ورود النسق على ما ورد وذلك أن قوله ولها كتاب صفة لازمة للقرية فان الكتب في اللوح وصف أزلي فناسب أن يكون في اللفظ ما يدل على اللزوم واللصوق وهو الواو ثم زيد في التأكيد بقوله

معلوم ويقوله ماتسبق وهذا بخلاف قوله لها منذرون فانها صفة حادثة فأطلقت وجود صدرا الجملة عن الواو لذلك والله أعلم ثم انه لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القرآن (٨٠) معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معاني كتب الأولين وكان الكفار يقولون انه من ألقاء الجن كما الكهنة أراد أن يزيل شبهتهم بقوله (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم) التنزل بالوحي (وما يستطيعون) ثم بين عدم اقتدارهم بقوله (انهم عن السمع) أي عن سماع كلام أهل السماء (لمعزولون) وذلك بواسطة رجم الشهب كما أخبر عنه الصادق والمعجزات يتساند بعضها ببعض ولو فرض أنهم غير مرجومين بالشهب فالعقل يدل على أن الاهتمام بشأن الصديق أقوى منه بشأن العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويأمر الناس بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم ذلك وحين أثبت حقية القرآن أمر نبيه بجوامع مكارم الأخلاق ومحاسن العادات قائلا (فلا تدع) والمراد أمته كما مر في نظائره من قوله ولئن اتبعت أهواءهم وغير ذلك (وأنذر عشيرتك الاقربين) فيه أن الاهتمام بشأن من هو أقرب الى المرء أولى وفيه أنه يجب أن لا يأخذه في باب التبليغ ما يأخذ القريب للقريب من المساهلة ولين الجانب يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية صعد الصفا فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا أملك لكم من الله شيأ سلوني من المال ماشئتم وروى أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة فأكلوا وشربوا حتى شبعوا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير

المستثنين من الشعراء فقال بعضهم هي حال منطقهم ومحاورتهم الناس قالوا معنى الكلام وذكروا الله كثيرا في كلامهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا في كلامهم * وقال آخرون بل ذلك في شعرهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وذكروا الله كثيرا قال ذكروا الله في شعرهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم وقوله وانتصروا من بعد ماظلموا يقول وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم اياهم واجابتهم عما هجوهم به * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وانتصروا من بعد ماظلموا قال يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانتصروا من المشركين من بعد ماظلموا وقيل عني بذلك كله الرهط الذين ذكرت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا علي بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى النبي صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن أبي حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحوه حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانتصروا من بعد ماظلموا قال عبد الله بن رواحة وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وانتصروا من بعد ماظلموا قال عبد الله بن رواحة وقوله وسيعلم الذين ظلموا يقول تعالى ذكره وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة أي منقلب ينقلبون يقول أي مرجع يرجعون اليه وأي معاد يعودون اليه بعد مماتهم فانهم يصيرون الى نار لا يطفأ سعيرها ولا يسكن لهبها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلي ابن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون يعني أهل مكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أي منقلب ينقلبون

(آخر تفسير سورة الشعراء)

لكم بين يدى عذاب شديد قوله (واخفض جناحك) قد مر تفسيره فى آخر الحجر وفى سبحان و زاد ههنا (لمن اتبعك) كيلا يذهب الوهم الى أن خفض الجناح وهو التواضع ولين الجانب مختص بالمؤمنين من عشيرته وانما (٨١) لم يقتصر على قوله لمن اتبعك لأن كثيرا منهم

﴿ تفسير سورة النمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى و بشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ✳ قال ابو جعفر وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم فى فواتح السور فقوله طس من ذلك وقد روى عن ابن عباس أن قوله طس قسم أقسمه الله هو من أسماء الله حدثنى على بن دواد قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فالواجب على هذا القول أن يكون معناه والسميع اللطيف ان هذه الآيات التى أنزلتها اليك يا محمد لآيات القرآن وآيات كتاب مبين يقول يبين لمن تدبره وفكر فيه بفهم أنه من عند الله أنزله اليك لم تخرصه أنت ولم تتقوله ولا أحد سواك من خلق الله لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثله ولو تظاهر عليه الجن والانس وخفض قوله وكتاب مبين عطفا به على القرآن وقوله هدى من صفة القرآن يقول هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام و بشرى للمؤمنين يقول و بشارة لمن آمن به وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم فى المعاد وفى قوله هدى و بشرى وجهان من العربية الرفع على الابتداء بمعنى هو هدى و بشرى والنصب على القطع من آيات القرآن فيكون معناه تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين ثم أسقطت الالف واللام من الهدى والبشرى فصارا نكرة وهما صفة للمعرفة فنصبا وقوله الذين يقيمون الصلاة يقول هو هدى و بشرى لمن آمن بها وأقام الصلاة المفروضة بحدودها وقوله و يؤتون الزكاة يقول و يؤدون الزكاة المفروضة وقيل معناه و يطهرون أجسادهم من دنس المعاصى وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وهم بالآخرة هم يوقنون يقول وهم مع اقامتهم الصلاة وايتائهم الزكاة الواجبة بالمعاد الى الله بعد الممات يوقنون فيذلون فى طاعة الله رجاء جزيل ثوابه وخوف عظيم عقابه وليسوا كالذين يكذبون بالبعث ولا يبالون أحسنوا أم أساؤا أو أطاعوا أم عصوا لأنهم ان أحسنوا لم يرجوا ثوابا وان أساؤا لم يخافوا عقابا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وقيام الساعة و بالمعاد الى الله بعد الممات والثواب والعقاب زينا لهم أعمالهم يقول حببنا اليهم قبيح أعمالهم وسهلنا ذلك عليهم فهم يعمهون يقول فهم فى ضلال أعمالهم القبيحة التى زيناها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون وقوله أولئك الذين لهم سوء العذاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب فى الدنيا وهم الذين قتلوا ببدر من مشركى قريش وهم فى الآخرة هم الأخسرون يقول وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار

كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين وقال فى الكشاف سبب الجمع بين اللفظين هو أنه سماهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك أو أراد بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من صدق باللسان دون الجنان أو صدق بهما ولم يتبعه فى العمل وحين أمره بالتواضع لاهل الاخلاص فى الايمان أمره بالتبرئة من أرباب العصيان فاستدل الجبائى به على أن الله تعالى أيضا برىء من عملهم فكيف يكون فاعلا له وأجيب بأنه ان أراد ببراءة الله أنه ما أمر بها فمسلم وان أراد أنه لا يريدها فممنوع لانتهاء جميع الحوادث الى ارادته ضرورة قوله (وتوكل) معطوف على قوله فلا تدع أو على قوله فقل أمره بتفويض الأمر فى دفع أعاديه الى العزيز الذى يقهر من ناوأ أولياءه الرحيم الذى لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما فيه معصية الله عز وجل ولو وقع فى محنة واستعان فى دفعها ببعض المخلوقين لم تخرج من حد المتوكلين ثم عدد مواجب الرحمة وهى رؤيته قيامه وتقلبه فى الساجدين أى فى المصلين وللمفسرين فيه وجوه منها ما روى انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد بتقلبه فى الساجدين تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم كيف يعملون لآخرتهم ومنها أن المراد تصرفه فيما بين المؤمنين به بالقيام والركوع والسجود والقعود و يروى عن مقاتل أنه استدل به على وجود فضل

صلاة الجماعة فى القرآن ومنها أنه اشارة الى ماجاء فى الحديث أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى فالتقلب تقلب بصره فيمن يصلى خلفه وقيل أراد أنه لا يخفى علينا كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين وقد احتج بالآية علماء الشيعة على مذهبهم أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم (٨٢) لا يكونون كفارا قالوا أراد تقلب روحه من ساجد الى ساجد كما فى الحديث المعتمد عليه عندهم لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وناقشهم أهل السنة فى التأويل المذكور وفى صحة الحديث والاصوب عندى أن لا نشتغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح الى بقعة الامكان على أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ثم أكد قوله وما تنزلت به الشياطين بقوله (هل أنبئكم على من تنزل) قال فى الكشاف تقديره أعلى من تنزل ليكون الاستفهام فى صدر الكلام كقولك أعلى زيد مررت قلت هذا تكلف بارد لان الاستفهام فى من ضمنى لا يصرح به قط والافاك الكثير الافك والاثيم مبالغة آثم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح ومسيلمة وأمثالهما والضمير فى (يلقون) عائد الى الشياطين كانوا قبل الرجم بالشهب يختطفون بعض الغيوب من الملا الأعلى بالقاء (السمع) أى بالاصغاء ثم يرجعون به الى أوليائهم (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون الحق المسموع بكلامهم الباطل كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيدفيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب وقيل السمع بمعنى المسموع أى يلقى الشياطين الى أوليائهم ما يسمعونه من الملائكة ويحتمل أن يكون الضمير فى يلقون للافاكين والسمع الاذن أو المسموع أى يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وانما لم يقل وكلهم كاذبون لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه أنه صادق فى الجملة لان هذه عبارة الفصحاء لا يحكون حكما كليا ما لم تدع اليه ضرورة والحاصل أنهم كانوا يقيسون حال النبى صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فقيل لهم ان الاغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من أحوال محمد صلى الله عليه وسلم الا الصدق

ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه من لدن حكيم عليم يقول من عند حكيم بتدبير خلقه عليم بأنباء خلقه ومصالحهم والكائن من أمورهم والماضى من أخبارهم والحادث منها اذ قال موسى واذ من صلة عليم ومعنى الكلام عليم حين قال موسى لاهله وهو فى مسيره من مدين الى مصر وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده انى آنست نارا أى أبصرت نارا أو أحسستها فامكثوا مكانكم سآتيكم منها بخبر يعنى من النار والهاء والالف من ذكر النار أو آتيكم بشهاب قبس * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بشهاب قبس باضافة الشهاب الى القبس وترك التنوين بمعنى أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة بشهاب قبس بتنوين الشهاب وترك اضافته الى القبس يعنى أو آتيكم بشهاب مقتبس * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان بعض نحويى البصرة يقول اذا جعل القبس بدلا من الشهاب فالتنوين فى الشهاب وان أضاف الشهاب الى القبس لم ينون الشهاب وقال بعض نحويى الكوفة اذا أضيف الشهاب الى القبس فهو بمنزلة قوله ولدار الآخرة مما يضاف الى نفسه اذا اختلف اسماه ولفظاه توهما بالثانى أنه غير الاول قال ومثله حبة الخضراء وليلة القمراء ويوم الخميس وما أشبهه وقال آخر منهم ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس نعت ولا يضاف الاسم الى نعته الا فى قليل من الكلام وقد جاء ولدار الآخرة وللدار الآخرة والصواب من القول فى ذلك أن الشهاب اذا أريد به أنه غير القبس فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ ما بينا من أنه شعلة قبس كما قال الشاعر

فى كفه صعدة مثقفة * فيها سنان كشعلة القبس

واذا أريد بالشهاب أنه هو القبس أو أنه نعت له فالصواب فى الشهاب التنوين لان الصحيح فى كلام العرب ترك اضافة الاسم الى نعته والى نفسه بل الاضافات فى كلامها المعروفة اضافة الشئ الى غير نفسه وغير نعته وقوله لعلكم تصطلون يقول كى تصطلوا بها من البرد وقوله فلما جاءها يقول فلما جاء موسى النار التى آنسها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها كما حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله نودى أن بورك من فى النار يقول قدس * واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله من فى النار فقال بعضهم عنى جل جلاله بذلك نفسه وهو الذى كان فى النار وكانت النار نوره تعالى ذكره فى قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار يعنى نفسه قال كان نور رب العالمين فى الشجرة حدثنى اسمعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى قال ثنا أبو قتيبة عن ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قول الله بورك من فى النار قال ناداه وهو فى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن فى قوله نودى أن بورك من فى النار ومن حولها قال هو النور * قال معمر قال قتادة بورك من فى النار قال نور الله بورك * قال ثنا الحسين قال

• ثنى

فكيف يكون كاهنا ثم بين ما يعرف منه أن النبي ليس بشاعر كما أنه ليس بكاهن فقال (والشعراء يتبعهم الغاوون) قيل أي الشياطين والاظهر أنهم الذين يروون أشعارهم وكان شعراء قريش مثل عبدالله بن الزبعرى وأمية بن أبي الصلت يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أهاجيهم فنزلت ثم بين غوايتهم بقوله (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) وهو تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول يمدحون انسانا معينا تارة ويذمونه أخرى غالين في كلا الطرفين مستعملين التخييل في كل ما يرومونه وذكر من قبائح خصالهم (أنهم يقولون) عند الطلب والدعاوى (ما لا يفعلون) ولعمري انها خصلة شنعاء تدل على الدناءة واللؤم

قالوا وما فعلوا وأين هم * من معشر فعلوا وما قالوا

وعن الفرزدق أن سليمن بن عبدالملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد فقال قد درأ الله عني الحد يا أمير المؤمنين وتلا الآية ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم الذكر والفكر فيما لا بأس به من المواعظ والنصائح ومدح الحق وذويه ويكون هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم مثل عبدالله ابن رواحة وحسان بن ثابت وكعب ابن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان هاجهم وروح القدس معك والحاصل أن النظر في الشعر الى المعنى لا على مجرد النظم والروي فان كان المعنى صحيحا مطابقا للحق والصدق فلا بأس بادخاله في سلك النظم والقافية بل لعل النظم يروجه ويهيج الطبع على قبوله وهو الذي عناه صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان كان المعنى فاسدا والغرض غير صحيح فهو الذي توجه الذم اليه وللانتصار حد معلوم وهو أن لا يزيد على الجواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم ثم ختم السورة بآية جامعة للوعيد كله فقال (وسيعلم الذين ظلموا) خصصه بعضهم

ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصري بورك من في النار (١) * وقال آخرون بل معنى ذلك بوركت النار ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الأشيب قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نودي أن بورك من في النار بوركت النار كذلك قال ابن عباس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن بورك من في النار قال بوركت النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد بورك من في النار قال بوركت النار حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب في قوله أن بورك من في النار نور الرحمن والنور هو الله وسبحان الله رب العالمين * واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع فقال بعضهم معناه النور كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه * وقال آخرون معناه النار لا النور ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير أنه قال حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وهي تلك النار التي نودي منها قال وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وانما قيل بورك من في النار ولم يقل بورك فيمن في النار على لغة الذين يقولون باركك الله والعرب تقول باركك الله وبارك فيك وقوله ومن حولها يقول ومن حول النار وقيل عني بمن حولها الملائكة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن حولها قال يعني الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الحسن مثله * وقال آخرون هو موسى والملائكة حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب ومن حولها قال موسى النبي والملائكة ثم قال يا موسى اني أنا الله العزيز الحكيم وقوله وسبحان الله رب العالمين يقول وتنزيها لله رب العالمين مما يصفه به الظالمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى انه أنا الله العزيز في نقمته من أعدائه الحكيم في تدبيره في خلقه والهاء التي في قوله انه هاء عماد وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية وقال بعض نحويي الكوفة يقول هي الهاء المجهولة ومعناها ان الأمر والشأن أنا الله وقوله وألق عصاك فلما رآها تهتز في الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ذكر عما حذف وهو فألقاها فصارت حية تهتز فلما رآها تهتز كأنها جان يقول كأنها حية عظيمة والجان جنس من الحيات معروف وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان قال حين تحولت حية تسعى وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله

(١) أي واقرأ تمام الحديث قبله وهو قال النور وكثيرا ما يجيء مثل ذلك اختصارا فتنبه

بالشعراء اذا اخرجوا عن حد الانصاف ومالوا الى الجور والاعتساف ولعله عام يتناول لكل من ظلم نفسه بالاعراض عن تدبر ما في هذه
السورة بل القرآن كله وقوله (أي منقلب) صفة لمصدر محذوف والعامل (ينقلبون) أي ينقلبون في الدركات السفلى انقلابا أي منقلب
ولا يعمل فيه يعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه (٨٤) ما قبله وعن ابن عباس أنه قرأه بالفاء والتاء والمراد سيعلمون ان ليس لهم وجه

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا * وعنقا باقي الرسيم خيطفا
وقوله ولى مدبرا يقول تعالى ذكره ولى موسى هاربا خوفا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع من قولهم عقب فلان اذا رجع على عقبه الى حيث بدأ * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولم يعقب قال لم يرجع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال لم يلتفت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولم يعقب قال لم يرجع يا موسى قال لما ألقى العصا صارت حية فرعب منها وجزع فقال الله انى لا يخاف لدى المرسلون قال فلم يرعو لذلك قال فقال الله له أقبل ولا تخف انك من الآمنين قال فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال سنعيدها سيرتها الاولى قال فالتفت فاذا هي عصا كما كانت فرجع فأخذها ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها وقوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يقول تعالى ذكره فناداه ربه يا موسى لا تخف من هذه الحية انى لا يخاف لدى المرسلون يقول انى لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة الا من ظلم منهم فعمل بغير الذي أذن له في العمل به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون قال لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يأخذه منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله الفزاري عن عبد الله بن المبارك عن أبي بكر عن الحسن قال قوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم قال انى انما أخفتك لقتلك النفس قال وقال الحسن كانت الانبياء تذنب فتعاقب * واختلف أهل العربية في وجه دخول الا في هذا الموضع وهو استثناء مع وعد الله الغفران المستثنى من قوله انى لا يخاف لدى المرسلون بقوله فاني غفور رحيم وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله وذلك أن يكون ما بعده ان كان ما قبله منفيا مثبتا كقوله ما قام الا زيد فزيد مثبت له القيام لانه مستثنى مما قبل الا وما قبل الا منفي عنه القيام وأن يكون ما بعده ان كان ما قبله مثبتا منفيا كقولهم قام القوم الا زيدا فزيد منفي عنه القيام ومعناه ان زيدا لم يقم والقوم مثبت لهم القيام والا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من المرسلين فقال بعض نحويي البصرة أدخلت الا في هذا الموضع لان الا تدخل في مثل هذا الكلام كمثل قول العرب ما أشتكي الا خيرا فلم يجعل قوله الا خيرا على الشكوى ولكنه علم أنه اذا قال ما اشتكي شيأ أنه يذكر عن نفسه خيرا كأنه قال ما أذكر الا خيرا وقال بعض نحويي الكوفة يقول القائل كيف صير خائفا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهو مغفور له فأقول له في هذه الآية وجهان أحدهما أن يقول ان الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو فهذا وجه والآخر أن يجعل الاستثناء

من وجوه الانفلات وهو النجاة ﴿التأويل﴾ ولو نزلناه على بعض الأعجميين فيه اظهار القدرة من وجهين الاول جعل الأعجمي بحيث يقرأ العربي عليهم كقول القائل أمسيت كرديا وأصبحت عربيا والثاني أن أهل الانكار لا يصيرون أهل الاقرار ولو أتاهم مثل هذا الاعجاز البين وذلك لأن الله كذلك يسلكه في قلوبهم فيأتيهم عذاب البعد والطرد في الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لأنهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولون هل نحن منظرون وما ينبغي لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة تحمل النور القديم ولهذا تستغيث النار من نور المؤمن وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فتكون من المعذبين لأن كل من طلب مع الله شيئاً آخر حتى الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله وأنذر عشيرتك فيه أن النسب نسب النفوس فان أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده الا اذا أكل الطعام كما أكل والده وهذا معنى المتابعة انى برىء مما تعملون لم يقل انى برىء منكم لان المراد لا يتبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا ببركة دعوتك الى القول الحق أو ينالوا الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك في الساجدين بأن خلق روح كل ساجد من روحك انه هو السميع في الازل مقالتك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لأن أرواحهم خلقت من روحك من العليم باستحقاقك لهذه الكرامة الله تعالى حسبي

﴿سورة النمل مكية حروفها أربعة آلاف وستمائة وتسعة وتسعون كلمها ألف ومائة وتسعة آياتها ثلاث وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن (٨٥) حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

من الذين تركوا فى الكلمة لان المعنى لا يخاف لدى المرسلون انما الخوف على من سواهم ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا يقول كان مشركا فتاب من الشرك وعمل حسنا فذلك مغفور له وليس بخائف قال وقد قال بعض النحويين ان الا فى اللغة بمنزلة الواو وانما معنى هذه الآية لا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا قال وجعلوا مثله كقول الله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم قال ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا لانى لا أجيز قام الناس الا عبد الله وعبد الله قائم انما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذى بعد الا من معنى الاسماء التى قبل الا وقد أراه جائزا أن يقول لى عليك ألف سوى ألف آخر فان وضعت الا فى هذا الموضع صلحت وكانت الا فى تأويل ما قالوا فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ولكن مثله مما يكون معنى الا كمعنى الواو وليست بها قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك هو فى المعنى والذى شاء ربك من الزيادة فلا تجعل الا بمنزلة الواو ولكن بمنزلة سوى فاذا كانت سوى فى موضع الا صلحت بمعنى الواو لانك تقول عندى مال كثير سوى هذا أى وهذا عندى كأنك قلت عندى مال كثير وهذا أيضا عندى وهو فى سوى أبعد منه فى الا لانك تقول عندى سوى هذا ولا تقول عندى الا هذا * قال أبو جعفر والصواب من القول فى قوله الا من ظلم ثم بدل عندى غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية بل هو القول الذى قاله الحسن البصرى وابن جريج ومن قال قولهما وهو أن قوله الا من ظلم استثناء صحيح من قوله لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم منهم فأتى ذنبا فانه خائف لديه من عقوبته وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك وهو قوله قال انى انما أخفتك لقتلك النفس فان قال قائل فما وجه قيله ان كان قوله الا من ظلم استثناء صحيحا وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين وكيف يكون خائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة قيل ان قوله ثم بدل حسنا بعد سوء كلام آخر بعد الاول وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم ومن لم يظلم عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل وسائر الناس غيرهم وقيل فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى له غفور رحيم فان قال قائل فعلام تعطف ان كان الأمر كما قلت بثم ان لم يكن عطفا على قوله ظلم قيل على متروك استغنى بدلالة قوله ثم بدل حسنا بعد سوء عليه عن اظهاره اذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره وهو فمن ظلم من الخلق وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية فقد قالوا على مذهب العربية غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل وانما ينبغى أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ويلتمس له على ذلك الوجه للاعراب فى الصحة مخرج لا على احالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل وقوله ثم بدل حسنا بعد سوء يقول تعالى ذكره فمن أتى ظلما من خلق الله وركب مأثما ثم بدل حسنا يقول ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم فانى غفور يقول فانى ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوى عنه وترك عقوبته عليه رحيم به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

القراآت انى آنست بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بشهاب منونا على أن قبسا وهو بمعنى مقبوس بدل أو صفة عاصم وحمزة وعلى وخلف ورويس الباقون بالاضافة من فى النار ممالة على غير ليث وأبى حمدون وحمدويه وحمزة وفى رواية ابن سعدان والنجارى عن ورش وأبو عمرو وغير ابراهيم بن حماد وكذلك فى القصص الوقوف طس ه مبين ه لا بناء على أن هدى حال والعامل معنى الاشارة فى تلك أو هو مرفوع بدلا من الآيات أو خبرا بعد خبر وان كان التقدير هى هدى به فلك الوقف للمؤمنين ه لا لأن الذين صفتهم يوقنون ه يعمهون ه ط تنصيصا على أن أولئك مبتدأ مستأنف الأخسرون ه عليم ه نارا ط تصطلون ه حولها ط العالمين ه الحكيم ه لا لعطف الجملتين الداخلتين تحت النداء عصاك ط للعدول عن بيان حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف أى فألقاها فحييت ولم يعقب ط لابتداء النداء المرسلون ه لا لان الا ان كان بمعنى لكن فالاستدراك يوجب الوصل أيضا رحيم ه وقومه ط فاسقين ه مبين ج ه للآية والعطف وعلوا ط لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف أى

فأغرقناهم المفسدين ٥ ۞ التفسير تلك الآيات التي تضمنتها هذه السورة آيات القرآن الذي علم أنه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين فان أريد به اللوح فآياته أنه أثبت فيه كل كائن وان أريد به السورة أو القرآن فالغرض تفخيم شأنهما من قبل التنكير فآياتهما أن اعجازهما ظاهر مكشوف وفيهما من العلوم

والحكم مالا يخفى ولان الواو لا تفيد الترتيب فلا حاجة ظاهرة فى عكس الترتيب بين ما ههنا وبين ما فى أول الحجر ومعنى كون الآيات هدى وبشرى أنها تزيد فى ايمانهم وتبشرهم بالثواب قال جار الله يحتمل أن يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون من تتمة الموصول الا أن الأوجه أن يكون جملة مستقلة ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل تكرير المبتدا الذى هو هم فكأنه قيل وما يؤمن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة هو الذى يسهل عليهم متاعب التكاليف وأقول انه وصفهم بالايمان ليكون اشارة الى معرفتهم المبتدأ ثم وصفهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهما الطاعة بالنفس والمال وهذه اشارة الى وسط ثم وصفهم بمعرفة المعاد فلا أحسن من هذا النسق وفيه أن المهتدى بالقرآن حقيقة هو الذى يكون موقنا بأحوال المعاد لا شاكا فيها آتيا بالطاعات للاحتياط قائلا ان كنت مصيبا فيها فقد نلت السعادة وان كنت مخطئا فلم تفتنى الا لذات يسيرة زائلة ثم أورد وعيد المنكرين للمعاد واسناد تزيين الاعمال الى الله ظاهر على قول الاشاعرة وأما المعتزلة فتأولوه بوجوه منها أنه استعارة فكأنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك التمتع ذريعة الى اتباع الشهوات وايثار اللذات فقد زين لهم بذلك أعمالهم ومنها أنه مجاز حكمى وهو الذى يصححه بعض الملابسات ولا ريب أن امهال الشيطان وتخليته حتى زين لهم أعمالهم كما قال وزين لهم الشيطان أعمالهم ملابسة ظاهرة للتزيين ومنها أنه أراد زينا لهم أمر الدين ولا يلزمهم أن يتمسكوا به وذلك بأن بينا لهم حسنه وما لهم فيه من الثواب (فهم يعمهون) يعدلون ويتحيرون عما زينا لهم قاله الحسن (لهم سوء العذاب) أى القتل والاسر

قوله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء ثم تاب من بعد اساءته فانى غفور رحيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى وأدخل يدك فى جيبك ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه فى جيبه وانما أمره بادخاله فى جيبه لان الذى كان عليه يومئذ مدرعة من صوف قال بعضهم لم يكن لها كم وقال بعضهم كان كمها الى بعض يده ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأدخل يدك فى جيبك قال الكف فقط فى جيبك قال كانت مدرعة الى بعض يده ولو كان لها كم أمره أن يدخل يده فى كمه * قال ثنى حجاج عن يونس بن أبى اسحق عن أبيه عن عمرو بن ميمون قال قال ابن مسعود ان موسى أتى فرعون حين أتاه فى ذونانقة يعنى جبة صوف وقوله تخرج بيضاء يقول تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غير سوء يقول من غير برص فى تسع آيات يقول تعالى ذكره أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فهى آية فى تسع آيات مرسل أنت بهن الى فرعون وترك ذكر مرسل لدلالة قوله الى فرعون وقومه على أن ذلك معناه كما قال الشاعر

رأتنى بحبليها فصدت مخافة * وفى الحبل روعاء الفؤاد فروق

ومعنى الكلام رأتنى مقبلا بحبليها فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه فى ذلك اذ قال رأتنى بحبليها ونظائر ذلك فى كلام العرب كثيرة والآيات التسع هن الآيات التى بيناهن فيما مضى وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تسع آيات الى فرعون وقومه قال هى التى ذكر الله فى القرآن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والطوفان والدم والحجر والطمس الذى أصاب آل فرعون فى أموالهم وقوله انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين يعنى كافرين بالله وقد بينا معنى الفسق فيما مضى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى ذكره فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا يعنى أدلتنا وحججنا على حقيقة ما دعاهم اليه موسى وصحته وهى الآيات التسع التى ذكرناها قبل وقوله مبصرة يقول يبصر بها من نظر اليها ورآها حقيقة ما دلت عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قال بينة قالوا هذا سحر مبين يقول قال فرعون وقومه هذا الذى جاءنا به موسى سحر مبين يقول يبين للناظرين له أنه سحر وقوله وجحدوا بها يقول وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجحدوا بها قال الجحود التكذيب بها وقوله واستيقنتها أنفسهم يقول وأيقنتها قلوبهم وعلموا يقينا أنها من عند الله فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس واستيقنتها أنفسهم قال يقينهم فى قلوبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا قال استيقنوا أن

الآيات

الآيات من الله حق فلم يجحدوا بها قال ظلما وعلوا وقوله ظلما وعلوا يعني بالظلم الاعتداء والعلو الكبر كأنه قيل اعتداء وتكبرا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ظلما وعلوا قال تعظما واستكبارا ومعنى ذلك وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم فهو من المؤخر الذي معناه التقديم وقوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة وماذا حل بهم من افسادهم في الارض ومعصيتهم فيها ربهم وأعقبهم ما فعلوا فان ذلك أخرجهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الى هلاك في العاجل بالغرق وفي الآجل الى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون يقول وكذلك يا محمد سنتي في الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم اليه من الحق من قومك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا داود وسليمان علما وذلك علم كلام الطير والدواب وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يقول جل ثناؤه وقال داود وسليمن الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده من المؤمنين به في دهرنا هذا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين) يقول تعالى ذكره وورث سليمن أباه داود العلم الذي كان آتاه الله في حياته والملك الذي كان خصه به على سائر قومه فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير يقول وقال سليمن لقومه يا أيها الناس علمنا منطق الطير يعني فهمنا كلامها وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم اذ فهمه عنها وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قال بلغنا أن سليمن كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فرفعته وأمر الرخاء فسيرته فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح فأخبرته وقوله وأوتينا من كل شيء يقول وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ان هذا لهو الفضل المبين يقول ان هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين يقول الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يقول تعالى ذكره وجمع لسليمن جنوده من الجن والانس والطير في مسيرهم فهم يوزعون * واختلف أهل التأويل في معنى قوله فهم يوزعون فقال بعضهم معنى ذلك فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين

كيوم بدر ثم مهد مقدمة لما سيذكر في السورة من الأخبار العجيبة فقال (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه من عند أي حكيم وأي عليم و (اذ قال) منصوب بعليم أو باذكر كأنه قيل خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة الشأن والخبر خبر الطريق لأنه كان قد ضله وفي قوله (سآتيكم) مع قوله في طه والقصص لعلي آتيكم دليل على أنه كان قوي الرجاء الا أنه

كان يجوز النقيض وعد أهله بأنه يأتيهم بأحد الأمرين وان أبطأ لبعد المسافة أو غيره قالوا في أو دليل على أنه جزم بوجدان أحد الأمرين ثقة بعناية الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها وانما خصت هذه السورة بقوله (فلما جاءها) وقد قال في طه والقصص فلما أتاها (نودي) لأنه كرر لفظ آتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار ما يقاربه في الاشتقاق مرة أخرى و (أن) مفسرة لأن النداء فيه معنى القول لا مخففة من الثقيلة بدليل فقدان قد في فعلها قال جار الله معنى (بورك من في النار) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت النار فيها كما قال في القصص نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة وسبب البركة حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك تبارك والنار بمعنى النور أي تبارك من في النار وهو الله سبحانه مروى عن ابن عباس وعن قتادة والزجاج أن من في النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائي ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة وهي الشام فكانت الشجرة محلا للكلام والمتكلم هو الله بأن خلقه فيها ثم ان الشجرة كانت في النار ومن حولها الملائكة وقيل من في النار هو موسى لقربه منها ومن حولها الملائكة وفي الابتداء بهذا الخطاب عند مجيء موسى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه البركة في أرض الشام وفي قوله (وسبحان الله رب العالمين) تنزيه له عما لا يليق بذاته من الحدوث والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على أن الكائن من جلائل الامور التي لا يقدر عليها الا رب العالمين والضمير في (انه) اما للشأن واما راجع الى ما دل عليه سياق الكلام أي ان المتكلم (انا) وعلى هذا

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير كما تصنع الملوك حدثنا القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يرد أولهم على آخرهم * وقال آخرون معنى ذلك فهم يساقون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يوزعون يساقون * وقال آخرون بل معناه فهم يتقدمون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الحسن يوزعون يتقدمون * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معناه يرد أولهم على آخرهم وذلك أن الوازع فى كلام العرب هو الكاف يقال منه وزع فلان فلانا عن الظلم اذا كفه عنه كما قال الشاعر

ألم يزع الهوى اذ لم يوات * بلى وسلوت عن طلب الفتاة

(وقال الآخر)

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

وانما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والامراء وزعة لكفهم اياهم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون) يعنى تعالى ذكره بقوله حتى اذا أتوا على وادى النمل حتى اذا أتى سليمن وجنوده على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده يقول لا يكسرنكم و يقتلنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن رجل يقال له الحكم عن عوف فى قوله قالت نملة يا أيها النمل قال كان نمل سليمن بن داود مثل الذباب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) يقول تعالى ذكره فتبسم سليمن ضاحكا من قول النملة التى قالت ما قالت وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على يعنى بقوله أوزعنى ألهمنى * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك يقول اجعلنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على قال فى كلام العرب تقول أوزع فلان بفلان يقول حرض عليه وقال ابن زيد أوزعنى ألهمنى وحرضنى على أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وقوله وأن أعمل صالحا ترضاه يقول وأوزعنى أن أعمل بطاعتك وما ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين يقول وأدخلنى برحمتك مع عبادك الصالحين الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك يقول أدخلنى من الجنة

فالله مع وصفيه بيان لانا وفيه تلويح الى ما أراد اظهاره عليه يريد أنا القادر القوى على اظهار الخوارق الحكيم الذى لا يفعل جزافا ولا عبثا وقوله (وألق عصاك) معطوف على بورك وكلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له بورك وألق ومعنى (لم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اقتصر ههنا على قوله (لا تخف) (٨٨) ولم يضف اليه أقبل كما فى القصص لأنه أراد أن يبنى عليه قوله (انى لا يخاف لدى المرسلون) وسبب نفى الخوف عن الرسل مشاهدة مزيد فضل الله وعنايته فى حقهم ثم استثنى من ظلم منهم بترك ما هو أولى به وقد مر بحث عصمة الأنبياء فى أول البقرة وفى الآية لطائف واشارات منها أنه اشار بقوله انى لا يخاف لدى المرسلون الى أن موسى قد جعل رسولا ومنها أنه أشار بقوله الا من ظلم الى ما وجد من موسى فى حق القبطى وبقوله ثم بدل حسنا بعد سوء أى توبة بعد ذنب الى قول موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وقرئ ألا بحرف التنبيه ومنها أنه أشار بقوله ثم بدل معطوفا على ظلم الى أن النبى المرسل بدل النية ولم يصر على فعله والا كان هذا العطف مقطوعا عن الكلام ضائعا فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا أيضا ومنها أنه أشار بقوله (فانى غفور رحيم) الى أن الخوف وان لحق المستثنى الا أنه منفى عنه أيضا بسبب غفرانه ورحمته فنفى الخوف ثابت على كل حال فهذا الاستثناء قريب من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله

* هو البدر الا أنه البحر زاخر *

وكقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وهذه اللطائف مما سمح بها الخاطر أوان الكتابة أرجو أن تكون صوابا ان شاء العزيز قوله (وأدخل يدك) وفى القصص اسلك يدك موافقة لاضمم ولان المبالغة فى أدخل أكثر منها فى اسلك لان سلك لازم ومتعد وهناك قال فذانك برهانان مداخلهم وههنا قال فى تسع آيات وكان أبلغ فى العدد فناسب الأبلغ فى اللفظ قال النحويون متعلق الجار محذوف مستأنف أى اذهب فى تسع آيات أو المراد وأدخل يدك فى تسع أى فى جملتهن وعدادهن اذهب الى فرعون وتفسير التسع تقدم فى آخر سبحان وانما قال ههنا الى فرعون

وقومه دون أن يقول وملئه كما فى القصص لان الملأ أشراف القوم وقد وصفهم ههنا بقوله فلما جاءتهم الى قوله ظلما وعلوا فلم يناسب أن يطلق عليهم لفظ ينبئ عن المدح ومعنى (مبصرة) ظاهرة بينة كأنها تبصر بطباق العين فتهدى ويجوز أن يكون الابصار مجازا باعتبار ابصار صاحبها وهو كل ذى عقل أو فرعون وقومه والواو فى (واستيقنتها) للحال وقد مضمرة وفى زيادة (أنفسهم) اشارة الى أنهم أظهروا خلاف ما أبطنوا والاستيقان أبلغ من الايقان وقوله (ظلما وعلوا) أى كبرا وترفعا مفعول لاجلهما وقرئ مبصرة بفتح الميم نحو مبخلة قرأها على بن الحسين وقتادة والله أعلم ۞ التأويل طا طلب الطالبين وسين سلامة قلوبهم من تعلقات غير الله تلك دلالات القرآن وشواهد أنواره وكتاب مبين فيه بيان كيفية السلوك ولذلك قال هدى وبشرى للمؤمنين بالوصول الى الله الذين يستقيمون فى المعارج لحقائق الصلوات ويؤتون الزكاة أموالهم وأحوالهم بالاضافة على المستحقين زينا لهم أعمالهم الدنيوية النفسانية فهم يعمهون لعمى قلوبهم عن رؤية الآخرة ونعيمها ولا يكون فى عالم الآخرة أعمى الا كان أصم وأبكم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم فبحب الدنيا عميت عين القلب وصمت أذنه وصار أبكم عن العلم اللدنى والنطق به وهو سوء العذاب وهو الموجب لخسران الدارين مع خسران المولى وانما يكون خسران الدارين ممدوحا اذا ربح المولى وجد أبو يزيد فى البادية قحفا مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة فبكى وقبله وقال هذا رأس صوفى وحين أخبر عن مقامات المؤمنين ودركات الكافرين أخبر عن مقام النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وإنك لتلقى القرآن لا من عند جبريل بل من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن عليم يعلم حيث يجعل رسالته ثم ضرب مثالا لذلك وهو أن موسى القلب لما كشف له أنوار شواهد الحق فى ليلة الهوى وظلمة الطبيعة قال لاهله وهم النفس وصفاتها انى آنست نارا بوادى أيمن السر لعلكم تصطلون بتلك النار عن جمود الطبيعة فلما جاءها على قدمى

مداخلهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين قال مع عبادك الصالحين الانبياء والمؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين﴾ يقول تعالى ذكره وتفقد سليمن الطير فقال مالى لا أرى الهدهد وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت عمران عن أبى مجلز قال جلس ابن عباس الى عبد الله بن سلام فسأله عن الهدهد لم تفقده سليمن من بين الطير فقال عبد الله بن سلام ان سليمن نزل منزلة فى مسير له فلم يدر ما بعد الماء فقيل له من يعلم بعد الماء قالوا الهدهد فذاك حين تفقده حدثنا محمد قال ثنا يزيد قال ثنا عمران بن حدير عن أبى مجلز عن ابن عباس وعبد الله بن سلام بنحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمن بن داود يوضع له ستمائة كرسى ثم يجيء أشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلى الانس قال ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم قال فيسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر قال فبيناهو فى مسيره اذا احتاج الى الماء وهو فى فلاة من الارض قال فدعا الهدهد فجاءه فنقر الارض فيصيب موضع الماء قال ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب قال ثم يستخرجون الماء فقال له نافع بن الازرق قف يا وقاف أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض فيصيب الماء كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع فى عنقه قال فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمن بن داود اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره حتى اذا كان ذات غداة فى بعض زمانه غدا الى مجلسه الذى كان يجلس فيه فتفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره الا الهدهد فقال مالى لا أرى الهدهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أول ما فقد سليمن الهدهد نزل بواد فسأل الانس عن مائه فقالوا ما نعلم له ماء فان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن فدعا الجن فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير فدعا الطير فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد فلم يجده قال فذاك أول ما فقد الهدهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء اذا ركب وان سليمن ركب ذات يوم فقال أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده فمن أجل ذلك تفقده فقال ابن عباس ان الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الاجل فلما بلغ الاجل لم ينفعه الحذر وحال القدر دون البصر فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه فقال عبد الله كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره

الشوق وصدق الطلب نودي من الشجرة الروحانية أن بورك من في نار المحبة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ومن حولها كالفراش يريد أن يقع فيها وألق عن يدهمتك كل ما تعتمد عليه سوى فضل الله فانه جان في الحقيقة ولى مدبرا هاربا الى الله ولم يعقب لم يرجع الى غيره فلذلك نودي بلا تخف فان القلوب الملهمة الموصلة اليها الهدايا والتحف والالطاف لا تخاف سوى الله الا من ظلم نفسه بالرجوع الى الغير وأدخل يدهمتك في جيب قناعتك تخرج

بيضاء نقية من لوث الدارين في تسع آيات من أسباب هلاك النفس وصفاتها فانظر كيف كان عاقبة الذين أفسدوا الاستعداد الفطري والله اعلم ﴿ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة

عن بعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره وقال وهب بن منبه كان تفقده اياه وسؤاله عنه لاخلاله بالنوبة التي كان ينوبها والله أعلم بأي ذلك كان اذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح فالصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أخبر عن سليمن أنه تفقد الطير اما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها واما لحاجة كانت اليها عن بعد الماء وقوله فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين يعني بقوله مالي لا أرى الهدهد أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين أخطأه بصري في الطير أم غاب فلم يحضر وقوله لأعذبنه عذابا شديدا يقول فلما أخبر سليمن عن الهدهد أنه لم يحضر وأنه غائب غير شاهد أقسم لأعذبنه عذابا شديدا وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه اذا عذبها أن ينتف ريشها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحماني عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس في لأعذبنه عذابا شديدا عذابه نتفه وتشميسه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه وتشميسه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريشه كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتف ريش الهدهد كله فلا يعفو سنة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال نتف ريشه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لأعذبنه عذابا شديدا يقول نتف ريشه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن يزيد بن رومان أنه حدث أن عذابه الذي كان يعذب به الطير نتف جناحه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح فما العذاب الشديد قال نتف ريشه بتركه بضعة تنزو حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن عمرو بن بشار عن ابن عباس في قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال نتفه حدثني سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن حسين بن أبي شداد قال نتفه وتشميسه أو لأذبحنه يقول أو لأقتلنه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو لأذبحنه يقول أو لأقتلنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا

وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم
بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل
أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا
آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى (٩١) ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين)

ثنا عباد بن العوام عن حصين عن عبد الله بن شداد لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه الآية قال فتلقاه الطير فأخبره فقال ألم يستثن وقوله أو ليأتينى بسلطان مبين يقول أو ليأتينى بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن الحسين الازدى قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل سلطان فى القرآن فهو حجة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو ليأتينى بسلطان مبين يقول ببينة أعذره بها وهو مثل قوله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان يقول بغير بينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن رجل عن عكرمة قال كل شئ فى القرآن سلطان فهو حجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن يزيد عن قباث بن رزين أنه سمع عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول كل سلطان فى القرآن فهو حجة كان للهدهد سلطان حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أو ليأتينى بسلطان مبين قال بعذر بين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أو ليأتينى بسلطان مبين أى بحجة عذر له فى غيبته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو ليأتينى بسلطان مبين يقول ببينة وهو قول الله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان بغير بينة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو ليأتينى بسلطان مبين قال بعذر أعذره فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) يعنى تعالى ذكره بقوله فمكث غير بعيد فمكث سليمن غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد واختلف القراء فى قراءة قوله فمكث فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم فمكث بضم الكاف وقرأه عاصم بفتحها وكلتا القراءتين عندنا صواب لانهما لغتان مشهورتان وان كان الضم فيها أعجب الى لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وقوله فقال أحطت بما لم تحط به يقول فقال الهدهد حين سأله سليمن عن تخلفه وغيبته أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمن كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أحطت بما لم تحط به قال ما لم تعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فمكث غير بعيد ثم جاء الهدهد فقال له سليمن ما خلفك عن نوبتك قال أحطت بما لم تحط به وقوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين يقول وجئتك من سبأ بخبر يقين وهو ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وجئتك من سبأ بنبأ يقين أى أدركت ملكا لم يبلغه ملكك * واختلفت القراء فى قراءة قوله من سبأ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة من سبأ بالاجراء المعنى أنه رجل اسمه سبأ وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة من سبأ بترك الاجراء على أنه اسم قبيلة

۞ القراآت وادى النمل ممالة عباس وقتيبة وقرأ يعقوب وعلى والسرندبى عن قنبل بالياء فى الوقف لا يحطمنكم بالنون الخفيفة عباس ورويس أوزعنى بفتح الياء ابن كثير وكذلك فى الاحقاف مالى لا بفتح ياء المتكلم ابن كثير وعلى وعاصم ليأتيننى بنون الوقاية بعد الثقيلة ابن كثير فمكث بفتح الكاف عاصم وسهل ويعقوب غير رويس الآخرون بضمها من سبأ بفتح الهمزة لامتناع الصرف البزى وأبو عمرو وعن قنبل بهمزة ساكنة وفى رواية أخرى عنه وعن ابن فليح وزمعة بغير همز الباقون بهمزة منونة مكسورة وكذلك فى سورة سبأ ألا يسجدوا مخففا يزيد وعلى ورويس الآخرون بالتشديد وقال ابن مجاهد اذا وقفوا على ألا وقفوا على ألا يا والابتداء اسجدوا تخفون وتعلنون بتاء الخطاب فيهما على وحفص والباقون على الغيبة فألقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير المفضل وأبو عمرو غير عباس وقرأ باختلاس حركة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو من طريق الهاشمى عن اليزيدى الباقون بالاشباع انى ألقى بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع أتمدونى بالياء فى الحالين ابن كثير وسهل وافق به أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فى الوصل أتمدونى بتشديد النون وبالياء فى الحالين حمزة ويعقوب الآخرون باظهار النونين

وحذف الياء آتانى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وحفص فمن فتح الياء فالوقف بالياء لا غير ومن حذف الياء فانه يقف بغير الياء الا سهلا ويعقوب فانهما يقفان بالياء وقرأ على آتانى الله بالامالة أنا آتيك بالامالة وكذلك ما بعده حمزة فى رواية خلف وابن سعدان والعجلى وأبى عمرو وخلف لنفسه فلما رأيه بكسر الراء نصير ليبلونى بفتح الياء أبو جعفر ونافع ساقيها بالهمز ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والاحسن تركها قال فى الكشاف من همز فوجهه انه سمع سؤقا فأجرى عليه الواحد ۞ الوقوف علما

ج للعدول عن بيان ايتاء الفضل ابتداء الى ذكر قول المنعم عليهما شكرا ووفاء المؤمنين ه شئ ط المبين ه يوزعون ه النمل لا لأن ما بعده جواب اذا مساكنكم ج لانقطاع النظم لنهى الغائب مع اتحاد القائل وجنوده لا لأن الواو للحال لايشعرون ه الصالحين ه الهدهد ز على معنى بل أ كان من الغائبين على معنى التهديد والاصح أن أم متصل بمعنى الاستفهام فى مالى أى أنا لا أراه أو هو غائب الغائبين ه مبين ه يقين ه عظيم ه لايهتدون ه لا ومن خفف ألا رقف مطلقا تعلنون ه العظيم ه سجدة الكاذبين ه يرجعون ه كريم ه الرحيم ه لا لتعلق أن مسلمين ه أمرى ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل تشهدون ه تأمرين ه أذلة ج لان قوله وكذلك يحتمل أن يكون من تتمة قولها أو هو تصديق من الله لما قالت يفعلون ه المرسلون ه بمال ز لانتهاء الاستفهام مع فاء التعقيب وبيان الاستغناء على التعجيل آتاكم ج لاختلاف الجملتين على أن بل ترجح جانب الرقف تفرحون ه صاغرون ه مسلمين ه مقامك ج للابتداء بان مع اتحاد القائل أمين ه وحبب

أولامرأة * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فالاجراء فى سبا وغير الاجراء صواب لان سبأ ان كان رجلا كما جاء به الاثر فانه اذا أريد به اسم الرجل أجرى وان أريد به اسم القبيلة لم يجر كما قال الشاعر فى اجرائه

الواردون وتيم فى ذرا سبا * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

يروى ذرا وذرى وقد حدثت عن الفراء عن الرؤاسى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ قال لست أدرى ما هو فكأن أبا عمرو ترك اجراءه اذ لم يدر ما هو كما تفعل العرب بالاسماء المجهولة التى لا تعرفها من ترك الاجراء حكى عن بعضهم هذا أبو معرور قد جاء فترك اجراءه اذ لم يعرفه فى أسمائهم وان كان سبأ جبلا فأجرى لانه يراد به الجبل بعينه وان لم يجر فلانه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون﴾ يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمن مخبرا بعذره فى مغيبه عنه انى وجدت امرأة تملكهم يعنى تملك سبأ وانما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمن درأ به عنه ما كان أوعده به لان سليمن كان لا يرى أن فى الارض أحدا له مملكة معه وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حبب اليه الجهاد والغزو فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الارض هو لغيره وقوم كفرة يعبدون غير الله له فى جهادهم وغزوهم الاجر الجزيل والثواب العظيم فى الآجل وضم مملكة لغيره الى ملكه حقت للهدهد المعذرة وصحت له الحجة فى مغيبه عن سليمن وقوله وأوتيت من كل شئ يقول وأوتيت من كل شئ يؤتاه الملك فى عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله وأوتيت من كل شئ يعنى من كل أمر الدنيا وقوله ولها عرش عظيم يقول ولها كرسى عظيم وعنى بالعظيم فى هذا الموضع العظيم فى قدره وعظم خطره لا عظمه فى الكبر والسعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ولها عرش عظيم قال سرير كريم قال حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ * قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله ولها عرش عظيم يعنى سرير عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله يقول وجدت هذه المرأة ملكة سبأ وقومها من سبأ يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله وقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم ابليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله

طرفك ط للعدول أم أكفر ه لنفسه ج كريم ه لايهتدون ه عرشك ط هو ج لاحتمال أن يكون ما بعده من كلامها أو من كلام سليمن مسلمين ه من دون الله ط كافرين ه الصرح ج ساقيها ط قوارير ه العالمين ه ۞ التفسير لما فرغ من قصة موسى شرع فى قصة ثانية وهى قصة داود وابنه سليمن والتنوين فى علما اما للنوع أى طائفة من العلم أو للتعظيم أى علما

غرزيرا قال علماء المعاني الواو في وقالا للعطف على محذوف لان هذا مقام الفاء كقولك أعطيته فشكر فالتقدير ولقد آتيناهما علما فعملا
به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله وبيانه ان الشكر باللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم
على فعل الطاعة وترك المعصية وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالبا (وقالا) باللسان
(الحمد لله) قلت لقائل أن يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا مقام الفاء ممنوع وانما يكون كذلك لو أريد التعقيب

والتسبيب فان كان المراد مجرد الاخبار عما فعل بهما وعما فعلاه فالواو كقولك أعطيته وشكر وقوله (على كثير من عباده) يجوز أن يكون واردا على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع أهل زمانهما ويجوز أن يكون واردا على الحقيقة بالنسبة الى زمانهما أو بالنسبة الى سائر الازمنة وهذا أظهر وانما وصف العباد بالمؤمنين لئلا يظن أن سبب الفضيلة هو مجرد الايمان ولكن ما يزيد عليه من الاستغراق في بحر العبودية والعرفان وفي الآية دليل على شرف العلم وأن العالم يجب أن يتلقى علمه بشكر الله تعالى قلبا وقالبا وما التوفيق الا منه قوله (وورث سليمن داود) عن الحسن أنه المال لان النبوة عطية مبتدأة وزيف بأن المال أيضا عطية مبتدأة ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا أو قاتلا وما المانع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لما قام بها عند موته كما يرث الولد المال اذا قام به عند موته والظاهر أنه أراد وراثة النبوة والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعاء للناس الى تصديق المعجزة (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) والمنطق يشمل كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف مفيدا وغير مفيد ومنه
قولهم نطقت الحمامة قال المفسرون انه تعالى جعل الطير في أيامه مما له عقل وليس كذلك حال الطيور في أيامنا وان كان فيها ما ألهمه
الله تعالى الدقائق التي خصت بالحاجة اليها يحكى أنه مر على بلبل في شجرة فقال لاصحابه انه يقول اني أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء أي
التراب وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وأخبر أن الهدهد يقول استغفروا الله
يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه والقمري يقول سبحان ربي الأعلى

وحبب ذلك اليهم فصدهم عن السبيل يقول فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم
وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ومعناه فصدهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون يقول فهم لما قد
زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق
ولا يسلكونه ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألا يسجدوا
لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم) اختلفت القراء في قراءة قوله ألا يسجدوا لله فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين
والكوفيين ألا بالتخفيف بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا فأضمروا هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها وذكر
بعضهم سماعا من العرب ألا يا ارحمنا ألا يا تصدق علينا واستشهد أيضا ببيت الاخطل

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر * وان كان حيا قاعدا آخر الدهر

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم ولا موضع لقوله ألا في الاعراب وقرأ ذلك عامة قراء
المدينة والكوفة والبصرة ألا يسجدوا بتشديد ألا بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله
ألا في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا ويسجدوا في موضع نصب بأن * والصواب من
القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من
القراء مع صحة معنييهما * واختلف أهل العربية في وجه دخول يا في قراءة من قرأه على وجه
الامر فقال بعض نحويي البصرة من قرأ ذلك كذلك فكأنه جعله أمرا كأنه قال لهم اسجدوا وزاد
ياء بينهما يا التي تكون للتنبيه ثم أذهب ألف الوصل التي في اسجدوا وأذهبت الالف التي في يا
لانها ساكنة لقيت السين فصار ألا يسجدوا وقال بعض نحويي الكوفة هذه يا التي تدخل للنداء
يكتفى بها من الاسم ويكتفى بالاسم منها فتقول يا أقبل وزيد أقبل وما سقط من السواكن فعلى
هذا ويعني بقوله يخرج الخبء يخرج المخبوء في السموات والارض من غيث في السماء ونبات
في الارض ونحو ذلك وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عباراتهم عنه ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد يخرج الخبء
في السموات قال الغيث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يخرج الخبء
قال الغيث حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذي يخرج الخبء
في السموات والارض قال خبء السماء والارض ما جعل الله فيها من الارزاق والمطر من السماء
والنبات من الارض كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج
النبات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن اسمعيل بن أبي خالد
عن حكيم بن جابر في قوله ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم كل

خفية في السموات والارض حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله قال رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبيعا ابن امرأة كعب هل سألت كعبا عن البذر تنبت الارض العام لم يصب العام الآخر قال سمعت كعبا يقول البذر ينزل من السماء ويخرج من الارض قال صدقت * قال أبو جعفر انما هو تبيع ولكن هكذا قال محمد وقيل يخرج الخبء في السموات والارض لأن العرب تضع من مكان في وفي مكان من في الاستخراج ويعلم ما تخفون وما تعلنون يقول ويعلم السر من أمور خلقه هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها وذلك على قراءة من قرأ ألا بالتشديد وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فان معناه ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله ألا يا هؤلاء اسجدوا وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يعلم سركم وما تعلنون وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح العبادة الا له لا اله الا هو لا معبود سواه تصلح له العبادة فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيئا رب العرش العظيم يعني بذلك مالك العرش العظيم الذي كل عرش وان عظم فدونه لا يشبهه عرش ملكة سبا ولا غيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحطت بما لم تحط به الى قوله لا اله الا هو رب العرش العظيم هذا كله كلام الهدهد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون} يقول تعالى ذكره قال سليمن للهدهد سننظر فيما اعتذرت به من العذر واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا وفيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك كله أم كنت من الكاذبين فيه اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الي فقال هو من المؤخر الذي معناه التقديم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فأجابه سليمن يعني أجاب الهدهد لما فرغ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم وانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الي وقال وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها واستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها من تحت جناحه وطار حتى قامت تنظر الشمس * قال أبو جعفر فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدهد تولى الى سليمن راجعا بعد القائه الكتاب وأن نظره الى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل القائه كتاب سليمن اليها * وقال آخرون بل معنى ذلك اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فكن قريبا منهم وانظر ماذا يرجعون قالوا وفعل الهدهد وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها وقولها لهم اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم. وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا.

والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس ومعنى (من كل شئ) بعض كل شئ وقال في الكشاف أراد كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد تريد كثرة قاصديه وانما قال علمنا وأوتينا لانه أراد نفسه وأباه ويجوز أن يريد نفسه فقط لا على طريق التكبر بل على عادة الملوك يعظمون أنفسهم لمصلحة التهييب وقوله (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والتحدث بالنعم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا شكرا لا فخرا يروى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن ومثله للانس ومثله للطير ومثله للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وانه كان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود ومعنى (يوزعون) يحبسون قيل كانوا يمنعون من يتقدم من عسكره ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب ومنه يعلم أنه كان في كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويصرفهم ومعنى (أتوا على واد النمل) قطعوه وبلغوا آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي ويجوز أن يقصدا تيانهم من فوق لان الريح كانت تحملهم في الهواء فلذلك عدى بعلى عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمن أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى لقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لم تجز التاء لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فلابد من التمييز بالعلامة وحين عبر عن تفاهم النمل بلفظ التقاول جعل خطابهم خطاب

أولى العقل فحكى أنها (قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم) اما جواب للامر واما نهى بدلا من الامر أى لا تكونوا بحيث يحطمكم أى يكسركم سليمن وجنوده على طريقة لا أرينك ههنا وفى قوله (سليمن وجنوده) دون أن يقول جنود سليمن مبالغة أخرى كما تقول أعجبنى زيد وكرمه وفى الآية دلالة على أن من يسير فى الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من فى الطريق التحرز وفى قولها (وهم لا يشعرون) تنبيه على وجود الجزم بعصمة الانبياء كأنها عرفت أن النبي لعصمته لا يقع منه قتل (٩٥) هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وعن بعضهم أنها خافت على قومها أن يقعوا فى كفران نعمة الله تعالى اذا رأوا جلالة سليمن وهذا معنى الحطم فلذلك أمرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محذورة قيل سمع سليمن كلامها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا) أى شارعا فى الضحك آخذا فيه ولكن لم يبلغ حد القهقهة وكمال الضحك وما روى أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة فى الضحك النبوى وانما أضحكه من قولها شفقتها على قومها وسروره بما آتاه الله من ادراك الهمس واشتهاره بالتحرز والتقوى ولذلك مال الى الدعاء قائلا (رب أوزعنى) قال جار الله حقيقته اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأربطه لا ينفلت عنى فلا أزال شاكرا لك وانما أدرج ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة عليهما وبالعكس ثم طلب أن يضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال (وأن أعمل صالحا ترضاه) ثم دعا أن يجعله فى الآخرة من زمرة الصالحين لان ذلك غاية كل مقصود يروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنها فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة القصة الثالثة قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمن وذلك بدلالة الهدهد يروى أن سليمن حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج مع حشمه فأتى الحرم ومكث به أياما يقرب كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا أعجبته بهجتها إلا أنهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لانه يرى الماء من تحت الارض وعن وهب أنه أخل بالنوبة التى كانت تنوبه فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن

بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قوله فألقه اليهم ثم تول عنهم أى كن قريبا فانظر ماذا يرجعون وهذا القول أشبه بتأويل الآية لان مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقى اليها الكتاب ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر الى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره فذهب الهدهد بكتاب سليمن اليها فألقاه اليها فلما قرأته قالت لقومها يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كتب يعنى سليمن بن داود مع الهدهد بسم الله الرحمن الرحيم من سليمن بن داود الى بلقيس بنت ذى سرح وقومها أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين قال فأخذ الهدهد الكتاب برجله فانطلق به حتى أتاها وكانت لها كوة فى بيتها اذا طلعت الشمس نظرت اليها فسجدت لها فأتى الهدهد الكوة فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ثم ألقى الكتاب من الكوة فوقع عليها فى مكانها الذى هى فيه فأخذته حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال بلغنى أنها امرأة يقال لها بلقيس أحسبه قال ابنة شراحيل أحد أبويها من الجن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة وكانت فى بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فلما جاء الهدهد بخبرها الى سليمان بن داود كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد فجاء الهدهد وقد غلقت الابواب وكانت تغلق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها فجاء الهدهد فدخل من كوة فألقى الصحيفة عليها فقرأتها فاذا فيها انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين وكذلك كانت تكتب الانبياء لا تطنب انما تكتب جملا * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لم يزد سليمن على ما قص الله فى كتابه انه وانه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم فمضى الهدهد بالكتاب حتى اذا حاذى بالملكة وهى على عرشها ألقى اليها الكتاب وقوله قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم والملأ أشراف قومها يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبا لاشراف قومها يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم واختلف أهل العلم فى سبب وصفها الكتاب بالكريم فقال بعضهم وصفته بذلك لانه كان مختوما * وقال آخرون وصفته بذلك لانه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه وممن قال ذلك ابن زيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى ألقى الى كتاب كريم قال هو كتاب سليمن حيث كتب اليها وقوله انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم كسرت ان الاولى والثانية

فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فأقسم عليها بالله لتتركنه فتركته وقالت ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أوليأتيني بسلطان مبين أي بعذر واضح فلما قرب من سليمن أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ سليمن برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فارتعد سليمن وعفا عنه ثم سأله عما لقي في غيبته وفي تفقد

على الرد على اني من قوله اني ألقي الي كتاب كريم ومعنى الكلام قالت يا أيها الملاء اني ألقي الي كتاب وانه من سليمن وقوله أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين يقول ألقي الي كتاب كريم ألا تعلوا علي ففي أن وجهان من العربية ان جعلت بدلا من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب و بدلا منه وان جعل معنى الكلام اني ألقي الي كتاب كريم أن لا تعلوا علي كانت نصبا بتعلق الكتاب بها وعنى بقوله أن لا تعلوا علي أن لا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم اليه كما حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا تعلوا علي أن لا تمتنعوا من الذي دعوتكم اليه ان امتنعتم جاهدتكم فقلت لابن زيد أن لا تعلوا علي أن لا تتكبروا علي قال نعم قال وقال ابن زيد أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين ذلك في كتاب سليمن اليها وقوله وأتوني مسلمين يقول وأقبلوا الي مذعنين لله بالوحدانية والطاعة

القول في تأويل قوله تعالى (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبا لأشراف قومها يا أيها الملأ أفتوني في أمري تقول أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي الي فجعلت المشورة فتيا وقوله ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون تقول ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون فأشاوركم فيه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد دعت قومها تشاورهم أيها الملاء أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون يقال في الكلام ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضي أمرا فلذلك قالت ما كنت قاطعة أمرا بمعنى قاضية وقوله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد يقول تعالى ذكره قال الملأ من قوم ملكة سبأ اذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمن نحن ذوو القوة على القتال والبأس الشديد في الحرب والأمر أيتها الملكة اليك في القتال وفي تركه فانظري من الرأي ماترين فمرينا نأتمر لأمرك * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عرضوا لها القتال يقاتلون لها والامر اليك بعد هذا فانظري ماذا تأمرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد قال كان مع ملكة سبا اثنا عشر ألف قيول مع كل قيول مائة ألف حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف * قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش قال سمعت مجاهدا يقول كان تحت يد ملكة سبا اثنا عشر ألف قيول والقيول بلسانهم الملك تحت يد كل ملك مائة ألف مقاتل

القول في تأويل قوله تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) يقول تعالى ذكره قالت صاحبة سبا للملا من قومها اذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمن ان أمرتهم بذلك ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها يقول خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك باستعبادهم الاحرار واسترقاقهم اياهم

الهدهد اشارة الى أن الملوك يجب عليهم التيقظ وعدم الغفلة عن أصغر رعيتهم وأرجع الى التفسير قوله (مالي لا أرى) استبعاد منه أنه لا يراه وهو حاضر في الجند كأن ساترا ستره ثم لاح له أنه غائب فقال (أم كان من الغائبين) وقد مر في الوقوف قوله (لاعذبنه) لاشك أن تعذيبه انما يكون بما يحتمله حاله فقيل أراد أن ينتف ريشه ويشمسه وكان هذا عذابه للطير وقيل كان يطلى بالقطران ويشمس وقيل هو أن يلقيه للنمل لتأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل أراد لألزمنه صحبة الاضداد كما قيل اضيق السجون مجالسة الاضداد وقيل لألزمنه خدمة أقرانه ولعل تعذيب الهدهد وذبحه في عصره جائز لمصلحة السياسة كما أباح لنا ذبح كل مأكول لحمه لمصلحة التغذي وحاصل القسم يرجع الى قوله ليكونن أحد هذه الامور الثلاثة التعذيب أو الذبح أو الاتيان بعذر بين بحجة والصحة ويحتمل أن يكون قد عرف اتيانه بالعذر بطريق الوحي فلذلك أدرجه في سلك ماهو قادر على فعله فأقسم عليه ثم أخبر الله سبحانه أنه أتى بسلطان مبين وذلك قوله (فمكث غير بعيد) أي غير زمان بعيد (فقال) مخاطبا لسليمن (أحطت بما لم تحط به) قالوا فيه ابطال قول من زعم ان امام الزمان لا يخفى عليه شئ ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه وفيه دليل على شرف العلم وتناهي العلم وأن صاحبه له أن يكافح به من هو أعلى حالا منه والاحاطة بالشئ علما هو أن يعلمه من جميع جهاته وقوله (من سبا بنبا) من جملة صنائع البديع على أن النبأ خبر له شأن فذكره في هذا الموضع دون أن يقول من سبأ بخبر حسن على حسن وسبأ اسم للقبيلة فلا ينصرف أو اسم للحي أو الاب الاكبر فينصرف وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ويحتمل

وتناهى الخبر منها عن الملوك فى هذا الموضع فقال الله وكذلك يفعلون يقول تعالى ذكره وكما قالت صاحبة سبا تفعل الملوك اذا دخلوا قرية عنوة * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر فى قوله وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال أبو بكر هذا عنوة حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو بكر قال ثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها قال اذا دخلوها عنوة خربوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة قال ابن عباس يقول الله وكذلك يفعلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) ذكر أنها قالت انى مرسلة الى سليمن لتختبره بذلك وتعرفه به أملك هو أم نبى وقالت ان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه على دينه وان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال و بعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبى و ينبغى لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانى مرسلة اليهم بهدية قال بجوار لباسهم لباس الغلمان وغلمان لباسهم لباس الجوارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قولها وانى مرسلة اليهم بهدية قال مائتى غلام ومائتى جارية قال ابن جريج قال مجاهد قوله بهدية قال جوار ألبستهن لباس الغلمان وغلمان ألبستهم لباس الجوارى قال ابن جريج قال قالت فان خلص الجوارى من الغلمان و رد الهدية فانه نبى و ينبغى لنا أن نتبعه قال ابن جريج قال مجاهد نخاص سليمن بعضهم من بعض ولم يقبل هديتها * قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن ثابت البنانى قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمن أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطرق فلما جاؤا فرأوه ملقى ما يلتفت اليه صغر فى أعينهم ما جاؤا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية وقالت ان هذا الرجل ان كان انما همته الدنيا فسنرضيه وان كان انما يريد الدين فلن يقبل غيره وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة فى بيت ملك لم تملك الا لبقايا من مضى من أهلها انه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزنديقية فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التى كانت قبلها فبعثت الى المقاولة من أهل اليمن فقالت لهم يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين الى قوله بم يرجع المرسلون ثم قالت انه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من ملك من الملوك قبله فان يكن

أن يراد بسبا المدينة أو القوم ثم شرع فى النبا وهو قوله (انى وجدت امرأة) هو اسمها بلقيس بنت شراحيل ملك اليمن كابرا عن كابر الى تبع الاول ولم يكن له ولد غيرها، فورثت الملك وكانت هى وقومها مجوسا عبدة الشمس والضمير فى (تملكهم) يعود الى سبا ان أريد به القوم والى الاهل المحذوف ان أريد به المدينة (وأوتيت من كل شئ) أى بعض كل ما يتعلق بالدنيا من الاسباب (ولها عرش عظيم) كأنه استعظم لها ذلك مع صغر حالها الى حال سليمن أو استعظمه فى نفسه لانه لم يكن لسليمن مثله مع علو شأنه وقد يتفق لبعض الامراء شئ لا يكون مثله لمن فوقه فى الملك وقد يطلع بعض الاصاغر على مسئلة لم يطلع عليها أحد كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمن ووصف عرش الله بالعظم انما هو بالاضافة الى سائر ما خلق من السموات والارض يحكى من عظم شأنه أنه كان مكعبا ثلاثين فى ثلاثين أو ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكذا قوائمه وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال بعض المعتزلة فى قوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم) دليل على أن المزين للكفر والمعاصى هو الشيطان وأجيب بأن قول الهدهد لا يصلح للحجة والتحقيق فيه قدم ولا يبعد أن يلهم الله الهدهد وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصا فى زمن سليمن عليه السلام قوله (الا يسجدوا) من قرأ بالتشديد على أن الجار محذوف فان كان متعلقا بالصد فالتقدير صدهم لأن لا يسجدوا وان كان متعلقا بلا يهتدون فلا مزيدة أى لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فقوله ألا حرف تنبيه ويا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير ألا يا قوم اسجدوا كقوله

ألا يا أسلمى يا دارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة وان يكن الرجل ملكا يكاثر فليس بأعز منا ولا أعد فهيأت هدايا مما يهدى للملوك مما يفتنون به فقالت ان يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب فى المال وان يكن نبيا فليس له فى الدنيا حاجة وليس اياها يريد انما يريد أن ندخل معه فى دينه ونتبعه على أمره أو كما قالت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وانى مرسلة اليهم بهدية بعثت بوصائف ووصفاء لباسهم لباس واحد فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فهو نبى وينبغى لنا أن نتبعه وندخل فى دينه فزيل سليمن بين الغلمان والجوارى ورد الهدية فقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى الهدايا التى بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون فى ثيابهم ليميز الغلمان من الجوارى قال فدعا بماء فجعل الجوارى يتوضأن من المرفق الى أسفل وجعل الغلمان يتوضؤن من المرفق الى فوق قال وكان أبى يحدثنا هذا الحديث حدثنا عبد الأعلى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح وانى مرسلة اليهم بهدية قال أرسلت بلبنة من ذهب وقالت ان كان يريد الدنيا علمته وان كان يريد الآخرة علمته وقوله فناظرة بم يرجع المرسلون تقول فأنظر بأى شئ من خبره وفعله فى هديتى التى أرسلها اليه ترجع رسلى أبقبول وانصراف عنا أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه وأسقطت الالف من ما فى قوله بم وأصله بما لان العرب اذا كانت ما بمعنى أى ثم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام وغيره كما قال جل ثناؤه عم يتساءلون وقالوا فيم كنتم وربما أثبتوا فيها الالف كما قال الشاعر

على ما قام يشتمنا لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

وقالت وانى مرسلة اليهم وانما أرسلت الى سليمن وحده على النحو الذى بينا فى قوله على خوف من فرعون وملائهم وقوله فلما جاء سليمن قال أتمدوننى بمال ان قال قائل وكيف قيل فلما جاء سليمن فجعل الخبر فى مجئ سليمن عن واحد وقد قال قبل ذلك فناظرة بم يرجع المرسلون فان كان الرسول كان واحدا فكيف قيل بم يرجع المرسلون وان كانوا جماعة فكيف قيل فلما جاء سليمن قيل هذا نظير ما قد بينا قبل من اظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد على وجه الخبر عن جماعة اذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه يشار اليه بعينه فسمى فى الخبر وقد قيل ان الرسول الذى وجهته ملكة سبا الى سليمن كان امرأ واحدا فلذلك قال فلما جاء سليمن يراد به فلما جاء الرسول سليمن واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمن للرسول ارجع اليهم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فلما جاؤا سليمن على الجمع وذلك للفظ قوله بم يرجع المرسلون فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى وقوله قال أتمدوننى بمال يقول قال سليمن لما جاءه الرسول من قبل المرأة بهداياها أتمدوننى بمال * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة أتمدوننى بنونين واثبات الياء وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الاخيرة وقرأه بعض قراء البصرة بنونين واثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون واثبات الياء وكل هذه القراآت متقاربات وجميعها صواب

قال الزجاج السجدة فى الآية على قراءة التخفيف دون التشديد والحق عدم الفرق لان الذم على الترك كالامر بالسجود فى الاقتضاء والخبء مصدر بمعنى المخبوء وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه ومن جملة ذلك اطلاع الكواكب من أفق الشرق بعد اختفائها فى أفق الغرب ومنها الاقضية والاحكام والوحى والالهام ومنها انزال الملك وكل أثر علوى وفى تخصيص وصف الله تعالى فى هذا المقام باخراج الخبء اشارة الى ما عهده الهدهد من قدرة الله تعالى فى اخراج الماء من الارض ألهمه هذا التخصيص كما ألهمه تلك المعرفة ولما انجر كلام الهدهد الى هذه الغاية (قال) سليمن (سننظر) أى نتأمل فى صفحات حالك (اصدقت أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أن لو قال له كذبت لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما فى كل ما أخبر به ثم ذكر كيفية النظر فى أمره فقال (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) لم يقل اليها لانه كان قد قال وجدتها وقومها فكأن سليمن قال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما فيه بأمر الدين ولمثل هذا قال فى الكتاب ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ومعنى (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه تسمع ما يقولون (يرجعون) من رجع القول كقوله يرجع بعضهم الى بعض القول يروى أنها كانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية نائمة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والجنود حواليها من فوق والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وقيل كان فى البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحيه لأنها
فلما رأت ذلك قامت اليه فألقى الكتاب اليها وههنا اضمار أى فذهب فألقى ثم توارى ثم كان سائلا سأل فماذا قالت بلقيس فقيل (قالت)

لانها معروفة فى لغات العرب مشهورة فى منطقها وقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم يقول فما آتانى الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل بل أنتم بهديتكم تفرحون يقول ما أفرح بهديتكم التى أهديتم الى بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدى اليكم لانكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها وليست الدنيا وأموالها من حاجتى لان الله تعالى ذكره قد مكننى منها وملكنى فيها مالم يملك أحدا ارجع اليهم وهذا قول سليمن لرسول المرأة ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما أتت الهدايا سليمن فيها الوصائف والوصفاء والخيل العراب وأصناف من أصناف الدنيا قال للرسل الذين جاؤا به أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانه لا حاجة لى بهديتكم وليس رأيى فيه كرأيكم فارجعوا اليها بما جئتم به من عندها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال لا طاقة لهم بها وقوله ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون يقول ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون أولتأتينى مسلمة هى وقومها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم﴾ اختلف أهل العلم فى الحين الذى قال فيه سليمن يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها فقال بعضهم قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبا صاحبة سبا وقال له جئتك من سبا بنبا يقين وأخبره أن لها عرشا عظيما فقال له سليمن صلى الله عليه وسلم سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء أيكم يأتينى بعرش هذه المرأة قبل أن يأتونى مسلمين وقالوا انما كتب سليمن الكتاب مع الهدهد الى المرأة بعد ما صح عنده صدق الهدهد بمجىء العالم بعرشها اليه على ما وصفه به الهدهد قالوا ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا الى من لا يدرى هل هو فى الدنيا أم لا قالوا وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتابا الى المرأة قبل مجىء عرشها اليه وقبل علمه صدق الهدهد بذلك لم يكن لقوله له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين معنى لانه لا يعلم بخبره الثانى من ابلاغه اياها الكتاب أوترك ابلاغه اياها ذلك الا نحو الذى علم بخبره الاول حين قال له جئتك من سبا بنبا يقين قالوا واذا لم يكن فى الكتاب معه امتحان صدقه من كذبه وكان محالا أن يقول نبى الله قولا لا معنى له وقد قال له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين علم أن الذى امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة اليه على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ثم كان الكتاب معه بعد ذلك اليها * ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى

يختمه فقد استخف به * ثم ان سائلا كأنه قال لها ممن الكتاب وماهو فقالت (انه من سليمان وانه) كيت وكيت * سؤال لم قدم سليمن اسمه على اسم الله والجواب أنها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لأحد اليها طريق ورأت الهدهد علمت أنه من سليمن وحين فتحت الكتاب رأت التسمية ولذلك قالت ما قالت أو لعل سليمن كتب على عنوان الكتاب انه من سليمن فقرأت عنوانه أولا ثم أخبرت بما فى الكتاب أو لعل سليمن قصد بذلك أنها لو شتمت لاجل كفرها حصل الشتم لسليمن لا لله تعالى وأن فى (أن لا تعلوا) مفسرة لما ألقى اليها أى لا تتكبروا كما تفعل الملوك يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكان كتب الانبياء عليهم السلام جملا وأنه مع وجازته مشتمل على تمام المقصود لان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع وصفاته والباقى نهى عن الترفع والتكبر وأمر بالانقياد للتكاليف كل ذلك بعد اظهار المعجز برسالة الهدهد قوله (قالت يا أيها الملأ) استئناف آخر وهكذا الى تمام القصة ومعنى (أفتونى) أشيروا على بما يحدث لكم من الرأى والفتوى الجواب فى الحادثة وأصلها من الفتاء فى السن وقطع الأمر فصله والقضاء فيه أرادت بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع آرائهم فأجابوا بأنهم أصحاب القوى الجسدانية والخارجية ولهم النجدة والبلاء فى الحرب ومع ذلك فوضوا الأمر اليها فما أحسن هذا الأدب و يحتمل أن يراد نحن من أبناء الحرب لامن

وذلك اذا أرادوا قهرها والتسلط عليها ابتداء والا فالافساد غير لازم بل لعل الاصلاح ألزم اذا سلكت سبيل العدل والانصاف فليس للظلمة في الآية حجة ومفعول (مرسلة) محذوف أي مرسلة رسلا مع هدية وهي اسم المهدى كالعطية اسم المعطى وانما رأت الاهداء أولا لان الهدية سبب استمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا قال في الكشاف روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج مرصعة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا يميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمن فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر

أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان سليمن أوتي ملكا وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره فلما فقد الهدهد سأله من أين جئت ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب قال جئتك من سبا بنبا يقين قال له سليمن ماهذا النبأ قال الهدهد اني وجدت امرأة بسبا تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم فلما أخبر الهدهد سليمن أنه وجد سلطانا أنكر أن يكون لاحد في الارض سلطان غيره فقال لمن عنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين قال سليمن أريد أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب وهو رجل من الانس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الاكبر الذي اذا دعي به أجاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فدعا بالاسم وهو عنده قائم فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدي سليمن والله صنع ذلك فلما أتي سليمن بالعرش وهم مشركون يسجدون للشمس والقمر أخبره الهدهد بذلك فكتب معه كتابا ثم بعثه اليهم حتى اذا جاء الهدهد الملكة ألقى اليها الكتاب قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم الى وأتوني مسلمين فقالت لقومها ما قالت واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبي وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به فرد سليمن الهدية وزيل بينهم فقال هؤلاء غلمان وهؤلاء جوار وقال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون الى آخر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اني وجدت امرأة تملكهم الآية قال وأنكر سليمان أن يكون لاحد على الارض سلطان غيره قال لمن حوله من الجن والانس أيكم يأتيني بعرشها الآية * وقال آخرون بل انما اختبر صدق الهدهد سليمن بالكتاب وانما سأل من عنده احضاره عرش المرأة بعدما خرجت رسلها من عنده وبعد أن أقبلت المرأة اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما رجعت اليها الرسل بما قال سليمن قالت قد والله عرفت ماهذا بملك وما لنا به طاقة وما نصنع بمكاثرته شيأ وبعثت اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الابواب وكانت انما يخدمها النساء معها ستمائة امرأة يخدمنها ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وبسرير ملكي فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحد حتى آتيك ثم شخصت الى سليمن في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة فجعل سليمن يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى اذا دنت جمع من عنده من الجن والانس ممن تحت يده فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين وتأويل الكلام قال سليمن لأشراف من حضره من جنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها يعني سريرها كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أيكم يأتيني بعرشها

فربطوها عن يمين الميدان وعن يساره على اللبنات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك. فلما

دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب على اللبنات فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ماوراءكم وقال أين الحق وأخبرهم بما فيه ثم أمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة فجعل رزقها

قال سرير فى أريكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عرشها سرير فى أريكة قال ابن جريج سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أيكم يأتينى بعرشها بسريرها * وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أيكم يأتينى بعرشها قال مجلسها * واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله خص سليمن مسألة الملا من جنده احضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل اسلامها فقال بعضهم انما فعل ذلك لانه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته وخشى أن تسلم فيحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أخبر سليمن الهدهد أنها قد خرجت لتأتيه وأخبر بعرشها فأعجبه كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ فعرف أنهم ان جاؤه مسلمين لم تحل له أموالهم فقال للجن أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين * وقال آخرون بل فعل ذلك سليمن ليعاتبها به ويختبر به عقلها هل تثبته اذا رأته أم تنكره ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أعلم الله سليمن أنها ستأتيه فقال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين حتى يعاتبها وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله قبل أن يأتونى مسلمين فقال بعضهم معناه قبل أن يأتونى مستسلمين طوعا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قبل أن يأتونى مسلمين يقول طائعين * وقال آخرون بل معنى ذلك قبل أن يأتونى مسلمين الاسلام الذى هو دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين بحرمة الاسلام فيمنعهم وأموالهم يعنى الاسلام يمنعهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب فى السبب الذى من أجله خص سليمن بسؤاله الملا من جنده باحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ليجعل ذلك حجة عليها فى نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه انها خلفته فى بيت فى جوف أبيات بعضها فى جوف بعض مغلق مقفل عليها فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله الى وليه من خلقه وسلمه اليه فكان لها فى ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها اليه سليمن وعلى صدق سليمن فيما أعلمها من نبوته فأما الذى هو أولى التأويلين فى قوله قبل أن يأتونى مسلمين بتأويله فقول ابن عباس الذى ذكرناه قبل من أن معناه طائعين لان المرأة لم تأت سليمن اذ أتته مسلمة وانما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة وقوله قال عفريت من الجن يقول تعالى ذكره قال رئيس من الجن مارد قوى وللعرب فيه لغتان عفريت وعفرية فمن قال عفرية جمعه عفارى ومن قال عفريت جمعه عفاريت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قال عفريت من الجن قال مارد من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن بعض أصحابه قال عفريت قال داهية * قال ثنى

فى الشجر وأخذت دودة بيضاء الخيط فأدخلته فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار (أتمدوننى بمال) ثم قال على سبيل الاعلام وتعليل الانكار (فما آتانى الله) من الكمالات والقربات والدرجات (خير مما آتاكم) ثم أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون الفرح الا فى أن يهدى اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا تكون الهدية مضافة الى المهدى اليه والمعنى (بل أنتم بهديتكم) هذه التى أهديتموها (تفرحون) فرح افتخار على الملوك ويحتمل أن يكون الكلام عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول أو للهدهد معه كتاب آخر (ارجع اليهم) ومعنى (لا قبل) لا طاقة ولا مقابلة والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا مع ذلك فى أسر واستعباد يروى أنه لما رجعت اليها الرسل عرفت أن سليمن نبى وليس لهم به طاقة فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف وأمرت عند خروجها أن يجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات فى آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا فلعل سليمن أوحى اليه ذلك فأراد أن يريها بعض ما خصه الله به من

المعجزات فلذلك (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد بذلك اختبار عقلها كما يجىء وقيل أراد أن يعرف تجملها ومقدار مملكتها قبل وصولها اليه * والعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذى

يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد ووزنه فعليت قالوا كان اسمه ذكوان وآتيك به في الموضعين يجوز أن يكون فعلا مضارعا وأن يكون اسم فاعل ومعنى (أن تقوم من مقامك) اما على ظاهره وهو أن يقوم فيقعد واما أن يكون المقام

حجاج عن ابن جريج قال أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي قال العفريت الذي ذكره الله اسمه كوزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم قال عفريت اسمه كوزن وقوله أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يقول أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس فقال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس وذكر أنه كان يقعد الى انتصاف النهار * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله قال وكان يقضي قال قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضي فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني مجلسه وقوله واني عليه لقوي أمين على ما فيه من الجواهر ولا أخون فيه وقد قيل أمين على فرج المرأة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله واني عليه لقوي أمين يقول قوي على حمله أمين على فرج هذه قوله قال الذي عنده علم من الكتاب يقول جل ثناؤه قال الذي عنده علم من كتاب الله وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم فقال بعضهم اسمه بليخا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عثمة قال ثنا شعبة عن بشر عن قتادة في قوله قال الذي عنده علم من الكتاب قال كان اسمه بليخا حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله الذي عنده علم من الكتاب رجل من الانس حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قال أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الارض حتى خرج اليهم حدثنا ابن عرفة قال ثني حماد بن محمد عن عثمان بن مطر عن الزهري قال دعا الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها قال فمثل بين يديه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال الذي عنده علم من الكتاب قال رجل من بني آدم أحسبه قال من بني اسرائيل كان يعلم اسم الله الذي اذا دعي به أجاب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذي عنده علم من الكتاب قال الاسم الذي اذا دعي به أجاب وهو يا ذا الجلال والاكرام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قال سليمن لمن حوله أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين فقال عفريت أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال سليمن أريد أعجل من ذلك فقال رجل من الانس عنده علم من الكتاب يعني اسم الله الذي اذا دعي به أجاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين لا آتيك بغيره أقول غيره أمثله لك قال وخرج يومئذ رجل عابد في جزيرة من البحر فلما

هو المجلس ولابد فيه من عادة معلومة حتى يصح أن يؤقت به وعلى هذا قيل المراد مجلس الحكم وقيل مقدار فراغه من الخطبة وقيل الى انتصاف النهار (واني عليه) أي على حمله (لقوي أمين) آتي به على حاله لا أتصرف فيه بشئ واختلفوا في الذي عنده علم من الكتاب فقيل هو الخضر عليه السلام وقيل جبرائيل وقيل ملك ايد الله به سليمن وقيل آصف بن برخيا وزيره أو كاتبه وقيل هو سليمن نفسه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وقد يرجح هذا القول بوجوه منها أن الشخص المشار اليه بالذي يجب أن يكون معلوما للخاطب وليس سوى سليمن ولو سلم أن آصف أيضا كان كذلك فسليمن اولى باحضار العرش في تلك اللحة والالزم تفضيل آصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمن (هذا من فضل ربي) ويمكن أن يقال الضمير راجع الى استقرار العرش عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى أن كمال حال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع والمخدوم ولا يلزم من أن يأمر الانسان غيره بشئ أن يكون الآمر عاجزا عن الاتيان بذلك الشئ واختلفوا ايضا في الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب المنزل الذي فيه الوحي والشرائع وقيل كتاب سليمن أو كتاب بعض الانبياء وما ذلك العلم قيل نوع من العلم لا يعرف الآن والاكثرون على أنه العلم باسم الله الاعظم وقد مر في تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك أن غالب بن قطان مكث عشرين سنة يسأل الله الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب

سمع العفريت قال أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال ثم دعا باسم من أسماء الله فاذا هو يحمل بين عينيه وقرأ فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي حتى بلغ ان ربي غني كريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال رجل من الانس * قال وقال مجاهد الذي عنده علم من الكتاب علم اسم الله * وقال آخرون الذي عنده علم من الكتاب كان آصف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عفريت لسليمن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين فزعموا أن سليمن بن داود قال أبتغي أعجل من هذا فقال آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم الذي اذا دعي الله به أجاب واذا سئل به أعطى أنا يا نبي الله آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقوله أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أنا آتيك به قبل أن يصل اليك من كان منك على مد البصر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ابراهيم قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قبل أن يرتد اليك طرفك قال من قبل أن يرجع اليك أقصى من ترى فذلك قوله من قبل أن يرتد اليك طرفك * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال غير قتادة قبل ان يرتد اليك طرفك قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر * وقال آخرون بل معنى ذلك من قبل ان يبلغ طرفك مداه وغايته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قبل أن يرتد اليك طرفك تمد عينيك فلا ينتهي طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك قال ذلك أريد حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال أخبرت أنه قال ارفع طرفك من حيث يجيء فلم يرجع اليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء عن مجاهد في قوله قبل أن يرتد اليك طرفك قال مد بصره حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يرد الطرف خاسئا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يحسر الطرف * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال قبل أن يرجع اليك طرفك من أقصى أثره وذلك أن معنى قوله يرتد اليك يرجع اليك البصر اذا فتحت العين غير راجع بل انما يمتد ماضيا الى أن يتناهى ما امتد نوره فاذا كان ذلك كذلك وكان الله انما أخبرنا عن قائل ذلك أنا آتيك به قبل أن يرتد لم يكن لنا أن نقول انه قال أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعا اليك طرفك من عند منتهاه وقوله فلما رآه مستقرا عنده يقول فلما رأى سليمن عرش ملكة سبا مستقرا عنده وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ظهر عما ترك وهو فدعا الله فأتي به فلما رآه سليمن مستقرا عنده وذكر أن العالم دعا الله فغار العرش في المكان الذي كان به ثم نبع من تحت الارض بين يدي سليمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال ذكروا أن آصف بن برخيا توضأ ثم ركع ركعتين ثم قال يا نبي الله امدد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمن عينيه ينظر اليه نحو اليمين ودعا آصف فانخرق بالعرش

واذا سئل به أعطى فأرى في منامه ثلاث ليال متواليات قل يا غالب يا فارج الهم يا كاشف الغم يا صادق الوعد يا موفيا بالعهد يا منجز الوعد يا حي يا لا اله الا انت صل اللهم على محمد وآل محمد وسلم والطرف تحريك الاجفان عند النظر فوضع موضع النظر فاذا فتحت العين توهمت أن نور العين يمتد الى المرئي واذا غمضت توهمت أن ذلك النور قد ارتد فمعنى الآية أنك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك يروى أن آصف قال له مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمين ودعا آصف فغاص العرش في مكانه ثم ظهر عند مجلس سليمن بالشام بقدرة الله قبل أن يرتد طرفه ومن استبعد هذا في قدرة الله فليتأمل في الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول استبعاده وقال مجاهد هو تمثيل لاستقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل هذا في لحظة لمح لمحة وحين عرف سليمن نعمة الله في شأنه وأن ذلك صورة الابتلاء بين أن شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لانه يرتبط به العتيد ويطلب المزيد كما قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وروى في الكشاف عن بعضهم أن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار قوله أقشعت نافرة أي ذهبت في حال نفارها وراهنها أي ثابتها (ومن كفر فان ربي غني) عن عبادة كل عابد فضلا عن شكر شاكر (كريم) لا يقطع امداد نعمه عنه لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون أن الجن كرهوا أن يتزوجها سليمن فتفضي اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية أو خافوا أن يولد له منها ولد تجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمن الى ملك هو أشد فقالوا له ان في عقلها شيأ وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله (نكروا لها عرشها)

مكانه الذى هو فيه ثم نبع بين يدى سليمن فلما رآه سليمن مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نبع عرشها من تحت الارض وقوله قال هذا من فضل ربى ليبلونى يقول هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذى أنا فيه حتى حمل الىّ عرش هذه فى قدر ارتداد الطرف من مأرب الى الشام من فضل ربى الذى أفضله علىّ وعطائه الذى جاد به علىّ ليبلونى يقول ليختبرنى ويمتحننى أأشكر ذلك من فعله علىّ أم أكفر نعمته علىّ بترك الشكر له وقد قيل ان معناه أأشكر على عرش هذه المرأة اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر على السرير اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى وقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن شكر نعمة الله عليه وفضله عليه فانما يشكر طلب نفع نفسه لانه ليس ينفع بذلك غير نفسه لانه لا حاجة لله الى أحد من خلقه وانما دعاهم الى شكره تعريضا منه لهم للنفع لا لاجتلاب منه بشكرهم اياه نفعا الى نفسه ولا دفع ضر عنها ومن كفر فان ربى غنى كريم يقول ومن كفر نعمه واحسانه اليه وفضله عليه لنفسه ظلم وحظها بخس والله غنى عن شكره لا حاجة به اليه لا يضره كفر من كفر به من خلقه كريم ومن كرمه افضاله على من يكفر نعمه ويجعلها وصلة يتوصل بها الى معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره قال سليمن لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبا وقدمت هى عليه لجنده غيروا لهذه المرأة سريرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله نكروا لها عرشها قال غيروا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلما أتته قال نكروا لها عرشها قال وتنكير العرش أنه زيد فيه ونقص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله نكروا لها عرشها قال غيروه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله نكروا لها عرشها قال مجلسها الذى تجلس فيه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله نكروا لها عرشها أمرهم أن يزيدوا فيه وينقصوا منه وقوله ننظر أتهتدى يقول ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذى لها أم تكون من الذين لا يهتدون يقول من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها وقيل ان سليمن انما نكر لها عرشها وأمر بالصرح يعمل لها من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها وأن رجلها كحافر حمار فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون قال زيد فى عرشها ونقص

أى اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقوله (ننظر) بالجزم جواب للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفة العرش أو للجواب الصائب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك الخوارق وقوله (أم تكون من الذين لا يهتدون) أبلغ من أن لو قال أم لا تهتدى كما مر فى قوله أم كنت من الكاذبين (فلما جاءت قيل أهكذا) أى مثل ذا (عرشك) لئلا يكون شبه تلقين فقالت (كأنه هو) ولم تقل هو هو مع أنها عرفته ليكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل وتوقفت فى مقام التوقف أما قوله (واوتينا العلم) فمعطوف على مقدر كأنهم قالوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطابقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة نبوة سليمن بهذه الخوارق (وأوتينا) نحن (العلم) بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام (وصدها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها بين ظهرانى الكفرة والغرض تلقى نعمة الله بالشكر على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة أو الحالة وذلك عند وفدة المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه (ما كانت تعبد من دون الله) وقيل الجار محذوف أى وصدها الله او سليمن عما كانت تعبد واختبر ساقها بأن أمر أن يبنى على طريقها قصر من زجاج أبيض فأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى آخره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ثم (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) منه
أى ماء غامرا (وكشفت عن ساقيها) لتخوض فى الماء فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء فصرف سليمن بصره وناداها

معه لينظر الى عقلها فوجدت ثابتة العقل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ننظر أتهتدى أتعرفه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ننظر أتهتدى قال تعرفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون أى أتعقل أم تكون من الذين لا يعقلون ففعل ذلك لينظر أتعرفه أم لا تعرفه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) يقول تعالى ذكره لما جاءت صاحبة سبا سليمن أخرج لها عرشها فقال لها أهكذا عرشك فقالت وشبهته به كأنه هو * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما انتهت الى سليمن وكلمته أخرج لها عرشها ثم قال أهكذا عرشك قالت كأنه هو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو قال شبهته وكانت قد تركته خلفها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبى يحدثنا هذا الحديث كله يعنى حديث سليمن وهذه المرأة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو شكت وقوله وأوتينا العلم من قبلها يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمن وقال سليمن وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته على ما يشاء وكنا مسلمين لله من قبلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأوتينا العلم من قبلها قال سليمن يقوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين) يقول تعالى ذكره ومنع هذه المرأة صاحبة سبا ما كانت تعبد من دون الله وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله (٣) غير الوثن أن تهتدى للحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله صدها أن تهتدى للحق ولو قيل معنى ذلك وصدها سليمن ما كانت تعبد من دون الله بمعنى منعها وحال بينها وبينه كان وجها حسنا ولو قيل أيضا وصدها الله ذلك بتوفيقها للاسلام كان أيضا وجها صحيحا وقوله انها كانت من قوم كافرين يقول ان هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين وكسرت الالف من قوله انها على الابتداء ومن تأول قوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله التأويل الذى تأولنا كانت ما من قوله ما كانت تعبد فى موضع رفع بالصد لان المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها وأنها لا تعقل انما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر وكان ذلك من دين قومها وآبائها فاتبعت فيه آثارهم ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت ما فى موضع نصب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العلمين) ذكر أن سليمن لما أقبلت صاحبة سبا تريده

(انه صرح ممرد) أى مملس (من قوارير) هذا عند من يقول تزوجها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا له همدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له. قالوا كون ساقها شعراء هو السبب فى اتخاذ النورة أمر به الشياطين فاتخذوها وقال آخرون المقصود من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف الساق على سبيل التبع عن ابن عباس لما أسلمت قال لها اختارى من أزواجكم فقالت مثلى لا ينكح الرجال مع سلطان فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردهما الى اليمن ولم يزل بها ملكا (قالت رب انى ظلمت نفسى) أى بالكفر فى الزمن السالف

أمر الشياطين فبنوا له صرحا وهو كهيئة السطح من قوارير وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك وفهمها على نحو الذى كانت تفعل هى من توجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والاناث معاتبة بذلك كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمن بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال ادخلى الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك انه ماء تخوضه قيل لها ادخلى انه صرح ممرد من قوارير فلما وقفت على سليمن دعاها الى عبادة الله وعابها فى عبادتها الشمس دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمن ساجدا اعظاما لما قالت وسجد معه الناس وسقط فى يديها حين رأت سليمن صنع ما صنع فلما رفع سليمن رأسه قال ويحك ماذا قلت قال وأنسيت ما قالت فقالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين وأسلمت فحسن اسلامها وقيل ان سليمن انما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله لان الجن خافت من سليمن أن يتزوجها فارادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأراد سليمن أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى قال قالت الجن لسليمن تزهده فى بلقيس ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأمر سليمن بالصرح فعمل فسجن فيه دواب البحر الحيتان والضفادع فلما بصرت بالصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فحسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال فاذا أحسن الناس ساقا وقدما قال فضن سليمن بساقها عن الموسى قال فاتخذت النورة بذلك السبب وجائز عندى أن يكون سليمن أمر باتخاذ الصرح للامرين الذى قاله وهب والذى قاله محمد بن كعب القرظى ليختبر عقلها وينظر الى ساقها وقدمها ليعرف صحة ما قيل له فيها وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى الصرح ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصرح قال بركة من ماء ضرب عليها سليمن قوارير ألبسها قال وكانت بلقيس هلباء شعراء قدمها كحافر الحمار وكانت أمها جنية حدثنى أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحد أبوى صاحبة سبا جنيا * قال ثنا صفوان بن صالح قال ثنى الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النضر بن أنس وقوله فلما رأته حسبته لجة يقول فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة قال وكان من قوارير وكان الماء من خلفه فحسبته لجة * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حسبته لجة قال بحرا حدثنا عمرو بن على قال ثنا ابن سوار قال ثنا روح بن القاسم عن عطاء بن السائب عن مجاهد فى قوله وكشفت عن ساقيها فاذا هما شعراوان فقال ألا شئ يذهب هذا قالوا الموسى قال لا الموسى له أثر فأمر بالنورة فصنعت حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سليمن عن عكرمة وأبى صالح قالا لما تزوج سليمن بلقيس قالت له لم تمسنى حديدة

أو بسوء ظنى بسليمن اذ حسبت انه يغرقنى فى الماء وهذا التفسير أنسب بما قبله ولعل فى قولها مع سليمن أى مصاحبة له اشارة الى أن اسلامها تبع لاسلام سليمن وأنها تريد أن تكون معه فى الدارين جميعا والله أعلم ۞ التأويل ولقد آتينا داود الروح وسليمن القلب علما الدنيا على كثير من عباده وهم الاعضاء والجوارح المستعملة فى العبودية وورث سليمن داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون عبوره على داود الروح الا أنه للطافته لا يحفظها وانما يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمن أقضى من داود قوله منطق الطير يعنى الرموز والاشارات التى يحفظها بلسان الحال أرباب

قط قال سليمن للشياطين انظروا ما يذهب الشعر قالوا النورة فكان أول من صنع النورة وقوله انه صرح ممرد من قوارير يقول جل ثناؤه قال سليمن لها ان هذا ليس بحر انه صرح ممرد من قوارير يقول انما هو بناء مبنى مشيد من قوارير * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ممرد قال مشيد وقوله قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن الآية يقول تعالى ذكره قالت المرأة صاحبة سبا رب انى ظلمت نفسى فى عبادتى الشمس وسجودى لما دونك وأسلمت مع سليمن لله تقول وانقدت مع سليمن مذعنة لله بالتوحيد مفردة له بالالوهة والربوبية دون كل من سواه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى حسبته لجة قال انه صرح ممرد من قوارير فعرفت أنها قد غلبت قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله وحده لا شريك له ولا تجعلوا معه الها غيره فاذا هم فريقان يختصمون يقول فلما أتاهم صالح داعيا لهم الى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم اليه فريقين يختصمون ففريق مصدق صالحا مؤمن به وفريق مكذب به كافر بما جاء به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر قولهم صالح مرسل وقولهم صالح ليس بمرسل ويعنى بقوله يختصمون يختلفون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا هم فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر وقوله قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة يقول تعالى ذكره قال صالح لقومه يا قوم لأى شئ تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال السيئة العذاب قبل الحسنة قبل الرحمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قال بالعذاب قبل الحسنة قال العافية وقوله لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون يقول هلا تتوبون الى الله من كفركم فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم يصفح لكم عن عقوبته اياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة وقوله لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باستغفاركم اياه من كفركم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون﴾ يقول تعالى ذكره قالت ثمود لرسولها صالح اطيرنا بك وبمن معك أى تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب فأجابهم صالح فقال لهم طائركم عند الله أى ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه لا يدرى أى ذلك كائن أما تظنون من المصائب أو المكاره أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله قال طائركم عند الله يقول مصائبكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله طائركم عند الله علمكم عند الله وقوله

الاحوال الطائرين فى سماء سيناء الفناء وقيل أراد الخواطر الملكية الروحانية قوله من الجن والانس والطير أى من الصفات الشيطانية والانسانية والملكية فهم يوزعون على طبيعتهم بالشريعة وادى النمل هوى النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها قالت نملة هى النفس اللوامة يا أيها النمل هى الصفات النفسانية ادخلوا مساكنكم محال الكم المختلفة وهى الحواس الخمس وهم لا يشعرون أنهم على الحق وأنتم على الباطل لان الشمس لا حس عندها من نورها ولا من الظلمة التى تزيلها نعمتك التى أنعمت على بتسخير جنودى لى وعلى والدى وهما الروح والجسد أنعم على الروح بافاضة الفيوض وعلى الجسد باستعماله فى أركان

بل أنتم قوم تفتنون يقول بل أنتم قوم تختبرون يختبركم ربكم اذا أرسلني اليكم أتطيعونه فتعملون بما أمركم به فيجزيكم الجزيل من ثوابه أم تعصونه فتعملون بخلافه فيحل بكم عقابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون﴾ يقول تعالى ذكره وكان في مدينة صالح وهي حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون في الارض ولا يصلحون وكان افسادهم في الارض كفرهم بالله ومعصيتهم اياه وانما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون وان كان أهل الكفر كلهم في الارض مفسدين لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة وتعاونوا عليه وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تسعة رهط قال من قوم صالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون هم الذين عقروا الناقة وقالوا حين عقروها نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ثم نقول لاولياء صالح ما شهدنا من هذا شيأ ومالنا به علم فدمرهم الله أجمعين وقوله قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله يقول تعالى ذكره قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حجر ثمود ولا يصلحون تقاسموا بالله تحالفوا بالله أيها القوم ليحلف بعضكم لبعض لنبيتن صالحا وأهله فلنقتلنه ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تقاسموا بالله قال تحالفوا على اهلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ويتوجه قوله تقاسموا بالله الى وجهين أحدهما النصب على وجه الخبر كأنه قيل قالوا متقاسمين وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا بالله وليس فيها قالوا فذلك من قراءته يدل على وجه النصب في تقاسموا على ما وصفت والوجه الآخر الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض أقسموا بالله فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة لنبيتنه بالياء والنون لان القائل لهم تقاسموا وان كان هو الآمر فهو فيمن أقسم كما يقال في الكلام انهضوا بنا نمض الى فلان وانهضوا نمضي اليه وعلى الوجه الاول الذي هو وجه النصب القراءة فيه بالنون أفصح لان معناه قالوا متقاسمين لنبيتنه وقد تجوز الياء على هذا الوجه كما يقال في الكلام قالوا لنكرمن أباك وليكرمن أباك وبالنون قرأ ذلك قراء المدينة وعامة قراء البصرة وبعض الكوفيين وأما الاغلب على قراء أهل الكوفة فقراءته بالياء وضم التاء جميعا وأما بعض المكيين فقرأه بالياء وأعجب القرا آت في ذلك الى النون لان ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بينت من النصب والجزم وان كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت وأكرهها الى القراءة بها الياء لقلة قارئ ذلك كذلك وقوله لنبيتنه قال ليبيتن صالحا ثم يفتكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا يعني فيما وعدهم من العذاب بعد

الشريعة وفي قوله بنبا يقين اشارة الى أن من أدب المخبر أن لا يخبر الا عن يقين وبصيرة ولا سيما عند الملوك وفي قول سليمن سننظر أصدقت اشارة الى أن خبر الواحد وان زعم اليقين لا يعول عليه الا بامارات أخر كتاب كريم كأنها عرفت أنها بكرامته تهتدي الى حضرة الكريم ان ملوك الصفات الربانية اذا دخلوا قرية الشخص الانساني أفسدوها بافساد الطبيعة الحيوانية وجعلوا أعزة أهلها وهم النفس الامارة وصفاتها أذلة بسطوات التجلي وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفي قوله أيكم يأتيني بعرشها اشارة

الثلاث عجلناه قبله وان كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة وقوله وانا لصادقون نقول لوليه وانا الصادقون انا ما شهدنا مهلك أهله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾ يقول تعالى ذكره وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض بصالح بمصيرهم اليه ليلا ليقتلوه وأهله وصالح لا يشعر بذلك ومكرنا مكرا يقول فأخذناهم بعقوبتنا اياهم وتعجيلنا العذاب لهم وهم لا يشعرون بمكرنا وقد بينا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به وما وجه ذلك وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة أو استدراجه من استدرج منهم على كفره به ومعصيته اياه ثم احلاله العقوبة به على غرة وغفلة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن رجل عن على قال المكر غدر والغدر كفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال احتالوا لامرهم واحتال الله لهم مكروا بصالح مكرا ومكرنا بهم مكرا وهم لا يشعرون بمكرنا وشعرنا بمكرهم قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك وكان له مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فخرجوا الى كهف وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى أهله ففرغنا منهم وقرأ قول الله تبارك وتعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فبادروا الغار فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار فلا يدرى قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم وقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك الى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح كيف كانت وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم فان ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا وطغى علينا من سائر الخلق فحذر قومك من قريش أن ينالهم بتكذيبهم اياك ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات وقوله انا دمرناهم وقومهم أجمعين يقول انا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين فلم نبق منهم أحدا * واختلفت القراء فى قراءة قوله انا فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة أنا دمرناهم بفتح الالف واذا فتحت كان فى أنا وجهان من الاعراب أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الاتباع لها والآخر النصب على الرد على موضع كيف لانها فى موضع نصب ان شئت وان شئت على تكرير كان عليها على وجه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فتلك بيوتهم خاوية فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ليس فيها منهم أحد قد أهلكهم الله فأبادهم بما ظلموا يقول تعالى ذكره بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله وتكذيبهم رسولهم ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره ان فى فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة

الى أن سليمن كان واقفا على أن فى قومه من هو أهل لهذه الكرامة وكرامات الاولياء من قوة اعجاز الانبياء قيل لها ادخلى الصرح فيه دليل على أن سليمن أراد أن ينكحها والا لم يجوز النظر الى ساقيها وأسلمت نفسى للنكاح مع سليمن لله وفى الله * تأويل آخر وتفقد الطير هم أهل العشق الطيارة فى فضاء سماء القدس وجو عالم الانس والهدهد الرجل العلمى الذى عول على فكره واعمال قريحته فى استنباط خبايا الاسرار وكونه من الاستتار عذابا شديدا بالرياضة والمجاهدة أو لأذبحنه بسكين مخالفات الارادة سبأ مدينة الاختلاط والانس بالانس والمرأة الدنيا وبهجتها وعرشها العظيم حب الجاه والمناصب يسجدون لشمس عالم

لعظة لمن يعلم فعلنابهم ما فعلنا من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة وأنجينا الذين آمنوا يقول وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذى أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به وكانوا يتقون يقول وكانوا يتقون بايمانهم وبتصديقهم صالحا الذى حل بقومهم من ثمود ماحل بهم من عذاب الله فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك عند احلالنا عقوبتنا بمشركى قومك من بين أظهرهم وذكر أن صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل خرج هو والمؤمنون به الى الشام فنزل رملة فلسطين

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولوطا اذقال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا لوطا الى قومه اذقال لهم ياقوم أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أنها فاحشة لعلمكم بأنه لم يسبقكم الى ما تفعلون من ذلك أحد وقوله أئنكم لتاتون الرجال شهوة منكم بذلك من دون فروج النساء التى أباحها الله لكم بالنكاح وقوله بل أنتم قوم تجهلون يقول ماذلك منكم الا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم فخالفتم لذلك أمره وعصيتم رسوله

﴿تم الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء العشرون أوله القول فى تأويل قوله تعالى (فما كان جواب قومه)﴾

الطبيعة وهو الهوى والهدية عرض الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى تنقاد الاعضاء والجوارح بالكلية لاشتغال العبودية آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضة الشديدة والذى عنده علم من الكتاب هو الجذبة التى توازى عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه للهوى بحبه للحق والقصر قصر التصرف فى الدنيا للحق بالحق وكشف الساق كناية عن اشتداد الامر عليه والقوارير عبارة عن رؤية بواطن الامور مع الاشتغال بظواهرها وهذه من جملة منطق الطير يفهم ان شاء العزيز وحده والله أعلم

﴿ فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ﴾

﴿ تمت فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع عشر من تفسير ابن جرير﴾

﴿تمت فهرست الجزء التاسع عشر من النيسابوري﴾

الجزء العشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه في التفسير
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان
للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا وإياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

الجزء العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون ﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن لقوم لوط جواب له اذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من اتيان الرجال الا قيل بعضهم لبعض أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون عما نفعله نحن من اتيان الذكران فى أدبارهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال سمعت الحسن ابن عمارة يذكر عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله أناس يتطهرون قال من اتيان الرجال والنساء فى أدبارهن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء استهزاء بهم يقولون ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه تلا انهم أناس يتطهرون قال عابوهم بغير عيب أى انهم يتطهرون من أعمال السوء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم ثم قدرناها يقول فان امرأته قدرناها جعلناها بتقديرنا من الغابرين من الباقين وأمطرنا عليهم مطرا وهو امطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين يقول فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم اياه وخوفهم بأسه بارسال الرسول اليهم بذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل الحمد لله

﴿ ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح

بشرا بين يدى رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من السموات والارض الغيب الا الله (٣) وما يشعرون أيان يبعثون بل اداراك علمهم في

الآخرة بل هم فى شك منها بل هم
منها عمون) ۞ القرا آت لتبيتنه على
الجمع المخاطب وهكذا لتقولن
حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون
فيهما على التكلم مهلك بفتح الميم
واللام أبو بكر غير البرجمي وحماد
والمفضل وقرأ حفص بفتح الميم
وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح
اللام والكل يحتمل المصدر والمكان
والزمان أنا دمرناهم وأنا الناس
بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلى
وخلف وسهل ورويس أئنكم
مذكور فى الانعام يشركون بياء
الغيبة أبو عمرو وسهل ويعقوب
وعاصم أءله مثل أئنكم الريح على
التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى
وخلف يذكرون بياء الغيبة أبو
عمرو وهشام الآخرون بتاء
الخطاب بل أدرك بقطع الهمزة
وسكون الدال ابن كثير وأبو عمرو
وسهل ويعقوب ويزيد للمفضل بل
ادارك بهمزة موصولة ودال مشددة
الشمونى الباقون مثله ولكن
بألف بعد الدال ۞ الوقوف
يختصمون ه الحسنة ج لابتداء
استفهام آخر مع اتحاد القائل
ترحمون ه معك ط تفتنون
ه ولا يصلحون ه لصادقون ه
لا يشعرون ه مكرهم ط لمن
قرأ إنا بكسر الالف على الاستئناف
أجمعين ه ظلموا ط يعلمونه
يتقون ه تبصرون ه النساء ط
تجهلون ه قريتكم ج لاحتمال
تقدير لام التعليل يتطهرون ه
الا امرأته ز لاحتمال أن ما بعده
مستأنف والاظهر أنه حال تقديره استثناء امرأته مقدرة فى الغابرين ه مطر المنذرين ه اصطفى ط يشركون ه ط لان ما بعده
استفهام مستأنف وأم منقطعة تقديره بل أمن خلق السموات خير أما يشركون وكذلك نظائره ماء ج للعدول مع اتحاد المقول بهجة ط

وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الحمد لله على نعمه علينا وتوفيقه ايانا لما وفقنا من الهداية وسلام يقول وأمنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط وقوم صالح على الذين اصطفاهم يقول الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء اليه دون المشركين به الجاحدين نبوة نبيه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق يعنى ابن غنام عن ابن ظهير عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم قال قلت لعبد الله بن المبارك أرأيت قول الله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من هؤلاء فحدثنى عن سفيان الثورى قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله آلله خير أما يشركون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون آلله الذى أنعم على أوليائه هذه النعم التى قصها عليكم فى هذه السورة وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التى لا تنفعكم ولا تضركم ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوأ ولا تجلب اليها ولا اليهم نفعا يقول ان هذا الامر لا يشكل على من له عقل فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم فى عبادة من بيده النفع والضر وله كل شئ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم وأياديه عندهم وتعريفهم بقلة شكرهم اياه على ما أولاهم من ذلك فقال أمن خلق السموات والارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون) يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التى لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء يعنى مطرا وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التى فجرها فى الارض لان كل ذلك من خلقه فأنبتنا به يعنى بالماء الذى أنزل من السماء حدائق وهى جمع حديقة والحديقة البستان عليه حائط محوط وان لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة وقوله ذات بهجة يقول ذات منظر حسن وقيل ذات بالتوحيد وقد قيل حدائق كما قال ولله الاسماء الحسنى وقد بينت ذلك فيما مضى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حدائق ذات بهجة قال البهجة الفقاح مما يأكل الناس والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حدائق ذات بهجة قال من كل شئ تأكله الناس والانعام وقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يقول تعالى ذكره أنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق اذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك لانه لا يصلح ذلك الا بالماء وقوله أءله مع الله يقول تعالى ذكره أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك وأنزل من السماء الماء فأنبت به لكم الحدائق فقوله أءله مردود على تأويل أمع الله اله بل هم قوم يعدلون يقول جل ثناؤه بل هؤلاء المشركون قوم ضلال يعدلون عن الحق ويجورون عليه على عمد منهم لذلك مع علمهم بأنهم على خطا وضلال

لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا شجرها ط مع الله ط يعدلون ه حاجزا ط مع الله ط لا يعلمون ه ط خلفاء الارض
ه ط مع الله ط ما تذكرون ه ط رحمته (٤) ط مع الله ط يشركون ط والارض ط مع الله ط صادقين ه الا الله

ولم يعدلوا عن جهل منهم بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر خير ممن خلق السموات والارض وفعل هذه الافعال ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع أم الذي جعل الارض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم وجعل لكم خلالها أنهارا يقول بينها أنهارا وجعل لها رواسي وهي ثوابت الجبال وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح أن يفسد أحدهما صاحبه أإله مع الله سواه فعل هذه الاشياء فأشركتموه في عبادتكم اياه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله وما عليهم من الضر في اشراكهم في عبادة الله غيره وما لهم من النفع في افرادهم الله بالالوهة واخلاصهم له العبادة وبراءتهم من كل معبود سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون بالله خير أم الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ويكشف السوء قال الضر وقوله ويجعلكم خلفاء الارض يقول ويستخلف بعد امرائكم في الارض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم وقوله أإله مع الله يقول أإله مع الله سواه يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم وقوله قليلا ما تذكرون يقول تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون بالله خير أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر اذا ضللتم فيهما الطريق فأظلمت عليكم السبل فيهما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر والظلمات في البر ضلاله الطريق والبحر ضلاله طريقه وموجه وما يكون فيه قوله ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته يقول والذي يرسل الرياح نشرا لموتان الارض بين يدي رحمته يعني قدام الغيث الذي يحيي موات الارض وقوله أإله مع الله تعالى الله عما يشركون يقول تعالى ذكره أإله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبدوه من دونه أو تشركوه في عبادتكم اياه تعالى الله يقول لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به وعبادتكم معه ما تعبدون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون أيها القوم خير أم الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده فينشئه من غير أصل ويبتدعه ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه والذي يرزقكم من السماء والارض فينزل من هذه الغيث وينبت من هذه النبات لاقواتكم وأقوات أنعامكم أإله مع الله سوى الله يفعل ذلك وان زعموا أن الها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه فقل لهم يا محمد هاتوا برهانكم أي حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك ان كنتم صادقين في دعواكم ومن التي في أمن وما مبتدأ في قوله أما يشركون والآيات بعدها الى قوله ومن يرزقكم من السماء والارض

ط يبعثون ه عمون ه ۞ التفسير القصة الرابعة قصة ثمود والفريقان المؤمن والكافر وقيل صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد والاختصام قول كل فريق الحق معي وفيه دليل على أن الجدال في باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة أنه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله وثوابه فعدلوا الى استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك أنهم قدروا في أنفسهم ان التوبة مقبولة عند رؤية العذاب فقالوا متى وقعت العقوبة تبنا حينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة ولولا للتحضيض أي هلا تستغفرون قبل عيان عذابه (لعلكم ترحمون) بأن يكشف العذاب عنكم والحاصل أن التوبة يجب أن تقدم على رؤية العذاب ولا يجوز أن تؤخر وفيه تنبيه على خطئهم وتجهيل لهم (قالوا اطيرنا) أي تشاءمنا (بك وبمن معك) وكانوا قد قحطوا (قال طائركم) أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم (عند الله) وهو قضاؤه وقدره أو أراد عملكم مكتوب عنده ومنه ينزل بكم العذاب ومعنى التطير والطائر قد مر في الاعراف وفي سبحان ثم جزم بنزول العذاب بقوله (بل أنتم قوم تفتنون) أي تعذبون او تختبرون أو يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم مع نبيهم بقوله (وكان في المدينة) يعني منزلهم المسمى بالحجر وكان بين المدينة والشام (تسعة رهط) لم يجمع المميز لان الرهط في معنى الجمع وهو من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى العشرة وقد عد في الكشاف أسماءهم منهم قدار بن سالف عاقر الناقة وكانوا مفسدين لا يخلطون الافساد بشيء من الاصلاح ومن جملة

بمعنى الذى لا بمعنى الاستفهام وذلك أن الاستفهام لايدخل على الاستفهام ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل اداوك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هى قائمة لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الذى قد استأثر الله بعلمه وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك وما يشعرون يقول وما يدرى من فى السموات والارض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة من زعم أنه يخبر الناس بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله واختلف أهل العربية فى وجه رفع الله فقال بعض البصريين هو كما تقول الا قليل منهم وفى حرف ابن مسعود قليلا بدلا من الاول لانك نفيته عنه وجعلته للآخر وقال بعض الكوفيين ان شئت أن تتوهم فى من المجهول فتكون معطوفة على قل لا يعلم أحد الغيب الا الله قال ويجوز أن تكون من معرفة ونزل ما بعد الا عليه فيكون عطفا ولا يكون بدلا لان الاول منفى والثانى مثبت فيكون فى النسق كما تقول قام زيد الا عمرو فيكون الثانى عطفا على الاول والتأويل جحد ولا يكون أن يكون الخبر جحدا أو الجحد خبرا قال وكذلك ما فعلوه الا قليل وقليلا من نصب فعلى الاستثناء فى عبادتكم اياه ومن رفع فعلى العطف ولا يكون بدلا وقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبى جعفر وعامة قراء أهل الكوفة بل ادارك بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادارك بمعنى بل تدارك علمهم أى تتابع علمهم بالآخرة هل هى كائنة أم لا ثم أدغمت التاء فى الدال كما قيل اثاقلتم الى الارض وقد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته وقرأته عامة قراء أهل مكة بل أدرك علمهم فى الآخرة بسكون الدال وفتح الالف بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة وكان أبو عمرو بن العلاء ينكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ بل أدرك ويقول ان بل ايجاب والاستفهام فى هذا الموضع انكار ومعنى الكلام اذا قرئ كذلك بل أدرك لم يكن ذلك لم يدرك علمهم فى الآخرة وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذى ذكرت أن أبا عمرو أنكره وبنحو الذى ذكرت عن المكيين أنهم قرؤه ذكر عن مجاهد أنه قرأه غير أنه كان يقرأ فى موضع بل أم حدثنى ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا عثمان بن الاسود عن مجاهد أنه قرأ أم أدرك علمهم وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ باثبات ياء فى بل ثم يبتدئ أادارك بفتح ألفها على وجه الاستفهام وتشديد الدال حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس فى هذه الآية بلى أادارك علمهم فى الآخرة أى لم يدرك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت ابن عباس يقرأ بلى أادارك علمهم فى الآخرة انما هو استفهام انه لم يدرك وكأن ابن عباس وجه ذلك الى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث والصواب من القراآت عندنا فى ذلك القراءتان اللتان ذكرت احداهما عن قراءة أهل مكة والبصرة وهى بل أدرك علمهم بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها والأخرى منهما عن قراءة الكوفة وهى بل ادارك بكسر اللام وتشديد الدال من ادارك لانهما القراءتان المعروفتان فى قراء الامصار

الافساد همهم بقتل نبيهم والتقاسم التحالف فان كان أمرا فظاهر وان كان خبرا فمحله نصب باضمار قد أى قالوا متقاسمين والتبييت العزم على اهلاك العدو ليلا وأغير على الاسكندر بالبيات فقال ليس من آيين الملوك (٥) استراق الظفر قال فى الكشاف كأنهم اعتقدوا أنهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا لولى دمه ما شهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما قلت انما ارتكب هذا التكلف لانه استقبح أن يأتى العاقل بالخبر على خلاف المخبر عنه يروى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب مبادرين وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وهذا مكر الله وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا من قرأ انا دمرناهم بالفتح فمرفوع المحل بدلا من العاقبة أو خبر لمحذوف أى هى تدميرهم أو منصوب على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار أو مجرور تقديره لأنا وجوز فى الكشاف على هذا التقدير أن يكون منصوبا بنزع الخافض وانتصب خاوية على الحال والعامل معنى الاشارة فى تلك وانما قال فى هذه السورة (وأنجينا الذين آمنوا) موافقة لما بعده فأنجيناه وأهله وأمطرنا وكله على أفعل وقال فى حم السجدة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون موافقة لما قبله وما بعده وزينا وقيضنا والله أعلم ﴿ القصة الخامسة قصة لوط (و) انتصب (لوطا) باضمار اذكر أو بما دل عليه ولقد أرسلنا واذ بدل على الاول بمعنى مجرد الوقت ظرف على الثانى و تبصرون اما من بصر الحاسة فكأنهم كانوا معلنين بتلك المعصية فى ناديهم أو أرادوون

آثار العصاة قبلكم أو من بصر القلب والمراد تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا بمثلها وعلى هذا فمعنى قوله (بل أنتم قوم تجهلون) أنكم تفعلون فعل
الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو أراد جهلهم (٦) بالعاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التى كانوا عليها والخطاب فى قوله تجهلون

فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا فأما القراءة التى ذكرت عن ابن عباس فانها وان كانت صحيحة المعنى والاعراب فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين وذلك أن فى بلى زيادة ياء فى قراءته ليست فى المصاحف وهى مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الامصار وأما القراءة التى ذكرت عن ابن محيصن فان الذى قال فيها أبو عمرو قول صحيح لان العرب تحقق ببل ما بعدها لا تنفيه والاستفهام فى هذا الموضع انكار لا اثبات وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة فى شك فقال بل هم فى شك منها بل هم منها عمون واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه بل أدرك علمهم فى الآخرة فأيقنوها اذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها اذ كانوا بها فى الدنيا مكذبين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء الخراسانى عن ابن عباس بل أدرك علمهم قال بصرهم فى الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر * وقال آخرون بل معناه بل غاب علمهم فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة يقول غاب علمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل ادارك علمهم فى الآخرة قال يقول ضل علمهم فى الآخرة فليس لهم فيها علم هم منها عمون * وقال آخرون معنى ذلك لم يبلغ لهم فيها علم ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن جدى قال ثنا الحسين عن قتادة فى قوله بل أدرك علمهم فى الآخرة قال كان يقرؤها بل أدرك علمهم فى الآخرة قال لم يبلغ لهم فيها علم ولا يصل اليها منهم رغبة * وقال آخرون معنى ذلك بل أدرك أم أدرك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بل أدرك علمهم قال أم أدرك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عثمان عن مجاهد بل أدرك علمهم قال أم أدرك علمهم من أين يدرك علمهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ بل أدرك القول الذى ذكرناه عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وهو أن معناه اذا قرئ كذلك وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك فى الآخرة حين يبعثون فلا ينفعهم علمهم به حينئذ فأما فى الدنيا فانهم منها فى شك بل هم منها عمون وانما قلت هذا القول أولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب على القراءة التى ذكرت لان ذلك أظهر معانيه واذ كان ذلك معناه كان فى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ظهر منه عنه وذلك أن معنى الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل يشعرون ذلك فى الآخرة فالكلام اذا كان ذلك معناه وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم بذلك فى الآخرة بل هم فى الدنيا فى شك منها وأما على قراءة من قرأ بل ادارك بكسر اللام وتشديد الدال فالقول الذى ذكرنا عن مجاهد وهو أن يكون معنى بل أم والعرب تضع أم موضع بل وموضع بل أم اذا كان فى أول الكلام استفهام كما قال الشاعر

فوالله ما أدرى أسلمى تغولت * أم النوم أم كل الى حبيب

يعنى بذلك بل كل الى حبيب فيكون تأويل الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل تدارك علمهم فى الآخرة

تغليب ولو قرئ بياء الغيبة نظرا الى الموصوف وهو قوم لجاز من حيث العربية وباقى القصة مذكور فى الاعراف (قل الحمد لله) قيل هو خطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الذنوب وبالنجاة من العذاب وقيل أمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم وبالتسليم على الانبياء وأشياعهم الناجين والاكثرون على أنه خطاب مستأنف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه فأمره الله سبحانه بأن يشكر ربه على هذه النعمة ويسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة ثم شرع فى الدلالة على الوحدانية والرد على عبدة الاوثان وفيه توقيف على أدب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلاة قبل الشروع فى كل كلام يعتد به ولذا توارثه العلماء خلفا عن سلف فافتتحوا بهما أمام كل كتاب وخطبة وعند التكلم بكل أمر له شأن قال جار الله معنى الاستفهام وأم المتصلة فى قوله آلله خير أما يشركون الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وتنبيه على الخطأ المفرط والجهل المفرط فمن المعلوم انه لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه قلت يحتمل أن يكون هذا من قبيل الكلام المنصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدل عن الاستفهام بذكر الذات الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدئا بما هو أبين الحسيات فقال (أمن خلق السموات) وانما قال ههنا (وأنزل لكم) واقتصر فى ابراهيم على قوله وأنزل

الآخرة يعني تتابع علمهم في الآخرة أي بعلم الآخرة أي لم يتتابع بذلك ولم يعلموه بل غاب علمهم عنه وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه وقوله بل هم في شك منها يقول بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت بل هم منها عمون يقول بل هم من العلم بقيامها عمون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين كفروا بالله أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل يقول لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون وعدوا ذلك آباءنا فلم نر لذلك حقيقة ولم نتبين له صحة ان هذا الا أساطير الاولين يقول قالوا ما هذا الوعد الا ما سطر الاولون من الاكاذيب في كتبهم فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك سيروا في الارض فانظروا الى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي ألم يخربها الله ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفت منهم الرسوم والآثار فان ذلك كان عاقبة اجرامهم وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم والله فاعل ذلك بكم ان أنتم لم تبادروا الانابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم وقوله ولا تحزن عليهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحزن على ادبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ولا تكن في ضيق مما يمكرون يقول ولا يضق صدرك من مكرهم بك فان الله ناصرك عليهم ومهلكهم قتلا بالسيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول مشركو قومك يا محمد المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك متى يكون هذا الوعد الذي تعدناه من العذاب الذي هو بنا فيما تقول حال ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي يقول جل جلاله قل لهم يا محمد عسى أن يكون اقترب لكم ودنا بعض الذي تستعجلون من عذاب الله ٭ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم يقول اقترب لكم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون يقول اقترب لكم بعض الذي تستعجلون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عسى أن يكون ردف لكم قال ردف أعجل لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون قال أزف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ردف لكم اقترب لكم ٭ واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله ردف لكم

لان لفظة لكم وردت هناك بالآخرة وليس قوله ما كان لكم مغنيا عن ذكره لانه نفي لا يفيد معنى الاول ومعنى الالتفات من الغيبة الى التكلم في قوله فأنبتنا تأكيد معنى اختصاص الانبات بذاته لان الانسان قد يتوهم (٧) أن له مدخلا في ذلك من حيث الغرس والسقي والحدائق جمع حديقة البستان عليه حائط من الاحداق الاحاطة والبهجة الحسن والنضارة لان الناظر يبتهج به وانما لم يقل فوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق كما يقال النساء ذهبت ومعنى (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له قال في الكشاف قوله (بل هم) بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم قلت انما تعين الغيبة ههنا لان الخطاب في قوله ما كان لكم انما هو لجميع الناس أي ما صح وما ينبغي للانسان أن يتأتى منه الانبات ولو قال بعد ذلك بل أنتم لزم أن يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله (يعدلون) من العدل أو من العدول أي يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ثم شرع في الاستدلال بأحوال الارض وما عليها والقرار المستقر أي دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما في الفرقان ثم ابتدأ بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذي عراه ضر من فقر أو مرض فألجأه الى التضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعاؤه استغفاره والمضطر اسم جنس يصلح للكل وللبعض فلا يلزم من الآية اجابة جميع المضطرين نعم يلزم الاجابة بشرائط الدعاء كما مر في البقرة وفي ادعوني وقوله (ويكشف السوء) كالبيان لقوله يجيب المضطر والخلافة في الارض اما بتوارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر في آخر الانعام وقوله (قليلا ما تذكرون) معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز أن يراد بالقلة العدم ثم استدل لحاجة الناس وخصوصا الهداية في البر والبحر بالعلامات وبالنجوم ثم استدل

بأحوال المبدإ والمعاد وما بينهما وذلك أنهم كانوا معترفين بالابداء ودلالة الابداء على الاعادة دلالة ظاهرة فكأنهم كانوا مقرين بالاعادة أيضا فاحتج عليهم بذلك لذلك والرزق من السماء المـاء (٨) ومن الارض النبات واعلم أن الله سبحانه ذكر قوله أءله مع الله فى خمس آيات على التوالى وختم الاولى بقوله بل هم قوم يعدلون ثم بقوله بل أكثرهم لا يعلمون ثم بقوله قليلا ما تذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين والسر فيه أن أول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فأشركوا من غير حجة وبرهان قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أن مع الله الها آخر وحين بين اختصاصه بكمال القدرة أراد أن يبين اختصاصه بعلم الغيب قال فى الكشاف هذا على لغة بنى تميم يرفعون المستثنى المنقطع على البدل اذا كان المبدل منه مرفوعا يقولون ما فى الدار أحد الاحمار كأن أحدا لم يذكر كقوله

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

والمعنى ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب كما أن معنى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الانيس قلت لقائل أن يقول ان استثناء نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من استحالة كون الله سبحانه فى كل مكان ممن فى السموات والارض أنهم لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير أنيسا القطع بخلو البلدة عن الانيس وقال غيره ان الاستثناء متصل لان الله سبحانه فى كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند الحجازيين أيضا وزيفه فى الكشاف بأن كونه فى السموات والارض بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقة من حيث حصول ذواتهم فى تلك الاحياز ولا يصح أن يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقة ومجازا معا وأجيب بأنا نحمل كون الخلق فيهن على المعنى المجازي أيضا لانهم أيضا عالمون بتلك الاماكن لا أقل من العلم الاجمالي وضعفه فى الكشاف بأن فيه ايهام المحسن

وكلام العرب المعروف ردفه أمر وأردفه كما يقال تبعه وأتبعه فقال بعض نحويي البصرة أدخل اللام فى ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال للرؤيا تعبرون ولربهم يرهبون وقال بعض نحويي الكوفة أدخل اللام فى ذلك للمعنى لان معناه دنا لهم كما قال الشاعر * فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى * فأدخل الباء فى يطرحن وانما يقال طرحته لان معنى الطرح الرمى فأدخل الباء للمعنى اذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى وهذا القول الثانى هو أولاهما عندى بالصواب وقد مضى البيان عن نظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن تكراره فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله تستعجلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ردف لكم بعض الذى تستعجلون قال من العذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ يقول تعالى ذكره وان ربك يا محمد لذو فضل على الناس بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم اياه وكفرهم به وذو احسان اليهم فى ذلك وفى غيره من نعمه عندهم ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ذلك من احسانه وفضله عليهم فيخلصوا له العبادة ولكنهم يشركون معه فى العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا احسان وقوله وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يقول وان ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ومكنون أنفسهم وخفى أسرارهم وعلانية أمورهم الظاهرة لا يخفى عليه شئ من ذلك وهو محصيها عليهم حتى يجازى جميعهم بالاحسان احسانا وبالاساءة جزاءها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم قال السر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره وما من مكتوم سر وخفى أمر يغيب عن أبصار الناظرين فى السماء والارض الا فى كتاب وهو أم الكتاب الذى أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه الى يوم القيامة ويعنى بقوله مبين أنه يبين لمن نظر اليه وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنا عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين يقول ما من شئ فى السماء والارض سر ولا علانية الا يعلمه وقوله ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن الذى أنزلته اليك يا محمد يقص على بنى اسرائيل الحق فى أكثر الاشياء التى اختلفوا فيها وذلك كالذى اختلفوا فيه من أمر عيسى فقالت اليهود فيه ما قالت وقالت النصارى فيه ما قالت وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وغير ذلك من الامور التى اختلفوا فيها فقال جل ثناؤه لهم ان هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فاتبعوه وأقروا بما فيه فانه يقص عليكم بالحق ويهديكم الى سبيل الرشاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن لهدى يقول لبيان من الله بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ورحمة للمؤمنين يقول ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه ان ربك يقضى بينهم يقول ان ربك يقضى بين المختلفين من بنى اسرائيل بحكمه فيهم فينتقم من المبطل منهم ويجازى

المحسن منهم المحق بجزائه وهو العزيز العليم يقول وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه اذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني اسرائيل فيما اختلفوا فيه ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ففوض الى الله يا محمد أمورك وثق به فيها فانه كافيك انك على الحق المبين لمن تأمله وفكر ما فيه بعقل وتدبره بفهم أنه الحق دون ما عليه اليهود والنصارى المختلفون من بني اسرائيل ودون ما عليه أهل الاوثان المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق يقول فلا يحزنك تكذيب من كذبك وخلاف من خالفك وامض لامر ربك الذي بعثك به وقوله انك لا تسمع الموتى يقول انك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لان الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ولا تسمع الصم الدعاء يقول ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه اذا ولوا مدبرين يقول اذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يصغون للحق ولا يتدبرونه ولا ينصتون لقائله ولكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع له ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وما أنت بهادي بالباء والالف واضافته الى العمي بمعنى لست يا محمد بهادي من عمي عن الحق عن ضلالته وقرأته عامة قراء الكوفة وما أنت تهدي العمي بالتاء ونصب العمي بمعنى ولست تهديهم عن ضلالتهم ولكن الله يهديهم ان شاء والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مشهورتان في قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ما وصفت وما أنت يا محمد بهادي من أعماه الله عن الهدى ولرشاد فجعل على بصره غشاوة عن أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها الى طريق الرشاد وسبيل الرشاد وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا يقول ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه سمع أحد الا سمع من يصدق بآياتنا يعني بأدلته وحججه وآي تنزيله فهم مسلمون فان أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه ويفكرون فيه ويعملون به فهم الذين يسمعون (١) ذكر من قال مثل الذي قلنا في قوله تعالى وقع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله واذا وقع القول عليهم قال حق عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا وقع القول عليهم يقول اذا وجب القول عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقع القول عليهم قال حق العذاب قال ابن جريج القول العذاب ذكر من قال قولنا في معنى القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا وقع القول عليهم والقول الغضب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام عن حفصة قالت سألت أبا العالية عن قوله واذا وقع القول عليهم فقال أوحى الله الى نوح أنه

(١) يظهر أن فيه سقطا يعلم من ايراد كلام أهل التأويل بعد فتنبه

تسوية بين الله وبين العبد في العلم وهو خروج عن الأدب ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق أن وقوع اللفظ على الواجب وعلى الممكن بمعنى واحد لا بد أن يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب أدل وأولى لا محالة فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم منه سوء الأدب ولهذا جاز اطلاق العالم والرحيم والكريم ونحوهما على الواجب وعلى الممكن معا من غير محذور شرعي ولا عقلي وليس هذا كالجمع بين الضميرين اذ كان يمكن للقائل أن يفرق بينهما فيزداد الكلام جزالة وفخامة عن عائشة من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن الخلق مكره قال المفسرون سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فنزلت وأيان بمعنى متى الا أنه لا يسئل به الا عن أمر ذي بال وهو فعال من آن يئين فلو سمي به لانصرف وحين ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته بين أن عندهم عجزا آخر أبلغ منه وهو أنهم ينكرون الأمر الكائن مع أن عندهم أسباب معرفته فقال (بل ادّارك) أي تدارك ومن قرأ بغير الألف فهو افتعل من أدرك أي تتابع واستحكم ومعنى أدرك بقطع الهمزة انتهى وتكامل علمهم في الآخرة أي في شأنها ومعناها ويمكن أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لأجهل الناس ما أعلمك واذا لم يعرفوا نفس البعث يقينا فلأن لا يعرفوا وقته أولى ويحتمل أن تكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث

ثم أضرب عن ذلك قائلا انهم لا يعلمون القيامة فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفلة الكلية فأضرب عن ذلك قائلا انهم ليسوا غافلين بالكلية ولكنهم فى شك ومرية ثم ان الشك قد يكون بسبب عدم الدليل فأضرب عن ذلك قائلا انهم عمون عن ادراك الدليل مع وضوحه وقد جعل الآخرة مبدأ عمالهم ومنشاه فلهذا عداه بمن دون عن والضمائر تعود الى من فى السموات والارض وذلك أن المشركين كانوا فى جملتهم فنسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا وانما فعله ناس منهم قاله فى الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين فى قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا حاجة الى هذا التكلف ولو لم يتقدم جاز للقرينة

ﺗﺄ التأويل ولقد أرسلنا صالح القلب بالالهام الربانى الى صفات القلب وهو الفريق المؤمن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر والسيئة طلب الشهوات واللذات الفانية والحسنة طلب السعادات الباقية وكان فى مدينة القالب الانسانى تسعة رهط هم خواص العناصر الاربعة والحواس الخمس يفسدون فى أرض القلب بافساد الاستعداد الفطرى تقاسموا بالموافقة على السعى فى اهلاك القلب وصفاته وأن يقولوا لوليه وهو الحق سبحانه ما أهلكناهم وما حضرنا مع النفس الامارة حين قصدت هلاكهم ومكروا مكرا فى هلاك القلب بالهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ومكرنا مكرا بتوارد الواردات الربانية وتجلى صفات الجمال والجلال وهم لا يشعرون أن صلاحهم فى هلاكهم فمن قتلته فأنا ديته فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا أفنينا خواص التسعة وآفاتها وأفنينا قومهم أجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهى القالب والاعضاء التى هى مساكن الحواس خالية عن الحواس المهلكة والآفات الغالبة بما ظلموا أى وضعوا من نتائج خواص العناصر وآفات الحواس فى غير موضعها وهو القلب وكان موضعها النفس بأمر الشارع لا بالطبع لصلاح

لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قالت فكأنما كان على وجهى غطاء فكشف وقال جماعة من أهل العلم خروج هذه الدابة التى ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية العوفى عن ابن عمر فى قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطية عن ابن عمر فى قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال ذاك اذا ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية عن ابن عمر فى قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر حدثنى محمد بن عمرو المقدمى قال ثنا أشعث بن عبد الله السجستانى قال ثنا شعبة عن عطية فى قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال اذا لم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا وذكر أن الارض التى تخرج منها الدابة مكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنى الأشجعى عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع فى الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن الفرات القزاز عن عامر ابن واثلة أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال ان الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون والله لقد رأينا الدابة حتى يبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يقدر على شئ قال ثم تخرج فيراها الناس فيقولون والله لقد رأيناها فيبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يرى شيأ فيقول أما انى اذا حدث الذى يذكرها قال حتى يعد فيها القتل قال فتخرج فاذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون فتجيء اليهم فتقول الآن تصلون فتخطم الكافر وتمسح على جبين المسلم غرة قال فيعيش الناس زمانا يقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عثمان بن مطر عن واصل مولى أبى عيينة عن أبى الطفيل عن حذيفة * وأبى سفيان ثنا عن معمر عن قيس بن سعد عن ابى الطفيل عن حذيفة بن أسيد فى قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال للدابة ثلاث خرجات خرجة فى بعض البوادى ثم تكمن وخرجة فى بعض القرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء ثم تكمن فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها اذ ارتفعت بهم الارض فانطلق الناس هرابا وتبقى طائفة من المؤمنين ويقولون انه لا ينجينا من الله شئ فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرى ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتأتى الرجل يصلى فتقول والله ما كنت من أهل الصلاة فيلتفت اليها فتخطمه قال تجلو وجه المؤمن وتخطم الكافر قلنا فما الناس يومئذ قال جيران فى الرباع وشركاء فى الاموال وأصحاب فى الاسفار حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن ابن البيلمانى عن ابن عمر يبيت الناس يسيرون الى جمع وتبيت دابة الارض تسايرهم فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها فما من مؤمن الا مسحته ولا من كافر ولا منافق الا تخبطه حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا الحبيرى عن حيان بن عمير عن حسان بن حمصة قال سمعت

القالب و بقائه وأنجينا الذين آمنوا وهم القلب وصفاته من شر النفس وصفاتها ولوط الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والعقل عند
تبدل أوصافهم بمجاورة النفس أتأتون الفاحشة وهي كل مازلت به أقدامهم (١١) عن الصراط المستقيم وأمارتها في الظاهر اتيان
المناهي على وفق الطبع وفي الباطن حب الدنيا وشهواتها وأنتم تبصرون تميزون الخير من الشر وإتيان الرجال دون النساء عبارة عن صرف الاستعداد فيما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومه وهم القلب المريض بتعلق حب الدنيا والسر المكدر بكدورات الرياء والنفاق والعقل المشوب بآفة الوهم والخيال اخرجوا الصفات الروحانية من قرية الشخص الانساني انهم أناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فأنجيناه وأهله وهم السر والعقل وصفاتهما من عذاب تعلق الدنيا الا امرأته وهي النفس الامارة بالسوء وامطرنا على النفس وصفاتها مطرا بترك الشهوات فساء مطر المنذرين أي صعب فان الفطام من المألوفات شديد وهذه حالة مستدعية للحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام من تعلقات الكونين وآفات الوجود المجازي على عباده أمن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وأنزل من سماء القلب ماء نظر الرحمة فأنبتنا به حدائق من العلوم والمعاني والأسرار أإله مع الله من الهوى أمن جعل أرض النفس قرارا في الجسد وجعل خلالها أنهارا من دواعي البشرية وجعل لها رواسي من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح وبحر النفس حاجزا القلب فان في اختلاطهما فسادا حالهما أإله مع الله كما زعمت الطبائعية أمن يجيب المضطر
اذا دعاه في العدم بلسان الحال ويجعلكم مستعدين لخلافته في الارض أإله مع الله كما يزعم أرباب الحلول والاتحاد أمن يهديكم في ظلمات بر
البشرية وبحر الروحانية ولئن كانت الروحانية مغمورة بالنسبة الى ظلمة البشرية والمواد يهديكم باخراجكم من ظلمات البشرية الى نور

سمعت عبد الله بن عمرو يقول لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين فلم أمس الارض قاعدا حتى أقف على الاحجار التي تخرج الدابة من بينها ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج قال فما حججت قط الا خفت تخرج بعقبنا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن قيس بن سعد عن عطاء قال رأيت عبد الله بن عمرو وكان منزله قريبا من الصفا رفع قدمه وهو قائم وقال لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة حدثنا عصام ابن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الدابة فقال حذيفة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمن وكافر أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الحسين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة معها خاتم سليمن وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال هي دابة ذات زغب وريش ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة قال قال عبد الله بن عمر انها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه فيجلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر ويتبايعون في الاسواق فيعرفون المؤمن من الكافر حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب قالا ثنا ابن الهاد عن عمر بن الحكم أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض ما خرجتا فتمر بالانسان يصلي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا ابن أبي فديك قال ثنا يزيد بن عياض عن محمد بن اسحق أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو قال تخرج دابة الارض ومعها خاتم سليمن وعصا موسى فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمن وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض * واختلفت القراء في قراءة قوله تكلمهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام بمعنى تخبرهم وتحدثهم وقرأه أبو زرعة بن عمرو تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى تسمهم والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الامصار ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال تحدثهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وهي في بعض القراءة تحدثهم تقول لهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تكلمهم قال كلامها

الروحانية ومن ظلمات خلقته الروحانية الى نور الربوبية وذلك حين يرسل رياح العناية بين يدي سحاب الهداية أءله مع الله كما يقوله المنجمون مطرنا بنوء كذا أو كما يقوله قاصرو النظر هدانا (١٢) الشيخ والمعلم الى كذا أمن يبدأ الخلق بالوجود المجازي ثم يعيده بالوجود الحقيقي الى عالم الوحدة ومن يرزقكم من سماء الربوبية لتربية الارواح ومن أرض بشرية الاشباح أءله مع الله كائنا من كان دليله انه لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة والله أعلم ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين

• لقوم

تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقوله أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة والشام ان الناس بكسر الألف من ان على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يوقنون وهي وان كسرت في قراءة هؤلاء فان الكلام لها متناول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة أن الناس كانوا بفتح أن بمعنى تكلمهم بأن الناس فيكون حينئذ نصبا بوقوع الكلام عليها والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان في قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا يعني جماعة منهم وزمرة ممن يكذب بآياتنا يقول ممن يكذب بأدلتنا وحججنا فهو يحبس أولهم على آخرهم ليجتمع جميعهم ثم يساقون الى النار وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يعني الشيعة عند الحشر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من كل أمة فوجا قال زمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله نحشر من كل أمة فوجا قال زمرة زمرة فهم يوزعون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون قال يقول فهم يدفعون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال وزعة ترد أولاهم على أخراهم وقد بينت معنى قوله يوزعون فيما مضى قبل بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتي يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله أكذبتم بآياتي أي بحججي وأدلتي ولم تحيطوا بها علما يقول ولم تعرفوها حق معرفتها أم ماذا كنتم تعملون فيها من تكذيب أو تصديق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته بما ظلموا يعني بتكذيبهم بآيات الله يوم يحشرون فهم لا ينطقون يقول فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول وقوله ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنا لهم يسكنون فيه ويهدؤن راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا وهذا مضيأ يبصرون فيه الاشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم فيتفكروا في ذلك ويتدبروا ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الاله الذي لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه اماتة الاحياء واحياء الاموات بعد الممات كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان في تصييرنا الليل سكنا والنهار مبصرا لدلالة

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم (١٣) تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت وحجة لهم على توحيد الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى وبينا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر هنالك من الاخبار فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويوم ينفخ في الصور قال كهيئة البوق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الصور البوق قال هو البوق صاحبه آخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة احدى رجليه فأشار فبرك على ركبة يساره مقعيا على قدمها عقبها تحت فخذه وأليته وأطراف أصابعها في التراب * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال الصور كهيئة القرن قد رفع احدى ركبتيه الى السماء وخفض الأخرى لم يلق جفون عينيه على غمض منذ خلق الله السموات مستعدا مستجدا قد وضع الصور على فيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن زياد «قال أبو جعفر والصواب يزيد بن أبي زياد» عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لله رب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله فيمدها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالوتر ترجحه الارياح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك فقال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن رافع عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لما فرغ من السموات والارض خلق

﴿القراآت﴾ أينا بياء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير ويعقوب غير زيد مثله ولكن بالمد أبو عمرو وزيد أئذا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسورة انا بكسر الهمزة وبعدها نون مشددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام آينا بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير مد نافع غير قالون أئذا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة انا بهمزة مكسورة بعدها نون مشددة علي وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة أئذا أئنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة فيهما حمزة وخلف وعاصم ولا يسمع بفتح الياء التحتانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك في الروم الآخرون بضم التاء الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم وما أنت تهدي على أنه فعل العمي بالنصب وكذلك في الروم حمزة الباقون بهادي على أنه اسم والعمي بالجر أتوه مقصورا على أنه فعل ماض حمزة وخلف وحفص والمفضل الآخرون بالمد على أنه اسم فاعل بما يفعلون على الغيبة ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحماد والاعشى والبرجمي والحلواني عن هشام فزع بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف يومئذ بفتح الميم حمزة وأبو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص

﴿الوقوف﴾ لمخرجون ه من قبل لا تحرزا عن الابتداء بمقول الكفار الاولين ه المجرمين ه يمكرون ه صادقين ه تستعجلون ه

لا يشكرون ٥ وما يعلنون ٥ مبين ٥ يختلفون ٥ للمؤمنين ٥ بحكمه ج تنطبقا للابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم
٥ ج للآية واختلاف الجملتين ولالفاء واتصال (١٤) المعنى أى اذا كان الحكم لله فأسرع التوكل على الله ط المبين ٥ مدبرين ٥

الصور فأعطاه ملكا فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول الله وما الصور قال قرن قلت فكيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه لكعرض السموات والارض يأمره فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والارض الا من شاء الله ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث أبى كريب عن المحاربى غير أنه قال فى حديثه كالسفينة المرفأة فى البحر * وقال آخرون بل معنى ذلك ونفخ فى صور الخلق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم ينفخ فى الصور أى فى الخلق قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض يقول ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الجن والانس والشياطين من هول ما يعاينون ذلك اليوم فان قال قائل وكيف قيل ففزع فجعل فزع وهى فعل مردودة على ينفخ وهى يفعل قيل العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها اذا لأن اذا يصلح معها فعل ويفعل كقولك أزورك اذا زرتنى وأزورك اذا تزورنى فاذا وضع مكان اذا يوم أجرى مجرى اذا فان قيل فأين جواب قوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع قيل جائز أن يكون مضمرا مع الواو كأنه قيل ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون وذلك يوم ينفخ فى الصور وجائز أن يكون متروكا اكتفى بدلالة الكلام عليه منه كما قيل ولو يرى الذين ظلموا فترك جوابه وقوله الا من شاء الله قيل ان الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وان كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه فى الخبر الماضى وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن أبى هريرة أنه قرأ هذه الآية ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال هم الشهداء وقوله وكل أتوه داخرين يقول وكل أتوه صاغرين وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكل أتوه داخرين يقول صاغرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل أتوه داخرين قال صاغرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل أتوه داخرين قال الداخر الصاغر الراغم قال لان المرء الذى يفزع اذا فزع انما همته الهرب من الامر الذى فزع منه قال فلما نفخ فى الصور فزعوا فلم يكن لهم من الله منجى واختلفت القراء فى قراءة قوله وكل أتوه داخرين فقرأته عامة قراء الامصار وكل آتوه بمد الالف من أتوه على مثال فاعلوه سوى ابن مسعود فانه قرأه وكل أتوه على مثال فعلوه واتبعه على القراءة به المتأخرون الأعمش وحمزة واعتل الذين قرؤا ذلك على مثال فاعلوه باجماع القراء على قوله وكلهم آتيه قالوا فكذلك قوله آتوه فى الجمع وأما الذين قرؤا على قراءة عبد الله فانهم ردوه على قوله ففزع كأنهم وجهوا معنى الكلام الى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وأتوه كلهم داخرين كما يقال فى الكلام رأى وفر وعاد وهو صاغر والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار ومتقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وترى الجبال يا محمد تحسبها قائمة

ضلالتهم ط مسلمون ٥ تكلمهم ج لمن قرأ بكسر الالف فانه يحتمل أن يكون الكسر للابتداء ولكونها بعد التكليم لانه فى معنى القول ومن فتح فلا وقف اذ التقدير تكلمهم بأن لا يوقنون ٥ يوزعون ٥ تعملون ٥ لا ينطقون ٥ مبصرا ط يؤمنون ٥ من شاء الله ط داخرين ٥ السحاب ط كل شئ ط تفعلون ٥ خير منها لا لان ما بعده من تمة الجزاء آمنون ٥ لا لعطف جملتى الشرط فى النار ٥ تعملون ٥ شئ ز للعارض وطول الكلام مع العطف المسلمين ٥ لا للعطف القرآن ج لنفسه ج المنذرين ٥ فتعرفونها ط تعملون ٥ ۞ التفسير لما ذكر أن المشركين فى شك من أمر البعث عمون عن النظر فى دلائله أراد أن يبين عامة شبههم وهى مجرد استبعاد احياء الاموات بعد صيرورتهم ترابا عند الحس قال النحويون العامل فى اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى حال الحياة وانما ذهبوا الى هذا التكلف بناء على أن ما بعد همزة الاستفهام وكذا ما بعد ان واللام لا يعمل فيما قبلها لان هذه الاشياء تقتضى صدر الكلام وتكرير حرف الاستفهام فى اذا وانا جميعا انكار على انكار والضمير فى انا لهم ولآبائهم جميعا وقد مر فى سورة المؤمنين تفسير قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليذكر ثم أوعدهم على عدم قبول قول الانبياء بالنظر فى حال الامم السالفة المكذبة ولم تؤنث كان لان تأنيث العاقبة غير حقيقى أو لان المراد كيف كان عاقبة أمرهم والمراد بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص وفيه تنبيه على قبح موقع الجرم أيا ما كان فعلى المؤمن أن يتخوف

وهى

وهي تمر كالنعي حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وترى الجبال تحسبها جامدة يقول قائمة وانما قيل وهي تمر مر السحاب لانها تجمع ثم تسير فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة وهي تسير سيرا حثيثا كما قال الجعدي

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

قوله صنع الله الذي أتقن كل شيء أوثق خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله صنع الله الذي أتقن كل شيء يقول أحكم كل شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله صنع الله الذي أتقن كل شيء يقول أحسن كل شيء خلقه وأوثقه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذي أتقن كل شيء قال أوثق كل شيء وسوى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أتقن أوثق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه خبير بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له ومعصية وهو مجازي جميعهم على جميع ذلك على الخير الخير وعلى الشر الشر نظيره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره من جاء الله بتوحيده والايمان به وقول لا اله الا الله موقنا به قلبه فله من هذا الحسنة عند الله خير يوم القيامة وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة ويؤمنه من فزع الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور ومن جاء بالسيئة يقول ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه وجحود وحدانيته فكبت وجوههم في نار جهنم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثني الفضل بن دكين قال ثنا يحيى بن أيوب البجلي قال سمعت أبا زرعة قال قال أبو هريرة قال يحيى أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال وهي لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال وهي الشرك حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو يحيى الحماني عن النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال بالشرك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة فله خير منها يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة وهو الشرك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج وسمعت عطاء يقول فيها الشرك يعني في قوله ومن جاء بالسيئة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبي المحجل

عاقبتها ويترك الجرائم كلها كيلا يشاركه الكفرة في هذا الاسم الشنيع ومعنى قوله (ولا تحزن عليهم) الآية قد مر في آخر النحل وفي هذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان يناله من قومه ثم انهم (١٥) استعجلوا العذاب الموعود على سبيل السخرية فأمره ان يقول لهم (عسى أن يكون) وهذه على قاعدة وعد الملوك ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوع ذلك الأمر مع اظهار الوقار والوثوق بما يتكلمون وان كان على سبيل الرجاء والطمع ولمثل هذا قال (ردف لكم بعض الذي) دون أن يقول ردف لكم الذي واللام زائدة للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو أريد أزف لكم ودنا لكم بتضمين فعل يتعدى باللام ومعناه تبعكم ولحقكم وقال بعضهم المقتضي للعذاب والمؤثر فيه حاصل في الدنيا الا أن الشعور به غير حاصل كما للسكران أو النائم فتمام العذاب انما يحصل بعد الموت وان كان طرف منه حاصلا في الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر أنه متفضل عليهم بتأخير العقوبة في الدنيا ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على أن نعمة الله تعم الكافر والمؤمن ثم بين أنه مطلع على ما في صدورهم مما يخفون كالقصود والدواعي وعلى ما يظهرون من أفعال الجوارح وغيرها ولعل الغرض أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك ثم أكد ذلك بأن المغيبات كلها ثابتة في اللوح المحفوظ والعاقبة اما مصدر كالعافية واما اسم غير صفة كالذبيحة والربيئة واما صفة والتاء للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قيل وما من شيء شديد الغيبوبة الا وهو مثبت في الكتاب الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين ما يدفع شبه القوم اعجاز القرآن الموافق قصصه لما في التوراة والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم أميا والمطابق غرضه لما هو الحق في نفس الأمر وقد حرفه بنو اسرائيل عن

وجهه كاختلافهم فى شأن المسيح فى كثير من الشرائع والاحكام وذكر انه هدى ورحمة لمن آمن منهم وأنصف أومنهم ومن غيرهم ثم ذكر أن من لم ينصف منهم فالله يقضى بينهم بحكمه (١٦) أى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما (وهو العزيز) الذى لا يغالب فيما يريد (العليم) بما يحكم به وبمن يحكم لهم أو عليهم ثم أمره بالتوكل وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل ذلك بأمرين أحدهما أنه على الحق الأبلج وفيه أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله وثانيهما قوله (انك لا تسمع الموتى) لانه اذا علم أن حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى أو كحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون والعمى الذين لا يبصرون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا فى اظهار مخالفتهم وعدم الاعتداد بهم وقوله (اذا ولوا مدبرين) تأكيد لان الاصم اذا توجه الى الداعى لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى مدبرا وهداه عن الضلالة كقولك سقاه عن العيمة ثم بين أن اسماعه لا يجدى الا على الذين علم الله أنهم يصدقون بآياته (فهم مسلمون) أى مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد المكلفين بذكر طرف من أشراط الساعة وما بعدها فقال (واذا وقع القول) أى دنا وشارف أن يحصل مؤداه ومفهومه (عليهم) وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهى الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها من وجوه أحدها فى مقدار جسمها فقيل ان طولها ستون ذراعا وقيل ان رأسها يبلغ السحاب وعن أبى هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها فى كيفية خلقتها فروى لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا وثالثها فى كيفية خروجها عن على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا

عن أبى معشر عن ابراهيم قال كان يحلف ما يستثنى أن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال الشرك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص قال ثنا سعد بن سعيد عن على بن الحسين وكان رجلا غزاء قال بينا هو فى بعض خلواته حتى رفع صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير قال فرد عليه رجل ما تقول يا عبد الله قال أقول ما تسمع قال أما انها الكلمة التى قال الله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من جاء بالحسنة قال الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن جاء بالسيئة يعنى الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن ومن جاء بالسيئة يقول الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال السيئة الشرك الكفر حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر العدنى قال ثنا الحكم ابن أبان عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة قال شهادة أن لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال السيئة الشرك قال الحكم قال عكرمة كل شئ فى القرآن السيئة فهو الشرك و بنحو الذى قلنا فى معنى قوله فله خير منها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فله خير منها فمنها وصل اليه الخير يعنى ابن عباس بذلك من الحسنة وصل الى الذى جاء بها الخير حدثنا محمد بن بشار قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا حسين الشهيد عن الحسن من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال من جاء بلا اله الا الله فله خير منها خيرا (٣) حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فله خير منها يقول له منها حظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها خير فأما أن يكون خيرا من الايمان فلا ولكن منها خير يصيب منها خيرا حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال ليس شئ خيرا من لا اله الا الله ولكن له منها خير وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال أعطاه الله بالواحدة عشرا فهذا خير منها واختلفت القراء فى قراءة قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فقرأ ذلك بعض قراء البصرة وهم من فزع يومئذ آمنون باضافة فزع الى اليوم وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة من فزع يومئذ بتنوين فزع * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الاضافة أعجب الى لانه فزع معلوم واذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك فى سياق قوله و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنه عنى بقوله وهم من فزع يومئذ آمنون

من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله واذا كان كذلك كان لا شك أنه معرفة وأن الاضافة اذا كان معرفة به أولى من ترك الاضافة وأحرى أن ذلك اذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كل أهوال ذلك اليوم منه اذا لم يضف ذلك وذلك أنه اذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الامان من فزع بعض أهواله وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره يقال لهم هل تجزون أيها المشركون الا ما كنتم تعملون اذ كبكم الله لوجوهكم في النار والاجزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم وترك يقال لهم اكتفاء بدلالة الكلام عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وهي مكة التي حرمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما أو يظلموا فيها أحدا أو يصاد صيدها أو يختلى خلاها دون الاوثان التي تعبدونها أيها المشركون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها يعني مكة وقوله وله كل شئ يقول ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا فاياه أمرت أن أعبد لا من لا يملك شيأ وانما قال جل ثناؤه رب هذه البلدة الذي حرمها فخصها بالذكر دون سائر البلدان وهو رب البلاد كلها لانه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أهل مكة بذلك نعمته عليهم واحسانه اليهم وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم فمنع الناس منهم وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا لا من لم تجر له عليهم نعمة ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر وقوله وأمرت أن أكون من المسلمين يقول وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله ابراهيم وجدكم أيها المشركون لا من خالف دين جده المحق ودان دين ابليس عدو الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين ﴾ يقول تعالى ذكره قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وأن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى يقول فمن اتبعني وآمن بي وبما جئت به فسلك طريق الرشاد فانما يهتدي لنفسه يقول فانما يسلك سبيل الصواب باتباعه اياي وايمانه بي وبما جئت به لنفسه لانه بايمانه بي وبما جئت به يأمن نقمته في الدنيا وعذابه في الآخرة وقوله ومن ضل يقول ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله فقل انما أنا من المنذرين يقول تعالى ذكره فقل يا محمد لمن ضل عن قصد السبيل وكذبك ولم يصدق بما جئت به من عندي انما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم اياه وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش فان قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به فحظوظ أنفسكم تصيبون وان رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم وقد بلغتكم ما أمرت بابلاغه اياكم ونصحت لكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الحمد لله على نعمته علينا بتوفيقه ايانا للحق الذي أنتم عنه عمون سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم ويتبين صدق ما دعوتكم اليه من الرشاد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

يخرج الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام ورابعها مكان خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا (١٧) فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها روى أنها تخرج ثلاث مرات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الآثار والعجائب فظاهر الآية أنها تكلم الناس وفحوى الكلام (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قال جار الله معناه أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات ومن قرأ ان مكسورة فقولها حكاية قول الله فلذلك قالت بآياتنا أو المعنى بآيات ربنا فحذف المضاف أو سبب الاضافة اختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده عن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمن فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى تسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروى أنها تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقيل تكلمهم

من الكلم على معنى التبكيت والمراد به الجرح وهو الوسم بالعصا والخاتم ثم ذكر طرفا مجملا من أهوال يوم القيامة قائلا (ويوم) أي واذكر يوم (نحشر من كل أمة فوجا) أي جماعة كثيرة (ممن يكذب) هذه للتبيين والأولى للتبعيض وقوله (بآياتنا) يحتمل معجزات جميع الرسل أو القرآن خاصة وقد مر معنى قوله (فهم يوزعون) في وصف جنود سليمان أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وعن ابن عباس الفوج أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار والواو في قوله (ولم تحيطوا) للحال كأنه قيل أكذبتم بآياتي بادي الرأي من غير الوقوف على حقيقتها وأنها جديرة بالتصديق او بالتكذيب ويجوز أن تكون الواو للعطف والمعنى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتفهمها فقد يجحد المكتوب اليه كون الكتاب من عند من كتبه ومع ذلك لا يدع تفهم مضمونه وأن يحيط بمعانيه قال جار الله (أماذا كنتم تعملون) للتبكيت لا غير لانهم لم يعملوا الا التكذيب ولم يشتهر من حالهم الا ذلك وجوز أن يراد ما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك كأنكم لم تخلقوا الا لأجله وقال غيره أراد لما لم يشتغلوا بذلك العمل المهم وهو التصديق فأي شئ يعملونه بعد ذلك لأن كل عمل سواه فكأنه ليس بعمل قال المفسرون يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) أي العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار ثم بعد أن خوفهم بأهوال القيامة وأحوال المعاد ذكر ما يصلح أن يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال (ألم يروا) الآية ووجه دلالته على التوحيد أن التقليب من النور الى الظلمة

ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى، وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سيريكم آياته فتعرفونها قال في أنفسكم وفي السماء والارض والرزق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله سيريكم آياته فتعرفونها قال في أنفسكم والسماء والارض والرزق وقوله وما ربك بغافل عما تعملون يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ولكن لهم أجل هم بالغوه فاذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك تكذيبهم اياك فاني من وراء اهلاكهم واني لهم بالمرصاد فأيقن لنفسك بالنصر ولعدوك بالذل والخزي

﴿ آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة وبه الثقة والعصمة ﴾

﴿ تفسير سورة القصص ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ قال أبو جعفر قد بينا قبل فيما مضى تأويل قول الله عز وجل طسم وذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويله وأما قوله تلك آيات الكتاب المبين فانه يعني هذه آيات الكتاب الذي أنزلته اليك يا محمد المبين أنه من عند الله وأنك لم تتقوله ولم تتخرصه وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طسم تلك آيات الكتاب المبين يعني مبين والله بركته ورشده وهداه وقوله نتلو عليك يقول نقرأ عليك ونقص في هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون يقول في هذا القرآن نبؤهم وقوله لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بهذا الكتاب ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم وتطمئن نفوسهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى ومن آمن به من بني اسرائيل من فرعون وقومه أن نهلكهم كما أهلكناهم وننجيهم منهم كما أنجيناهم منهم القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ﴾ يقول تعالى ذكره ان فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر وعلا أهلها وقهرهم حتى أقروا له بالعبودة كما حدثنا محمد بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي ان فرعون علا في الارض يقول تجبر في الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فرعون علا في الارض أي بغى في الأرض وقوله وجعل أهلها شيعا يعني بالشيع الفرق يقول وجعل أهلها فرقا متفرقين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل أهلها شيعا أي فرقا يذبح طائفة منهم ويستحيي طائفة ويعذب طائفة ويستعبد طائفة قال الله عز وجل يذبح أبناءهم ويستحيي

وبالعكس لا يتم الا بقدرة قاهرة ودلالته على الحشر أن النوم يشبه الموت والانتباه يشبه الحياة ودلالته على النبوة أن كل هذا لمنافع المكلفين وفي بعثة الرسل الى الخلق أيضا منافع جمة فما للصانع لمفيض الخيرات من (١٩) ايصال بعض المنافع دون البعض أو من رعاية بعض

ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأحرقت بيوت مصر فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه فقالوا له يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر بني اسرائيل أن لا يولد لهم غلام الا ذبحوه ولا تولد لهم جارية الا تركت وقال للقبط انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بني اسرائيل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بني اسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم فذلك حين يقول ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يعني بني اسرائيل حين جعلهم في الاعمال القذرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرق بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرقا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعل أهلها شيعا قال الشيع الفرق وقوله يستضعف طائفة منهم ذكر أن استضعافه اياها كان استعباده ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة يستعبد طائفة منهم ويذبح طائفة ويقتل طائفة ويستحيي طائفة وقوله انه كان من المفسدين يقول انه كان ممن يفسد في الارض بقتله من لا يستحق منه القتل واستعباده من ليس له استعباده وتجبره في الارض على أهلها وتكبره على عبادة ربه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ قوله ونريد عطف على قوله يستضعف طائفة منهم ومعنى الكلام أن فرعون علا في الارض وجعل اهلها من بني اسرائيل فرقا يستضعف طائفة منهم ونحن نريد أن نمن على الذين استضعفهم فرعون في الارض من بني اسرائيل ونجعلهم أئمة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض قال بنو اسرائيل قوله ونجعلهم أئمة أي ولاة وملوكا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم أئمة أي ولاة الامر وقوله ونجعلهم الوارثين يقول ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الارض من بعد مهلكهم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم الوارثين أي يرثون الارض بعد فرعون وقومه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ابو سفيان عن معمر عن قتادة ونجعلهم الوارثين يقول يرثون الارض بعد فرعون وقوله ونمكن لهم في الارض يقول ونوطئ لهم في أرض الشام ومصر ونرى فرعون وهامان وجنودهما كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل فكانوا من ذلك على وجل منهم ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني اسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

المصالح دون البعض ووصف النهار بالابصار انما هو باعتبار صاحبه وقد مر في يونس والتقابل مراعى في الآية من حيث المعنى كأنه قيل ليسكنوا فيه وليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ثم عاد الى ذكر علامة أخرى للقيامة فقال (ويوم ينفخ في الصور) وقد تقدم تفسيره في طه والمؤمنين وقوله (ففزع) كقوله ونادى وسيق والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) قال أهل التفسير الا من ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر أن منهم موسى لانه صعق مرة قال أهل البرهان ثم قال في هذه السورة ففزع موافقة لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون وفي الزمر قال فصعق لأن معناه مات وقد سبق انك ميت وانهم ميتون ومعنى (داخرين) صاغرين أذلاء وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له قال أهل المناظرة ان الأجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر أنها واقفة مع أنها تمر مرا حثيثا فأخبر الله سبحانه أن حال الجبال يوم القيامة كذلك تجمع فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر الناظر حسبها جامدة أي واقفة في مكان واحد (وهي تمر مر السحاب) قال جار الله (صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله الا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين صنع الله بجعل الاثابة والمعاقبة من جملة الاشياء التي أتقنها وأتى بها على وجه الحكمة

والصواب د قلت لا يبعد أن يكون الناصب ليوم ينفخ هو اذكر مقدرا ويكون صنع الله مصدرا مؤكدا لنفسه أي صنع تسيير الجبال ومرها صنع الله قال القاضي عبد الجبار في قوله (٢٠) (أتقن كل شيء) دلالة على أن القبائح ليست من خلقه والا وجب وصفها بأنها متقنة ولكن الاجماع مانع منه وأجيب بأن الآية مخصوصة بغير الأعراض فان الأعراض لا يمكن وصفها بالاتقان وهو الاحكام لانه من أوصاف المركبات قلت ولو سلم وصف الأعراض بالاتقان فوصف كل الأعراض به ممنوع فما من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع يؤيده قوله (انه خبير بما تفعلون) واذا كان خبيرا بكل أفعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه يمتنع أن يقع فقد صحت معارضة الاشعري وعلى مذهب الحكيم وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم لاجل الخير الكثير لا ينافي الاتقان والله أعلم ثم فصل أعمال العباد وجزاءها بقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها) الى آخر الآيتين وبيان الخيرية بالاضعاف وبأن العمل منقض والثواب دائم وبأن فعل السيد بينه وبين فعل العبد بون بعيد على أن الاكل والشرب انما هو جزاء الاعمال البدنية وأما الاعمال القلبية من المعرفة والاخلاص فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله والاستغراق في بحار الجمال والجلال جعلنا الله أهلا لذلك وقيل المراد فله خير حاصل منها وعن ابن عباس أن الحسنة كلمة الشهادة التي هي أعلى درجات الايمان واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يعاقب مسلم وأجيب بأنه يكفي في الخيرية أن لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد المحسنين أمرا آخر وهو قوله (وهم من فزع يومئذ آمنون) وآمن يتعدى بالجار وبنفسه والتنوين في فزع في احدى القراءتين اما للنوع وهو فزع نوع العقاب فان فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف وهو الذي أثبته في قوله ففزع من في السموات ومن في الارض

ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون شيأ ما حذر القوم قال وذكر لنا أن حازيا حزا لعدو الله فرعون فقال يولد في هذا العام غلام من بني اسرائيل يسلبك ملكك فتتبع أبناءهم ذلك العام يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا مما قال له الحازي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره يعني أنه كاهن فقال له انه يولد في هذا العام غلام يذهب بملككم فكان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا فذلك قوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون

واختلفت القراء في قراءة قوله ونرى فرعون وهامان فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ونرى فرعون وهامان بمعنى ونرى نحن بالنون عطفا بذلك على قوله ونمكن لهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويرى فرعون على أن الفعل لفرعون بمعنى ويعاين فرعون بالياء من يرى ورفع فرعون وهامان والجنود والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لانه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى الا بأن يريه الله عز وجل منه ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه الا رآه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى أم موسى حين ولدت موسى أن أرضعيه وكان قتادة يقول في معنى ذلك وأوحينا الى أم موسى قذفنا في قلبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأوحينا الى أم موسى وحيا جاءها من الله فقذف في قلبها وليس بوحي نبوة أن أرضعي موسى فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله وأوحينا الى أم موسى قال قذف في نفسها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني اسرائيل سنة ويتركوا سنة فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقي موسى في اليم فقال بعضهم أمرت أن تلقيه فيه بعد ميلاده بأربعة أشهر وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أن أرضعيه فاذا خفت عليه قال اذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك فألقيه حينئذ في اليم فذلك قوله فاذا خفت عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال لم يقل لها اذا ولدتيه فألقيه في اليم انما قال لها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم بذلك أمرت قال جعلته في بستان فكانت تأتيه كل يوم فترضعه وتأتيه كل ليلة فترضعه فيكفيه ذلك * وقال آخرون بل أمرت أن تلقيه في اليم بعد ولادها اياه وبعد رضاعها ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم * وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه فاذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم (٣) وجائز أن تكون

(٣) لعله سقط من الناسخ فجائز أن تكون خافتهم عليه بعد ولادها وجائز الخ كتبه مصححه

خافتهم

الامن شاء الله وإما للتعظيم أي من فزع شديد لا يكتنهه الواصف وهو خوف النار آمنون وأما حال العصاة فأن تكب فى النار فعبر عن الجملة بالوجه لانه أشرف أو لانهم يلقون فى الجحيم منكوسين وقوله (هل تجزون) الخطاب (٢١) فيه اما على طريقة الالتفات واما على سبيل الحكاية باضمار القول أى يقال لهم عند الكب هذا القول ثم ختم السورة بخلاصة ما أمر به رسوله وذلك أشياء منها عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بأمرين احترازا من أرباب أهل الشرك أولهما كونه ربا لما هو أقرب فى نظر قريش وهو بلدة مكة حرمها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وثانيهما عام وهو قوله (وله كل شئ) ومنها أمره بالاسلام وهو الاذعان الكلى لاوامر الله بجميع أعضائه وجوارحه ومنها أمره بتلاوة القرآن أى بتلوه أى اتباعه وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام حتى خوطب بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم لما بين سيرته ذكر أن نفع الاهتداء ووبال الضلال لا يعود الا الى المكلف أو عليه وليس على الرسول الا البلاغ والانذار ثم جعل ختم الخاتمة الأمر بالحمد كما هو صفة أهل الجنة وبعد أمره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة هدد أعداءه بما سيريهم فى الآخرة من الآيات الملجئة الى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قاله الحسن وعن الكلبى هى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات فى الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) ولكنه من وراء جزاء العاملين ﴿ التأويل قل سيروا فى أرض البشرية فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لان خواص نفوسهم أنموذج من جهنم كما أن خواص أهل القلوب أنموذج من الجنة وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم لانه خمر طينة آدم بيديه أربعين صباحا ونفخ فيه من روحه فهو مطلع على قالبه وعلى قلبه ولهذا قال وما من غائبة من الخواص فى سماء القلب وأرض القالب الا فى كتاب مبين وهو علم الله تعالى ان هذا القرآن

جافتهم عليه بعد أشهر من ولادها اياه وأى ذلك كان فقد فعلت ما أوحى الله اليها فيه ولا خبر قامت به حجة ولا فى فطرة العقل بيان أى ذلك كان من أى فأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه واليم الذى أمرت أن تلقيه فيه هو النيل كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فألقيه فى اليم قال هو البحر وهو النيل وقد بينا ذلك بشواهده وذكر الرواية فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ولا تخافى ولا تحزنى يقول لا تخافى على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ولا تحزنى لفراقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تخافى ولا تحزنى قال لا تخافى عليه البحر ولا تحزنى لفراقه انا رادوه اليك وقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين يقول انا رادو ولدك اليك للرضاع لتكونى أنت ترضعيه وباعثوه رسولا الى من تخافينه عليه أن يقتله وفعل الله ذلك بها وبه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انا رادوه اليك وباعثوه رسولا الى هذه الطاغية وجاعلو هلاكه ونجاة بنى اسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ يقول تعالى ذكره فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه وأصله من اللقطة وهو ما وجد ضالا فأخذ والعرب تقول لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا ارادة أصبته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا ومنه قول الراجز

ومنهل وردته التقاطا * لم ألق اذ وردته فراطا

يعنى فجأة واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله آل فرعون فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بذلك جوارى امرأة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظنن أن فيه مالا فلما نظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته فأحبته فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها قال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قول الله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا * وقال آخرون بل عنى به ابنة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال كانت بنت فرعون برصاء فجاءت الى النيل فاذا التابوت فى النيل تخفقه الامواج فأخذته بنت فرعون فلما فتحت التابوت فاذا هى بصبى فلما اطلعت فى وجهه برأت من البرص فجاءت به الى أمها فقالت ان هذا الصبى مبارك لما نظرت اليه برئت فقال فرعون هذا من صبيان بنى اسرائيل هلم حتى أقتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه * وقال آخرون عنى به أعوان فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينما هو جالس اذ مر النيل بالتابوت يقذف به وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقالت ان هذا لشئ فى البحر فأتونى به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبى فى مهده فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه قالت امرأته آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ولا قول فى ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل فالتقطه آل فرعون

يقص لأن كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل نبينا فلا جرم لم يكن في كتبهم من الحقائق مثل
ما في القرآن ولهذا قال إن ربك يقضي بينهم (٢٢) أي بين هذه الامة وبين أمة كل نبي بحكمه أي بحكمته بأن يبلغ متابعي كل نبي الى
مقام نبيهم ويبلغ متابعي نبينا صلى الله عليه وسلم الى مقام المحبة فاتبعوني يحببكم الله وهو العزيز الذي لعزته لا يهدي كل متمن الى مقام حبيبه العليم بمن يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة الخلق الى الله واذا وقع القول عليهم وذلك بعد البلوغ ومضى زمان الرعي في مراتع البهيمية أخرجنا لهم من تحت ارض البشرية دابة تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وهي النفس الناطقة فانها الى الآن كانت موصوفة بصفة الصمم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لا توقن هي وصفاتها بالدلائل ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون من كلامه وهي صفات الروح والقلب وذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر والفكر حتى اذا رجعوا الى الحضرة قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون بعد أن كنتم مصدقيها عند خطاب ألست بربكم وهذا خطاب فيه استبطاء وعتاب ووقع القول عليهم بدل ما ظلموا فهم لا ينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا جعلنا ليل البشرية سببا لاستجمام القلب ونهار الروحانية بتجلي شمس الربوبية مبصرا يبصر به الحق من الباطل ويوم ينفخ اسرافيل المحبة في صور القلب ففزع من في سموات الروح من الصفات الروحانية ومن في أرض البشرية من الصفات النفسانية الا من شاء الله من أهل البقاء الذين أحيوا بحياته وأفاقوا بعد صعقة الفناء وهي النفخة الاولى في بدايته تأثير العناية للهداية والقاء المحبة التي تظهر القيامة في شخص

وقد بينا معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته ههنا وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فيقول القائل ليكون موسى لآل فرعون عدوا وحزنا التقطوه فيقال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قيل انهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك بل لما تقدم ذكره ولكنه ان شاء الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال ليكون لهم في عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به وليس لذلك أخذوه ولكن امرأة فرعون قالت قرة عين لي ولك فكان قول الله ليكون لهم عدوا وحزنا لما هو كائن في عاقبة أمره لهم وهو كقول القائل لآخر اذا قرعه لفعل كان فعله وهو يحسب محسنا في فعله فأداه فعله ذلك الى مساءة مندما له على فعله فعلت هذا لضر نفسك ولتضر به نفسك فعلت وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عند نفسه بفعله راجيا نفعه غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو فكذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا انما هو فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون الى أنفسهم ليكون قرة عين لهم فكانت عاقبة التقاطهم اياه منه هلاكهم على يديه وقوله عدوا وحزنا يقول يكون لهم عدوا في دينهم وحزنا على ما ينالهم منه من المكروه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا عدوا لهم في دينهم وحزنا لما يأتيهم واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وحزنا بفتح الحاء والزاي وقرأته عامة قراء الكوفة وحزنا بضم الحاء وتسكين الزاي والحزن بفتح الحاء والزاي مصدر من حزنت حزنا والحزن بضم الحاء وتسكين الزاي الاسم كالعدم والعدم ونحوه والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العدم والعدم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين يقول تعالى ذكره ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين فلذلك كان لهم موسى عدوا وحزنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت امرأة فرعون له هذا قرة عين لي ولك يا فرعون فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا أو هو وقوله لا تقتلوه مسئلة من امرأة فرعون أن لا يقتله وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون قال فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا فكان كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال فرعون قرة عين لك أما لي فلا قال محمد بن قيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون قرة عين لي ولك لكان لهما جميعا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال اتخذه فرعون ولدا ودعي على أنه ابن فرعون فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيا فبينما هي ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت خذه قرة عين لي ولك قال فرعون هو قرة عين لك لا لي قال عبد الله بن عباس لو أنه قال وهو لي قرة عين اذا لآمن به ولكنه أبى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك تعني بذلك موسى حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أتت بموسى امرأة فرعون فرعون قالت قرة عين لي ولك قال

المحب ونزع الصفات هيجانها للطلب بتهييج أنوار المحبة الا من شاء الله وهو الخفي وهي لطيفة في الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند
طلوع شموع الشواهد وآثار التجلي فلا يصيبه الفزع بالنفخة الاولى ولا تدركه (٢٣) الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص
جامدة على حالها وهي تمر بالسير في الصفات وتبديل الاخلاق مر السحاب رب هذه البلدة وهي القلب والرب هو الله كما أن رب بلدة القالب هو النفس الامارة وانه تعالى حرم بلدة القلب على الشيطان كما قال يوسوس في صدور الناس دون أن يقول في قلوب الناس سيريكم آياته فتعرفونها فيه اذا لم ير الآيات لم يمكن عرفانها اللهم اجعلنا من العارفين واكشف عنا غطاءنا بحق محمد وآله صلى الله وسلم عليهم

(سورة القصص مكية سوى آية نزلت بجحفة ان الذي فرض الخ حروفها ٥٨٠٠ كلمها ١٤٤١ آياتها ٨٨)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على أهل

فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك وقوله لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين هم بقتله قال بعضهم حين أتى به يوم التقطه من اليم وقال بعضهم يوم نتف من لحيته أو ضربه بعصا كانت في يده ذكر من قال قالت ذلك يوم نتف لحيته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما أتى فرعون به صبيا أخذه اليه فأخذ موسى بلحيته فنتفها قال فرعون علي بالذباحين هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال ألقيت عليه رحمتها حين أبصرته وقوله وهم لا يشعرون اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وهم لا يشعرون هلاكهم على يده ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يشعرون قال وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه وفي زمانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني سفيان عن معمر عن قتادة أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال ان هلاكهم على يديه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهم لا يشعرون قال آل فرعون أنه لهم عدو * وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت امرأة فرعون آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون يقول الله وهم لا يشعرون أي بما هو كائن بما أراد الله به * وقال آخرون بل معنى قوله وهم لا يشعرون وبنو اسرائيل لا يشعرون أنا التقطناه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال يقول لا تدري بنو اسرائيل أنا التقطناه * والصواب من القول في ذلك قول من قال معنى ذلك وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لانه عقيب قوله وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واذا كان ذلك عقبه فهو بأن يكون بيانا عن القول الذي هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره ﷺ القول في تأويل قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا فقال بعضهم الذي عنى جل ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا كل شئ سوى ذكر ابنها موسى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن العلاء قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا الاعمش عن مجاهد وحسان أبي الاشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن رجل عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من هم موسى حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن

حيث يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين (٣٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴾ ۞ القراآت ويرى بفتح الياء وامالة الراء فرعون وهامان وجنودهما مرفوعات حمزة وعلى وخلف وهكذا قرؤا قوله وحزنا بضم الحاء وسكون الزاى الباقون بفتحها ۞ الوقوف طسم كوفى المبين ٥ يؤمنون ٥ نساءهم ط المفسدين ٥ الوارثين ٥ لا للعطف يحذرون ٥ أرضعيه ج للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزنى ج للابتداء بان مع أن التقدير فانا من المرسلين ٥ وحزنا ط خاطئين ٥ ولك ط لاتقتلوه ق والوجه الوصل لان الرجاء بعده تعليل للنهى لايشعرون ٥ فارغا ط المؤمنين ٥ قصيه ز بناء على أن التقدير فتبعته فبصرت لايشعرون ٥ لا بناء على أن الواو للحال أى وقد حرمنا وقوله فقالت عطف على قوله فبصرت والحال معترض ناصحون ٥ عن لايعلمون ٥ وعلما ٥ المحسنين ٥ يقتتلان لا لأن ما بعده صفة الرجلين ظاهرا ولكن مع اضمار أى يقال لهما هذا من شيعته وهذا من عدوه

ابن عباس قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال يقول لا تذكر الا موسى حدثنا محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال من كل شئ غير ذكر موسى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من هم موسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أى لاغيا من كل شئ الا من ذكر موسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ غير ذكر موسى * وقال آخرون بل عنى أن فؤادها أصبح فارغا من الوحى الذى كان الله أوحاه اليها اذ أمرها أن تلقيه فى اليم فقال ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال فحزنت ونسيت عهد الله اليها فقال الله عز وجل وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من وحينا الذى أوحيناه اليها ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من الوحى الذى أوحى الله اليها حين أمرها أن تلقيه فى البحر ولا تخاف ولا تحزن قال فجاءها الشيطان فقال يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فيكون لك أجره وثوابه وتوليت قتله فألقيتيه فى البحر وغرقتيه فقال الله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الوحى الذى أوحاه اليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ثنى الحسن قال أصبح فارغا من العهد الذى عهدنا اليها والوعد الذى وعدناها أن نرد عليها ابنها فنسيت ذلك كله حتى كادت أن تبدى به لولا أن ربطنا على قلبها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق قد كانت أم موسى ترفع له حين قذفته فى البحر هل تسمع له بذكر حتى أتاها الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا فى النيل فى التابوت فعرفت الصفة ورأت أنه وقع فى يدى عدوه الذى فرت به منه وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله اليها فيه قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب معنى ذلك وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الحزن لعلمها بأنه لم يغرق قال وهو من قولهم دم فرغ أى لا قود ولا دية وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال معناه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شئ الا من هم موسى وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لدلالة قوله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها ولو كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحى لم يعقب بقوله ان كادت لتبدى به لانها ان كانت قاربت أن تبدى الوحى فلم تكد أن تبديه الا لكثرة ذكرها اياه وولوعها به ومحال أن تكون به ولعة الا وهى ذاكرة واذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى اليها وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ولم يخصص فراغ قلبها من شئ دون شئ فذلك على العموم الا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه وأصبح فؤاد أم موسى فازعا من الفزع وقوله ان كادت لتبدى به اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عادت عليه الهاء فى قوله به فقال بعضهم هى من ذكر موسى وعليه عادت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش

عن مجاهد وحسان أبى الاشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا ابناه * قال ثنى يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا ابناه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا بنياه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كادت لتبدى به أى لتبدى به أنه ابنها من شدة وجدها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما جاءت أمه أخذ منها يعنى الرضاع فكادت أن تقول هو ابنى فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها * وقال آخرون بما أوحيناه اليها أى تظفر * والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا ان كادت لتقول يا بنياه لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك وأنه عقيب قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا فلأن يكون لو لم يكن ممن ذكرنا فى ذلك اجماع على ذلك من ذكر موسى لقربه منه أشبه من أن يكون من ذكر الوحى * وقال بعضهم بل معنى ذلك ان كادت لتبدى بموسى فتقول هو ابنى قال وذلك أن صدرها ضاق اذ نسب الى فرعون وقيل ابن فرعون وعنى بقوله لتبدى به لتظهره وتخبر به ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان كان كادت لتبدى به لتشعر به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان كادت لتبدى به قال لتعلن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقوله لولا أن ربطنا على قلبها يقول لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتنا اياها وتوفيقناها للسكوت عنه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لولا أن ربطنا على قلبها أى بالايمان لتكون من المؤمنين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كادت تقول هو ابنى فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها وقوله لتكون من المؤمنين يقول تعالى ذكره عصمناها من اظهار ذلك وقيله بلسانها وثبتناها للعهد الذى عهدنا اليها لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾

يقول تعالى ذكره وقالت أم موسى لأخت موسى حين ألقته فى اليم قصيه يقول قصى أثر موسى اتبعى أثره تقول قصصت آثار القوم اذا اتبعت آثارهم ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لأخته قصيه قال اتبعى أثره كيف يصنع به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قصيه أى قصى أثره حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقالت لأخته قصيه قال اتبعى أثره حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالت لأخته قصيه أى انظرى ماذا يفعلون به حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وقالت لأخته قصيه يعنى قصى أثره حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد

وليس ببعيد أن يكون مستأنفا من عدوه الاولى ج لان ما يتلوه معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه الثانى لا للعطف عليه مع عدم اتحاد القائل الشيطان ط مبين ه فغفر له ط الرحيم ه (٣٥) للمجرمين ه يستصرخه ط مبين ط لهما لا لان ما بعده جواب لما بالأمس ط للابتداء بالنفى والوصل أوجه لاتحاد القائل المصلحين ه يسعى ز لعدم العاطف مع اتحاد القول من الناصحين ه يترقب ز لما قلنا فى يسعى الظالمين ه ۞ التفسير فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء (نتلو عليك) على لسان جبرائيل (من نبإ موسى وفرعون) أى طرفا من خبرهما متلبسا (بالحق) أو محقين (لقوم يؤمنون) لأن التلاوة انما تنفع هؤلاء ثم شرع فى تفصيل هذا المجمل وفى تفسيره كأن سائلا سأل وكيف كان نبؤهما فقال مستأنفا (ان فرعون علا فى الارض) أى طغى وتكبر فى أرض مملكته (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه أو جعلهم أصنافا فى استخدامه فمن بان وحارث وغير ذلك أو فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له أطوع وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله (يستضعف) حال من الضمير فى جعل أو صفة لشيعا أو مستأنف و (يذبح) بدل منه وقوله (انه كان من المفسدين) بيان أن القتل من فعل أهل الفساد لا غير لأن الكهنة ان صدقوا فلا فائدة فى القتل وان كذبوا فلا وجه للقتل اللهم الا أن يقال ان النجوم دلت على أنه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر لأن المقدر كائن البتة (ونريد) حكاية حال ماضية معطوفة على قوله ان فرعون علا فهذه أيضا تفسير للنبإ وجوز أن يكون حالا من الضمير فى يستضعف أى يستضعفهم هو ونحن نريد أن نمن عليهم فى المآل فجعلت ارادة الوقوع كالوقوع (ونجعلهم أئمة) مهتدين فى أمور الدين والدنيا وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير

قال ثنا القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس وقالت لاخته قصيه أى قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى ابنى أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذى كان الله وعدها وقوله فبصرت به عن جنب يقول تعالى ذكره فقصت أخت موسى أثره فبصرت به عن جنب يقول فبصرت بموسى عن بعد لم تدن منه ولم تقرب لئلا يعلم أنها منه بسبيل يقال منه بصرت به وأبصرته لغتان مشهورتان وأبصرت عن جنب وعن جنابة كما قال الشاعر

أتيت حريثا زائرا عن جنابة * فكان حريث عن عطائى جاحدا

يعنى بقوله عن جنابة عن بعد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عن جنب قال بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن جنب قال عن بعد قال ابن جريج عن جنب قال هى على الحد فى الارض وموسى يجرى به النيل وهما متحاذيان كذلك تنظر اليه نظرة والى الناس نظرة وقد جعل فى تابوت مقير ظهره وبطنه وأقفلته عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى سفيان عن معمر عن قتادة فبصرت به عن جنب يقول بصرت به وهى محاذيته لم تأته حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنى القاسم ابن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس فبصرت به عن جنب والجنب أن يسمو بصر الانسان الى الشئ البعيد وهو الى جنبه لا يشعر به وقوله وهم لا يشعرون يقول وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم لا يشعرون قال آل فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون أنها أخته قال جعلت تنظر اليه كأنها لا تريده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وهم لا يشعرون أنها أخته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم لا يشعرون أى لا يعرفون أنها منه بسبيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) يقول تعالى ذكره ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه ذكر أن اختا لموسى هى التى قالت لآل فرعون هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع فأبى أن يأخذ فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فلما جاءت أمه أخذ منها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يقبل ثدى امرأة حتى يرجع الى أمه

وعن قتادة ولاة أى ملوكا ومعنى الوراثة والتمكين فى أرض مصر والشام هو أن يرثوا الملك فرعون وينفذ فيه أمرهم والذى كانوا يحذرون منه هو ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم (٣٦) يروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد قال ابن عباس ان أم موسى لما قربت ولادتها أرسلت الى قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بالحبالى وكانت مصافية لأم موسى وقالت لها قد نزل بى ما نزل ولينفعنى حبك فعالجتها فلما وقع على الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظيه فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها نفر من بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعقل ما تصنع لما طاش من عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور واذا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لى دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت يا أخت موسى أين الصبى فقالت لا أدرى سمعت بكاءه فى التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها أن يذبح فألهمها الله تعالى أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل فجاءت الى النجار وأمرته بنجر تابوت طوله خمسة أشبار فى عرض خمسة فعلم النجار بذلك فجاء الى موكل بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرات فعلم أنه من الله فأقبل على النجر وقيل لما فرغ من صنعة التابوت ثم أتى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينيه وقلبه بألم فلم يعرف الطريق وأيقن أنه من الله وأنه هو المولود الذى يخافه فرعون فآمن فى الوقت وهو مؤمن آل فرعون وانطلقت أم موسى وألقته فى النيل وكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث

حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحرمنا عليه المراضع من قبل قال كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يرضع ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحرمنا عليه المراضع من قبل قال جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها قال فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق قال جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهن فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ويعني بقوله يكفلونه لكم يضمنونه لكم وقوله وهم له ناصحون ذكر أنها أخذت فقيل قد عرفته فقالت إنما عنيت أنهم للملك ناصحون ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما قالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أخذوها وقالوا إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه ولكني إنما قلت هم للملك ناصحون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال فعلقوها حين قالت وهم له ناصحون قالوا قد عرفته قالت إنما أردت هم للملك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وهم له ناصحون أي لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك قالوا هاتي ۞ القول في تأويل قوله تعالى {فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون} يقول تعالى ذكره فرددنا موسى إلى أمه بعد أن التقطه آل فرعون لتقر عينها بابنها إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون ولا تحزن على فراقه إياها ولتعلم أن وعد الله الذي وعدها إذ قال لها فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الآية حق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فرددناه إلى أمه فقرأ حتى بلغ لا يعلمون ووعدها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين ففعل الله ذلك بها وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق لا يصدقون بأن ذلك كذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى {ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين} يقول تعالى ذكره ولما بلغ موسى أشده يعني حان شدة بدنه وقواه وانتهى ذلك منه وقد بينا معنى الأشد فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع وقوله واستوى يقول تناهى شبابه وتم خلقه واستحكم وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء فقال بعضهم يكون ذلك في أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد في قوله واستوى قال أربعين سنة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة قوله واستوى قال بلغ أربعين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ أشده قال بضعا وثلاثين سنة ... قال ثنا سفيان عن

حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الأطباء والسحرة في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ هذه إلا من قبل البحر يوجد منه شبيه الإنس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك في يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه آسية زوجته وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على الشاطئ إذ أقبل النيل بتابوت تضربه الأرياح والأمواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فإذا هو صبي صغير في مهده يمص إبهامه لبنا وإذا نور بين عينيه فألقى الله محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته إلى صدرها فقال الأعزة من قوم فرعون إنا نظن أن هذا هو الذي تحذر منه فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله قال علماء البيان اللام في قوله (ليكون لهم عدوا) لام العاقبة وأصلها التعليل لأنه وارد هنا على سبيل المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث إن العداوة والحزن كان نتيجة التقاطهم كما أن الإكرام مثلا نتيجة المجيء في قولك جئتك لتكرمني وبعبارة أخرى إن مقصود الشيء والغرض منه هو الذي يؤول إليه أمره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول إليه الأمر على سبيل التشبيه وإن لم يكن غرضا ومعنى كونهم خاطئين هو أنهم أخطؤا في التدبير حيث ربوا عدوهم في حجرهم أو أنهم أذنبوا وأجرموا وكان عاقبة ذلك أن يجعل الله في تربيتهم من على يديه هلاكهم قال النحويون (قرة عين) خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة عين ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ولا تقتلوه خبرا لأن الطلب لا يقع خبرا إلا بتأويل ولو نصب لكان أقوى لأن الطلب من مظان النصب روى

في حديث أن آسية حين قالت قرة عين لي ولك قال فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ثم انها رأت فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وتوسمت فيه أمارات النجابة (٣٨) فقالت (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) فانه أهل للتبني وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء قال في الكشاف (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه قلت لا يبعد أن تكون الجملة حالا من فاعل قالت أي قالت كذا وكذا في حال عدم شعورهم بالمآل وهو أن هلاكهم على يده وبسببه وقال الكلبي أي لا يشعرون بنو اسرائيل وأهل مصر أنا التقطناه قوله سبحانه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) قال الحسن أي فارغا من كل هم الا من هم موسى وقال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها وذلك أنها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحق والحسن في رواية أي فارغا من الوحي الذي أوحينا اليها وذلك قولنا فألقيه في اليم ولا تخافي الغرق وسائر المخاوف ولا تحزني والخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع فنهيت عنهما جميعا فجاءها الشيطان وقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت اهلاكه ولما أتاها خبر موسى أنه وقع الى يد فرعون أنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال أبو عبيدة فارغا من الخوف فالله تعالى يقول لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون أما وهو من فسر الفراغ بحصول الخوف فعنده معنى قوله ان كادت لتبدي به هو أنها كادت تحدث بأن الذي وجدتموه ابني قاله ابن عباس وفي رواية

ابن أبي نجيح عن مجاهد ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أشده واستوى قال أربعين سنة وأشده ثلاثا وثلاثين سنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولما بلغ أشده واستوى قال كان أبي يقول الأشد الجلد والاستواء أربعون سنة * وقال بعضهم يكون ذلك في ثلاثين سنة وقوله آتيناه حكما وعلما يعني بالحكم الفهم بالدين والمعرفة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى، وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعقل والعمل قبل النبوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعمل قبل النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فقها في دينه ودين آبائه وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده وقوله وكذلك نجزي المحسنين يقول تعالى ذكره وكما جزينا موسى على طاعته ايانا واحسانه بصبره على أمرنا كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا فصبر على أمرنا وأطاعنا وانتهى عما نهيناه عنه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين﴾ يقول تعالى ذكره ودخل موسى المدينة مدينة منف من مصر على حين غفلة من أهلها وذلك عند القائلة نصف النهار واختلف أهل العلم في السبب الذي من اجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت فقال بعضهم دخلها متبعا أثر فرعون لان فرعون ركب وموسى غير شاهد فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره وأدركه المقيل في هذه المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى موسى بن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي يقول الله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها * وقال آخرون بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه لانه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ موسى أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فكانت له من بني اسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون اليه فلما استد رأيه وعرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه فتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه وحتى أخافوه وخافهم حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها *وقال آخرون بل كان فرعون قد أمر باخراجه من مدينته حين علاه بالعصا فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده قالوا ومعنى الكلام ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى أي من بعد نسيانهم خبره وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله على حين غفلة من أهلها قال ليس غفلة من ساعة ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره وقال فرعون لامرأته أخرجيه عني حين ضرب رأسه بالعصا هذا الذي قتلت فيه بنو اسرائيل فقالت هو صغير

عكرمة كادت تقول وا ابناه من شدة وجدها به وذلك حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبي ذلك حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون ثم قال (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشيء المتفلت ليستقر (٢٩) و يطمئن (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك وأما من فسره بعدم الخوف فالمعنى عنده أنها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت أن فرعون تبناه وعطف عليه وأن الشأن أنها قاربت أن تظهر أنه ولدها لولا أن ألهمناها الصبر لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لتبني فرعون وتعطفه والاول أظهر بدليل قوله (وقالت لاخته قصيه) أي اقتفي أثره وانظري أين وقع والى من صار وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم (فبصرت به) أي أبصرته (عن جنب) عن بعد أي نظرت اليه مزورة متجانفة (وهم لا يشعرون) بحالها وغرضها والتحريم ههنا لا يمكن حمله على النهي والتعبد ظاهرا فلذلك قيل انه مستعار للمنع لان من حرم عليه شيء فقد منعه وكان لا يقبل ثدي مرضع امالانه تعالى منع حاجته الى اللبن وأحدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء واما لانه أحدث في ألبانهن من الطعم ما ينفر عنه طبعه وعن الضحاك أن أمه أرضعته ثلاثة أشهر فعرف ريحها و (المراضع) جمع مرضعة وهي المرأة التي تصلح للارضاع او جمع مرضع وهو الثدي أو الرضاع فالاول مكان والثاني مصدر و (من قبل) أي من قبل قصصها أثره أو من قبل أن رددناه الى أمه أو من قبل ولادته في حكمنا وقضائنا روى أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد والمراد أنهم يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه ولا يمنعون ما ينفعه في تربيته وغذائه فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي يعلله فرعون شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي الا ثديك

وهو كذا هات جمرا فأتي بجمر فأخذ جمرة فطرحها في فيه فصارت عقدة في لسانه فكانت تلك العقدة التي قال الله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي قال أخرجيه عني فأخرج فلم يدخل عليهم حتى كبر فدخل على حين غفلة من ذكره * وأولى الاقوال بالصحة في ذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ولما بلغ أشده واستوى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها * واختلفوا في الوقت الذي عني بقوله على حين غفلة من أهلها فقال بعضهم ذلك نصف النهار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال نصف النهار قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال يقولون في القائلة قال و بين المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال دخلها بعدما بلغ أشده عند القائلة نصف النهار حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال دخل نصف النهار وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا من أهل دين موسى من بني اسرائيل وهذا من عدوه من القبط من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته يقول فاستغاثه الذي هو من أهل دين موسى على الذي من عدوه من القبط فوكزه موسى فقضى عليه يقول فلكزه ولهزه في صدره بجمع كفه * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال أساء موسى من حيث أساء وهو شديد الغضب شديد القوة فمر برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين قال فلما رأى موسى استغاث به قال يا موسى فقال موسى خل سبيله فقال قد هممت أن أحمله عليك فوكزه موسى فقضى عليه قال حتى اذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر قال فاذا ذاك الرجل قد أخذه آخر في مثل حده قال فقال يا موسى قال فاشتد غضب موسى قال فأهوى قال فخاف أن يكون اياه يريد قال فقال أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قال فقال الرجل ألا أراك يا موسى أنت الذي قتلت حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام ابن علي قال ثنا الاعمش عن سعيد بن جبير فوجد فيها رجلين يقتتلان قال رجل من بني اسرائيل يقاتل جبارا لفرعون فاستغاثه فوكزه موسى فقضى عليه فلما كان من الغد استصرخ به فوجده يقاتل آخر فأغاثه فقال أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فعرفوا أنه موسى فخرج منها خائفا يترقب قال عثام أو نحو هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه أما الذي من شيعته فمن بني اسرائيل وأما الذي من عدوه فقبطي من آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بلغ موسى أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينا هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا أنما ذلك من قبل الرضاعة

قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها وعين أجرها قال في الكشاف لمَّا أخذت الاجر على ارضاع ولدها
لانه مال حربي استطابته على وجه الاستباحة قلت ولعل ذلك لدفع التهمة فان مال الحربي لم يكن مستطابا بدليل قوله وأحلت
لي الغنائم قالوا كانت عالمة بأن الله تعالى سينجز وعده ولكن ليس الخبر كالعيان فلهذا قال سبحانه (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم) أي أكثر الناس (لا يعلمون) حقية وعده في ذلك العهد وبعده لاعراضهم عن النظر في آيات الله وقال الضحاك ومقاتل يعني أهل مصر لا يعلمون أن الله وعد رده اليها قلت ويؤيد هذا القول أنه اقتصر على الضمير دون أن يقول ولكن أكثر الناس كما قال في سورة يوسف والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقيل هذا تعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا وعلى هذا يحتمل أن يكون قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون من جملة ما يعلمها أي ولتعلم حقية وعد الله وهذا الاستدراك وجوز في الكشاف أن يتعلق الاستدراك بقوله ولتعلم المقصود أن الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو العلم بصدق وعد الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن هذا هو الغرض الاصلي الذي ماسواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ثم بين سبحانه كمال عنايته في حقه كما بين في قصة يوسف قائلا (ولما بلغ أشده) وزاد ههنا قوله (واستوى) فقيل بلوغ الاشد والاستواء بمعنى واحد والأصح أنهما متغايران والأشد عبارة عن البلوغ والاستواء اشارة الى كمال الخلقة وعن ابن عباس الاشد ما بين الثمانية عشر الى ثلاثين والاستواء من الثلاثين الى
الاربعين وهو عند الاطباء سن الوقوف فلعل يوسف أعطى النبوة في سن النمو وأعطى موسى اياها في سن فلا
الوقوف والعلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قيل ليس في الآية دلالة على أن هذه النبوة كانت قبل قتل القبطي أو بعده

من أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلع عليه غيره فوكزه موسى الفرعوني فقتله ولم يرهما أحد الا الله والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته مسلم وهذا من أهل دين فرعون كافرا فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في البطش فغضب بعدوهما فنازعه فوكزه موسى وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هذا من شيعته قال من قومه من بني اسرائيل وكان فرعون من فارس من اصطخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ثني حجاج عن أبي بكر ابن عبد الله عن أصحابه هذا من شيعته اسرائيلي وهذا من عدوه قبطي فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه * وبنحو الذي قلنا أيضا قالوا في معنى قوله فوكزه موسى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوكزه موسى قال بجمع كفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوكزه موسى نبي الله ولم يتعمد قتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قتله وهو لا يريد قتله وقوله فقضى عليه يقول ففرغ من قتله وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء الفراغ بما أغنى عن اعادته ههنا ذكر أنه قتله ثم دفنه في الرمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه فوكزه موسى فقضى عليه ثم دفنه في الرمل وقوله قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين يقول تعالى ذكره قال موسى حين قتل القتيل هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هيج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي انه عدو يقول ان الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الاعمال وتحسينه ذلك له مبين يعني أنه يبين عداوته لهم قديما واضلاله اياهم ۞ القول في تأويل قوله (قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها وتوبته اليه منه ومسئلته غفرانه من ذلك رب اني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاعف عن ذنبي ذلك واستره علي ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله رب اني ظلمت نفسي قال بقتلي من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر ولم يؤمر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال عرف المخرج فقال ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقوله فغفر له يقول تعالى ذكره فعفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به انه هو الغفور الرحيم يقول ان الله هو الساتر على المنيبين اليه من ذنوبهم على ذنوبهم المتفضل عليهم بالعفو عنها الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها وقوله قال رب بما أنعمت علي يقول تعالى ذكره قال موسى رب بانعامك علي بعفوك عن قتل هذه النفس فلن أكون ظهيرا للمجرمين يعني المشركين كأنه أقسم بذلك وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله

لان الواو فى قوله (ودخل المدينة) لا تفيد الترتيب قلت يشبه أن يستدل على أن النبوة كانت بعد قتل القبطى بأنها كانت بعد تزوجه بنت شعيب والتزوج كان بعد فراره منهم الى مدين كما قرره تعالى فى هذه السورة (٣١) وقد أجمل ذلك فى الشعراء حيث قال حكاية عن موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وعلى هذا يمكن أن يراد بالواو الترتيب ويكون المعنى آتيناه سيرة الحكماء والعلماء قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه أما المدينة فالجمهور على انها القرية التى كان يسكنها فرعون عن فرسخين من مصر وقال الضحاك هى عين شمس وقيل هى مصر وحين غفلتهم بين العشاءين أو وقت القائلة أو يوم عيد اشتغلوا فيه باللهو وقيل أراد غفلتهم عن ذكر موسى وأمره وذلك أنه حين ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فى الصغر أمر فرعون بقتله فجىء بجمر فأخذه فى فيه فقال فرعون لا أقتله ولكن أخرجوه عن الدار والبلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره قاله السدى وقيل ان الغفلة لموسى من أهلها وذلك أنه لما بلغ أشده وآتاه الله الرشد علم أن فرعون وقومه على الباطل فكان يتكلم بالحق ويعيب دينهم وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وتستر قال الزجاج قوله هذا وهذا وهما غائبان على جهة الحكاية أى وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه عن مقاتل أن الرجلين كانا كافرين الا أن أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط واحتج عليه بأن موسى قال له (انك لغوى مبين) والمشهور أن الذى من شيعته كان مسلما كأنه قال ممن

فلا تجعلنى ظهيرا للمجرمين كأنه على هذه القراءة دعا ربه فقال اللهم لن أكون ظهيرا ولم يستثن عليه السلام حين قال فلن أكون ظهيرا للمجرمين فابتلى وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلن أكون ظهيرا للمجرمين يقول فلن أعين بعدها ظالما على فجرة قال وقلما قالها رجل الا ابتلى قال فابتلى كما تسمعون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين﴾ يقول تعالى ذكره فأصبح موسى فى مدينة فرعون خائفا من جنايته التى جناها وقتله النفس التى قتلها أن يؤخذ فيقتل بها يترقب يقول يترقب الأخبار أى ينتظر ما الذى يتحدث به الناس مما هم صانعون فى أمره وأمر قتيله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس ابن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبى أيوب قال ثنا سعيد ابن جبير عن ابن عباس فأصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا من قتله النفس يترقب أن يؤخذ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا أن يؤخذ وقوله فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول تعالى ذكره فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل فاذا الاسرائيلى الذى استنصره بالامس على الفرعونى يقاتله فرعونى آخر فرآه الاسرائيلى فاستصرخه على الفرعونى يقول فاستغاثه أيضا على الفرعونى وأصله من الصراخ كما يقال قال بنو فلان يا صباحاه قال له موسى انك لغوى مبين يقول جل ثناؤه قال موسى للاسرائيلى الذى استصرخه وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالامس القتيل وهو يستصرخه اليوم على آخر انك أيها المستصرخ لغوى يقول انك لذو غواية مبين يقول قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك قال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لا يستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون شيأ اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس وكره الذى رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالامس واليوم انك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى الى موسى بعد ما قال هذا فاذا هو غضبان كغضبه بالامس اذ قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوى مبين اياه أراد ولم يكن أراده انما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى فحاجه فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال الاستنصار والاستصراخ واحد حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه يقول يستغيثه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قتل موسى القتيل خرج فلحق بمنزله من مصر وتحدث الناس بشأنه وقيل قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك الى فرعون فأصبح موسى غاديا الغد واذا

شايعه على دينه وانما وصفه بالغى لأنه كان سببا لقتل رجل وهو يقاتل آخر على أن بنى اسرائيل فيهم غلظة الطباع فيمكن أن ينسبوا الى الغواية بذلك الاعتبار ألا ترى أنهم قالوا بعد مشاهدة الآيات اجعل لنا الها يروى أن القبطى أراد أن يسخر الاسرائيلى فى حمل الحطب

صاحبه بالامس معانق رجلا آخر من عدوه فقال له موسى انك لغوي مبين أمس رجلا واليوم آخر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير والشيباني عن عكرمة قال الذي استنصره هو الذي استصرخه ✿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أن أراد موسى أن يبطش بالفرعوني الذي هو عدو له وللاسرائيلي قال الاسرائيلي لموسى وظن أنه اياه يريد أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال خافه الذي من شيعته حين قال له موسى انك لغوي مبين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي قال الاسرائيلي وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين فتركه موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه قال ندم بعد أن قتل القتيل فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال ثم استنصره بعد ذلك الاسرائيلي على قبطي آخر فقال له موسى انك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالقبطي ظن الاسرائيلي أنه اياه يريد فقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس قال وقال ابن جريج أو ابن أبي نجيح «الطبري يشك» وهو في الكتاب ابن أبي نجيح ان موسى لما أصبح أصبح نادما تائبا يود أن لم يبطش بواحد منهما وقد قال للاسرائيلي انك لغوي مبين فعلم الاسرائيلي أن موسى غير ناصره فلما أراد الاسرائيلي أن يبطش بالقبطي نهاه موسى ففرق الاسرائيلي من موسى فقال أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فسعى بها القبطي وقوله ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الاسرائيلي لموسى ان تريد ما تريد الا أن تكون جبارا في الارض وكان من فعل الجبابرة قتل النفوس ظلما بغير حق وقيل انما قال ذلك لموسى الاسرائيلي لانه كان عندهم من قتل نفسين من الجبابرة ذكر من قال ذلك حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا هشيم بن بشير عن اسمعيل بن سالم عن الشعبي قال من قتل رجلين فهو جبار قال ثم قرأ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض ان الجبابرة هكذا تقتل النفس بغير النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض قال تلك سيرة الجبابرة أن تقتل النفس بغير النفس وقوله وما تريد أن تكون من المصلحين يقول ما تريد أن تكون ممن يعمل في الارض بما فيه صلاح أهلها من طاعة الله وذكر عن ابن اسحق أنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تريد أن تكون من المصلحين أي ما هكذا يكون الاصلاح ✿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين﴾ ذكر أن قول الاسرائيلي سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القتيل

الى مطبخ فرعون وقيل ان الاسرائيلي هو السامري (فاستغاثه) سأله ان يخلصه منه (فوكزه) أي دفعه بأطراف الاصابع أو بجمع الكف (فقضى عليه) أي أماته وقتله (٣٢) الطاعنون في عصمة الانبياء قالوا ان كان القبطي مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال رب اني ظلمت نفسي وان لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وأيضا قوله هذا من عدوه يدل على أنه كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا والاستغفار من القتل المباح غير جائز وأجيب أنا نختار أنه للكفرة كان مباح الدم الا أن الاولى تأخير قتله الى زمان آخر فقوله (هذا من عمل الشيطان) معناه اقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان أو هذا اشارة الى عمل المقتول وهو كونه مخالفا لله أو هو اشارة الى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه والاستغفار من ترك الاولى سنة المرسلين أو أراد اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الكافر ولو عرف ذلك فرعون لقتلني به (فاغفر لي) فاستره على هذا كله اذا سلم أنه كان نبيا في ذلك الوقت وفيه ما فيه قالت المعتزلة في قوله هذا من عمل الشيطان دليل على أن المعاصي ليست بخلق الله ولقائل أن يقول الشيطان من خلق الله فضلا عما يصدر عن الشيطان على ان المشار اليه يحتمل أن يكون شيئا آخر كما قررنا قوله (بما أنعمت علي) قيل أراد به القوة وأنه لن يستعملها الا في مظاهرة أولياء الله وعلى هذا يكون ما أقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي طاعة اذ لو كانت معصية لصار حاصل الكلام بما أنعمت علي بقبول توبتي فاني أكون مواظبا على مثل تلك المعصية وقال القفال الباء للقسم كأنه أقسم بما أنعم الله عليه من المغفرة أن لا يظاهر مجرما وأراد بمعاونة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من تؤدي مظاهرته الى ترك الاولى وقال الكسائي والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كأنه قال فحينئذ

فلا تجعلني ظهيرا والفاء للدلالة على تلازم ما قبلها وما بعدها وفي الآية دلالة على عدم جواز اعانة الظلمة والفسقة حتى برى القلم وليق بالدواة عن ابن عباس أنه لم يستثن أي لم يقل فلن أكون ان شاء الله فابتلي به مرة أخرى وفي هذه الرواية نوع ضعف فانه ترك الاعانة في المرة الثانية ولئن صحت فلعله أراد أنه جرت صورة تلك القضية عليه الا أن الله عصمه وبعد موت القبطي من الوكز (أصبح موسى من غد ذلك اليوم (خائفا يترقب) الأخبار وما يقال فيه (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يطلب نصرته بصياح وصراخ فنسبه موسى لذلك الى الغواية فان كثرة المخاصمة على وجه يؤدي الى الاستنصار خلاف طريقة الرشد فغوي بمعنى غاو وجوز بعض اهل اللغة أن يكون بمعنى مغو لأنه أوقع موسى فيما أوقع ثم طلب منه مثل ذلك وهو نوع من الاغواء قال بعضهم لما خاطب موسى الاسرائيلي بأنه غوي ورأى فيه الغضب ظن لما هم بالبطش أنه يريده فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) وزعموا أنه لم يعرف قتله بالامس الا هو وصار ذلك سببا لظهور القتل ومزيد الخوف وقال آخرون بل هو قول القبطي وقد كان عرف القضية من الاسرائيلي وهذا القول أظهر لأن قوله (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) لا يليق الا أن يكون قولا للكافر قال جار الله الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل هو العظيم الذي لا يتواضع لأمر الله عز وجل وحين وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة وهموا بقتل موسى فأخبره بذلك رجل وهو قوله (وجاء رجل من أقصى المدينة) أي من أبعد مسافاتها اليه وقوله (يسعى) صفة أخرى لرجل أو حال لأنه قد تخصص بالوصف وان جعل الظرف صلة لجاء حتى يكون المجيء من هنالك تعين أن يكون يسعى وصفا قال العلماء الأظهر في هذه السورة أن

فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله فلما أمر بقتله جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الاسرائيلي الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى فأخذوا الطريق الأعظم وهم لا يخافون أن يفوتهم وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أعلمهم القبطي الذي هو عدو لهما فأتمر الملأ ليقتلوه فجاء رجل من أقصى المدينة وقرأ ان الى آخر الآية قال كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ذهب القبطي يعني الذي كان يقاتل الاسرائيلي فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا وقال للذين يطلبونه اطلبوه في بنيات الطريق فان موسى غلام لا يهتدي الطريق وأخذ موسى في بنيات الطريق وقد جاءه الرجل فأخبره ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس سعى بها الى أهل المقتول فقال ان موسى هو قتل صاحبكم ولو لم يسمعه من الاسرائيلي لم يعلمه أحد فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا فطلبه القوم فسبقهم قال وقال ابن أبي نجيح سعى القبطي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وقبطي قريب منهما يسمع فأفشى عليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمع ذلك عدو فأفشى عليهما وقوله وجاء رجل ذكر أنه مؤمن آل فرعون وكان اسمه فيما قيل سمعان وقال بعضهم بل كان اسمه شمعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي قال اسمه شمعون الذي قال لموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى الى موسى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين وقوله من أقصى المدينة يقول من آخر مدينة فرعون يسعى يقول يعجل كما حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يعجل ليس بالشد وقوله قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يقول جل ثناؤه قال الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى يا موسى ان أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ويتشاورون ويرتئون فيك ومنه قول الشاعر

* ما تأتمر فينا فأمرك في يمينك أو شمالك

يعني ما ترتئي وتهم به ومنه قول النمر بن تولب *

يكون الظرف وصفا وفي يس أن يكون صلة ولذلك خصت بالتقدم ويؤيده ما جاء في التفسير أنه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا والائتمار التشاور لأن كل واحد (٣٤) من المتشاورين يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر ومعنى (يأتمرون بك) يتشاورون بسببك وقوله (لك من الناصحين) كقوله فيه من الزاهدين وقد مر أن الجار في مثل هذه الصورة بيان لا صلة (فخرج منها خائفا يترقب) المكروه من جهتهم وأن يلحق به (قال) ملتجئا إلى الله (رب نجني من القوم الظالمين) وفيه دليل على أن قتله القبطي لم يكن ذنبا وإلا لم يكونوا ظالمين بطلب القصاص ۞ التأويل أن فرعون النفس الأمارة استولى على من في الأرض الإنسانية وجعل أهلها وهم الروح والسر والعقل أصنافا في الاستخدام لاستيفاء الشهوات يستضعف طائفة وهم صفات القلب الأبناء الصفات الحميدة المتولدة من ازدواج الروح والقلب والنساء الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن إنه كان من المفسدين للاستعداد الفطري وزير فرعون النفس وهامان الهوى وجنودهما من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية أم موسى السر لأن القلب تولد من ازدواج الروح والسر أن أرضعيه من لبن الروحانية فقد حرم عليه مراضع الحيوانية أو الدنيوية فألقيه في اليم في الدنيا في تابوت القالب وجاعلوه من المرسلين أي من القلوب المحدثين كما قال بعضهم حدثني قلبي عن ربي فالتقطه آل فرعون وهم صفات النفس والقوى البشرية من الجاذبة والماسكة والهاضمة وغيرها فإنها أسباب لتربية الطفل ليكون لهم في العاقبة عدوا يجادلهم بطريق الرياضات والمخالفات وحزنا بترك الشهوات واللذات وبالدعوة إلى ما لا يلائم هواهم من طاعة الله. وقالت امرأة فرعون النفس وهي الجثة لا تقتلوا القلب بسيف الشهوات والانهماك في أسباب اللذات الحسيات عسى أن ينفعنا بأن ينجينا من

قدمه

أرى الناس قد أحدثوا شيمة * وفي كل حادثة يؤتمر

أي يتشاور ويرتأى فيها وقوله فاخرج إني لك من الناصحين يقول فاخرج من هذه المدينة إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) يقول تعالى ذكره فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به يترقب يقول ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب خائفا من قتله النفس يترقب الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب قال خائفا من قتل النفس يترقب أن يأخذه الطلب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمه عن ابن إسحق قال ذكر لي أنه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدري أي وجه يسلك وهو يقول رب نجني من القوم الظالمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فخرج منها خائفا يترقب قال يترقب الطلب مخافة وقوله قال رب نجني من القوم الظالمين يقول تعالى ذكره قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا رب نجني من هؤلاء القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك وقوله ولما توجه تلقاء مدين يقول تعالى ذكره ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ماضيا إليها شاخصا عن مدينة فرعون وخارجا عن سلطانه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وعنى بقوله تلقاء نحو مدين ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه يعني به من قبل نفسه ويقال داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها ولم يصرف اسم مدين لأنها اسم بلدة معروفة كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ومنه قول الشاعر

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من شعف العقول الفادر

وقوله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل يقول عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها وذكر أن الله قيض له إذ قال رب نجني من القوم الظالمين ملكا سدده الطريق وعرفه إياه ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما أخذ موسى في بنيات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزة فلما رآه موسى سجد له من الفرق قال لا تسجد لي ولكن اتبعني فاتبعه فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه نحو مدين عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فانطلق به حتى انتهى به إلى مدين حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى متوجها نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه فإنه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق قال ذكر لي أنه خرج وهو يقول رب نجني من القوم الظالمين فهيأ الله الطريق إلى مدين فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف خائفا يترقب حتى وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال خرج موسى من مصر إلى مدين وبينها وبينها مسيرة ثمان قال وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر وخرج حافيا فما وصل إليها حتى وقع خف

قدمه حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس قال لما خرج موسى من مصر الى مدين و بينه و بينها ثمان ليال . كان يقال نحو من البصرة الى الكوفة ثم ذكر نحوه ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما توجه تلقاء مدين ومدين ماء كان عليه قوم شعيب قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل وأما قوله سواء السبيل فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سواء السبيل قال الطريق الى مدين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل قال قصد السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل قال الطريق المستقيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ يقول تعالى ذكره ولما ورد موسى ماء مدين وجد عليه أمة يعنى جماعة من الناس يسقون نعمهم ومواشيهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وجد عليه أمة من الناس يسقون يقول كثرة من الناس يسقون حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أمة من الناس قال أناسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء حدثنا على بن موسى وابن بشار قالا ثنا أبو داود قال أخبرنا عمران القطان قال ثنا أبو حمزة عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال على بن موسى قال مثل ماء جو بكم هذا يعنى المحدثة وقال ابن بشار مثل محدثتكم هذه يعنى جو بكم هذا وقوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء امرأتين تذودان يعنى بقوله تذودان تحبسان غنمهما يقال منه ذاد فلان غنمه وماشيته اذا أراد شئ من ذلك يشذ ويذهب فرده ومنعه يذودها ذودا وقال بعض أهل العربية من الكوفيين لا يجوز أن يقال ذدت الرجل بمعنى حبسته انما يقال ذلك للغنم والابل وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انى لبعقر حوضى أذود الناس عنه بعصاى فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم فى الناس ومن الذود قول سويد بن كراع

أبيت على باب القوافى كأنما * أذود بها سربا من الوحش نزعا

وقول الآخر

وقد سلبت عصاك بنو تميم * فما تدرى بأى عصا تذود

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تذودان يقول تحبسان حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس ووجد من دونهم

النار قال أهل التحقيق لما كان اعتقاد الجثة فى تربية موسى القلب أنه يكون قرة عينها وولدها فلا جرم نفعها الله بالنجاة ورفع الدرجات وحين لم يكن لفرعون النفس فى حقه هذا الاعتقاد بل كان يتوقع الهلاك منه كان هلاكه على يده بسيف الصدق وسم الذكر وهم لا يشعرون أنه لو لم يوفق لاهلاكهم لكان هلاكه على أيديهم فؤاد أم موسى هو سر السر أخت موسى القلب هو العقل ودخل مدينة القالب على حين غفلة من أهلها وهم الصفات النفسانية فوجد فيها رجلين صفتين احداهما من صفات القلب والاخرى من صفات النفس وفى قوله هذا من عمل الشيطان اشارة الى أن قتل كافر صفات النفس بالجهاد معها ان لم يكن بأمر الحق وعلى سبيل المتابعة لم يعتد به فلن أكون ظهيرا للمجرمين الذين أجرموا بأن جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع كالفلاسفة والبراهمة انك لغوى مبين لأنك تنازع ذا سلطان قوى قبل أوانه وهو فرعون النفس وجاء رجل هو العقل من أقصى مدينة الانسانية أى من أعلى مرتبة الروحانية يسعى فى طلب نجاة موسى القلب فاخرج من مدينة البشرية الى صحراء الروحانية خائفا من سطوات فرعون النفس يترقب مكايدهم ۞ ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن

عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس (٣٦) من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين}

في القراآت ربي أن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويصدر بفتح الياء وضم الدال ابن عامر ويزيد وأبو عمرو وأبو أيوب الآخرون بضم الياء وكسر الدال إني أريد ستجدني إن بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر.

امرأتين تذودان يعني بذلك أنهما حابستان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير في قوله امرأتين تذودان قال حابستين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول تحبسان غنمهما واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان فقال بعضهم كانتا تذودان غنمهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشي الناس ثم يسقيان ماشيتهما لضعفهما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قوله امرأتين تذودان قال تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق ووجد من دونهم امرأتين يعني دون القوم تذودان غنمهما عن الماء وهو ماء مدين * وقال آخرون بل معنى ذلك تذودان الناس عن غنمهما ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال أي حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أصحابه تذودان قال تذودان الناس عن غنمهما * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء على أن ذلك كذلك وذلك أنهما إنما شكتا أنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء إذ سألهما موسى عن ذودهما ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس كان لا شك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء وقوله قال ما خطبكما يقول تعالى ذكره قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس هلا تسقونها مع مواشي الناس والعرب تقول للرجل ما خطبك بمعنى ما أمرك وحالك كما قال الراجز * يا عجبا ما خطبه وخطبي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ قال أخبرنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال لهما ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق قال وجد لهما رحمة ودخلته فيهما خشية لما رأى من ضعفهما وغلبة الناس على الماء دونهما فقال لهما ما خطبكما أي ما شأنكما وقوله قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يقول جل ثناؤه قالت المرأتان لموسى لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم لأنا لا نطيق أن نسقي وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض والرعاء جمع راع والراعي جمعه رعاء ورعاة ورعيان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ قال ثنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قال موسى للمرأتين ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير أي لا نستطيع أن نسقي حتى يسقي الناس ثم نتبع فضلاتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله حتى يصدر الرعاء قال تنتظران تسقيان من فضول ما في الحياض حياض الرعاء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يمس ذلك من نفسه ولا يسقي ماشيته فنحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا واختلفت القراء

ونافع انى آنست انى أنا الله وانى أخاف بفتح ياء المتكلم فى الكل أبوجعفر ونافع وأبو عمرو ولعلى آتيكم بفتح الياء هم وابن عامر جذوة بفتح
الجيم عاصم وبضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء (٣٧) وسكون الهاء حفص وبفتحهما أبو عمرو وسهل

فى قراءة قوله حتى يصدر الرعاء فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز سوى أبى جعفر القارئ وعامة قراء العراق سوى أبى عمرو يصدر الرعاء بضم الياء وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بفتح الياء من يصدر الرعاء عن الحوض وأما الآخرون فانهم ضموا الياء بمعنى أصدر الرعاء مواشيهم وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وأبونا شيخ كبير يقولان لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته وقوله فسقى لهما ذكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليها حجر لا يطيق رفعه الا جماعة من الناس ثم استسقى فسقى لهما ماشيتهما منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فتح لهما عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه وزاد فيه قال ابن جريج حجرا كان لا يطيقه الا عشرة رهط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم عن شريح قال انتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة رجال فرفعه وحده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رحمهما موسى حين قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فأتى الى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس فسقى لهما فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيرا حتى كانتا أول الرعاء ريا فانصرفتا الى أبيهما بغنمهما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال تصدق عليهما نبى الله صلى الله عليه وسلم فسقى لهما فلم يلبث أن أروى غنمهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أخذ دلوهما موسى ثم تقدم الى السقاء بفضل قوته فزاحم القوم على الماء حتى أخرهم عنه ثم سقى لهما ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير﴾ يقول تعالى ذكره فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ثم تولى الى ظل شجرة ذكر أنها سمرة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ثم تولى موسى الى ظل شجرة سمرة فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنى العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انصرف موسى الى شجرة فاستظل بظلها فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال حثثت على جمل لى ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التى أوى اليها موسى فاذا شجرة خضراء ترف فأهوى اليها جملى وكان جائعا فأخذها جملى فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وقوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير محتاج وذكر أن نبى الله موسى عليه السلام قال هذا القول وهو بجهد شديد وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما لعلهما أن يطعماه مما به من شدة الجوع وقيل ان الخير الذى قال نبى الله انى لما أنزلت الى من خير فقير انما عنى به شبعة من طعام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عباس قال لما هرب موسى من فرعون أصابه جوع شديد حتى كانت ترى أمعاؤه

ويعقوب وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بضم الراء وسكون الهاء فذانك بتشديد النون ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو معى بالفتح حفص ردا بغير همز أبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون (٣) بضم الراء وهمزة فى الوقف يصدقنى بالرفع حمزة وعاصم يكذبون بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل قال موسى بغير واو ابن كثير ربى أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن يكون على التذكير حمزة وعلى وخلف والمفضل لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم نافع ويعقوب وعلى وخلف ❁ الوقوف السبيل ٥ يسقون ٥ لانه رأس آية عند الاكثرين مع عطف المتفقتين تذودان ج لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد الفاعل خطبكما ط الرعاء ز لان ما بعده منقطع لفظا ومعنى كأنه قال فلم خرجتما فقالتا تعريضا بالاستقامة وأبونا شيخ كبير ط فقير ٥ على استحياء ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل ومن وقف على تمشى ويجعل على استحياء حالا مقدما أى قالت مستحيية فلا وجه له فى الوقف لنا ط لان جواب لما منتظر وقبله حذف أى فذهب معها فلما جاءه فكأن الفاء لاستئناف القصص لان قال جواب لما لا تخف ز لان قوله نجوت غير متصل به نظما وليفصل بين البشارتين أى لا تخف ضيما وقد نجوت من ظلم فرعون الظالمين ٥

استأجره ج للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل الأمين ٥ حجج ج للشرط مع الفاء عندك ج لابتداء النفى مع الواو عليك ج الصالحين ٥ وبينك ج لابتداء الشرط على ط وكيل ٥ نارا ٥ لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد القائل تصطلون ٥

العالمين ه لاعصاك ط لحق الحذف أي فالقاها فحييت فلما رآها ولم يعقب ط لاتخف ج لمثل مامر أي لاتخف بأس العصا انك أمنت بها بأس فرعون الآمنين ه سوء ز لعطف الجملتين (٣٨) المتفقتين مع طول الكلام ومثله ط فاسقين ه يقتلون ه يصدقني ز للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل يكذبون ه بآياتنا ج أي لا يصلون اليكما بسبب آياتنا وعلى اليكما أوجه أي أنتم الغالبون بآياتنا الغالبون ه الاولين ه الدار ط الظالمون ه غيري ج لتنويع الكلام الى اله موسى لا لأن ما بعده مقوله أيضا الكاذبين ه لا يرجعون ه في اليم ج للابتداء بأمر الاعتبار واختلاف الجملتين مع فاء التعقيب الظالمين ه الى النار ج لعطف الجملتين المختلفتين لاينصرون ه لعنة ط لمثل ذلك المقبوحين ه ۞ التفسير ذهب بعض المفسرين الى أن موسى خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى وأخذ يمشي من غير معرفة طريق فأوصله الله الى مدين وقد يؤيد هذا التفسير ماروى عن ابن عباس أنه خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه ويحتمل أن يكون معنى قول ابن عباس انه لما خرج قصد مدين لانه وقع في نفسه أن بينه وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وهو كان من بني اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى أما أنه قصد مدين فلقوله سبحانه (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحو هذه القرية ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وأما أنه اعتمد على فضل الله فلقوله (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي وسطه وجادته نظيره قول جده ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين وكذا الخلف الصادق يقتدي بالسلف الصالح فيهتدي من قال السدي لما أخذ في المسير جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح فقال لا تفعل واتبعني فاتبعه نحو مدين عن ابن جريج أنه

من ظاهر الصفاق فلما سقى للمرأتين وأوى الى الظل قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وانه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهزال فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال شعبة حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وان خضرة البقل لترى في بطنه من الهزال حدثني نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير اني لما أنزلت الي من خير فقير قال شبعة يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم في قوله فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال قال هذا وما معه درهم ولا دينار * قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ما سأل الا الطعام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد في قوله فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ما سأل ربه الا الطعام حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع وما يسأل الله الا أكلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال كان نبي الله بجهد حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن عطاء ابن السائب في قوله اني لما أنزلت الي من خير فقير قال بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة حدثني محمد بن عمرو قال ثني أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من خير فقير قال طعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من خير فقير قال طعام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اني لما أنزلت الي من خير فقير قال الطعام يستطعم لم يكن معه طعام وانما سأل الطعام ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فجاءت موسى احدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشي على استحياء من موسى قد سترت وجهها بثوبها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح قالا ثنا ابن فضيل عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله فجاءته احداهما تمشي على استحياء قال مستترة بكم درعها أو بكم قميصها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حماد بن عمرو الأسدي عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن عمر رضي الله عنه قال واضعة يدها على وجهها مستترة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشي على استحياء قال قد سترت وجهها بيديها * قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبي اسحق عن نوف بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشي على استحياء قال قائلة بيديها على وجهها ووضع أبي يده على وجهه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون فجاءته احداهما تمشي على استحياء قال ليست بسلفع

من النساء خراجة ولاجة واضعة ثوبها على وجهها تقول ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال لم تكن سلفعا من النساء خراجة ولاجة قائلة بيدها على وجهها ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال بعيدة من البذاء حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تمشى على استحياء قال أتته تمشى على استحياء منه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال واضعة يدها على جبينها وقوله قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا يقول تعالى ذكره قالت المرأة التى جاءت موسى تمشى على استحياء ان أبى يدعوك ليجزيك تقول يثيبك أجر ما سقيت لنا وقوله فلما جاءه وقص عليه القصص يقول فمضى موسى معها الى أبيها فلما جاء أباها وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط قال له أبوها لا تخف فقد نجوت من القوم الظالمين يعنى من فرعون وقومه لانه لا سلطان له بأرضنا التى أنت بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشأنا * قال أبو جعفر أحسبه قال فأخبرتاه الخبر فلما أتاه موسى كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا فى مملكته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما رجعت الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فأخبرتاه خبر موسى فأرسل اليه احداهما فأتته تمشى على استحياء وهو يستحى منه قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها وقال لها امضى فمشت بين يديه فضربتها الريح فنظر الى عجيزتها فقال لها موسى امشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال قال مطرف أما والله لو كان عند نبى الله شئ ما تتبع مذقيهما ولكن انما حمله على ذلك الجهد فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال رجعتا الى أبيهما فى ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما فسألهما فأخبرتاه الخبر فقال لاحداهما عجلى على به فأتته على استحياء فجاءته فقالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها كما ذكر لى فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق وأنا أمشى أمامك فانا لا ننظر الى أدبار النساء فلما جاءه أخبره الخبر وما أخرجه من بلاده فلما قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقد أخبرت أباها بقوله انا لا ننظر الى أدبار النساء ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ يقول تعالى ذكره قالت احدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيها حين أتاه موسى وكان اسم احداهما صفورا واسم الأخرى ليا وقيل شرفا كذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن الرماذى عن شعيب الجبائى قال اسم الجاريتين

خرج بغير زاد ولا ظهر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر (ولما ورد ماء مدين) وكان بئرا فيما روى وورود الماء مجيئه والوصول اليه ضد الصدور (وجد عليه) أى على شفيره ومستقاه (أمة من الناس) جماعة كثيرة العدد أصنافا (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) أى فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) أى تدفعان وتطردان أغنامهما لان على الماء من هو أقوى منهما فلم يتمكنا من السقى وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء واختلاط أغنامهما بأغنامهم أو اختلاطهما بالرجال وقيل تذودان الناس عن غنمهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر وبالجملة حذف مفعول تذودان لان الغرض تقرير الذود لا المذود وكذا فى يسقون ولا نسقى المقصود هو ذكر السقى لا المسقى وكذا فى قراءة من قرأ حتى يصدر من الاصدار أى حتى يصدر الرعاء مواشيهم الغرض بيان الاصدار (قال ما خطبكما) هو مصدر بمعنى المفعول أى ما مخطوبكما من الذياد (قالتا لا نسقى) الآية سألهما عن سبب الذود فذكرتا أنا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك (وأبونا شيخ) قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به وهذه الضرورة هى التى سوغت لنبى الله شعيب أن رضى لابنتيه بسقى الماشية على أن الأمر فى نفسه ليس بمحظور ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا فى المروءة وزعم بعضهم أن أباهما هو ثيرون ابن أخى شعيب وشعيب مات بعد ما عمى وهو اختيار أبى عبيد يميل اليه ابن عباس وعن الحسن أنه رجل مسلم قبل الدين من شعيب أما قوله (فسقى لهما) فمعناه فسقى غنمهما لاجلهما وفيه قولان أحدهما أنه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء فى الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما والثانى

ليا وصفورا وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين والكاهن حبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال احداهما صفورا ابنة يثرون وأختها شرفا ويقال ليا وهما اللتان كانتا تذودان وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف فقال بعضهم كان اسمه يثرون ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال كان الذي استأجر موسى ابن أخي شعيب يثرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مره عن أبي عبيدة قال الذي استأجر موسى يثرون ابن أخي شعيب عليه السلام * وقال آخرون بل اسمه يثري ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال الذي استأجر موسى يثري صاحب مدين حدثني أبو العالية العبدي اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن ابي حمزة عن ابن عباس قال الذي استأجر موسى يثري صاحب مدين حدثني أبو العالية العبدي اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي المرأة يثري * وقال آخرون بل اسمه شعيب وقالوا هو شعيب النبي عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ * قال أبو جعفر وهذا مما لا يدرك علمه الا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ووجد من دونهم امرأتين تذودان قالت احداهما يا أبت استأجره تعني بقولها استأجره ليرعى عليك ماشيتك ان خير من استأجرت القوي الأمين تقول ان خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في اصلاحها وصلاحها الأمين الذي لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه منها وقيل انها لما قالت ذلك لأبيها استنكر أبوها ذلك من وصفها اياه فقال لها وما علمك بذلك فقالت أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقي على البئر وأما الأمانة فما رأيت من غض البصر عني وبنحو ذلك جاءت الاخبار عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين قال فأحفظته الغيرة أن قال وما يدريك ما قوته وأمانته قالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه وأما أمانته فانه نظر حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الي حتى بلغته رسالتك ثم قال امشي خلفي وانعتي لي الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو أمين فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت حدثني علي قال ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لموسى ان خير من استأجرت القوي الأمين يقول أمين فيما ولي أمين على ما استودع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين قال ان موسى لما سقى لهما ورأت قوته وحرك حجرا على الركية لم يستطعه ثلاثون رجلا فأزاله عن الركية وانطلق مع الجارية حين دعته فقال لها امشي خلفي وأنا أمامك كراهية أن يرى شيئا من خلفها مما حرم الله أن ينظر اليه وكان يوما فيه ريح حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عبد الرحمن بن أبي نعم في قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين قال لها أبوها

أنه عمد الى البئر وعليها صخرة لا يقلها الا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة أقوال فأقلها وحده وسقى أغنامهما كل ذلك في شمس وحر (ثم تولى الى الظل) ظل شجرة (فقال رب اني لما (٤٠) أنزلت الي من خير فقير) ذهب أكثر المفسرين الظاهريين ومنهم ابن عباس الى أنه طلب من الله طعاما يأكله وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وعن الضحاك انه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وان خضرته تتراءى في بطنه من الهزال وفيه دليل على أنه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة ربانية وقال بعض اهل التحقيق أراد اني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت الي من خير الدين وذلك انه كان عند فرعون في ملك وثروة فاظهر الرضا بهذا الذل شكرا لله يروى أنهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وذلك قوله سبحانه (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) قيل من جملة حيائها أنها قد استترت بكم درعها ثم (قالت ان أبي يدعوك) عن عطاء بن السائب أنه حين قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) وضعفت الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبي وقد روي أنها حين قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا * سؤال كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية الجواب العمل بقول الواحد حرا أو عبدا ذكرا كان أو أنثى سائغ في الاخبار والمشي مع الاجنبية لا بأس به في حال الاضطرار مع التورع والعفاف ويؤيده ما روى أن موسى تبعها فألزقت الريح ثوبها بجسدها ... مارأيت ... فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق قال الضحاك لما دخل عليه قال له من أنت يا عبد الله قال أنا موسى بن عمران بن يصهر

ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وقص عليه القصص) أى المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطى وفراره خوفا من فرعون وملئه (قال) له شعيب (لا تخف) من فرعون أوضيما (نجوت من القوم الظالمين) فلا سلطان (٤١) لفرعون بأرضنا (قالت إحداهما) وهى كبراهما اسمها صفراء وكانت الصغرى صفيراء (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) قال النحويون جعل القوى الامين اسما لكونه معرفة صريحة أولى من جعل أفعل التفضيل المضاف اسما لكونه قريبا من المعرفة ولكن كمال العناية صار سببا للتقديم وورود الفعل وهو استأجرت بلفظ الماضى للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف وقال المحققون ان قولها هذا كلام حكيم جامع لامزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعنى الكفاية والامانة اللتين هما ثمرتا الكياسة والديانة فى الذى يقوم بأمرك فقد حصل مرادك وكمل فراغك عن ابن عباس أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه أى خفضه حين بلغته رسالته وأنه أمرها بالمشى خلفه فلذلك قال (أريد أن أنكحك احدى ابنتىّ) وليس هذا لعقد حتى تلزم الجهالة فى المعقود عليها ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال أنكحتك ابنتى فلانة وفى قوله (هاتين) دليل على أنه كانت له غيرهما قال أهل اللغة (تأجرنى) من أجرته اذا كنت له أجيرا فيكون (ثمانى) حجج ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه فيكون الثمانى مفعولا به ثانيا ومعناه رعية ثمانى حجج (فان أتممت عشرا) أى عمل عشر حجج (فمن عندك) اى فاتمامه من عندك لا من عندى اذ هو تفضل منك وتبرع (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين أو بالتكاليف الشاقة فى مدة الرعى وانما أعامل معك معاملة الانبياء يأخذون بالأسمح بالحاء لا بالجيم قال أهل الاشتقاق حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر أنه اذا

ما رأيت من أمانته قالت لما دعوته مشيت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثيابى فتلزق بجسدى فقال كونى خلفى فاذا بلغت الطريق فاذهبى قالت ورأيته يملأ الحوض بسجل واحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القوىّ الأمين قال غض طرفه عنهما قال محمد بن عمرو فى حديثه حين أوحتى سقى لهما فصدرتا وقال الحرث فى حديثه حتى سقى بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال فتح عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما بها والأمين أنه غض بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر وهانئ بن سعيد عن الحجاج عن القاسم عن مجاهد ان خير من استأجرت القوى الأمين قال رفع حجرا لا يرفعه الا فئام من الناس حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق قال عمرو ابن ميمون فى قوله القوى الأمين قال كان يوم ريح فقال لا تمشى أمامى فيصفك الريح لى ولكن امشى خلفى ودلينى على الطريق قال فقال لها كيف عرفت قوته قالت كان الحجر لا يطيقه الا عشرة فرفعه وحده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن شريح فى قوله القوى الأمين قال أما قوته فانتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة فرفعه وحده وأما أمانته فانها مشت أمامه فوصفها الريح فقال لها امشى خلفى وصفى لى الطريق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن عمرو عن زائدة عن الأعمش قال سألت تميم بن ابراهيم بم عرفت أمانته قال فى طرفه بغض طرفه عنها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان خير من استأجرت القوى الأمين قال القوى فى الصنعة الأمين فيما ولى قال وذكر لنا أن الذى رأت من قوته أنه لم تلبث ماشيتها حتى رواها وان الأمانة التى رأت منه أنها حين جاءت تدعوه قال لها كونى ورائى وكره أن يستدبرها فذلك ما رأت من قوته وأمانته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد وأما أمانته فانه أمرها أن تمشى خلفه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين وهى الجارية التى دعته قال الشيخ هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة أرأيت أمانته ما يدريك ما هى قالت مشيت قدامه فلم يحب أن يخوننى فى نفسى فأمرنى أن أمشى خلفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوىّ الأمين فقال لها وما علمك بقوته وأمانته فقالت أما قوته فانه كشف الصخرة التى على بئر آل فلان وكان لا يكشفها دون سبعة نفر وأما أمانته فانى لما جئت أدعوه قال كونى خلف ظهرى وأشيرى لى الى منزلك فعرفت أن ذلك منه أمانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين لما رأت من قوته وقوله لها ما قال أن امشى خلفى لئلا يرى منها شيئا مما يكره فزاده ذلك فيه رغبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتىّ هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى إنى أريد أن أنكحك احدى ابنتىّ هاتين على أن تأجرنى

صعب الامر فكأنه شق عليه ظنه باثنين يقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه ثم أكد وعد المسامحة بقوله (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) عموما أو في باب حسن المعاملة وقوله ان شاء الله أدب (٤٣) جميل كقول إسمعيل ستجدني ان شاء الله من الصابرين أي على الذبح وفيه أن

الاعتماد في جميع الامور على معونة الله والامر موكول الى مشيئته استدل الفقهاء بالآية على أن العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى أن الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز وعلى أن عقد النكاح لا يفسده الشروط التي لا يوجبها العقد ويمكن أن يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وجوز في الكشاف أن يكون استأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ووفاه اياه ثم أنكحه ابنته وجعل قوله على أن تأجرني عبارة عما جرى بينهما (قال) موسى (ذلك) الذي شارطتني عليه قائم (بيني وبينك أيما الأجلين قضيت) وما مؤكدة لابهام أي زائدة في شيوعها (فلا عدوان علي) أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة فان قضيت الثماني فلا أطالب بالزيادة وان قضيت العشر باختياري فلم أطالب بالزيادة أيضا وقيل أراد أيهما قضيت فلا أكون متعديا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تزوج كبراهما وقيل صغراهما ولا خلاف في أنه قضى أوفى الأجلين قال القاضي في قوله (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس) دليل على أنه لم يزد على العشرة وفيه نظر لأنه لا يفهم من هذا التركيب الا أن الايناس حاصل على عقيب مجموع الامرين ولا يدل على أن ذلك حصل عقيب أحدهما وهو قضاء الاجل ويؤيده ماروى عن مجاهد أنه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين اخر قال أهل اللغة

ثماني حجج يعني بقوله على أن تأجرني على أن تثيبني من تزويجكها رعي ماشيتي ثماني حجج من قول الناس أجرك الله فهو يأجرك بمعنى أثابك الله والعرب تقول أجرت الأجير أجره بمعنى أعطيته ذلك كما يقال أخذته فأنا آخذه وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب أجرت غلامي فهو مأجور وآجرته فهو مؤجر يريد أفعلته قال وقال بعضهم آجره فهو مؤاجر أراد فاعلته وكأن أباها عندي جعل صداق ابنته التي زوجها موسى رعي موسى عليه ماشيته ثماني حجج والحجج السنون وقوله فان أتممت عشرا فمن عندك يقول فان أتممت الثماني الحجج التي شرطتها عليك بانكاحي اياك احدى ابنتي فجعلتها عشر حجج فاحسان من عندك وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتي وما أريد أن أشق عليك باشتراط الثماني الحجج عشرا عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين في الوفاء بما قلت لك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ستجدني ان شاء الله من الصالحين أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على مانقول وكيل﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لابي المرأتين ذلك بيني وبينك أي هذا الذي قلت من أنك تزوجني احدى ابنتيك على أن آجرك ثماني حجج واجب بيني وبينك على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه وقوله أيما الاجلين قضيت يقول أي الاجلين من الثماني الحجج والعشر الحجج قضيت يقول فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك فلا عدوان علي يقول فليس لك أن تعتدي علي فتطالبني بأكثر منه وما في قوله أيما الاجلين صلة يوصل بها أي على الدوام وزعم أهل العربية أن هذا أكثر في كلام العرب من أي وأنشد قول الشاعر

وأيهما ما أتبعن فانني * حريص على اثر الذي أنا تابع

وقال عباس بن مرداس

فأيي ماوأيك كان شرا * فقيد الى المقامة لا يراها

وقوله والله على مانقول وكيل كان ابن اسحق يرى هذا القول من أبي المرأتين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي قال نعم والله على مانقول وكيل فزوجه وأقام معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج اليه منه وزوجة موسى صفورا أو أختها شرفا أو ليا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال ابن عباس الجارية التي دعته هي التي تزوج حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني الى آخر الآية قال وأيتهما تريد أن تنكحني قال التي دعتك قال لا الا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها فقال هي عندك كذلك فزوجه وبنحو الذي قلنا في قوله أيما الاجلين قضيت قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت اما ثمانيا واما عشرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن يحيي ابن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل قال أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي قال فقال القاسم ما أبالي أي ذلك كان انما هو موعد وقضاء وقوله والله على مانقول وكيل يقول والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول شهيد وحفيظ كالذي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

الجذوة بحركات الجيم العود الغليظ كانت في رأسه نار أولم تكن وشاطئ الوادي جانبه ومن الاولى والثانية . . قال كلتاهما لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة فالثانية بدل من الاولى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على

قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والله على ما نقول وكيل قال شهيد على قول موسى وختنه وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما هذا العقد أمر احدى ابنتيه أن تعطي موسى عصا من العصي التي تكون مع الرعاة فأعطته اياها فذكر بعضهم أنها العصا التي جعلها الله له آية وقال بعضهم تلك عصا أعطاه اياها جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أمر يعني أبا المرأتين احدى ابنتيه أن تأتيه يعني أن تأتي موسى بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا عصا استودعها اياه ملك في صورة رجل فدفعها اليه فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا ائتيه بغيرها فألقتها تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع في يدها الا هي وجعل يرددها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها فلما رأى ذلك عمد اليها فأخرجها معه فرعى بها ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال أعطني العصا فقال موسى هي عصاي فأبى أن يعطيه فاختصما فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فأتاهما ملك يمشي فقال ضعوها في الارض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها وأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ فرعى له عشر سنين قال عبد الله بن عباس كان موسى أحق بالوفاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال يعني أبا الجارية لما زوجها موسى لموسى أدخل ذلك البيت فخذ عصا فتوكأ عليها فدخل فلما وقف على باب البيت طارت اليه تلك العصا فأخذها فقال ارددها وخذ أخرى مكانها قال فردها ثم ذهب ليأخذ أخرى فطارت اليه كما هي فقال لا ارددها فعل ذلك ثلاثا فقال ارددها فقال لا أجد غيرها اليوم فالتفت الى ابنته فقال لابنته ان زوجك لنبي ذكر من قال التي كانت آية عصا أعطاها موسى جبرائيل عليه السلام حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر قال سألت عكرمة قال أما عصا موسى فانها خرج بها آدم من الجنة ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام فلقي موسى بها ليلا فدفعها اليه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾ يقول تعالى ذكره فلما وفى موسى صاحبه الاجل الذي فارقه عليه عند انكاحه اياه ابنته وذكر أن الذي وفاه من الأجلين أتمهما وأكملهما وذلك العشر الحجج على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال زاد مع العشر عشرا أخرى ذكر من قال الذي قضى من ذلك هو الحجج العشر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس أي الأجلين قضى موسى قال خيرهما وأوفاهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس سئل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأخيرهما حدثني محمد ابن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قضى موسى آخر الأجلين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عبيدة عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأوفاهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قال يهودي بالكوفة وأنا أتجهز للحج اني أراك رجلا تتبع العلم أخبرني أي الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب يعني ابن عباس فسائله عن ذلك فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك

الشاطئ ووصفت البقعة بالمباركة لان فيها ابتداء الرسالة والتكليم احتجت المعتزلة على مذهبهم أن الله تعالى يتكلم بكلام يخلقه في جسم بقوله (من الشجرة) وقال أهل السنة مما وراء النهر ان الكلام القديم القائم بذات الله غير مسموع والمسموع من الشجرة وهو الصوت والحرف الدال على كلام الله وذهب الاشعري الى أن الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعا كما أن الذات التي ليست بجسم ولا عرض يمكن أن تكون مرئية روى أن شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل أدخل البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فشعر بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ هناك أكثر لان فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى موسى دامية فارتاح لذلك وحين رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا قيل كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى ذهب ليقتبس النار فكلمه الملك الجبار وقد مر في النمل تفسير قوله فلما رآها تهتز الى قوله من غير سوء أما قوله (واضمم اليك جناحك من الرهب) فذكر جار الله له معنيين أحدهما حقيقة وهو أنه لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه نقصان قدرك عند الاعداء فان ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب النقص واظهار معجزة أخرى

وأخبرته بقول اليهودي فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبي اذا وعد لم يخلف قال سعيد فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال صدق وما أنزل على موسى هذا والله العالم

* قال ثنا يزيد قال ثنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير قال سألني رجل من أهل النصرانية أي الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا يومئذ لا أعلم فلقيت ابن عباس فذكرت له الذي سألني عنه النصراني فقال أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه لم يكن نبي الله نقص منها شيأ وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي وعده فانه قضى عشر سنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما قضى موسى الأجل قال حدث ابن عباس قال رعى عليه نبي الله أكثرها وأطيبها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاجلين قضى موسى فقال أوفاهما وأتمهما حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحميدي أبو بكر عبد الله بن الزبير قال ثنا سفيان قال ثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبرائيل أي الاجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل أي الأجلين قضى موسى قال سوف أسأل اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل الله تبارك وتعالى فسأله فقال أبرهما وأوفاهما ذكر من قال قضى العشر الحجج وزاد على العشر عشرا أخرى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فلما قضى موسى الأجل قال عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قضى الاجل عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى حدثني المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبي عن قتادة قال ثنا أنس قال لما دعا نبي الله موسى صاحبه الى الاجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها فعمد فرفع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة فولدن كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن ذلك العام وقوله وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا يقول تعالى ذكره فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله شاخصا بهم الى منزله من مصر آنس من جانب الطور يعني بقوله آنس أبصر وأحس كما قال العجاج

آنس خربان فضاء فانكدر * داني جناحيه من الطور فمر

و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل غير أنا نذكر ههنا بعض ما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا أي أحسست نارا وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهده وما فيه من الرواية عن أهل التأويل وقوله لأهله امكثوا اني آنست نارا يقول قال موسى لاهله تمهلوا وانتظروا اني أبصرت نارا لعلي آتيكم منها يعني من النار بخبر أو جذوة من النار يقول أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة ومنه قول ابن مقبل

وباتت

وثانيهما مجاز وهو أن يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس حتى لا يضطرب فيكون استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف أرخى جناحيه والاخفهما ملو ومعنى (من الرهب) من أجل الخوف والفرق بين (٤٤) هذه العبارة وبين قوله أسلك يدك في جيبك أن الغرض هنالك خروج اليد بيضاء وههنا الغرض اخفاء الخوف أو اريد بالجناح المضموم ههنا اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه في قوله واضمم يدك الى جناحك اليد اليسرى وقيل ان الرهب هو الكم بلغة حمير وزيفه النقاد من قرأ فذانك بالتخفيف فمثنى ذاك ومن قرأ بالتشديد فمثنى ذلك وأصله ذانلك قلبت اللام نونا وأدغمت وسميت الحجة برهانا لبياضها وانارتها من قولهم امرأة برهرهة أي بيضاء والعين واللام مكررتان والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره السلطان من السليط الزيت لانارتها وظاهر الكلام يقتضي أنه تعالى أمره بذلك قبل لقاء فرعون والسر فيه أن يكون على بصيرة من أمره عند لقاء المعاند اللجوج وزعم القاضي أنه في حال أداء الرسالة لان المعجز انما يظهر ليستدل المرسل اليه على الرسالة ولا يخفى ضعف هذا الكلام لان الحكمة في الاظهار لا تنحصر في الاستدلال بل لعل هناك أنواعا أخر من الحكم والمقاصد قد ذكرنا واحدا منها ومما يؤكد أن هذا الكلام قد جرى ولم يكن هناك أحد غير موسى قوله معتذرا (رب اني قتلت منهم نفسا) الآية والردء اسم ما يعان به من ردأته أي أعنته فعل بمعنى مفعول به و(يصدقني) بالرفع صفة وبالجزم جواب كالامر في قوله وليا يرثني والمراد بتصديق أخيه أن يذب ويجادل عنه لا أن يقول صدقت فان هذا القدر لا يفتقر الى البيان والفصاحة لان سحبان وباقلا يستويان فيه ويجوز أن يكون الضمير في يصدقني لفرعون وجوز جار الله أن يكون من الاسناد المجازي بناء على أن يصدق مسندا الى هرون وهو ببيانه وبلاغته سبب تصديق فرعون يؤيده قوله (اني أخاف أن يكذبون) قال الجبائي انما

سأل موسى أن يرسل هرون بأمر الله تعالى ولم يكن ليسأل ما لا يأمن أن يجاب أو لا يكون حكمة ولقائل ان يقول لعله سأله مشروطا على معنى ان اقتضت الحكمة ذلك كما يقول الداعي في دعائه وقال السدي علم أن الاثنين (٤٥) أقوى من الواحد فلهذا سأل اعترض القاضي بأن هذا من حيث العادة وأما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجزة ومعجزتين لان المبعوث اليه في أيهما نظر علم وان لم ينظر فالحال واحدة هذا اذا كانت طريقة الدلالة بين المعجزتين واحدة فأما اذا اختلف وأمكن في احداهما من ازالة الشبهة ما لا يمكن في الاخرى فغير ممتنع أن يقال انهما بمجموعهما أقوى من واحدة كما قال السدي لكن ذلك لا يتأتى في موسى وهرون لان معجزتهما كانت واحدة قال جار الله معنى (سنشد عضدك) سنقويك بأخيك اما لان اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن يقوى على مزاولة الامور بشدة اليد واما لان الرجل واشتداده بالاخ شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد والسلطان التسلط والغلبة والحجة الواضحة وقوله (بآياتنا) اما متعلق بمقدر أي اذهبا بآياتنا أو متعلق بظاهر وهو نجعل أو لا يصلون ويجوز أن يكون بيانا للغالبون كأنه قيل بماذا نغلب فقيل بآياتنا وامتنع أن تكون صلة للغالبون لتقدمه ويجوز أن تكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه مثله ويجوز أن يكون من لغو القسم الذي لا جواب له كقولك زيد وأبيك منطلق والمراد الغلبة بالحجة والبرهان في الحال أو بالدولة والمملكة في المآل وصلب السحرة بعد تسليم ثبوته لا يقدح في قوله (ومن اتبعكما الغالبون) لان الدولة الباقية أعلى شأنا و (سحر مفترى) أي سحر تعمله أنت ثم تنسبه الى الله فهو كذب من هذا الوجه أو سحر ظاهر افتراؤه لا سحر يخفى افتراؤه أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر فان كل سحر فاعله يوهم خلافه فهو المفترى ومعنى (ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) قد مر في سورة المؤمنين قال جار الله في آبائنا حال عن هذا أي كائنا

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذا غير خوار ولا دعر

وفي الجذوة لغات للعرب ثلاث جذوة بكسر الجيم وبها قرأت قراء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة وهي أشهر اللغات الثلاث فيها وجذوة بفتح الجيم وبها قرأ أيضا بعض قراء الكوفة (١) وهذه اللغات الثلاث وان كن مشهورات في كلام العرب فالقراءة بأشهرها أعجب الي وان لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن وبنحو الذي قلنا في معنى الجذوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو جذوة من النار يقول شهاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو جذوة والجذوة أصل شجرة فيها نار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار قال أصل الشجرة في طرفها النار فذلك قوله أو جذوة (٣٤) قال السعف فيه النار قال معمر وقال غير قتادة أو جذوة أو شعلة من النار حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو جذوة من النار قال الجذوة العود من الحطب الذي فيه النار ذلك الجذوة وقوله لعلكم تصطلون يقول لعلكم تسخنون بها من البرد وكان في شتاء

القول في تأويل قوله تعالى (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره فلما أتى موسى النار التي آنس من جانب الطور نودي من شاطئ الوادي الأيمن يعني بالشاطئ الشط وهو جانب الوادي وعدوته والشاطئ يجمع شواطئ وشطآن والشط الشطوط والأيمن من نعت الشاطئ عن يمين موسى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من شاطئ الواد الأيمن قال ابن عمرو في حديثه عند الطور وقال الحرث في حديثه من شاطئ الوادي الايمن عند الطور عن يمين موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الايمن قال شق الوادي عن يمين موسى عند الطور وقوله في البقعة المباركة من صلة الشاطئ وتأويل الكلام فلما أتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة منه من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وقيل ان معنى قوله من الشجرة عند الشجرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة قال نودي من عند الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وقيل ان الشجرة التي نادى موسى منها ربه شجرة عوسج وقال بعضهم بل كانت شجرة العليق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله البقعة المباركة من الشجرة قال الشجرة

(١) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة وهي جذوة بضم الجيم وبها قرئ أيضا فتنبه كتبه مصححه

في زمانهم وقياميهم قلت لا مانع من ان يكون الظرف لغوا ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا بنحوه او يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ارادوا أن الكهان لم يخبروا (٤٦) بمجيء ما جاء به موسى وكل هذه المقالات لا تصدر الا عن المحجوج الجوج الذي

عوسج قال معمر عن قتادة عصا موسى من العوسج والشجرة من العوسج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض من لا يتهم عن بعض أهل العلم انى آنست نارا قال خرج نحوها فاذا هي شجرة من العليق و بعض أهل الكتاب يقول هي عوسجة. حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام شجرة سمر خضراء ترف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره نودي موسى أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فألقاها موسى فصارت حية تسعى فلما رآها موسى تهتز يقول تتحرك وتضطرب كأنها جان والجان واحد الجنان وهي نوع معروف من أنواع الحيات وهي منها عظام ومعنى الكلام كأنها جان من الحيات ولى مدبرا يقول ولى موسى هاربا منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى مدبرا فارا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع على عقبه وقد ذكرنا الرواية في ذلك وما قاله أهل التأويل فيما مضى فكرهنا اعادته غير أنا نذكر في ذلك بعض ما لم نذكره هنالك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولم يعقب يقول ولم يعقب أي لم يلتفت من الفرق حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولم يعقب يقول لم ينتظر وقوله ياموسى أقبل ولا تخف يقول تعالى ذكره فنودي موسى ياموسى أقبل الى ولا تخف من الذي تهرب منه انك من الآمنين من أن يضرك انما هو عصاك وقوله اسلك يدك في جيبك يقول أدخل يدك وفيه لغتان سلكته وأسلكته في جيبك يقول في جيب قميصك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اسلك يدك في جيبك أي في جيب قميصك وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله أمر أن يدخل يده في الجيب دون الكم وقوله تخرج بيضاء من غير سوء يقول تخرج بيضاء من غير برص كما حدثني بشر قال ثنا ابن المفضل قال ثنا قرة بن خالد عن الحسن في قوله اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قال فخرجت كأنها المصباح فأيقن موسى أنه لقي ربه وقوله واضمم اليك جناحك يقول واضمم اليك يدك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واضمم اليك جناحك قال يدك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد واضمم اليك جناحك قال وجناحاه الذراع والعضد هو الجناح والكف اليد اضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء وقوله من الرهب يقول من الخوف والفرق الذي قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من الرهب قال الفرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واضمم اليك جناحك من الرهب أي من الرعب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله من الرهب قال مما دخله من الفرق من الحية والخوف وقال ذلك الرهب وقرأ قول الله يدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء

قصارى أمره التمسك بحبل التقليد من قرأ (قال موسى) بغير واو فعلى طريقة السؤال والجواب ووجه قراءة الاكثرين أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن العاقل الناظر بين القولين فيتبين له الغث من السمين وقوله (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) الحام للخصم المعاند اذ لا سبيل الى دفاعه بالحجة أي يعلم أني محق وأنهم مبطلون وقوله (ومن تكون له عاقبة الدار) يعني العاقبة الحميدة كأن المذمومة غير معتد بها ضم طريقة الوعيد الى الالحام المذكور وقيل معناه ربي أعلم بالانبياء السالفة فهو جواب لقولهم ما سمعنا بهذا وقال جار الله ربي أعلم بحال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسنى العقبى ولو كان كاذبا كما يزعمون لم يؤهله لذلك لانه لا يفلح عنده الظالمون واعلم أن فرعون كان من عادته عند ظهور حجة لموسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه فذكر ههنا أمرين الاول قوله (ما علمت لكم من اله غيري) فكأنه استدل بعدم الدليل على عدم المدلول وهو خطأ من جهة أن الدليل على المدلول وهو وجود الصانع أكثر من أن يحصى ومن جهة أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول وأما قوله غيري فقد تكلف له بعضهم أنه لم يرد به أنه خالق السموات والارض وما فيهما فان امتناع ذلك بديهي وانما أراد به نفي الصانع والاقتصار على الطبائع وانه لا تكليف على الناس الا أن يطيعوا ملكهم و ينقادوا لأمره الثاني قوله (فأوقد لي ياهامان على الطين) وقد تكلفوا له ههنا أيضا فقيل انه يبعد من العاقل أن يروم صعود السماء بآلة ولكنه أراد أنه لا سبيل الى اثبات الصانع من حيث العقل كما مر ولا من حيث

أهل

أهـل الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء والهاء وقرأته عامة قراء الكوفة من الرهب بضم الراء وتسكين الهـاء والقول فى ذلك أنهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان فى قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فذانك برهانان من ربك يقول تعالى ذكره فهذان اللذان أريتكهما ياموسى من تحول العصا حية ويدك وهى سمراء بيضاء تلمع من غير برص برهانان يقول آيتان وحجتان وأصل البرهان البيان يقال للرجل يقول القول اذا سئل الحجة عليـه هات برهانك على ما تقول أى هـات تبيان ذلك ومصداقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فذانك برهانان من ربك العصا واليد آيتان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فذانك برهانان من ربك تبيانان من ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذانك برهانان من ربك هذان برهانان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فذانك برهانان من ربك فقرأ هاتوا برهانكم هاتوا على ذلك آية نعرفها وقال برهانان آيتـان من الله واختلفت القراء فى قراءة قوله فذانك فقرأته عامة قراء الأمصار سوى ابن كثير وأبى عمرو فذانك بتخفيف النون لأنها نون الاثنين وقرأه ابن كثير وأبو عمرو فذانك بتشديد النون واختلف أهل العربية فى وجه تشديدها فقال بعض نحويى البصرة ثقل النون من ثقلها للتوكيد كما أدخلوا اللام فى ذلك وقال بعض نحويى الكوفة شـددت فرقا بينها وبين النون التى تسقط للاضافة لان هاتان وهذان لا تضاف وقال آخر منهم هو من لغة من قال هذا آقال ذلك فزاد على الألف ألفا كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الاسماء المتمكنة وقال فى ذانك انما كانت ذلك فيمن قال هـذان ياهذا فكرهوا تثنية الاضافة فأعقبوها باللام لان الاضافة تعقب باللام وكان أبو عمرو يقول التشديد فى النون فى ذانك من لغة قريش الى فرعون وملئه يقول الى فرعون وأشراف قومه حجـة عليهم ودلالة على حقيقة نبوتك ياموسى انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وملأه كانوا قوما كافرين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصـدقنى انى أخاف أن يكذبون﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى رب انى قتلت من قوم فرعون نفسا فأخاف ان أتيتهم فلم أبن عن نفسى بحجة أن يقتلون لأن فى لسانى عقدة ولا أبين معها ما أريد من الكلام وأخى هرون هو أفصح منى لسانا يقول أحسن بيانا عما يريد أن يبينه فأرسله معى ردءا يقول عونا يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أخاطبهم به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به فانه يفهم مالا يفهمون وقيل انما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه لان الاثنين اذا اجتمعا على الخبر كانت النفس الى تصديقهما أسكن منها الى تصـديق خبر الواحد ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأرسـله معى ردءا يصدقنى لان الاثنين أحرى أن يصدقا من واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فأرسله معى ردءا يصدقنى قال عونا حدثنا القاسم قال ثنا

الحس فان الاحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر والا فابن ياهامان مثل هذا البناء وانما قال ذلك تهكما فبمجموع هذه الاشياء قرر أنه لا دليل على الصانع ثم رتب النتيجة عليه وهو قوله (وانى لأظنه من الكاذبين) يحتمل (٤٧) أن يريد لأعلمه من الكاذبين والأكثرون من المفسرين على أنه بنى مثل هذا البناء جهلا منه أو تلبيسا على ملئه حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن يروى أن هامان جمع العمال حتى اجتمع منهم خمسون ألف بناء سوى الاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ مبلغا لا يقـدر البانى أن يقوم عليه فبعث الله جبريل عنـد غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد من عماله الا قد هلك وروى فى القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليـه وهى ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبرائيل لهدمـه قال أهل البيـان ان صح حديث رد النشابة ملطوخة فقد تهكم به بالفعـل كما ثبت التهكم بالقول فى غير موضـع وانمـا قال فأوقد لى ياهامان على الطين ولم يقل اطبخ لى الآجر لان هذه العبـارة أحسن ولان فيه تعليم الصنعة وقد كان أول من عمل الآجر فرعون عن عمر أنه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غـير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع وفى قوله سبحانه (واستكبر هو وجنوده فى الارض) يعنى أرض مصر (بغير الحق) اشارة الى أن الاستكبار بالحق انما هو لله تعـالى كما جاء فى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فهو كقوله ويقتلون النبيين بغـير الحق وفى قوله (وظنوا أنهم الينـا لا يرجعون) دليل على أنهم كانوا منكرى البعث كالطبائعيين وفى قوله (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) دلالة على علو شأنه تعـالى وعظمة سلطانه واشارة الى استحقار فرعون وجنوده وعدده وان كانوا أكثر من رمال الدهناء كأنه شبههم بحصيات أخذهن أحد فى كفه فطرحهن

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ردأ يصدقنى أى عونا * وقال آخرون معنى ذلك كيما يصدقنى ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ردأ يصدقنى يقول كى يصدقنى حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأرسله معى ردأ يصدقنى يقول كيما يصدقنى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ردأ يصدقنى يقول كيما يصدقنى والردء فى كلام العرب هو العون يقال منه قد أردأت فلانا على أمره أى أكفيته وأعنته واختلفت القراء فى قراءة قوله يصدقنى فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ردأ يصدقنى بجزم يصدقنى وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى برفعه فمن رفعه جعله صلة للردء بمعنى فأرسله معى ردأ من صفته يصدقنى ومن جزمه جعله جوابا لقوله فارسله فانك اذا أرسلته صدقنى على وجه الخبر والرفع فى ذلك أحب القراءتين الى لانه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عوناله بهذه الصفة وقوله انى أخاف أن يكذبون يقول انى أخاف أن لا يصدقون على قولى لهم انى أرسلت اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى سنشد عضدك أى نقويك ونعينك بأخيك تقول العرب اذا أعز رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضده على أمره اذا أعانه ومنه قول ابن مقبل

عاضدتها بعتود غير معتلث * كأنه وقف عاج بان مكنونا

يعنى بذلك قوسا عاضدها بسهم وفى العضد لغات أربع أجودها العضد ثم العضد ثم العضد والعضد يجمع جميع ذلك على أعضاد وقوله ونجعل لكما سلطانا يقول ونجعل لكما حجة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لكما سلطانا حجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ونجعل لكما سلطانا والسلطان الحجة وقوله فلا يصلون اليكما يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون وقومه بسوء وقوله بآياتنا يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالباء فى قوله بآياتنا من صلة غالبون ومعنى الكلام أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا أى بحجتنا وسلطاننا الذى نجعله لكما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه قالوا لموسى ما هذا الذى جئتنا به الا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا وما سمعنا بهذا الذى تدعونا اليه من عبادة من تدعونا الى عبادته فى أسلافنا وآبائنا الاولين الذين مضوا قبلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال موسى مجيبا لفرعون ربى أعلم بالمحق منا يا فرعون من المبطل ومن الذى جاء بالرشاد الى سبيل

فى البحر استدلت الاشاعرة بقوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) ان خالق الشر وجاعل الكفر هو الله سبحانه وقالت المعتزلة معنى الجعل التسمية والحكم بذلك كما يقال جعله بخيلا وفاسقا اذا حكم (٤٨) بالبخل والفسق عليه وسماه بالبخيل والفاسق أو أراد خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى كانوا أئمة الكفر داعين الى النار أى الى موجباتها من الكفر والمعاصى وقال أبو مسلم معنى الامامة التقدم وذلك أنه تعالى عجل لهم العذاب فصاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفرة الى النار وقال بعضهم اراد بالامامة أنهم بلغوا فى ذلك الباب أقصى النهايات حتى استحقوا أن يقتدى بهم ثم بين بقوله (ويوم القيامة لا ينصرون) أن عقاب الآخرة سيتر لبهم على وجه لا يمكن التخلص منه وقال فى الكشاف أراد وخذلناهم فى الدنيا ويوم القيامة هم مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طردا وابعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين وقال الليث قبحه الله قبحا بالفتح وقبحا بالضم أى نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من المشهورين بسواد الوجه وزرقة العين وعن بعضهم أنه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم عملهم فيجمع لهم بين الفضيحتين ۞ التأويل وحين توجه تلقاء مدين عالم الروحانية وجد عليه أمة من أوصاف الروح يسقون مواشى اخلاقهم من ماء فيض الالهى ووجد من دونهم امرأتين السر والخفى ابنتا شعيب الروح يمنعان من استقاء ماء الفيض الالهى قال الشيخ الامام الربانى نجم الدين المعروف بداية وذلك لان لمعان أنوار الفيض يرد على الروح فى البداية بالتدريج فينشأ منه الخفى وهو لطيفة ربانية مودعة فى الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل الا بعد غلبة الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح فى قبول تجليات صفات الربوبية والفيوض الالهية فيكون فى هذه المدة بمعزل عن الاستقاء وكذا السر وهو لطيفة روحانية متوسطة بين القلب والروح قابلة لفيض الروح مؤدية

الصواب

الى القلب وهو ايضا بمعزل عن استقاء ماء فيض الروح عند اشتغال القلب بمعالجات النفس واصلاح القالب الى حين توجه موسى القلب الى مدين عالم الروحانية ومن ذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء وهم صفات الروح ويصرفوا مواشيهم وهى الصفات الانسانية عن ماء الفيض الالهى فاذا صدر والمستقينا مواشينا من الاوصاف والاخلاق من أفضلة مواشيهم فى حوض القوى وأبونا وهو شعيب

الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده ومن الذى له العقبى المحمودة فى الدار الآخرة منا وهذه معارضة من نبى الله موسى عليه السلام لفرعون وجميل مخاطبة اذ ترك أن يقول له بل الذى غر قومه وأهلك جنوده وأضل أتباعه أنت لا أنا ولكنه قال ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ثم بالغ فى ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافر وفى بالله تعالى يعنى بذلك فرعون انه لا يفلح ولا ينجح لكفره بربه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فتعبدوه وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيرى ومعبودا سواى فأوقد لى يا هامان على الطين يقول فاعمل لى آجرا وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبنى به ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فأوقد لى يا هامان على الطين قال على المدر يكون لبنا مطبوخا قال ابن جريج أول من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأوقد لى يا هامان على الطين قال فكان أول من طبخ الآجر يبنى به الصرح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فأوقد لى يا هامان على الطين قال المطبوخ الذى يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان وقوله فاجعل لى صرحا يقول ابن لى بالآجر بناء وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر ومنه قول الشاعر

بهن نعام بناها الرجا * ل تحسب أعلامهن الصروحا

يعنى بالصروح جمع صرح وقوله لعلى أطلع الى اله موسى يقول أنظر الى معبود موسى الذى يعبده ويدعو الى عبادته وانى لأظنه فيما يقول من أن له معبودا يعبده فى السماء وأنه هو الذى يؤيده وينصره وهو الذى أرسله الينا من الكاذبين فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح فارتقى فوقه فكان من قصته وقصة ارتقائه ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال فرعون لقومه يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أذهب فى السماء فأنظر الى اله موسى فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهى متلطخة دما فقال قد قتلت اله موسى تعالى الله عما يقولون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره واستكبر فرعون وجنوده فى أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم اليه من توحيد الله والاقرار بالعبودية له بغير الحق يعنى تعديا وعتوا على ربهم وظنوا أنهم الينا لا يرجعون يقول وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ولا ثواب ولا عقاب فركبوا أهواءهم ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد وأنه لهم مجازعلى أعمالهم الخبيثة وقوله فأخذناه وجنوده يقول تعالى ذكره فجمعنا فرعون وجنوده من القبط فنبذناهم فى اليم يقول فألقيناهم جميعهم فى البحر فغرقناهم فيه كما قال أبو الأسود الدئلى

الروح لا يقدر على سقيه من الاوصاف الانسانية الا بالآجر والوسائط وانا لا نطيق أن نسقى لضعف حالنا فسقى موسى القلب مواشيهما بقوة استمدادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لانه متوسط بين العالمين ولهذا سمى قلبا ثم تولى الى الظل الى العناية فطلب الفيض الالهى بلا واسطة وهكذا ينبغى أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف بدا فجاءته احداهما فيه أن القلب يحتاج فى الوصول الى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفى أو السر لا تخف نجوت فيه أن القلب اذا وصل الى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها ان خير من استأجرت من النفس والجسد القوى الامين لان القلب استفاد القوة من الجسد والامانة من الروح ثمانى حجج فيه أن الروح فى تبليغ القلب الى مقام الخفى يحتاج الى تسييره فى مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به فى خلافة الحق وهى الحياة والارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء وتمام ذلك الى العشرة راجع الى خصوصيته وهما المحبة والانس مع الله أيما الاجلين قضيت فى التخلق بأخلاق الثمانية وفى المحبة والانس مع الله فلا عدوان على أى ليس لك أن تمنعنى العبور عن المحبة لانك من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات الثمانية وأما المحبة والانس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولهذا كل انسان من المؤمن والكافر فانه مجبول على تلك الاوصاف وليس من زمرة يحبهم ويحبونه الا مؤمن موحد فلما اتصف موسى القلب بالاوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها الى حضرة القدس

آنس من طور الحضرة نار نور الالوهية وفي قوله لأهله امكثوا اشارة الى أن السالك لابدّ له من تجريد الظاهر عن الاهل والمال وتفريد الباطن عن تعلقات الكونين نور يبدو واذا ابدا استكن شمس طلعت ومن رآها آمن وفي قوله لعلكم تصطلون اشارة الى أن الاوصاف الانسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن (٥٠) الا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الالهية من شاطئ الواد الايمن وهو انسهر في بقعة البدن من شجرة وجود الانسان من الرهب أي رهبة من فوات وصال الحضرة وأخي هرون هو العقل فمن خصوصيته تصديق الناطق بالحق قالوا ما هذا الا سحر مفترى لان النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت ومنكسة والقلب خلق وسط عالم الملكوت متوجها الى الحضرة فلهذا ما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت في آبائنا الاولين أي في طبائع الكواكب فانها آباء النفس وأمهاتها العناصر والطبائع منكوسة الى عالم السفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعرفون بالتوحيد فأوقد لي ياهامان الشيطان على الطين البشرية بنفخ الوساوس والغرور فاجعل لي صرحا من المقدمات الخيالية والوهمية فانظر كيف كان عاقبة المكذبين أغرقوا في ماء شهوات الدنيا ويم همها فأدخلوا نار الحسرة والندامة (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن

نظرت الى عنوانه فنبذته * كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناهم في اليم قال كان اليم بحرا يقال له إساف من وراء مصر غرقهم الله فيه وقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم وردّوا على رسوله نصيحته ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أولياءنا ونخوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعد أن كانوا مستضعفين تقتل ابناؤهم وتستحيا نساؤهم فانا كذلك بك وبمن آمن بك وصدّقك فاعلون مخوّلوك واياهم ديار من كذبك وردّ عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم ومهلكوهم قتلا بالسيف سنة الله في الذين خلوا من قبل

۞ القول في تأويل قوله تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) يقول تعالى ذكره وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به يدعون الناس الى أعمال أهل النار ويوم القيامة لا ينصرون يقول جل ثناؤه ويوم القيامة لا ينصرهم من الله اذا عذبهم ناصر وقد كانوا في الدنيا يتناصرون فاضمحلت تلك النصرة يومئذ وقوله وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة يقول تعالى ذكره وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم فختمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيء ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة فمخزوهم بها الخزي الدائم ومهينوهم الهوان اللازم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة قال لعنوا في الدنيا والآخرة قال هو كقوله وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى ثم استقبل فقال هم من المقبوحين وقوله هم من المقبوحين يقول تعالى ذكره هم من القوم الذين قبحهم الله فأهلكهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام فجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين

۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الامم التي كانت قبله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين بصائر للناس يقول ضياء لبني اسرائيل فيما بهم اليه الحاجة من أمر دينهم وهدى يقول وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم فيشكروه عليها ولا يكفروا * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد وعبد الوهاب قالا ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسخوا قردة ألم تر أن الله يقول ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ۞ القول في تأويل قوله تعالى

(وما

اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين • ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة
ومما رزقناهم ينفقون • واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا (٥١) ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين

انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله
الا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ۞ القراآت سحران عاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون ساحران تظاهرا
بالتخفيف اتفاقا تجبى اليه بتاء التأنيث أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون على التذكير يعقلون بياء الغيبة شجاع واليزيدي الباقون
بتاء الخطاب الا أبا عمرو فانه مخير ثم هو بسكون الهاء علي والحلواني عن قالون تبرأنا مثل أنشأنا ۞ الوقوف يتذكرون ه الشاهدين ه لا

(وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما كنت يا محمد بجانب غربي الجبل اذ قضينا الى موسى الامر يقول اذ فرضنا الى موسى الامر فيما ألزمناه وقومه وعهدنا اليه من عهد وما كنت من الشاهدين يقول وما كنت لذلك من الشاهدين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت يا محمد بجانب الغربي يقول بجانب غربي الجبل اذ قضينا الى موسى الامر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال غربي الجبل حدثنا ابن بشار قال ثنا الضحاك بن مخلد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة بن عمرو قال انكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجبتم قبل أن تسألوا وقرأ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين) يعني تعالى ذكره بقوله ولكنا أنشأنا قرونا ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من بعد ذلك فتطاول عليهم العمر وقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين يقول وما كنت مقيما في أهل مدين يقال ثويت بالمكان أثوى به ثواء قال أعشى ثعلبة

أثوى وقصر ليله ليزودا * ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كنت ثاويا في أهل مدين قال الثاوي المقيم تتلوا عليهم آياتنا يقول تقرأ عليهم كتابنا ولكنا كنا مرسلين يقول لم تشهد شيأ من ذلك يا محمد ولكنا كنا نحن نفعل ذلك ونرسل الرسل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) يقول تعالى ذكره وما كنت يا محمد بجانب الجبل اذ نادينا موسى بأن سأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة في قول الله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني حدثني ابن وكيع قال ثنا حرملة بن قيس النخعي قال سمعت هذا الحديث من أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن سليمن وسفيان عن سليمن وحجاج عن حمزة الزيات عن الاعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة بن عمرو عن أبي هريرة في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني قال وهو قوله حين قال موسى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة

الاستدراك العمر ج لاختلاف الجملتين مع العطف آياتنا ج لما مر مرسلين ه يتذكرون ه المؤمنين ه ما أوتي موسى ط
من قبل ج للفصل بين الخبر والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا ج للتعجب من عنادهم كافرون ه صادقين ه أهواءهم ط من الله
ط الظالمين م يتذكرون ه لان الذين (٥٣) مبتدأ يؤمنون ه مسلمين ه ينفقون ه أعمالكم ز ط لابتداء الكلام
مع اتحاد المقول عليكم ط لذلك الجاهلين ه من يشاء ط لعطف الجملتين المتفقتين بالمهتدين ه أرضنا ط لا يعلمون ه معيشتها ج للفصل بين الاستفهام والاخبار مع فاء التعقيب قليلا ط الوارثين ه آياتنا ج للعدول مع اتفاق الجملتين ظالمون ه وزينتها ج فصلا بين المعنيين المتضادين وأبقى ط تعقلون ه المحضرين ه تزعمون ه أغوينا ج غوينا ج لعدم العاطف مع اتحاد القائل اليك ج لما قلنا مع زيادة النفي المقتضي للفصل يعبدون ه العذاب ج لجواز تعلق لو بمحذوف أي لو اهتدوا لما لقوا ما لقوا ويجوز تعلقها بيهتدون والوقف على لهم أي لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب بقلوبهم يهتدون ه المرسلين ه لا يتساءلون ه المفلحين ه ويختار ز وقد يوصل على معنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة وفيه بعد الخيرة ه يشركون ه يعلنون ه الا هو ط والآخرة ز لعطف الجمل ترجعون ه

التفسير انه سبحانه بعد تميم قصة موسى أراد أن يبين اعجاز نبينا صلى الله عليه وسلم فذكر أولا أنه أعطى موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون وقومه حال كون الكتاب أنوارا للقلوب وارشادا لأهل الضلال وسببا لنيل الرحمة ارادة أن يتذكروا ويجوز أن يعود ترجي التذكر الى موسى ثم أجمل عظائم أحوال موسى وبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك فقال (وما كنت بجانب الغربي) أي بجانب المكان الواقع في شق الغرب وهو ناحية الشام التي فيها قضى الى موسى أمر الوحي والاستنباء (وما كنت من الشاهدين) على ذلك فقد يكون الشخص حاضرا ولا يكون شاهدا أو لا مشاهدا قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك

وفي الآخرة الآية * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج مثل ذلك وقوله ولكن رحمة من ربك يقول تعالى ذكره لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد فتعلمه ولكنا عرفناكه وأنزلناه اليك فاقتصصنا ذلك كله عليك في كتابنا وابتعثناك بما أنزلنا اليك من ذلك رسولا الى من ابتعثناك اليه من الخلق رحمة منا لك ولهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن رحمة من ربك ما قصصنا عليك لتنذر قوما الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكن رحمة من ربك قال كان رحمة من ربك النبوة وقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك يقول تعالى ذكره ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير وهم العرب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام واشراكهم به الأوثان والأنداد وقوله لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم فينيبوا الى الاقرار لله بالوحدانية وافراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكن رحمة من ربك قال الذي أنزلنا عليك من القرآن لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد اليهم لو حل بهم بأسنا أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك اليهم على كفرهم بربهم واكتسابهم الآثام واجترامهم المعاصي ربنا هلا أرسلت الينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك وآي كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك اليهم ولكنا بعثناك اليهم نذيرا بأسنا على كفرهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والمصيبة في هذا الموضع العذاب والنقمة ويعني بقوله بما قدمت أيديهم بما اكتسبوا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك اليهم نذيرا الحق من عندنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله اليهم قالوا تمردا على الله وتماديا في الغي هلا أوتي هذا الذي أرسل الينا وهو محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش القائلين لك لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لقريش يقولوا لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ولا يشهد ولا يرى ثم قال (ولكنا أنشأنا) بعد عهد موسى الى عهدك (قرونا فتطاول عليهم العمر) فاندرست العلوم والشرائع ووجب ارسالك الى آخرهم قرنا وهو القرن الذي أنت فيه فأرسلناك وعرفناك أحوال الانبياء وحاصل الآية أنه ذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب والغرض بيان اعجازه كأنه قال ان في اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أهله دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما أجمل فذكر أول أمر موسى وبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك وهو قوله (وما كنت ثاويا) مقيما (في أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلوا عليهم آياتنا) قال مقاتل أي لم تشهد أهل مدين وأنت تقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا أرسلناك الى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك ماعلمتها وقال الضحاك يقول يا محمد انك لم تكن رسولا الى أهل مدين تتلو عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك (ولكنا كنا مرسلين) في كل زمان رسولا فأرسلنا الى أهل مدين شعيبا وأرسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر أوسط أمر موسى وأشرف أحواله وبين أنه لم يكن هناك فقال (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) الاظهر أنه يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه وعن بعض المفسرين أنه أراد قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم يا أمة محمد أجيبكم قبل أن تدعوني وأعطيكم قبل أن تسألوني وأغفر لكم قبل أن تستغفروني قال وانما قال الله تعالى ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يارب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت أسمعتك اصواتهم قال بلى يارب فقال يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم فقال سبحانه أجبتكم قبل أن تدعوني الحديث كما ذكر ابن عباس وروى سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم

ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى قال اليهود تأمر قريشا ثم ذكر نحوه قالوا ساحران تظاهرا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة قالوا ساحران تظاهرا بمعنى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم في قول بعض المفسرين وفي قول بعضهم لموسى وهرون عليهما السلام وفي قول بعضهم لعيسى ومحمد ساحران تعاونا وقرأ عامة قراء الكوفة قالوا سحران تظاهرا بمعنى وقالوا للتوراة والفرقان في قول بعض أهل التأويل وفي قول بعضهم للانجيل والفرقان واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراء في قراءته ذكر من قال عني بالساحرين اللذين تظاهرا محمد وموسى صلى الله عليهما حدثنا سليمن بن محمد بن معدي كرب الرعيني قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت مسلم بن يسار يحدث عن ابن عباس في قول الله ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت مسلم بن يسار قال سألت ابن عباس عن هذه الآية ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن أبي حمزة عن مسلم بن يسار أن ابن عباس قرأ ساحران قال موسى ومحمد عليهما السلام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن كيسان أبي حمزة عن مسلم بن يسار عن ابن عباس مثله * ومن قال موسى وهرون عليهما السلام حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ساحران تظاهرا قال يهود لموسى وهرون حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا ساحران تظاهرا قول يهود لموسى وهرون عليهما السلام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير وأبي رزين أن أحدهما قرأ ساحران تظاهرا والآخر سحران قال الذي قرأ سحران قال التوراة والانجيل وقال الذي قرأ ساحران قال موسى وهرون * وقال آخرون عنوا بالساحرين عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قوله ساحران تظاهرا قال عيسى ومحمد أو قال موسى صلى الله عليه وسلم * ذكر من قال عنوا بذلك التوراة والفرقان ووجه تأويله الى قراءة من قرأ سحران تظاهرا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله سحران تظاهرا يقول التوراة والقرآن حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قالوا سحران تظاهرا يعني التوراة والفرقان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا سحران تظاهرا قال كتاب موسى وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنوا به التوراة والانجيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن حميد الاعرج عن مجاهد قال كنت الى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام فقلت كيف تقرأ سحران أو ساحران فلم يرد علي شيئا فقال عكرمة ساحران وظننت أنه لو كره ذلك أنكره علي قال حميد فلقيت عكرمة بعد ذلك

يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أدخله الجنة قوله (ولكن رحمة) أي ولكن علمناك (رحمة من ربك) ثم فسير الرحمة بقوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أي في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كانت حجة الانبياء قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم (٥٤) فبعثه الله تعالى تقريرا لتلك التكاليف وازالة لتلك الفترة قوله (ولولا أن تصيبهم) هي امتناعية وجوابها محذوف والفاء في قوله (فيقولوا) للعطف على أن تصيبهم وقوله (لولا أرسلت) هي تحضيضية والفاء في فنتبع جواب لولا وذلك أن التحضيض في حكم الامر لان كلا منهما بعث على الفعل والمعنى ولولا أنهم قائلون اذا عوقبوا على ما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم والحاصل أن ارسال الرسول لأجل ازالة هذا العذر قال أصحاب البيان القول هو المقصود بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول أدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بفاء السببية تنبيها على أنهم لو لم يعاقبوا على كفرهم ولم يعاينوا العذاب لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فالسبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان وفي هذا بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائي في الآية دلالة على وجوب اللطف والا لم يكن لهم أن يقولوا لولا أرسلت وقال الكعبي فيه دليل على أنه تعالى يقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان للكافر أعظم حجة على الله تعالى وقال القاضي فيه ابطال الجبر لان اتباع الآيات لو كان موقوفا على خلق الله فأي فائدة في قولهم هذا ومعارضة الاشاعرة بالعلم والداعي معلومة ثم بين أنهم قبل البعثة يتعلقون بشبهة وبعد البعثة يتعلقون بأخرى فلا مقصود لهم الا العناد فقال (فلما جاءهم الحق) أي الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة ومن سائر المعجزات كقلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (أولم يكفروا) وفيه وجوه أحدها أن اليهود أمروا قريشا أن يسألوا محمدا مثل ما أوتي موسى

فذكرت ذلك له وقلت كيف كان يقرؤها قال كان يقرأ سحران تظاهرا أي التوراة والانجيل * ذكر من قال عنوا به الفرقان والانجيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ سحران تظاهرا يعنون الانجيل والفرقان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالوا سحران تظاهرا قالت ذلك أعداء الله اليهود للانجيل والفرقان فمن قال ساحران فيقول محمد وعيسى ابن مريم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه قالوا سحران تظاهرا بمعنى كتاب موسى وهو التوراة وكتاب عيسى وهو الانجيل وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لان الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب وهو قوله وقالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى والذي يليه من بعده ذكر الكتاب وهو قوله فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره واذ كان ذلك هو الأولى بالقراءة فمعلوم أن معنى الكلام قل يا محمد أولم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل وقالوا لما أوتي موسى من الكتاب (١) وما أوتيته أنت سحران تعاونا وقوله وقالوا انا بكل كافرون يقول تعالى ذكره وقالت اليهود انا بكل كتاب في الارض من توراة وانجيل وزبور وفرقان كافرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل وخالفه فيه مخالفون ذكر من قال مثل الذي قلنا في ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انا بكل كافرون قالوا نكفر أيضا بما أوتي محمد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقالوا انا بكل كافرون قال يهود أيضا نكفر بما أوتي محمد أيضا * وقال آخرون بل معنى ذلك وقالوا انا بكل الكتابين الفرقان والانجيل كافرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك وقالوا انا بكل كافرون يقول بالانجيل والقرآن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقالوا انا بكل كافرون يعنون الانجيل والفرقان (٢) حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقالوا انا بكل كافرون قال هم أهل الكتاب يقول بالكتابين التوراة والفرقان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقالوا انا بكل كافرون الذي جاء به موسى والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين للتوراة والانجيل هما سحران تظاهرا ائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما لطريق الحق ولسبيل الرشاد أتبعه ان كنتم صادقين في زعمكم أن هذين الكتابين سحران وأن الحق في غيرهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد

(١) لعله وما أوتيه عيسى تأمل (٢) هذا الاثر والذي بعده يشيران الى أن المراد بكل التوراة والفرقان فلعله سقط من الناسخ هنا شيء تأمل كتبه مصححه

فقال تعالى أولم يكفروا هؤلاء اليهود الذين اقترحوا هذا السؤال بموسى مع تلك الآيات الباهرة والذين أوردوا هذا الاقتراح هم أهل مكة والذين كفروا بموسى من قبل أو بما أوتي موسى من قبل هم الذين كانوا في زمن موسى الا أنه تعالى جعلهم كالشيء الواحد لتجانسهم في الكفر والتعنت وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط اليهم فأخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما أن محمدا ساحر فقال الله تعالى في حقهم (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) وقال الحسن قد كان للعرب أصل في أيام موسى فالتقدير أولم يكفر آباؤهم بأن قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أي تعاونا وقال قتادة أولم يكفر اليهود في عصر محمد بما أوتي موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد عليه السلام (قالوا ساحران) والاظهر أن كفار مكة وقريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم طلبوا من محمد معجزات موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتي موسى بل بما أوتي جميع الانبياء من قبل فعلم أنه لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت من قرأ ساحران بالالف فظاهر وأما من قرأ سحران فاما بمعنى ذوي سحر أو على جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو على ارادة نوعين من السحر أو على أن المراد هو القرآن والتوراة وضعفه أبو عبيدة بأن المظاهرة بالناس وأفعالهم أشبه منها بالكتب وأجيب بأن الكتابين لما كان كل واحد منهما يقوي الآخر لم يبعد أن يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وفي تكرار قالوا وجهان أحدهما قالوا ساحران مرة (وقالوا انا بكل) من موسى ومحمد أو بكل من الكتابين (كافرون) مرة وثانيهما أن يكون قوله وقالوا معطوفا على أولم يكفروا ثم عجزهم بقوله (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي مما أنزل على موسى ومما أنزل علي قال ابن عباس (فان لم يستجيبوا لك) معناه فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب أفضل منهما وهذا أشبه بالآية وهذا الشرط شرط يدل بالامر المتحقق لصحته والا فالظاهر أن لو قيل فاذ لم يستجيبوا أو يجوز

قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فقال الله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فقال الله ائتوني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما من هذين الكتابين الذي بعث به موسى والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فان لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والانجيل سحران تظاهرا الزاعمون أن الحق في غيرهما من اليهود يا محمد الى أن يأتوك بكتاب من عند الله هو أهدى منهما فاعلم أنما يتبعون أهواءهم وأن الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين قول كذب وباطل لا حقيقة له ولعل قائلا أن يقول أولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والانجيل من الافك والزور المسموهما سحرين باطل من القول الا بأن لا يجيبوه الى اتيانهم بكتاب هو أهدى منهما قيل هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به المقول لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من كفار قريش وذلك أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قريش أولم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى بالذي أوتي موسى من قبل هذا القرآن ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى سحران تظاهرا فقولوا لهم ان كنتم صادقين أن ما أوتي موسى وعيسى سحر فأتوني بكتاب من عند الله هو أهدى من كتابيهما فان هم لم يجيبوكم الى ذلك فاعلموا أنهم كذبة وأنهم انما يتبعون في تكذيبهم محمدا وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ويتركون الحق وهم يعلمون يقول تعالى ذكره ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله وعهد من الله ويترك عهد الله الذي عهده الى خلقه في وحيه وتنزيله ان الله لا يهدي القوم الظالمين يقول تعالى ذكره ان الله لا يوفق لاصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته وكذبوا رسوله وبدلوا عهده واتبعوا أهواء أنفسهم ايثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) يقول تعالى ذكره ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بني اسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا اذ كذبوا رسلنا وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم واحتذى في الكفر بالله وتكذيب رسله مثالهم ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ومنه قول الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمة * وحبل ضعيف ما يزال يوصل

۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله فقال بعضهم معناه بينا وقال بعضهم معناه فصلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن ليث عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال فصلنا لهم القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد وصلنا لهم القول قال وصل الله لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون حدثنا القاسم قال ثنا محمد بن عيسى

أن يقع بُد بحرف الشك التهكم وإنما لم يقل فإن لم تأتوا الآن قوله فأتوا أمر والأمر دعاء إلى الفعل فناسب الاستجابة والتقدير فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم صاروا محجوجين ولم يبق لهم شيء إلا اتباع الهوى وفي قوله (ومن أضل ممن اتبع هواه) حال كونه (بغير هدى من الله) إشارة إلى فساد طريقة التقليد استدلت الأشاعرة بقوله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين)

أبو جعفر عن سفيان بن عيينة وصلنا بينا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد وصلنا لهم الخبر خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة وشهدوها في الدنيا بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهها وقرأ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة وقال إنا سوف نجزهم ما وعدناهم في الآخرة كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم نقضي بينهم وبين قومهم واختلف أهل التأويل فيمن عني بالهاء والميم من قوله ولقد وصلنا لهم فقال بعضهم عني بهما قريشا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد وصلنا لهم القول قال لقريش حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون قال يعني محمدا صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عني بهما اليهود ذكر من قال ذلك حدثني بشر بن آدم قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد ابن سلمة قال ثنا عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظي قال نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حدثنا ابن سنان قال ثنا حيان قال ثنا حماد عن عمرو عن يحيى بن جعدة عن عطية القرظي قال نزلت هذه الآية ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حتى بلغ إنا كنا من قبله مسلمين في عشرة أنا أحدهم فكأن ابن عباس أراد بقوله يعني محمدا لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم فيقرون بنبوته ويصدقونه وقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون يعني بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن هم بهذا القرآن يؤمنون فيقرون أنه حق من عند الله ويكذب جهلة الأميين الذين لم يأتهم من الله كتاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به إلى قوله لا نبتغي الجاهلين في مسلمة أهل الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله إلى قوله الجاهلين قال هم مسلمة أهل الكتاب قال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أن يحيى بن جعدة أخبره عن علي بن رفاعة قال خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة يعني أباه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا فأوذوا فنزلت الذين آتيناهم الكتاب من قبله قبل القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون إليها حتى بعث الله

أي الذين وضعوا الهوى مكان الهدى على أن هداية الله تعالى خاصة بالمؤمن وقالت المعتزلة الألطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن إلا بعد الإيمان وإليه الإشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والآية محمولة على القسم الثاني دون الأول وإلا كان عدم الهداية عذرا لهم ثم أجاب عن قولهم هلا أوتي محمد كتابه دفعة واحدة بقوله (ولقد وصلنا) أي أنزلنا عليهم القرآن إنزالا متصلا بعضه في أثر بعض ليكون ذلك أقرب إلى التذكر والتذكير والتنبيه فإنهم يطلعون في كل يوم على فائدة زائدة وحكمة جديدة ويجوز أن يراد بتوصيل القول جعل بيان على أثر بيان والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا ووعدا ووعيدا وقصصا وعبرا إلى غير ذلك من معاني القرآن إرادة أن يتعظوا فيفلحوا ويحتمل أن يكون المراد بينا الدلالة على كون هذا القرآن معجزا مرة بعد أخرى وحين أقام الدلالة على النبوة أكد ذلك بقوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل القرآن (هم به يؤمنون) قال قتادة إنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا آمنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام وقال مقاتل نزلت في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة

في السفينة وثمانية جاؤا من الشام وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة أنا أحدهم والتحقيق أن كل من حصل في حقه محمدا • هذه الصفة يكون داخلا في الآية لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى عنهم ما يدل على تأكيد إيمانهم وقوله (إنه الحق من ربنا) تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله يوجب الإيمان به وقوله (إنا كنا من قبله مسلمين) بيان لقولهم آمنا به لأنا إيمانهم احتمل أن يكون

قريب العهد وأن يكون بعيده فلخبوا أن إيمانهم به متقادم وذلك لما وجدوا في كتب الأنبياء من البشارة بمقدمه فأذعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو شأن كل مسلم ومعنى (من قبله) أي من قبل وجوده ونزوله وفي قوله (يؤتون أجرهم مرتين) أقوال بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على أذى المشركين وعلى أذى أهل الكتاب أو بصبرهم (٥٧) على الايمان بالقرآن قبل نزوله وعلى

محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله من قبله مسلمين ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والانجيل ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وباتباعهم اياه حين بعث فذلك قوله انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى {واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين} يقول تعالى ذكره واذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن قالوا آمنا به يقول يقولون صدقنا به انه الحق من ربنا يعني من عند ربنا نزل انا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاءت به الانبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم من الكتب وفي كتبهم صفة محمد ونعته فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن فلذلك قالوا انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى {أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون} يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم يؤتون ثواب عملهم مرتين بما صبروا واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه فقال بعضهم وعدهم ما وعد جل ثناؤه بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذلك قول قتادة وقد ذكرناه قبل * وقال آخرون بل وعدهم بصبرهم بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وباتباعهم اياه حين بعث وذلك قول الضحاك بن مزاحم وقد ذكرناه أيضا قبل وممن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا كنا من قبله مسلمين على دين عيسى فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا فكان لهم أجرهم مرتين بما صبروا أول مرة ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام * وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ان قوما كانوا مشركين أسلموا فكان قومهم يؤذونهم فنزلت أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة يقول ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيآتهم ومما رزقناهم من الاموال ينفقون في طاعة الله اما في جهاد في سبيل الله واما في صدقة على محتاج أو في صلة رحم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال الله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون فقال ويدرؤن بالحسنة السيئة ۞ القول في تأويل قوله تعالى {واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين} يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو وهو الباطل من القول كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لا يجارون

الايمان به بعد نزوله وهذا أقرب لانه لما بين أنهم آمنوا بعد البعثة وبين أنهم كانوا مؤمنين به قبل البعث ثم أثبت لهم الاجر مرتين وجب أن ينصرف الى ذلك (ويدرؤن بالحسنة) وهي الطاعة (السيئة) وهي المعاصي المتقدمة أي يدفعون بالحلم الاذى يروى أنهم لما أسلموا لعنهم أبو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب اليهود عبد الله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان ثم بالطاعات البدنية ومكارم الاخلاق ثم بالطاعات المالية وهو الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وكما يجب أن يقوله الحليم في معارضة السفيه وهو قوله (واذا سمعوا اللغو) وهو كل ما ينبغي أن يلقى ويترك (أعرضوا عنه وقالوا) لاهل ذلك اللغو (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) سلام توديع ومتاركة (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب مخالطتهم وعشرتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم وهذا خلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر أن الهداية انما تتعلق بمشيئة الله قال الزجاج أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك

قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله قال قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جبن عند الموت وقد مر مثل هذا النقل في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه واعلم أنه لا منافاة بين هذه الآية وبين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفاه هداية التوفيق وشرح

الصدر والتى أثبتها هداية الدعوة والبيان وبحث الاشاعرة والمعتزلة ههنا معلوم وحيث بين أن وضوح الدلائل لا يكفى ما لم ينضم اليه هداية
الله سبحانه حكى عنهم شبهة أخرى متعلقة بالدنيا وذلك أنهم (قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يروى أن الحرث بن عثمان
ابن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنعلم أن الذى تقوله حق ولكن يمنعنا من ذلك أن تسلبنا العرب (٥٨)
بسرعة أى يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا فأجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) يروى أن العرب كانوا يشتغلون بالنهب والغارة خارج الحرم وما كانوا يتعرضون البتة لسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان آمنا وبين مزيته بقوله (يجبى اليه ثمرات كل شئ) قالوا الكل ههنا بمعنى الأكثر قلت يحتمل أن يكون على أصله وانتصب رزقا على أنه مصدر لأن يجبى بمعنى يرزق أو على أنه مفعول لاجله وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة وحاصل الجواب أنه لما جعل الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان فبقاء هذه الحالة مع الايمان أولى ولا يخفى أن التخطف على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان فان درجة الشهادة أعلى وأجل ومضرة التخطف أهون من العقاب الدائم الا أنه تعالى احتج عليهم بما هو معلوم من عادة العرب وهو أنهم كانوا لا يتعرضون لقطان الحرم والامر البين للحس أولى بأن يفحم به الخصم فلذلك قدمه الله تعالى وفى الآية دلالة على صحة المحاجة لازالة شبهة المبطلين قالت الاشاعرة الأرزاق انما تصل اليهم على ايدى الناس وقد أضاف الرزق الى نفسه فدل
ذلك على أن أفعال العباد مستندة الى الله ومن تأمل فى الآية علم أن العبد يجب أن لا يخاف ولا يرجو الا من الله عن
ثم أجاب عن شبهتهم بحديث آخر مخلوط بالوعيد وانتصب معيشتها بنزع الخافض كقوله واختار موسى قومه أو على أنه ظرف مكان
مجازا كان النظر استقر فى المعيشة أو على حذف المضاف أى بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم أو بتضمين بطرت معنى كفرت وعطلت

أهل الجهل والباطل فى باطلهم أتاهم من أمر الله ما وقذهم عن ذلك * وقال آخرون عنى باللغو فى هذا الموضع ما كان أهل الكتاب ألحقوه فى كتاب الله مما ليس هو منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا الى آخر الآية قال هذه لأهل الكتاب اذا سمعوا اللغو الذى كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله وقالوا هو من عند الله اذا سمعه الذين أسلموا ومروا به يتلونه أعرضوا عنه وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مسلمين على دين عيسى ألا ترى أنهم يقولون انا كنا من قبله مسلمين * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن منصور عن مجاهد واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم قال نزلت فى قوم كانوا مشركين فأسلموا فكان قومهم يؤذونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جويرية عن منصور عن مجاهد قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم قال كان ناس من أهل الكتاب أسلموا فكان المشركون يؤذونهم فكانوا يصفحون عنهم يقولون سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله أعرضوا عنه يقول لم يصغوا اليه ولم يستمعوه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وهذا يدل على أن اللغو الذى ذكره الله فى هذا الموضع انما هو ما قاله مجاهد من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه فى أنفسهم وانهم أجابوهم بالجميل من القول لنا أعمالنا قد رضينا بها لانفسنا ولكم أعمالكم قد رضيتم بها لانفسكم وقوله سلام عليكم يقول أمنة لكم منا أن نسابكم أو تسمعوا منا ما لا تحبون لا نبتغى الجاهلين يقول لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدى من أحببت هدايته ولكن الله يهدى من يشاء أن يهديه من خلقه بتوفيقه للايمان به وبرسوله ولو قيل معناه انك لا تهدى من أحببته لقرابته منك ولكن الله يهدى من يشاء كان مذهبا وهو أعلم بالمهتدين يقول جل ثناؤه والله أعلم من سبق له فى علمه أنه يهتدى للرشاد ذلك الذى يهديه الله فيسدده ويوفقه وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبى طالب عمه من اجابته اذ دعاه الى الايمان بالله الى ما دعاه اليه من ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب والحسين بن على الصدائى قالا ثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش لأقررت عينك فأنزل الله انك لا تهدى من أحببت الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان قال ثنى أبو حازم الاشجعى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله ثم ذكر مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعى يذكر عن أبى هريرة قال لما حضرت وفاة أبى طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عماه قل لا اله الا الله فذكر مثله الا أنه قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون ما حمله عليه الا جزع الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد

والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه ومعنى (إلا قليلا) قال ابن عباس أي لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة
ويجوز أن يكون شؤم معاصيهم بقي في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يسكن إلا قليلا (وكنا نحن الوارثين) كقوله ولله ميراث
السموات والأرض لأنه الباقي بعد فناء خلقه ثم كان لسائل أن يقول ما بال (٥٩) الكفرة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم

لم يهلكوا مع تماديهم في الغي فقال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها) أي في القرية التي هي قصبتها وأصلها وغيرها من توابعها وأعمالها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) بوحي وتبليغ وذلك لتأكيد الحجة وقطع المعذرة قال في الكشاف يحتمل أن يراد وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وكان لقائل أن يقول ما بال الكفار بعد مبعث محمد لم يهلكهم الله مع تكذيبهم وجحودهم فقال (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) بالشرك وأهل مكة ليسوا كذلك فمنهم من قد آمن ومنهم من سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن ثم أجاب عن شبهتهم بجواب ثالث وذلك أن حاصل شبهتهم أن قالوا تركنا الدين لاجل الدنيا فبين تعالى بقوله (وما أوتيتم من شيء) الآية أن ذلك خطأ عظيم لأن ما عند الله خير وأبقى لانه أكثر وأدوم ونبه على جهلهم بقوله (أفلا تعقلون) ويرحم الله الشافعي حيث قال إذا أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير نظير الآية قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال اهل البرهان انما قال في هذه
السورة وما أوتيتم بالواو وفي الشورى فما أوتيتم بالفاء لانه لم يتعلق بما قبله ههنا كثير تعلق وقد تعلق في الشورى بما قبلها أشد تعلق
ولانه عقيب ما لهم من المخافة ما أوتوه من الأمنة والفاء حرف التعقيب والواو لمجرد العطف وانما زاد في هذه السورة وزينتها لان المراد ههنا
جميع أعراض الدنيا من الضروريات ومن الزين فالمتاع ما لا غنى عنه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمنكوح والزينة

عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث أبي كريب والصدائي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال ثني يونس عن الزهري قال ثني سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبي سعيد بن رافع قال قلت لابن عمر انك لا تهدي من أحببت نزلت في أبي طالب قال نعم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انك لا تهدي من أحببت قال قول محمد لابي طالب قل كلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال محمد بن عمرو في حديثه قال يا ابن أخي ملة الاشياخ أو سنة الاشياخ وقال الحرث في حديثه قال يا ابن أخي ملة الأشياخ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انك لا تهدي من أحببت قال قال محمد لأبي طالب اشهد بكلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال أي ابن أخي ملة الأشياخ فأنزل الله انك لا تهدي من أحببت قال نزلت هذه الآية في أبي طالب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انك لا تهدي من أحببت ذكر لنا أنها نزلت في أبي طالب (١) قال الاصم عند موته يقول لا إله إلا الله لكيما تحل له بها الشفاعة فأبى عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر لما حضر أبا طالب الموت قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال له يا ابن أخي انه لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل فقال له ذلك مرارا فلما مات اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ما تنفع قرابة أبي طالب منك فقال بلى والذي نفسي بيده انه الساعة لفي ضحضاح من النار عليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه وما من أهل النار من انسان هو أهون عذابا منه وهو الذي أنزل الله فيه انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقوله وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم بمن قضى له الهدى كالذي حدثني محمد بن عمرو

(١) الذي في الدر عن قتادة قال التمس منه عند موته أن يقول الخ فتنبه كتبه مصححه

وزينتها كالثياب الفاخرة والمراكب الرائعة والدور المشيدة وأما في الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ما هو مطلوب بهم في تلك الحالة من النجاة والأمن في الحياة فلم يحتج إلى ذكر الزينة ثم زاد البيان المذكور تأكيدا بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه) لأن وعد الله بترتب عليه الإنجاز البتة وصاحبه يلقى الموعود (٦٠) لا محالة وتقدير الكلام أبعد التفاوت المذكور بين ما عند الله وبين متاع الحياة الدنيا يسوى بين أهل الجنة وبين أبناء الدنيا ومعنى ثم في قوله (ثم هو يوم القيامة) تراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا تراخي وقته عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن قال الله تعالى لكنت من المحضرين فإنهم لمحضرون ويمكن أن يقال ان في اللفظ اشعارا به لأن الاحضار مشعر بالتكليف والالزام وذلك لا يليق بمجالس اللذة والانس وانما يليق بمواضع الاكراه والوحشة قيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ثم ذكر من وصف القيامة قائلا (ويوم يناديهم) أي فاذكر ذلك اليوم ومعنى الاستفهام في (أين) التوبيخ والتهكم ومفعولا (تزعمون) محذوفان تقديره تزعمونهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب وثبت وهو مفهوم لأملأن جهنم وهم الشياطين ورؤساء الكفر و(هؤلاء) مبتدأ و(الذين أغوينا) صفته والعائد إلى الموصول محذوف والخبر أغويناهم والتقدير هؤلاء الذين أغويناهم أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا قال أهل السنة أرادوا كما أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر والجاء فنحن أيضا أغويناهم بالوسوسة والتسويل وبكل ما أمكن حتى غووا وقالت المعتزلة يعنون أنا ما غوينا إلا باختيارنا فكذلك هم ما غووا إلا باختيارهم وإن اغواءنا ما ألجأهم إلى الغواية بل كانوا مختارين في الاقدام على تلك العقائد والاعمال فيكون كما حكى عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ثم قالوا (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم (ما كانوا إيانا يعبدون) إنما كانوا يعبدون هؤلاء أهواءهم الفاسدة واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهو أعلم بالمهتدين قال بمن قدر له الهدى والضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وقالت كفار قريش ان نتبع الحق الذي جئتنا به معك ونتبرأ من الانداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا باجماع جميعهم على خلافنا وحربنا يقول الله لنبيه فقل أولم نمكن لهم حرما يقول أولم نوطئهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس أن الحرث بن نوفل الذي قال ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا وزعموا أنهم قالوا قد علمنا أنك رسول الله ولكنا نخاف أن نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال هم أناس من قريش قالوا لمحمد ان نتبعك يتخطفنا الناس فقال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويتخطف الناس من حولهم قال كان يغير بعضهم على بعض وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول أولم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة أولم نمكن لهم حرما آمنا قال كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاؤا وإذا خرج أحدهم فقال اني من أهل الحرم لم يتعرض له وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال آمنا كم به قال هي مكة وهم قريش وقوله يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول يجمع اليه وهو من قولهم جبيت الماء في الحوض إذا جمعته فيه وانما أريد بذلك يحمل اليه ثمرات كل بلد كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن مجاهد عن ابن عباس في يجبى اليه ثمرات كل شئ قال ثمرات الارض وقوله رزقا من لدنا يقول ورزقا رزقناهم من لدنا يعني من عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا ورزقناهم فيه وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبى اليهم فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها

لمعنى الجملة الأولى وحين حكى التوبيخ المذكور ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم وهو قوله (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) زعم جم غفير من المفسرين أن جواب لو محذوف فقال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا (٦١) يهتدون في الدنيا ما أبصروه في الآخرة ولعلموا أن العذاب حق أو لو كانوا يهتدون بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل أراد ورأوا العذاب لو كانوا يبصرون شيأ ولكنهم صاروا مبهوتين بحيث لا يبصرون شيأ فلا جرم ما رأوه وقيل الضمير للاصنام أي لو كانوا أحياء مهتدين لشاهدوا العذاب وقيل لو للتمني أي تمنوا لو كانوا مهتدين ثم بكتهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ومعنى (عميت عليهم الانباء) أن أخبار المرسلين والمرسل اليهم صارت كالعمى عليهم جميعا لا يهتدون اليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضا في المشكلات لانهم متساوية الاقدام في العجز عن الجواب واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتلعثمون في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فما ظنك بضلال أممهم قال القاضي الآية تدل على بطلان قول مجبرة لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى وجب وقوعه بالقدرة والارادة ولما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك وكذا القول فيما تقدم لان الشيطان كان له أن يقول انما أغويت لخلقك في الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك لتكون الحجة لهم على الله قوية والعذر ظاهرا وعارضته الاشاعرة بالعلم والداعي والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا المشكل المعضل في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه يمكن وخطأ قول من يقول انه لا يمكن فالواجب السكوت وزيفه الاشعري بأن الكافر لو أورد هذا السؤال على ربه لم كان لربه عنه جواب الا السكوت فتكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا ولقائل أن يقول السكوت عن جواب الكافر جواب كما قيل جواب الأحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ

معيشتها فبطرت وأشرت وطغت فكفرت ربها وقيل بطرت معيشتها فجعل الفعل للقرية وهو في الاصل للمعيشة كما يقال أسفهك رأيك فسفهته وأبطرك مالك فبطرته والمعيشة منصوبة على التفسير وقد بينا نظائر ذلك في غير موضع من كتابنا هذا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال البطر أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله وقال ذلك البطر في النعمة فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول فتلك دور القوم الذين أهلكناهم بكفرهم بربهم ومنازلهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول خربت من بعدهم فلم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب ولفظ الكلام وان كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا فان معناه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا منها كما يقال قضيت حقك الا قليلا منه وقوله وكنا نحن الوارثين يقول ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها لا مالك لها الا الله الذي له ميراث السموات والارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) يقول تعالى ذكره وما كان ربك يا محمد مهلك القرى التي حوالي مكة في زمانك وعصرك حتى يبعث في أمها رسولا يقول حتى يبعث في مكة رسولا وهي أم القرى يتلو عليهم آيات كتابنا والرسول محمد صلى الله عليه وسلم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى يبعث في أمها رسولا وأم القرى مكة وبعث الله اليهم رسولا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون يقول ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة انما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله وانما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون قال الله لم يهلك قرية بايمان ولكنه يهلك القرى بظلم اذا ظلم أهلها ولو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ولكنهم كذبوا وظلموا فبذلك أهلكوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس من شيء من الاموال والاولاد فانما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا وهو من زينتها التي يتزين به فيها لا يغني عنكم عند الله شيأ ولا ينفعكم شيء منه في معادكم وما عند الله لاهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى يقول وأبقى لاهله لانه دائم لا نفاد له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله وما عند الله خير وأبقى قال خير ثوابا وأبقى عندنا أفلا تعقلون يقول تعالى ذكره أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما وتؤثرون الدائم الذي لا نفاد له من النعيم على الفاني الذي لا بقاء له ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن

الكفار وتهديدهم أتبعه ذكر التائبين وأنهم من المفلحين وعسى من الكريم تحقيق أو الترجي عائد الى التائب ثم ان القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى وهي قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأجاب الله تعالى عنها بقوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار) لانه المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله أن يخص من شاء بما شاء وعلى مذهب المعتزلة هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخير وقوله (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير في أنه اسم مستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وهو بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه وقدمر في الوقف أن بعضهم يقف على ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة قال أبو القاسم الانصاري يعلم من هذا متعلق المعتزلة في ايجاب الصلاح والاصلح عليه وأي صلاح في تكليف من علم أنه لا يؤمن بالله ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل انما كلفه ليستوجب على الله ما هو الافضل لان المستحق أفضل من المتفضل به قلنا اذا علم أن ذلك الافضل لا يحصل فتوريطه للعقاب الابدى لا يكون رعاية للصلحة ثم قولهم المستحق خير من المتفضل به ممنوع لان ذلك التفاوت انما يحصل في حق من يستنكف من تفضله أما الذي حصل ذاته وصفاته باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت لقائل أن يقول مجرد الاستبعاد لا يصلح للمنع على أن لذة الاجر يستحيل أن تحصل بدون الاجر ثم نزه نفسه بقوله (سبحان الله وتعالى عما يشركون) والغرض أن الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال والاهانة والاجلال كلها مفوض وجوبها اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم أكد ذلك بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة نبيه (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه ويحتمل أن يكون عاما يشمل السرائر والظواهر كلها وهو المستأثر بالالهية و(لا اله الاهو) تقرير لما قبله (له الحمد في) الدار (الاولى) على نعمه الفائضة على البر والفاجر (و) في الدار (الآخرة) كقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا التكليف قال اهل السنة الثواب يستحق عند المعتزلة

متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ يقول تعالى ذكره أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته ايانا الجنة فآمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا فاستحق بطاعته ايانا أن ننجزله ما وعدناه فهو لاق ما وعد وصائر اليه كمن متعناه في الحياة الدنيا متاعها فتمتع به ونسي العمل بما وعدنا أهل الطاعة وترك طلبه وآثر لذة عاجلة على آجلة ثم هو يوم القيامة اذا ورد على الله من المحضرين يعني من المشهدين عذاب الله وأليم عقابه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا وهو هذا الكافر ليس والله كالمؤمن ثم هو يوم القيامة من المحضرين أي في عذاب الله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عمرو في حديثه قوله من المحضرين قال احضروها وقال الحرث في حديثه ثم هو يوم القيامة من المحضرين أهل النار أحضروها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال أهل النار أحضروها واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي قال ثنا شعبة عن أبان ابن تغلب عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل بن هشام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال النبي صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون نزلت في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي جهل لعنه الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر التغلبي قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت في حمزة وعلي بن أبي طالب وأبي جهل * قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد قال نزلت في حمزة وأبي جهل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم ينادي رب العزة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان في الدنيا فيقول لهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم لي في الدنيا شركاء قال الذين حق عليهم القول يقول قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بني آدم ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا قال هم الشياطين وقوله تبرأنا اليك يقول تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم اليك ما كانوا ايانا يعبدون يقول لم يكونوا يعبدوننا

فلا يستحق الحمد بفعله من أهل الجنة ولما أهل النار فلم ينعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم والجواب ماذكره أن تحميدهم يجري مجرى
التنفس قال القاضي انه يستحق الحمد من أهل النار أيضا بما فعل بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وسائر النعم وأنهم باساءتهم
لا يخرج ما أنعم الله به عليهم من أن يوجب الشكر وقال في التفسير الكبير فيه نظر (٦٣) لان أهل الآخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا
علموا أن التوبة واجبة القبول وأن
الشكر مما يوجب الثواب فلا بد لهم أن
يتوبوا ويشتغلوا بالشكر ليستحقوا
الثواب ويتخلصوا من العقاب
ولقائل أن يقول لا يلزم من وجوب
قبول التوبة واستحقاق الجزاء على
العمل في دار التكاليف أن يكون
الأمر كذلك في غير دار التكاليف ثم
بين بقوله (وله الحكم) أن القضاء بين
العباد مختص به فلولا حكمه لما نفذ
على العبد حكم سيده ولا على الزوجة
حكم زوجها ولا على الابن حكم أبيه
ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على
الأمة حكم رسولهم والى محل حكمه
وقضائه يرجع كل عبيده وامائه ۞
التأويل ولقد آتينا موسى القلب
مقام القرب والوحي والمكالمة
وكشف العلوم بعد هلاك فرعون
النفس وصفاتها لعلهم يتذكرون
اذ كانوا في عالم الارواح مستمعين
خطاب ألست بربكم وما كنت في
غرب العدم بل كنت في شرق
الوجود في عالم الارواح اذ قضينا
الى موسى أمر اتخاذ العهد منه
أن يؤمن بك كقوله واذ أخذ الله
ميثاق النبيين وما كنت في عالم
الشهادة ولكنا أنشأنا قرونا في عالم
الشهادة فتطاول عليهم العمر
فاحتجوا بالنفس وصفاتها ونسوا
تلك العهود والمواثيق وما كنت
مقيما في أهل مدين كشعيب
وموسى اذ أخذت منهما الميثاق
أن يؤمنا بك ولكنا كنا مرسلين
للرسل الذين أخذنا الميثاق منهم ولولا أن تصيبهم التقدير ولولا أن مقتضى العناية الأزلية في حق هذه الأمة ودفع حجتهم علينا فانا ناديناهم
وهم في العدم فأسمعناهم نداءنا ولم نوفقهم للاجابة فلما جاءهم الحق يعني محمدا وفيه أن له رتبة أن يقول أنا الحق لفنائه عن نفسه بالكلية وبقائه
بربه وكل من سواه فليس له أن يقول ذلك قالوا بطريق المتابعة لولا أوتي مثل ما أوتي لو لم يكونوا محتجبين بكفرهم عن رؤية كماله لقالوا لولا أوتي

يعبدوننا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) يقول تعالى ذكره وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا ادعوا شركاءكم الذين كنتم تدعون من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يقول فلم يجيبوهم ورأوا العذاب يقول وعاينوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون يقول فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون) يقول تعالى ذكره ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين فيقول لهم ماذا أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به اليكم من دعائكم الى توحيدنا والبراءة من الأوثان والأصنام فعميت عليهم الأنباء يومئذ يقول فخفيت عليهم الأخبار من قولهم قد عمي عني خبر القوم اذا خفي وانما عني بذلك أنهم عميت عليهم الحجة فلم يدروا ما يحتجون لأن الله تعالى قد كان أبلغ اليهم في المعذرة وتابع عليهم الحجة فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ولا خبر يخبرون به مما تكون لهم به نجاة ومخلص وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فعميت عليهم الأنباء قال الحجج يعني الحجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فعميت عليهم الأنباء قال الحجج * قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين قال بلا اله الا الله التوحيد وقوله فهم لا يتساءلون بالأنساب والقرابة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال لا يتساءلون بالأنساب ولا يتماتون بالقرابات انهم كانوا في الدنيا اذا التقوا تساءلوا وتماتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال بالأنساب وقيل معنى ذلك فعميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) يقول تعالى ذكره فأما من تاب من المشركين فأناب وراجع الحق وأخلص لله الألوهة وأفرد له العبادة فلم يشرك في عبادته شيأ وآمن يقول وصدق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فعسى أن يكون من المفلحين يقول فهو من المنجحين المدركين طلبتهم عند الله الخالدين في جنانه وعسى من الله واجب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار للولاية الخيرة من خلقه ومن سبقت له منه السعادة وانما قال جل ثناؤه ويختار ما كان لهم الخيرة والمعنى ما وصفت لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم فيجعلونها

مثل ما أوتى محمد من مقام المحبة ومقام لى مع الله وقت بكتاب من عند الله هو أهدى منهما يعنى الكتاب المشتمل على العلم اللدنى فانه أهدى الى الحضرة من الكتب الموقوفة على السماع والمطالعة ومن لم تكن له هذه الرتبة فانه محجوب عن الحضرة بهوى نفسه كما قال فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الذين آتيناهم (٦٤) حقيقة الكتاب فى عالم الارواح من قبل نزوله فى عالم الاشباح هم به يؤمنون فى عالم الصورة واذا قالوا أنا كنا من قبله مسلمين ولذلك قال يؤتون أجرهم مرتين أى فى العالمين بما صبروا على مخالفات الهوى وموافقات الشرع ويدرؤن بالاعمال الصالحات ظلمة المعاصى أو بحسنة الذكر صدأ حب الدنيا عن مرآة القلوب أو بحسنة نفى ما سوى الله شرك الوجود المجازى ومما رزقناهم من الوجود المجازى ينفقون فى طلب الوجود الحقيقى واذا سمعوا اللغو وهو طلب ما سوى الله أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا فى طلب الوجود الحقيقى ولكم أعمالكم فى طلب الفانى انك لاتهدى من أحببت وذلك أن للقلب بابين أحدهما الى النفس والجسد وهو مفتوح أبدا والآخر الى الروح والحضرة وهو مغلوق لا يفتحه الا الفتاح الذى بيده كل مفتاح كما قال أم على قلوب أقفالها وقال انا فتحنا لك فتحا مبينا وهو أعلم بالمهتدين الذين أصابهم رشاش النور وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف بجذبات الالوهية من أرض الانانية أولم نمكن لهم حرما آمنا فى مقام الهوية يجبى اليه ثمرات حقائق كل شئ رزقا من العلوم اللدنية ولكن أكثرهم لا يعلمون ذوق العلم اللدنى لم تسكن من بعدهم الا قليلا أى لم تسكن فى قرى القلوب الفاسد استعدادها الا قليلا من نور الاسلام بعبور الخواطر الروحانية فى الاحايين وكنا نحن الوارثين بأن رجع نور الاسلام الى الحضرة بعد فساد الاستعداد حتى يبعث فى أمها أى روحها لأن القلب من متولدات الروح رسولا من وارد نفحات الحق الوعد الحسن للعوام الجنة وللخواص الرؤية وللاخص الوصول والوصال كما أوحى الى عيسى تجوع ترنى تجرد تصل الى أغوينا هم كما غوينا راعوا طريقة الأدب ولم يقولوا كما لم غويتنا بمثل ما قال ابليس فبما أغويتنى أى

لآلهتهم فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه و يختار للهداية والايمان والعمل الصالح من خلقه ما هو فى سابق علمه أنه خيرتهم نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيار أموالهم فكذلك اختيارى لنفسى واجتبائى لولايتى واصطفائى لخدمتى وطاعتى خيار مملكتى وخلقى و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة قال كانوا يجعلون خير أموالهم لآلهتهم فى الجاهلية فاذا كان معنى ذلك كذلك فلا شك أن ما من قوله و يختار ما كان لهم الخيرة فى موضع نصب بوقوع يختار عليها وأنها بمعنى الذى فان قال قائل فان كان الامر كما وصفت من أن ما اسم منصوب بوقوع قوله يختار عليها فأين خبر كان فقد علمت أن ذلك اذا كان كما قلت أن فى كان ذكرا من ما ولا بد لكان اذا كان كذلك من تمام وأين التمام قيل ان العرب تجعل لحروف الصفات اذا جاءت الاخبار بعدها أحيانا أخبارا كفعلها بالأسماء اذا جاءت بعدها أخبارها ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده قول عنترة

أمن سمية دمع العين تذريف * لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لا شك خبر لذا وذكر أن الفضل أنشده ذلك

* لو أن ذا منك قبل اليوم معروف * ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة

قلت أجيبى عاشقا * بحبكم مكلف * فيها ثلاث كالدمى * وكاعب ومسلف

فمكلف من نعت عاشق وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء فى أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد فكذلك قوله و يختار ما كان لهم الخيرة رفعت الخيرة بالصفة وهى لهم وان كانت خبرا لما لما جاءت بعد الصفة و وقعت الصفة موقع الخبر فصار كقول القائل كان عمرو أبوه قائم لا شك أن قائما لو كان مكان الاب وكان الاب هو المتأخر بعده كان منصوبا فكذلك وجه رفع الخيرة وهو خبر لما فان قال قائل فهل يجوز أن تكون ما فى هذا الموضع جحدا و يكون معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه و يختار ما يشاء أن يختاره فيكون قوله و يختار نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى لم تكن لهم الخيرة أى لم يكن للخلق الخيرة وانما الخيرة لله وحده قيل هذا قول لا يخفى فساده على ذى حجى من وجوه لو لم يكن بخلافه لاهل التأويل قول فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه فأما أحد وجوه فساده فهو أن قوله ما كان لهم الخيرة لو كان كما ظنه من ظنه من أن ما بمعنى الجحد على نحو التأويل الذى ذكرت كان انما جحد تعالى ذكره أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة لان قول القائل ما كان لك هذا لا شك انما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل وذلك من الكلام لا شك خلف لان ما لم يكن للخلق من ذلك قديما فليس ذلك لهم أبدا و بعد لو أريد ذلك المعنى لكان الكلام فليس وقيل وربك يخلق ما يشاء و يختار ليس لهم الخيرة ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد والثانى أن كتاب الله أبين البيان وأوضح الكلام ومحال أن يوجد فيه شئ غير مفهوم المعنى وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء ما كان لفلان الخيرة ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك فكذلك

اغوينا هم بتقديرك كما غوينا بقضائك وهذا من خصوصية تكريم بني آدم بحفظ البعداء طريقة الادب كما يحفظها أهل القرب على بساط
الكرامة ورأوا العذاب يعني لو كانوا يهتدون لرأوا عذاب الفطام عن المألوفات والشهوات والله أعلم بالخفيات (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل (٦٥) الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله

فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد أنه ادعى أنه كان له الخيرة فيقال له ما كان لك الخيرة وانما جرى قبله الخبر عما هو صائر اليه أمر من تاب من شركه وآمن وعمل صالحا وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب ايمان من آمن وعمل صالحا منهم وأن ذلك انما هو لاختياره اياه للايمان وللسابق من علمه فيه اهتدى ويزيد ما قلنا من ذلك ابانة قوله وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ويصطفي لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة والعلانية الرضية والثالث أن معنى الخيرة في هذا الموضع انما هو الخيرة وهو الشئ الذي يختار من البهائم والانعام والرجال والنساء يقال منه أعطى الخيرة والخيرة مثل الطيرة والطيرة وليس بالاختيار واذا كانت الخيرة ما وصفنا فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام أو خير رجل أو امرأة فان قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر قيل لا وذلك أنها اذا كانت مصدرا كان معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم واذا كان ذلك معناه وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والانعام واذا لم يكن لهم شرار ذلك وجب أن لا يكون لها مالك وذلك ما لا يخفى خطؤه لان لخيارها ولشرارها أربابا يملكونها بتمليك الله اياهم ذلك وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك الى معنى المصدر وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له وعلوا عما أضاف اليه المشركون من الشرك وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه وتأويل الكلام سبحان الله وتعالى عن شركهم وقد كان بعض أهل العربية يوجهه الى أنه بمعنى وتعالى عن الذي يشركون به * القول في تأويل قوله تعالى (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله إلا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه وهو من أكننت الشئ في صدري اذا أضمرته فيه وكننت الشئ اذا صنته وما يعلنون يقول وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم وانما يعني بذلك أن اختياره من يختار منهم للايمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها وأنه يختار للخير أهله فيوفقهم له ويولي الشر أهله ويخليهم واياه وقوله وهو الله لا اله الا هو يقول تعالى ذكره وربك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا معبود تجوز عبادته غيره له الحمد في الاولى يعني في الدنيا والآخرة وله الحكم يقول وله القضاء بين خلقه واليه ترجعون يقول واليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالحق * القول في تأويل قوله تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله أيها القوم أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار الى يوم القيامة يعقبه والعرب تقول لكل ما كان متصلا لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سرمدا دائما لا ينقطع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني

غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن لرادك
الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا

للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾ ۞ القرا آت عندى أولم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن فليح وأبو عمرو وخزاعى عن أصحابه وابن
مجاهد وأبو عون والسرندى عن قنبل الباقون (٦٦) بالاسكان ويكأن ويكأنه الوقف على الياء أبو عمرو ويعقوب ويك الوقف

على الكاف وويكأنه موصولة روى السوسى عن السرندى وهو مذهب حمزة الباقون كلاهما موصولان لخسف على البناء للفاعل سهل ويعقوب وحفص ربى أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ۞ الوقوف بضياء ط تسمعون ٥ فيه ط تبصرون ٥ تشكرون ٥ تزعمون ٥ يفترون ٥ عليهم ص لان الواو للحال أى وقد آتيناه مع طول الكلام القوة ط بناء على أن التقدير واذكر اذ قال وقال فى الكشاف انه متعلق بتنوء فلا وقف الفرحين ٥ فى الارض ط المفسدين ٥ عندى ط جمعا ط المجرمون ٥ فى زينته ط لعدم العاطف واختلاف القائل قارون لا لأن ما بعده تعليل التمنى ولو ابتدأنا لحكمنا بأنه ذو حظ عظيم ٥ صالحا ج لأن ما بعده احتمل أن يكون ابتداء اخبار من الله واحتمل أن يكون من قول أهل العلم الصابرون ٥ من دون الله ق قد قيل لتفصيل الاعتبار المنتصرين ٥ ويقدر ج للابتداء بلولا مع اتحاد المقول لخسف بنا ط الكافرون ٥ ولا فسادا ط للتقين ٥ منها ج لعطف جملة الشرط يعملون ٥ معاد ط مبين ٥ للكافرين ٥ ز للآية مع العطف المشركين ٥ للآية وخلو المعطوف عن نون التأكيد التى دخلت المعطوف عليه مع

معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان جعل الله عليكم الليل سرمدا يقول دائما وقوله من اله غير الله يأتيكم بضياء يقول من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شئ يأتيكم بضياء النهار فتستضيؤن به أفلا تسمعون يقول أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتتعظون وتعلمون أن ربكم هو الذى يأتى بالليل ويذهب بالنهار اذا شاء واذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل فينعم باختلافهما كذلك عليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك أرأيتم أيها القوم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا دائما لا ليل معه أبدا الى يوم القيامة من اله غير الله من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شئ يأتيكم بليل تسكنون فيه فتستقرون وتهدؤن فيه أفلا تبصرون يقول أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم رحمة من الله لكم وحجة منه عليكم فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح الا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ولمن له القدرة التى خالف بها بين ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن رحمته بكم أيها الناس جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما فجعل هذا الليل ظلاما لتسكنوا فيه وتهدؤا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذى تتصرفون نهارا لمعايشكم وفى الهاء التى فى قوله لتسكنوا فيه وجهان أحدهما أن تكون من ذكر الليل خاصة ويضمر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى والثانى أن تكون من ذكر الليل والنهار فيكون وجه توحيدها وهى لهما وجه توحيد العرب فى قولهم اقبالك وادبارك يؤذينى لان الاقبال والادبار فعل والفعل يوحد كثيره وقليله وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه فتتصرفون بأبصاركم فيه لمعايشكم وابتغاء رزقه الذى قسمه بينكم بفضله الذى تفضل عليكم وقوله ولعلكم تشكرون يقول تعالى ذكره ولتشكروه على انعامه عليكم بذلك فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر وتخلصوا له الحمد لانه لم يشركه فى انعامه عليكم بذلك شريك فلذلك ينبغى أن لا يكون له شريك فى الحمد عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى تعالى ذكره ويوم ينادى ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم أين شركائى الذين كنتم تزعمون أيها القوم فى الدنيا أنهم شركائى وقوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وأحضرنا من كل جماعة شهيدها وهو نبيها الذى يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة وقيل ونزعنا من قوله نزع فلان بحجة كذا بمعنى أحضرها وأخرجها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وشهيدها نبيها يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا قال رسولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله فقلنا هاتوا برهانكم يقول فقلنا لأمة كل نبى منهم التى ردت

اتفاق الجملتين آخرا احترازا من ايهام كون ما بعده صفة آخر ٥ لا اله الا هو ط وجهه ط ترجعون ٥ نصيحته
۞ التفسير لما بين سبحانه حقيقة الهيته واستحقاقه للحمد المطلق وأن مرجع الكل الى حكمته وقضائه أتبعه بعض ما يجب أن يحمد عليه
مما لا يقدر عليه أحد سواه وهو تبديل ظلام الليل بضياء النهار وبالعكس والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل

نصيحته وكذبت بما جاءها به من عند ربهم اذا شهد نبيها عليها بابلاغه اياها رسالة الله هاتوا برهانكم
يقول فقال لهم هاتوا حجتكم على اشراككم بالله ما كنتم تشركون مع اعذار الله اليكم بالرسل واقامته
عليكم الحجج وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة فقلنا هاتوا برهانكم أى بينتكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قوله فقلنا هاتوا برهانكم قال حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقلنا هاتوا برهانكم قال حجتكم بما كنتم تعبدون
وقوله فعلموا أن الحق لله يقول فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم وأن الحق لله والصدق خبره
فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول واضمحل فذهب الذى كانوا
يشركون بالله فى الدنيا وما كانوا يتخرصون ويكذبون على ربهم فلم ينفعهم هنالك بل ضرهم
وأصلاهم نار جهنم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم
وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين﴾ يقول تعالى ذكره ان قارون وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب كان من
قوم موسى يقول كان من عشيرة موسى بن عمران النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمه لأبيه وأمه
وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى هو موسى بن عمران بن قاهث كذا نسبه
ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان قارون
كان من قوم موسى قال ابن عمه ابن أخى أبيه فان قارون بن يصفر هكذا قال القاسم وانما هو يصهر
ابن قاهث وموسى بن عمرم بن قاهث وعمرم بالعربية عمران وأما ابن اسحق فان ابن حميد حدثنا
قال ثنا سلمة عنه أن يصهر بن قاهث تزوج سميت بنت بتاويت بن بركابن بقشان بن ابراهيم
فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران بحنت بنت شمويل بن بركابن بقشان
ابن بركا فولدت له هرون بن عمران وموسى بن عمران صفى الله ونبيه فموسى على ما ذكر ابن اسحق
ابن أخى قارون وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه وأمه وأكثر أهل العلم فى ذلك على ما قاله ابن جريج
ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد
عن ابراهيم فى قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عم موسى حدثنا ابن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب قال ثنا سعيد عن قتادة ان قارون كان من قوم
موسى كنا نحدث أنه كان ابن عمه اخى أبيه وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو
الله نافق كما نافق السامرى فأهلكه البغى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن سماك عن
ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه فبغى عليه * قال ثنا يحيى القطان عن سفيان
عن سماك عن ابراهيم قال كان قارون ابن عم موسى * قال ثنا أبو معاوية عن ابن أبى خالد
عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه حدثنى بشر بن هلال الصواف قال
ثنا جعفر بن سليمن الضبعى عن مالك بن دينار قال بلغنى أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون

من السرد والميم زائدة وانتصابه على أنه مفعول ثان لجعل أو على الحال والى متعلق بجعل أو بسرمدا ومنافع الليل والنهار والاستبدال بهما
على كمال قدرة الله تعالى قد تقدمت مرارا قال جار الله وانما لم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه لان الضياء وهو ضوء الشمس
تتعلق به المنافع المتكاثرة وليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس (٦٧) بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون
لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه قال الكلبى أفلا تسمعون معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله أفلا تبصرون معناه أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطا والضلال وقال أهل البرهان قدم الليل على النهار لان ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل وانما ختم الآية الاولى بقوله أفلا تسمعون بناء على الليل وختم الاخرى بقوله أفلا تبصرون بناء على النهار والنهار مبصر وآية النهار مبصرة ثم بين أن من رحمته زواجه بين الليل والنهار لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار ولارادة الشكر على النعمتين جميعا وفى الآية طريقة اللف ثقة بفهم السامع وذلك لان السكون بالنهار وان كان ممكنا وكذا الابتغاء من فضل الله بالليل الا أن الأليق بكل واحد منهما ما ذكره فلهذا خصه به وفى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء دليل على أنه لا شئ أسخط عند الله من الاشراك به ويعلم منه أنه لا شئ أجلب لرضاه من الشهادة بوحدانيته وفحوى الخطاب أين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم أو أين الذين قلتم انها تقربكم الى الله زلفى وقد علموا أن لا اله الا الله فيكون ذلك زيادة
فى غمهم ومعنى (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) قال بعضهم هو نبيهم لان الانبياء يشهدون أنهم بلغوا أممهم الدلائل وبلغوا فى ايضاحها
كل غاية ليعلم أن التقصير منهم فيكون ذلك زيادة فى غمهم أيضا وقال آخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس فى كل زمان ويدخل
فى جملتهم الانبياء وهذا أقرب لانه تعالى عم كل جماعة بأن ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه أزمنة الفترات والازمنة التى بعده صلى الله عليه

وسلم (فقلنا) للامة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك وخلاف الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) ورسوله وغاب (عنهم ما كانوا يفترون) من الباطل والزور ثم عقب حديث أهل الضلال بقصة قارون وهو اسم أعجمي ولهذا لم ينصرف بعد العلمية ولو كان فاعولا من قرن لانصرف والظاهر أنه كان ممن آمن بموسى (٦٨) هذا ظاهر نص القرآن ولا يبعد أيضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى

وقوله فبغى عليهم يقول فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم وكان بعضهم يقول كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا حفص بن غياث عن ليث عن شهر بن حوشب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال زاد عليهم في الثياب شبرا * وقال آخرون كان بغيه عليهم بكثرة ماله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما بغى عليهم بكثرة ماله وقوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة يقول تعالى ذكره وآتينا قارون من كنوز الأموال ما ان مفاتحه وهي جمع مفتح وهو الذي يفتح به الأبواب وقال بعضهم عني بالمفاتح في هذا الموضع الخزائن لتثقل العصبة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتح حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الاصبع من جلود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن خيثمة في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال نجد مكتوبا في الانجيل مفاتح قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع لكل مفتاح منها كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد قال كانت المفاتح من جلود الابل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال مفاتح من جلود كمفاتح العيدان وقال قوم عني بالمفاتح في هذا الموضع خزائنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن أبي صالح في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جحير عن الضحاك ما ان مفاتحه قال أوعيته وبنحو الذي قلنا في معنى قوله لتنوء بالعصبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله لتنوء بالعصبة قال لتثقل بالعصبة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لتنوء بالعصبة يقول تثقل وأما العصبة فانها الجماعة واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع فأما مبلغ عدد العصبة في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه والرواية في ذلك والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فقال بعضهم كانت مفاتحه تنوء بعصبة مبلغ عددها أربعون رجلا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن اسماعيل بن سالم عن أبي صالح قوله لتنوء بالعصبة قال أربعون رجلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنوء بالعصبة قال ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة الى الأربعين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لتنوء بالعصبة أولي القوة يزعمون أن العصبة أربعون رجلا ينقلون مفاتحه من كثرة عددها

حدثني

وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة الا أنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والذبح والقربان الى هرون فمالي وفي قوله (فبغى عليهم) وجوه أحدها أن بغيه استخفافه بالفقراء وثانيها أنه ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقال القفال معناه طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده وقال الضحاك طغى عليهم واستطال فلم يوافقهم في أمر ابن عباس تجبر وتكبر عليهم ومثله عن شهر بن حوشب قال بغيه أنه زاد عليهم في الثياب شبرا فهذا يعود الى التكبر الكلبي بغيه حسده وذلك أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة له والوزارة لهرون وكان القربان الى موسى فجعله الى هرون فوجد قارون في نفسه حسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى هكذا حكم الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني اسرائيل أن يأتي كل واحد بعصا فألقى مجموع العصي في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها فأصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ماهو بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وآتيناه من الكنوز سئل الكلبي ألستم تقولون ان الله لا يعطي الحرام فكيف أضاف ايتاء مال قارون الى نفسه فأجاب بأنه لا حجة في أن ماله حرام لجواز أنه ظفر بكنز لبعض الملوك الخالية وكان الظفر عندهم طريق التملك أو لعله وصل اليه بالارث من جهات أو بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب أو جمع مفتح بالفتح وهو الخزانة فمن الناس من طعن في القول الاول لان مال الرجل

الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوأة من الذهب لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح ولهذا قال أبو زين يكفى للكوفة مفتاح واحد وأيضا الكنوز هي الأموال المدفونة فى الارض ولا يتصور لها مفتاح أجاب الناصرون للقول الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن أن المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقود جاز أن يبلغ فى الكثرة (٦٩) الى هذا الحد وأيضا ماروى أن مفاتيحه كانت من جلود الابل وكل مفتاح اصبع ولكل خزانة مفتاح وكان اذا ركب حملت المفاتيح ستون بغلا غير مذكور فى القرآن فالصواب أن يفسر قوله لتنوء اى تنهض مثقلا بأن تلك الخزائن يعسر ضبطها ومعرفتها على أهل القوة فى الحساب وقريب منه قول أبى مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد أن حفظها والاطلاع عليها يثقل على العصبة أولى القوة والمتانة فى الرأى وظاهر الكنوز وان كان من جهة العرف هو المال المدفون الا أنه قد يقع على المال المجموع فى المواضع التى عليها أغلاق وأيضا لا استبعاد فى أن يكون موضع المال المدفون بيتا تحت الارض له غلق ومفتاح معه و (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من اطمأن ورضى بها قال ابن عباس كان حبه ذلك شركا لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله) من المال والثروة (الدار الآخرة) يعنى أسباب حصول سعاداتها من أصناف الخيرات والمبرات الواجبة والمندوبة فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا دون الذى يأكل ويشرب والى هذا أشار بقوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) ويحتمل أن يراد به اللذات المباحة وحين أمروه بالاحسان المالى أمروه بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاحسان بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن الغيبة والحضور وفى قوله (كما أحسن الله اليك) اشارة الى قوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والى ما قال الحكماء المكافأة فى الطبيعة واجبة و (الفساد فى الارض) المنهى عنه هو ما كان عليه من الظلم والبغى وهذا القائل موسى عليه السلام أو مؤمنو قومه وهو ظاهر اللفظ وكيف كان فقد جمع فى هذه الالفاظ من الوعظ ما لو قبل لم يكن

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال أربعون رجلا * وقال آخرون ستون وقال كانت مفاتحه تحمل على ستين بغلا حدثنا كذلك ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن خيثمة * وقال آخرون كانت تحمل على ما بين ثلاثة الى عشرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ثلاثة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين الثلاثة الى العشرة * وقال آخرون كانت تحمل ما بين عشرة الى خمسة عشر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لتنوء بالعصبة قال العصبة خمسة عشر رجلا وقوله أولى القوة يعنى أولى الشدة وقال مجاهد فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولى القوة قال خمسة عشر فان قال قائل وكيف قيل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكيف تنوء المفاتح بالعصبة وانما العصبة هى التى تنوء بها قيل اختلف فى ذلك أهل العلم بكلام العرب فقال بعض أهل البصرة مجاز ذلك ما ان العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه قال ويقال فى الكلام انها لتنوء بها عجيزتها وانما هو تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله قال والعرب قد تفعل مثل هذا قال الشاعر

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما أطيق

والمعنى فديت بنفسى وبمالى نفسه وقال آخر

وتركب خيلا لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما تشقى الضياطرة بالرماح قال والخيل ههنا الرجال * وقال آخر منهم ما ان مفاتحه قال وهذا موضع لا يكاد يبتدأ فيه ان وقد قال ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله لتنوء بالعصبة انما العصبة تنوء بها وفى الشعر * تنوء بها فتثقلها عجيزتها * وليست العجيزة تنوء بها ولكنها هى تنوء بالعجيزة وقال الأعشى

ما كنت فى الحرب العوان معمرا * اذ شب حر وقودها أجذالها

وكان بعض اهل العربية من الكوفيين ينكر هذا الذى قاله هذا القائل وابتداء ان بعد ما ويقول ذلك جائز مع ما ومن وهو مع ما ومن أجود منه مع الذى لان الذى لا يعمل فى صلته ولا تعمل صلته فيه فلذلك جاز وصارت الجملة عائد ما اذ كانت لا تعمل فى ما ولا تعمل ما فيها قال وحسن مع ما ومن لانهما يكونان بتأويل النكرة ان شئت والمعرفة ان شئت فتقول ضربت رجلا ليقومن وضربت رجلا انه لمحسن فتكون من وما تأويل هذا ومع الذى أقبح لانه لا يكون بتأويل النكرة

عليه مزيد لكنه أبى أن يقبل بل تلقى النصح بكفران النعمة قائلا (انما أوتيته على علم عندي) قال قتادة ومقاتل والكلبي كان قارون أقرأ بني اسرائيل للتوراة فقال انما أوتيته لفضل علمي واستحقاقي لذلك وقال سعيد بن المسيب والضحاك ان موسى أنزل عليه الكيميا من السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وطالوت ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل أراد علمه بوجوه المكاسب والتجارات وقيل أراد ان الله أعطاني ذلك على علمه تعالى بحالي وباستئهالي لذلك وقوله عندي الامر كذلك أي في اعتقادي وفي ظني فأجابه الله تعالى بقوله (أولم يعلم) الآية قال علماء المعاني يجوز أن يكون المعنى بالاستفهام اثباتا لعلمه لانه قد قرأ في التوراة أخبار الامم السالفة والقرون الخالية وحفظها من موسى وغيره فكأنه قيل انه قد علم ذلك فلم اغتر بكثرة ماله وأعوانه ويجوز أن يراد به نفي العلم لانه لما تحدى بكونه من أهل العلم حيث قال على علم عندي وبخه الله تعالى أنه لم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهلكى ووجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله أنه تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة الى أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه عالم بكل المعلومات وقال أبو مسلم أراد أنهم لا يسئلون سؤال استيقاف وانما يسئلون سؤال تقريع ومحاسبة (فخرج على قومه في زينته) عن الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه ثوب أحمر أرجواني وعلى البغلة سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الفاخرة وقيل في تسعين ألفا عليهم الثياب الصفر قال الراغبون في الحياة العاجلة (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) والحظ الجد والبخت عن قتادة كانوا مسلمين تمنوا ذلك رغبة في الانفاق في سبيل الخير وقال آخرون كانوا كفارا وقد مر في سورة النساء تحقيق الغبطة والحسد في قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض (وقال الذين أوتوا العلم) بأحوال

وقال آخرون منهم في قوله لتنوء بالعصبة نوءها بالعصبة أن تثقلهم وقال المعنى ان مفاتحه لتنيء العصبة تميلهن من ثقلها فاذا أدخلت الباء قلت تنوء بهم كما قال آتوني أفرغ عليه قطرا قال والمعنى أتوني بقطر أفرغ عليه فاذا حذفت الباء زدت على الفعل ألفا في أوله ومثله فأجاءها المخاض معناه فجاء بها المخاض وقال قد قال رجل من أهل العربية ما ان العصبة تنوء بمفاتحه فحول الفعل الى المفاتح كما قال الشاعر

ان سراجا لكريم مفخره * تحلى به العين اذا ما تجهره

وهو الذي يحلى بالعين قال فان كان سمع أثرا بهذا فهو وجه والا فان الرجل جهل المعنى قال وأنشدني بعض العرب

حتى اذا ما التأمت مفاصله * وناء عن شق الشمال كاهله

يعني الرامي لما أخذ القوس ونزع مال عليها قال ونرى أن قول العرب ما ساءك وناءك من ذلك ومعناه ما ساءك وأناءك من ذلك الا أنه ألقى الألف لانه متبع لساءك كما قالت العرب أكلت طعاما فهنأني ومرأني ومعناه اذا أفردت وأمرأني فحذفت منه الالف لما أتبع ما ليس فيه ألف وهذا القول الآخر في تأويل قوله لتنوء بالعصبة أولى بالصواب من الأقوال الأخر لمعنيين أحدهما أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل والثاني أن الآثار التي ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت وأن قول من قال معنى ذلك ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه انما هو توجيه منهم الى أن معناه ما ان العصبة لتنهض بمفاتحه واذا وجه الى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه على نحو ما فيه اذا وجه الى أن معناه ان مفاتحه تثقل العصبة وتميلها لانه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير وانما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك واذا أريد به الخبر عن كثرته كان لا شك أن الذي قاله من ذكرنا قوله من أن معناه لتنوء العصبة بمفاتحه قول لا معنى له هذا مع خلافه تأويل السلف في ذلك وقوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين يقول اذ قال قومه لا تبغ ولا تبطر فرحا ان الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله لا يحب الفرحين يقول المرحين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن جابر قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين البذخين حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد في قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال يعني به البغي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الأشرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال (٣) المتبذخين حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي قال ثني شبابة قال ثني ورقاء

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لاتفرح ان الله لايحب الفرحين قال الاشرين البطرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذقال له قومه لاتفرح أى لاتمرح ان الله لايحب الفرحين أى ان الله لايحب المرحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لاتفرح ان الله لايحب الفرحين قال الاشرين البطرين الذين لايشكرون الله فيما أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد فى قوله اذقال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين قال هو فرح البغى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له لاتبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك والتمس فيما آتاك الله من الاموال خيرات الآخرة بالعمل فيها بطاعة الله فى الدنيا وقوله ولاتنس نصيبك من الدنيا يقول ولاتترك نصيبك وحظك من الدنيا أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك يقول لاتترك أن تعمل لله فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن الأعمش عن ابن عباس ولاتنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فيها لآخرتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن عون ابن عبدالله ولاتنس نصيبك من الدنيا قال ان قوما يضعونها على غير موضعها ولاتنس نصيبك من الدنيا تعمل فيها بطاعة الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا عبدالله بن المبارك عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولاتنس نصيبك من الدنيا قال العمل بطاعته حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قال تعمل فى دنياك لآخرتك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولاتنس نصيبك من الدنيا قال العمل فيها بطاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عيسى الجرشى عن مجاهد ولاتنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فى دنياك لآخرتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن مجاهد قال العمل بطاعة الله نصيبه من الدنيا الذى يثاب عليه فى الآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولاتنس نصيبك من الدنيا قال لاتنس أن تقدم من دنياك لآخرتك فانما تجد فى آخرتك ما قدمت فى الدنيا فيما رزقك الله * وقال آخرون بل معنى ذلك لاتترك أن تطلب فيها حظك من الرزق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولاتنس نصيبك من الدنيا قال الحسن ما أحل الله لك منها فان لك فيه غنى وكفاية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن قتادة ولاتنس نصيبك من الدنيا قال طلب الحلال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن الحسن ولاتنس نصيبك من الدنيا

الدنيا وأنها عند الآخرة كلاشىء (ويلكم) وأصله الدعاء بالهلاك الا أنه قد يستعمل فى الردع والزجر بطريق النصح والاشفاق والضمير فى قوله (ولا يلقاها) عائد الى الكلمة المذكورة وهى قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أو الى الثواب بمعنى المثوبة تأويلها أو الى الجنة أو الى السيرة والطريقة أى لا يلزم هذه السيرة (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات (٧١) وعلى ما قسم الله وحكم به من الغنى وضده وظاهر حال قارون ينبئ عن أنه كان ذا أشر وبطر واستخفاف بحقوق الله واستهانة بنبيه وكتابه فلاجرم خسف الله به وبداره الارض الا أن المفسرين فصلوا فقالوا كان يؤذى نبى الله موسى وهو يداريه للقرابة التى كانت بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثر فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا فأمر بما شئت فقال ائتوا الى فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فى جمع بنى اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا مملوأ من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله قد بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا مرة واحدة لوجدونى

قال قدم الفضل وأمسك ما يبلغك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الحلال فيها وقوله وأحسن كما أحسن الله اليك يقول وأحسن فى الدنيا انفاق مالك الذى آتاكه الله فى وجوهه وسبله كما أحسن الله اليك فوسع عليك منه وبسط لك فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأحسن كما أحسن الله اليك قال أحسن فيما رزقك الله ولا تبغ الفساد فى الارض يقول ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغى على قومك ان الله لا يحب المفسدين يقول ان الله لا يحب بغاة البغى والمعاصى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره قال قارون لقومه الذين وعظوه انما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندى علمه الله منى فرضى بذلك عنى وفضلنى بهذا المال عليكم لعلمه بفضلى عليكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال انما أوتيته على علم عندى قال على خبر عندى قال حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما أوتيته على علم عندى قال لولا رضا الله عنى ومعرفته بفضلى ما أعطانى هذا وقرأ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية وقد قيل ان معنى قوله عندى بمعنى أرى كأنه قال انما أوتيته لفضل علمى فيما أرى وقوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا يقول جل ثناؤه أولم يعلم قارون حين زعم أنه أوتى الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتى من الكنوز أن الله قد أهلك من قبله من الامم من هو أشد منه بطشا وأكثر جمعا للاموال ولو كان الله يؤتى الاموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الاموال الذين كانوا أكثر منه مالا لأن من كان الله عنه راضيا فمحال أن يهلكه الله وهو عنه راض وانما يهلك من كان عليه ساخطا وقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قيل ان معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن قتادة ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال يدخلون النار بغير حساب وقيل معنى ذلك ان الملائكة لا تسأل عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون كقوله يعرف المجرمون بسيماهم زرقا سود الوجوه والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم وقيل معنى ذلك ولا يسئل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا فالهاء والميم فى قوله عن ذنوبهم على هذا التأويل لمن الذى فى قوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وعلى التأويل الاول الذى قاله

قوياً مجيبا قلت لعل استغاثته كانت مقرونة بالتوبة والا فالعتاب بعيد ثم ان بنى اسرائيل أصبحوا يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ومعنى من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه) أى منزلته من الدنيا وأسبابها (بالأمس) أى بالزمان المتقدم (يقولون) راغبين فى طاعة الله والرضا بقضائه وقسمته (ويكأن الله) من قرأ وى مفصولة عن كأن وهو مذهب الخليل وسيبويه فهى كلمة تنبيه على الخطا وتندم كأنهم تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح نظير هذا الاستعمال قول الشاعر

ويكأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك أى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون حكى هذا القول قطرب عن يونس وجوّز جار الله أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وى واللام مقدر قبل أن لبيان المقول لاجله هذا القول والتعليل أى لانه لا يفلح الكفار كان ذلك الخسف قال فى الكشاف قوله (تلك) تعظيم للدار الآخرة وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت ذكرها وبلغك وصفها قلت يحتمل أن يكون للتبعيد حقيقة وفى قوله (لا يريدون) دون أن يقول يتركون زجر عظيم ووعظ بليغ كقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا حيث علق الوعيد بالركون عن على ان الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحته ومن الناس من ردّ العلو الى فرعون والفساد الى قارون لقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال فى قصة قارون ولا تبغ الفساد فى الارض وضعف هذا التخصيص بين لقوله فى خاتمة الآية (والعاقبة للمتقين) قوله (من جاء بالحسنة) الآية قد مر تفسير مثله فى آخر الانعام مجاهد وفى آخر النمل وقوله (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) من وضع الظاهر موضع المضمر اذ كان يكفى أن يقال فلا تجزون الا أنه أراد فضل تهجين لحالهم باسناد عمل السيئات اليهم مكررا وفى ذلك لطف للسامعين فى زيادة تبغيض السيئة الى قلوبهم ثم أراد أن يسلى رسوله

في خاتمة السورة فقال (ان الذي فرض عليك القرآن) أي أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) وأي معاد فتنكير المعاد للتعظيم وأنه ليس لغيره من البشر مثله يعني أن الذي حملك صعوبة تكليف التبليغ وما يتصل به لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف وقيل أراد عوده الى مكة يوم الفتح ووجه التنكير ظاهر لان مكة يومئذ كانت معاداله شأن لغلبة المسلمين وظهور عز الاسلام وأهله وذل أهل الشرك وحزبه والسورة مكية فقيل وعده وهو بمكة في أذى من أهلها أنه مهاجر بالنبي منها ويعيده اليها في ظفر ودولة وقيل نزلت عليه هذه الآية حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى وطنه وفي الآية اخبار عن الغيب وقد وقع كما أخبر فيكون فيه اعجاز دال على نبوته وحين وعد رسوله الرد الى المعاد المعتبر قال (قل) لأهل الشرك (ربي أعلم) يعني نفسه واياهم بما يستحقه كل من الفريقين في معاده ولا يخفى أن هذا كلام منصف واثق بصدقه وحقيته ثم ذكر رسوله ما أنعم به عليه فقال (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة) قال أهل العربية هذا الاستثناء محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقي اليك الكتاب الا لأجل الرحمة أو الا بمعنى لكن أي ولكن لرحمة من ربك ألقي اليك ثم نهاه عن اتباع أهواء أهل الشرك وقد مر مرارا أن مثل هذا النهي من باب التهييج له ولأمته ثم ان مرجع الكل اليه فقال (كل شيء هالك الا وجهه) فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم أي يعدم كل شيء سواه والوجه يعبر به عن الذات ومنهم من فسر الهلاك بخروجه عن كونه منتفعا به منفعته الخاصة به اما بالاماتة أو بتفريق الاجزاء كما يقال هلك الثوب وهلك المتاع وقال أهل التحقيق معنى الهلاك كونه في حيز الامكان غير مستحق للوجود ولا للعدم من عند ذاته وان سميت المعدوم شيأ فممتنع الوجود أحق كل شيء بأن يسمى هالكا استدلت المعتزلة بالآية على أن الجنة والنار غير مخلوقتين لانهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما الفناء بحكم الآية وهذا يناقض قوله أكلها دائم وعورض بقوله أعدت للمتقين وأعدت للكافرين ويحتمل أن يقال الكل بمعنى الاكثر ومن هنالك قال الضحاك

مجاهد وقتادة للمجرمين وهي بأن تكون من ذكر المجرمين أولى لان الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب لا مؤمن ولا كافر فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين لو كانت الهاء والميم اللتان في قوله عن ذنوبهم لمن الذي في قوله من هو أشد منه قوة من دون المؤمنين يعني لانه غير مسؤل عن ذلك مؤمن ولا كافر الا الذين ركبوه واكتسبوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم) يقول تعالى ذكره فخرج قارون على قومه في زينته وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا طلحة بن عمرو عن أبي الزبير عن جابر فخرج على قومه في زينته قال في القرمز * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه في زينته قال في ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه في زينته قال على براذين بيض عليها سروج الارجوان عليهم المعصفرات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فخرج على قومه في زينته قال عليه ثوبان معصفران * وقال ابن جريج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي ويحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن فخرج على قومه في زينته قال في ثياب حمر وصفر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك أنه سمع ابراهيم النخعي قال في هذه الآية فخرج على قومه في زينته قال في ثياب حمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم النخعي مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم مثله حدثنا محمد بن عمرو بن علي المقدمي قال ثنا اسمعيل بن حكيم قال دخلنا على مالك بن دينار عشية واذا هو في ذكر قارون قال واذا رجل من جيرانه عليه ثياب معصفرة قال فقال مالك فخرج على قومه في زينته قال في ثياب مثل ثياب هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج على قومه في زينته ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم وعلى دوابهم الأرجوان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فخرج على قومه في زينته قال خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات فيما كان أبي يذكر لنا قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون يقول تعالى ذكره قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون ياليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها انه لذو حظ عظيم يقول ان قارون لذو نصيب من الدنيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون) يقول تعالى ذكره وقال الذين أوتوا العلم بالله حين رأوا قارون خارجا عليهم في زينته للذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ويلكم اتقوا الله وأطيعوه فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون يقول ولا يلقاها أي ولا يوفق لقيل هذه الكلمة وهي قوله ثواب الله خير لمن آمن

كل شيء هالك الا الله والعرش والجنة والنار وقيل الا العلماء فان علمهم باق ويمكن أن يقال ان زمان فناء الجنة لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائها فلا جرم أطلق لفظ الدوام عليه ومن فسر الهلاك بالامكان فلا اشكال والله أعلم ﴿التأويل﴾ أرأيتم ان جعل الله عليكم ليل الفراق عند استيلاء ظلمة البشرية سرمدا من اله غير الله يأتيكم بضياء نهار الوصل والتجلي قل أرأيتم ان جعل الله عليكم نهار الوصل بطلوع شمس التجلي سرمدا من اله غير الله يأتيكم (٧٤) بليل سر تسكنون فيه عن وعثاء سطوة التجلي ومن رحمته جعل لكم ليل السر ونهار

وعمل صالحا والهاء والالف كناية عن الكلمة وقال الا الصابرون يعني بذلك الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الاعمال على لذات الدنيا وشهواتها فجدوا في طاعة الله ورفضوا الحياة الدنيا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ يقول تعالى ذكره فخسفنا بقارون وأهل داره وقيل وبداره لانه ذكر أن موسى اذ أمر الارض تأخذه أمرها بأخذه وأخذ من كان معه من جلسائه في داره وكانوا جماعة جلوسا معه وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والموازرة على أذى موسى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار دينارا أو كل ألف شيء شيئا أو قال وكل ألف شاة شاة «الطبري يشك» قال ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا فجمع بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وأنت سيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا بفلانة البغي فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها فدعوها فجعل لها جعلا على أن تقذفه بنفسها ثم أتى موسى فقال لموسى ان بني اسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم فخرج اليهم وهم في براح من الارض فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو رجمناه حتى يموت «الطبري يشك» فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة قالت يا لبيك قال أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا وكذبوا ولكن جعلوا لي جعلا على أن أقذفك بنفسي فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى حقيهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم قال فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى ويتضرعون اليه قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله اليه يا موسى يقول لك عبادي يا موسى يا موسى فلا ترحمهم أما لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال فذلك قول الله فخرج على قومه في زينته وكانت زينته أنه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر عليهم ثياب مصبغة بالبهرمان قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون الى قوله انه لا يفلح الكافرون يا محمد تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن المنهال عن رجل عن ابن عباس قال لما أمر الله موسى بالزكاة قال رموه بالزنا فجزع من ذلك فأرسلوا الى امرأة كانوا قد أعطوها حكمها على أن ترميه بنفسها فلما جاءت عظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت

التجلي فان العاشق لو دام في التجلي كاد يستهلك وجوده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي وقال لعائشة كلميني يا حميراء وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلي الى سر ظل البشرية ليستريح من التعب والنصب وليس هذا السر من قبيل الحجاب وانما هو من جملة الرحمة واللطف نظيره الشمس في عالم الصورة فانها في خط الاستواء تحرق وفي الآفاق الرحوية لا تؤثر وفي الآفاق الحملية يعتدل الحر والبرد فتكثر العمارة وتسهل ويعيش الحيوان ونزعنا من كل أمة من أرباب النفوس شهيدا هو القلب الحاضر فقلنا هاتوا برهانكم وهو حقيقة التوحيد التي لا تحصل بالفعل الا بجذبة خطاب الحق فعلموا بتلك البراهين القاطعة أن الحق لله ان قارون النفس كان من قوم موسى القلب لان الله تعالى جعل النفس تبعا للقلب وجعل سعادتها في متابعته وآتيناه من الكنوز المودعة في صفاتها قد أهلك من قبله من القرون كابليس فانه أكثر علما وطاعة في زينته هي التي زين حبها للناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين يريدون الحياة الدنيا وهم صفات النفس وقال الذين أوتوا العلم وهم صفات الروح فخسفنا به الارض دركات

السفل وبداره وهي قالبه أرض جهنم يتغلغل فيها الى يوم القيامة بل الى الابد نجعلها للذين لا يريدون كما قال في بعض الكتب المنزلة قالت عبدي أنا ملك حي لا أموت أبدا أطعني أجعلك ملكا حيا لا تموت أبدا عبدي أنا ملك اذا قلت لشيء كن فيكون أطعني أجعلك ملكا اذا قلت لشيء كن فيكون وعن النبي صلى الله عليه وسلم عنوان كتاب الله الى عباده المؤمنين من الملك الحي الذي لا يموت الى الملك الحي الذي لا يموت ان الذي فرض أي أوجب عليك التخلق بخلق القرآن لرادك الى معاد هو مقام الفناء في الله والبقاء به قل ربي أعلم من جاء

بالهدى وهو بذل الوجود المجازي في الوجود الحقيقي إلا رحمة من ربك أي إلا انا ألقينا الكتاب اليك القاء الا كسير على النحاس فتخلقت بخلق للقرآن والله المستعان ﴿سورة العنكبوت وهى مكية حروفها ٤٥٩٥ كلمها ١٩٨١ آياتها ٦٩ آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا (٧٥) لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم

ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ ﴿الوقوف﴾ الم كوفى لا يفتنون ه الكاذبين ه يسبقونا ط يحكمون ه ج لآت ط العليم ه لنفسه ط العالمين ه يعملون ه حسنا ط فلا تطعهما ط تعملون ه الصالحين ه كعذاب الله ط معكم ط العالمين ه المنافقين ه خطاياكم ط شئ ط لكاذبون ه مع أثقالهم ط فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين يفترون ه عاما ط لحق الحذف أى فلم يؤمنوا فأخذهم الطوفان ط ظالمون ه للعالمين ه ﴿التفسير﴾ انه سبحانه لما قال في خواتيم السورة المتقدمة ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي الى مكة ظاهرا ظافرا وكان في ذلك الرد من احتمال مشاق الحوادث ما كان قال بعده (الم أحسب الناس) الى قوله (وهم لا يفتنون) بالجهاد أو نقول لما أمر بالدعاء الى الدين القويم في قوله وادع الى ربك وكان دونه من

قالت اذ قد استحلفتني فاني أشهد أنك برىء وأنك رسول الله فخر ساجدا يبكي فأوحى الله اليه تبارك وتعالى ما يبكيك قد سلطناك على الارض فمرها بما شئت فقال خذيهم فأخذتهم الى ما شاء الله فقالوا ياموسى ياموسى فقال خذيهم فأخذتهم الى ما شاء الله فقالوا ياموسى ياموسى فخسفتهم قال وأصاب بني اسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك قال فدعا لهم فأوحى الله اليه ياموسى أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم خطاياهم وقد دعوك فلم تجبهم أما اياى لو دعوا لأجبتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فخسفنا به وبداره الارض قال قيل للارض خذيهم فأخذتهم الى أعقابهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى أحقائهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم ثم قيل لها خذيهم فخسف بهم فذلك قوله فخسفنا به وبداره الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم بن البريد عن الأعمش عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه وكان موسى يقضي في ناحية بني اسرائيل وقارون في ناحية قال فدعا بغية كانت في بني اسرائيل فجعل لها جعلا على أن ترمي موسى بنفسها فتركته اذا كان يوم تجتمع فيه بنو اسرائيل الى موسى أتاه قارون فقال ياموسى ما حد من سرق قال أن تقطع يده قال وان كنت أنت قال نعم قال فما حد من زنى قال أن يرجم قال وان كنت أنت قال نعم قال فانك قد فعلت قال ويلك بمن قال بفلانة فدعاها موسى فقال أنشدك بالذي أنزل التوراة أصدق قارون قالت اللهم اذ نشدتني فاني أشهد أنك برىء وأنك رسول الله وأن عدو الله قارون جعل لي جعلا على أن أرميك بنفسي قال فوثب موسى فخر ساجدا لله فأوحى الله اليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الارض أن تطيعك فقال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم حتى بلغوا الحقو قال ياموسى قال خذيهم فأخذتهم حتى بلغوا الصدور قال ياموسى قال خذيهم قال فذهبوا قال فأوحى الله اليه ياموسى استغاث بك فلم تغثه أما لو استغاث بي لأجبته ولأغثته حدثنا بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمن الضبعي قال ثنا على بن زيد ابن جدعان قال خرج عبد الله بن الحرث من الدار ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها وجلسنا اليه فذكر سليمن بن داود وقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين الى قوله ان ربي غني كريم ثم سكت عن ذكر سليمن فقال ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكر الله في كتابه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال انما أوتيته على علم عندي قال وعادى موسى وكان مؤذيا له وكان موسى يصفح عنه ويعفو للقرابة حتى بنى دارا وجعل باب داره من ذهب وضرب على جدرانه صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل الى امرأة من بني اسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب فأرسل اليها فجاءته

فقال لها هل لك أن أموّلك وأعطيك وأخلطك فى نسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل عندى فتقولى ياقارون ألا تنهى عنى موسى قالت بلى فلما جلس قارون وجاء الملأ من بنى اسرائيل أرسل اليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها وأحدث لها توبة فقالت فى نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدوّ الله له فقالت ان قارون قال لى هل لك أن أموّلك وأعطيك وأخلطك بنسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل عندى فتقولى ياقارون ألا تنهى عنى موسى فلم أجد توبة أفضل من أن لا أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدوّ الله فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يدى قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع فى هلكة وشاع كلامها فى الناس حتى بلغ موسى فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى وقال يارب عدوّك لى مؤذ أراد فضيحتى وشينى يارب سلطنى عليه فأوحى الله اليه أن مر الأرض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر فى وجه موسى له فقال ياموسى ارحمنى قال ياأرض خذيهم قال فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول ياموسى فأخذتهم الى ركبهم وهو يتضرع الى موسى ياموسى ارحمنى قال ياأرض خذيهم قال فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون وأصحابه الى سررهم وهو يتضرع الى موسى ياموسى ارحمنى قال ياأرض خذيهم فخسف به وبداره وأصحابه قال وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم ياموسى ما أفظك أما وعزتى لو إياى نادى لأجبته حدثنى بشر بن هلال قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى قال بلغنى أنه قيل لموسى لا أعبد الأرض لأحد بعدك أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى وعبد الحميد الحمانى عن سفيان عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال عبد الحميد عن أبى نصر عن ابن عباس ولم يذكر ابن مهدى أبا نصر فخسفنا به وبداره الأرض قال الأرض السابعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنا أنه يخسف به كل يوم مائة قامة ولا يبلغ أسفل الأرض الى يوم القيامة فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن جعفر ابن سليمن قال سمعت مالك بن دينار قال بلغنى أن قارون يخسف به كل يوم مائة قامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخسفنا به وبداره الارض ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله يقول فلم يكن له جند يرجع اليهم ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه بل تبرؤا منه وما كان من المنتصرين يقول ولا كان هو ممن ينتصر من الله اذ أحل به نقمته فيمتنع لقوته منها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما كان له من فئة ينصرونه أى جند ينصرونه وما عنده منعة يمتنع بها من الله وقد بينا معنى الفئة فيما مضى وأنها الجماعة من الناس وأصلها الجماعة التى يفىء اليها الرجل عند الحاجة اليهم للعون على

للتائب وأعباء الرسالة ما لا يخفى وأالسورة بما يهون على النفس بعض ذلك وأيضا بين أن كل هالك له رجوع اليه ردا على منكرى الحشر بأن الامر ليس على ما حسبوه ولكنهم يكلفون فى دار الدنيا ثم يرجعون الى مقام الجزاء والحساب قال أهل البرهان وقوع الاستفهام بعد الم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها من السور وفى تصدير السورة بأمثال هذه الحروف تنبيه للمخاطب وإيقاظ له من سنة الغفلة كما يقدم لذلك كلام (٧٦) له معنى مفهوم كقول القائل اسمع وكن لى ولا يقدم إلا اذا كان فى الحديث شأن وبالخطاب اهتمام ولهذا ورد بعد هذه الحروف ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن الذى لا يخفى غناؤه والاهتمام بشأنه كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا اله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك يس والقرآن ص والقرآن الم تنزيل الكتاب إلا ثلاث سور كهيعص الم أحسب الناس الم غلبت الروم ولا يخفى أن ما بعد حروف التهجى فيها من الامور العظام التى يحق أن ينبه عليها بيانه فى هذه السورة أن القرآن ثقله وعبؤه بما فيه من التكاليف وبيانه فى سورة مريم ظاهر لان خلق الولد فيما بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر معجز وكذا الاخبار عن غلبة الروم قبل وقوعها ومعنى الآية راجع الى أن الناس لا يتركون بمجرد التلفظ بكلمة الايمان بل يؤمرون بأنواع التكاليف واختلفوا فى سبب نزولها فقيل نزلت فى عمار بن ياسر والوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة وقيل نزلت فى أقوام هاجروا وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون وقيل فى مهجع ابن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو أول قتيل من المسلمين رماه عامر بن الحضرمى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة قال جار الله مفعولا الحسبان الترك وعلته والتقدير أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا قال والترك بمعنى التصيير فقوله وهم لا يفتنون حال سد مسد ثانى مفعوليه وقال آخرون تقديره أحسبوا أنفسهم متروكة غير مفتونين لان قالوا آمنا وأقول ان من خواص أن مع الفعل وأن مع جزأيه سدها مسد مفعولى أفعال القلوب والحكم بأن الترك ههنا بمعنى التصيير غير لازم يؤيد ما ذكرنا من المعنيين قوله سبحانه فى موضع آخر أم حسبتم أن تتركوا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف العدو

من مفارقة الاوطان وكل ما يحب ويستلذ ومن ملاقاة الاعداء والمصابرة على أذاهم وسائر ما تكرهه النفس والتحقيق أن المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله فاذا قال باللسان آمنت فقد ادعى طاعة الله بالجنان فلا بد له من شهود وهو الاتيان بالاركان واذا حصل الشهود فلابد له من مزك وهو بذل النفس والمال فى سبيل الرحمن فمعنى الآية أحسبوا أن يقبل منهم دعواهم بلا شهود وشهود بلا مزك أو المراد أحسبوا أن يتركوا فى أول المقامات لا بل ينقلون الى أعلى الدرجات وهو مقام الاخلاص والقربات ثم مثل حال هؤلاء بحال

العدو ثم تستعمل ذلك للعرب فى كل جماعة كانت عونا للرجل وظهرا له ومنه قول خفاف

فلم أر حيا لقاحا (١) * وخدل بين فاضحة وحجر
أشد على صروف الدهر آدا * وأمر منهم فئة بصبر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس من الدنيا وغناه وكثرة ماله وما بسط له منها بالأمس يعنى قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه يقولون ويكأن الله * اختلف فى معنى ويكأن الله فأما قتادة فانه روى عنه فى ذلك قولان أحدهما ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال فى قوله ويكأنه قال ألم تر أنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويكأنه أولا ترى أنه وحدثنى اسمعيل بن المتوكل الأشجعى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنى معمر عن قتادة ويكأنه قال ألم تر أنه * والقول الآخر ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله ويكأن الله يبسط الرزق قال أولم يعلم أن الله ويكأنه أولا يعلم أنه وتأول هذا التأويل الذى ذكرناه عن قتادة فى ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك بقول الشاعر

سالتانى الطلاق أن رأتانى * قل مالى قد جئتمانى بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

* وقال بعض نحويى الكوفة ويكأن فى كلام العرب تقرير كقول الرجل أما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها أين ابننا فقال ويكأنه وراء البيت معناه أما ترينه وراء البيت قال وقد يذهب بها بعض النحويين الى أنها كلمتان يريد ويك أنه كأنه أراد ويلك فحذف اللام فتجعل أن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال ويلك اعلم أنه وراء البيت فأضمر اعلم قال ولم نجد العرب تعمل الظن مضمرا ولا العلم وأشباهه فى أن وذلك أنه يبطل اذا كان بين الكلمتين أو فى آخر الكلمة فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ألا ترى أنه لا يجوز فى الابتداء أن يقول يا هذا أنك قائم ويا هذا أن قمت تريد علمت أو أعلم أو ظننت أو أظن وأما حذف اللام من قولك ويلك حتى تصير ويك فقد تقوله العرب لكثرتها فى الكلام قال عنترة

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر أقدم

قال وقال آخرون ان معنى قوله ويكأن وى منفصلة من كأن كقولك للرجل وى أما ترى ما بين يديك فقال وى ثم استأنف كأن الله يبسط الرزق وهى تعجب وكأن فى معنى الظن والعلم فهذا

(١) كذا فى النسخ ولم نقف على البيتين بعد البحث فحررهما اه كتبه مصححه

السلف منهم قائلا ولقد فتنا الذين من قبلهم أراد كذلك فعل الله بمن قبلهم لم يتركهم بمجرد قولهم آمنا بل أمرهم بالطاعات وزجرهم عن المنهيات وقوله فليعلمن الله كقوله وليعلم الله وقد مر تحقيقه فى آل عمران والحاصل أن التجدد يرجع الى المعلوم لا الى العالم ولا الى العلم وذلك لان الاول زمانى دون الأخيرين وأما عبارات المفسرين فقال مقاتل فليرين الله وليظهرن الله وقيل فليميزن وجوز جار الله أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين قال الامام فخر الدين الرازى فى وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام فى أول ايجاب التكليف وعن قوم مستديمى الكفر مستمرين عليه فقال فى حق الاولين الذين صدقوا بصيغة الفعل المنبئ عن التجدد وقال فى حق الآخرين وليعلمن الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات وانما قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان الصدق يومئذ قد رسخ فى قلوب المؤمنين بخلاف أوائل الاسلام ثم بين بقوله أم حسب الذين الخ أن من كلف بشئ ولم يمتثل عذب فى الحال والا يعذب فى الاستقبال نظيره قوله ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا والحاصل أن الامهال لا يوجب الاهمال والتعجيل فى جزاء الاعمال انما يوجد ممن يخاف الفوت لولا الاستعجال ومعنى الاضراب أن هذا الحسبان أشنع من الحسبان الاول لان ذلك يقدر أنه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ولهذا ختم الآية بقوله (ساء ما يحكمون) والمخصوص محذوف وما موصولة أو مبهمة والتقدير بئس الذى يحكمون حكمهم هذا وبئس حكما يحكمونه حكمهم هذا وفى الآية ابطال قول من ذهب الى أن التكاليف ارشادات ولا يعاقب عليها ترغيب وترهيب ولا يوجب من الله تعذيب واعلم أن أصول الدين ثلاثة معرفة المبدأ وأشار اليه بقوله

آمنا ومعرفة الوسط وهو ارسال الرسل وايضاح السبل واليه اشار بقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا ومعرفة المعاد اما للاشقياء وهو قوله ألم أحسب الآية وأما للسعداء وهو قوله (من كان يرجو) أي يأمل (لقاء) جزاء (الله فان اجل الله لآت) فان أراد بالاجل الموت ففيه اشارة الى بقاء النفس بعد فراق البدن فلولا البقاء لما حصل اللقاء كقولك من كان يرجو الخير فان السلطان واصل فانه لا يفهم منه الا ايصال الخير بوصوله ومثاله من كان يرجو لقاء الملك (٧٨) فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ويحتمل أن يراد بالاجل الوقت المضروب للحشر وقيل يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلي

* اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها *

(وهو السميع) لاقوال العباد صدقوا أم كذبوا (العليم) بنياتهم وطوياتهم وبسائر أعمالهم فيجازيهم بالمسموع ما لا أذن سمعت وبالمرئي ما لا اعين رأت وبالنيات ما لا خطر على قلب بشر ثم بين بقوله (ومن جاهد) الآية أن فائدة التكاليف والمجاهدات انما ترجع الى المكلف والله غني عن كل ذلك قال المتكلمون من الاشاعرة في الآية دلالة على أن رعاية الأصلح لا تجب على الله والا كان مستكملا بذلك وأن أفعاله لا تعلل بغرض لان ذلك خلاف الغنى وأنه ليس في مكان والا لزم افتقاره وأنه ليست قادريته بقدرة ولا عالميته بعلم لان القدرة والعلم غيره فيلزم افتقاره ويمكن أن يجاب عن الاول بأن وجوب صدور الاصلح عنه لمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال وعن الثاني بأن استتباع الفائدة لا يوجب افتقار المفيد وعن الثالث أن استصحاب المكان غير الافتقار اليه وعن الرابع أن العالم هو ما يغاير ذات الله مع صفاته وفي الآية بشارة من وجه وانذار من وجه آخر وذلك أن الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل فاجر كما أنه يمكن أن يهلك كل صالح ولا شيء عليه الا أنه رجح جانب البشارة بقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وقد مر مرارا أن الايمان في الشرع عبارة عن التصديق بجميع ما قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصيلا فيما علم واجمالا فيما لم يعلم والعمل الصالح هو الذي ندب الله ورسوله اليه والفاسد ما نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه وعند المعتزلة الأمر والنهي مترتب على الحسن والقبح ثم العمل الصالح باق لانه في مقابلة الفاسد والفاسد هو الهالك التالف يقال فسد الزرع اذا خرج عن حد الانتفاع ولكن العمل عرض لا يبقى بنفسه ولا بالعامل لان كل شيء هالك الا وجهه فبقاؤه ببقائه ان كان لوجه الله ومنه يعلم أن النية شرط في

وجه يستقيم قال ولم تكتبها العرب منفصلة ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه * وقال آخرون منهم ان وي تنبيه وكأن حرف آخر غيره بمعنى لعل الامر كذا وأظن الامر كذا لأن كأن بمنزلة أظن وأحسب وأعلم * وأولى الاقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذكرنا عن قتادة من أن معناه ألم تر ألم تعلم للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر والرواية عن العرب وأن ويكأن في خط المصحف حرف واحد ومتى وجه ذلك الى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة فانه يصير حرفين وذلك أنه ان وجه الى قول من تأوله بمعنى ويلك اعلم أن الله وجب أن يفصل ويك من أن وذلك خلاف خط جميع المصاحف مع فساده في العربية لما ذكرنا وان وجه الى قول من يقول وي بمعنى التنبيه ثم استئناف الكلام بكأن وجب أن يفصل وي من كأن وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها فاذا كان ذلك حرفا واحدا فالصواب من التأويل ما قاله قتادة واذ كان ذلك هو الصواب فتأويل الكلام وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالامس يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه كما كان بسط من ذلك لقارون لا لفضله ولا لكرامته عليه ويقدر يقول ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ويقتر عليه لا لهوانه عليه ولا لسخطه عمله وقوله لولا أن من الله علينا يقول لولا أن تفضل علينا فصرف عنا ما كنا تمناه بالأمس لخسف بنا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى شيبة لخسف بنا بضم الخاء وكسر السين وذكر عن شيبة والحسن لخسف بنا بفتح الخاء والسين بمعنى لخسف الله بنا وقوله ويكأنه لا يفلح الكافرون يقول ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون فتنجح طلباتهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ يقول تعالى ذكره تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا يقول ولا ظلم الناس بغير حق وعملا بمعاصي الله فيها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن زياد بن أبي زياد قال سمعت عكرمة يقول لا يريدون علوا في الآرض ولا فسادا قال العلو التجبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مسلم البطين تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا قال العلو التكبر في الحق والفساد الأخذ بغير الحق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مسلم البطين للذين لا يريدون علوا في الأرض قال التكبر في الأرض بغير الحق ولا فسادا أخذ المال بغير حق * قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد ابن جبير للذين لا يريدون علوا في الأرض قال البغي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله للذين لا يريدون علوا في الأرض قال تعظما وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي

حدثنا

الاعمال الصالحة وهي كونها لله تعالى وخالف زفر في نية للصوم وأبو حنيفة في نية الوضوء وقد مر ثم انه تعالى ذكر في مقابلة الايمان والعمل الصالح أمرين تكفير السيئات والجزاء بالأحسن فتكفير السيئات في مقابلة الايمان والجزاء بالأحسن في مقابلة العمل الصالح ومنه يعلم أن الايمان يقتضي عدم الخلود في النار لان الذي كفر سيئاته يدخل الجنة لا محالة فالجزاء الاحسن يكون غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد أن يكون هو الرؤية عند من يقول بها (٧٩) وههنا بحث وهو أن قوله (لنكفرن) يستدعي

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلمان الأعرج عن علي رضي الله عنه قال ان الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقوله والعاقبة للمتقين يقول تعالى ذكره والجنة للمتقين وهم الذين اتقوا معاصي الله وأدوا فرائضه وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاقبة للمتقين أي الجنة للمتقين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره من جاء الله يوم القيامة باخلاص التوحيد فله خير وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ومن جاء بالسيئة وهي الشرك بالله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنه فله خير منها أي له منها حظ خير والحسنة الاخلاص والسيئة الشرك وقد بينا ذلك باختلاف المختلفين ودللنا على الصواب من القول فيه وقوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات يقول فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة الا ما كانوا يعملون يقول الاجزاء ما كانوا يعملون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذي أنزل عليك يا محمد القرآن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ان الذي فرض عليك القرآن قال الذي أعطاك القرآن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الذي فرض عليك القرآن قال الذي أعطاكه * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله لرادك الى معاد فقال بعضهم معناه لمصيرك الى الجنة ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى معدنك من الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن ابراهيم بن حبان سمعت أبا جعفر عن ابن عباس عن أبي سعيد الخدري لرادك الى معاد قال معاده آخرته الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك في ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى الجنة ليسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي صالح قال الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن سفيان عن السدي عن أبي صالح لرادك الى معاد قال الى الجنة حدثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك قال يردك الى الجنة ثم يسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن جابر عن عكرمة ومجاهد قالا الى الجنة حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال

وجود السيئات حتى تكفر فالمراد بالذين آمنوا وعملوا اما قوم مسلمون مذنبون واما قوم مشركون آمنوا فحط الايمان ما قبله أو يقال انه وعد الجميع بأشياء لا يستدعي وعد كل واحد بكل واحد من تلك الاشياء نظيره قول الملك لقوم اذا أطعتموني أكرم آباءكم وأحترم أبناءكم وهذا لا يقتضي أن يكرم آباء من توفي أبوه ويحترم ابن من لم يولد له ابن ولكن مفهومه أنه يكرم آباء من له أب ويحترم ابن من له ابن أو يقال ما من مكلف الا وله سيئة حتى الانبياء فان ترك الاولى بالنسبة اليهم سيئة بل حسنات الابرار سيئات المقربين وحين بين حسن التكاليف ووقوعها وذكر ثواب من حقق التكاليف أصولها وفروعها أشار بقوله (ووصينا الانسان) الآية الى أنه لا دافع لهذه السيرة ولا مانع لهذه الطريقة فان الانسان ان انقاد لاحد ينبغي أن ينقاد لأبويه ومع هذا لو أمروه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فكيف غيرهم ومنه يعلم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومعنى وصينا أمرنا كما مر في قوله ووصى بها ابراهيم وقوله بوالديه أي بتعهدهما ورعاية حقوقهما وعلى هذا ينتصب حسنا بمضمر يدل عليه ما قبله أي أولهما حسنا أو افعل بهما حسنا كأنه قال قلنا له ذلك وقلنا له وان

جاهداك الى آخره فلو وقف على قوله بوالديه حسن ويجوز أن يراد وصيناه بايتاء والديه حسنا وقلنا له (وان جاهداك) وقوله (ما ليس لك به علم) كقوله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي لا معلوم ليتعلق العلم به واذا كان التقليد في الايمان قبيحا فكيف يكون حال التقليد في الكفر وعلى وجوب ترك طاعة الوالدين اذا أراداولدهما على الاشراك دليل عقلي وذلك أن طاعتهما وجبت بأمر الله فاذا نفيا طاعة الله في الاشراك به فقد أبطلا طاعة الله مطلقا ويلزم منه عدم لزوم طاعة الوالدين بأمر الله وكل ما يفضي وجوده الى عدمه فهو باطل فطاعة الوالدين في اتخاذ الشرك بالله

من المتنعات وفى قوله (الى مرجعكم) ترغيب فى رعاية حقوق الوالدين وترهيب عن عقوقهما وان كانا كافرين الا فى الدعاء الى الشرك وفيه أنه المجازى للمؤمن والمشرك اذا كان هو الله وحده فلا ينبغى أن يعق الوالدين لاجل كفرهما وفى قوله (فأنبئكم) دليل على أنه سبحانه عالم بالخفيات لا يعزب عنه شئ يروى أن سعد بن أبى وقاص الزهرى حين أسلم قالت أمه وهى حمنة بنت أبى سفيان يا سعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت وان الطعام والشراب (٨٠) على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد و بقيت ثلاثة أيام كذلك نزلت هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا أن يداريها و يرضيها بالاحسان ثم أكد جزاء من آمن وعمل صالحا بتكرير قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرتهم وحسن أولئك رفيقا قال الحكماء أى فى المجردين الذين لا كون لهم ولا فساد فيدخل فيه العلويات عندهم ثم بين حال أهل النفاق بعد تقرير حال أهل الكفر والوفاق فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله) يعنى أنا والمؤمنون حقا آمنا ادعى أن ايمانه كايمانهم فأخبر أن ايمانه لا تحقيق له بدليل قوله (فاذا أوذى فى الله) أى فى سبيله ودينه (جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال جار الله أى جعل فتنة الناس صارفة عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وهذا على التوهم أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وهذا فى الواقع وقيل جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله و بالجملة معناه أنهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم حتى ترددوا فى الأمر وقالوا ان آمنا نتعرض للتأذى من الناس وذلك أنهم كانوا يمسهم أذى من الكفار وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد فاختاروا الاحتراز عن التعرض العاجل ونافقوا وانما قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لأن فعل العبد ابتلاء من الله وليس أن في الآية منع من اظهار كلمة الكفر اكراها وانما المنع من اظهارها مع مواطأة القلب التى كانوا عليها ومما يؤكد تذبذبهم قوله (ولئن جاء نصر من ربك) ويلزمه الغنيمة غالبا (ليقولن انا كنا معكم) يعنى دأب المنافق أنه اذا رأى اليد للكافر أظهر ما أضمر من الكفر وان كان النصر للمؤمن أضمر ما أظهر وأظهر المعية وادعى التبعية وفى تخصيص اسم الرب بالمقام اشارة الى أن التوبة والرحمة هى التى أوجبت النصر ثم أخبر

ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبى قزعة والحسن قالوا يوم القيامة * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لرادك الى معاد قال يجىء بك يوم القيامة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا معاده يوم القيامة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لرادك الى معاد قال يجىء بك يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عون عن الحسن فى قوله لرادك الى معاد قال معادك من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لرادك الى معاد قال كان الحسن يقول اى والله ان له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة و يدخله الجنة * وقال آخرون معنى ذلك لرادك الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا محمد ابن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن رجل عن ابن عباس قال الى الموت * قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر عن سعيد لرادك الى معاد قال الى الموت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عمن سمع ابن عباس قال الى الموت حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال الى الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير فى قوله لرادك الى معاد قال الموت حدثنا القاسم قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الموت أو الى مكة * وقال آخرون بل معنى ذلك لرادك الى الموضع الذى خرجت منه وهو مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لرادك الى معاد قال يقول لرادك الى مكة كما أخرجك منها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا يونس بن أبى اسحق عن مجاهد قال مولده بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق قال سمعت مجاهدا يقول لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن عمرو وهو ابن أبى اسحق عن مجاهد فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا ابى عن الفضيل بن مرزوق عن مجاهد أبى الحجاج فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولده بمكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن أبيه عن مجاهد قال الى مولدك بمكة * والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال لرادك الى عادتك من الموت أو الى عادتك حيث ولدت وذلك

انه سبحانه اعلم بما فى صدور العالمين منهم بما فى صدورهم لأنه خبير بما بأنفسهم كما هى وهم لا يعرفون نفوسهم كما هى فالتلبيس لا يفيد المنافق بالنسبة الى الله شيأ لانه لا يجوز عليه الالتباس ثم دليله قوله (وليعلمنّ الله الذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين) وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين اعتبر أمر القلب ههنا وهو فى المؤمن التصديق وفى المنافق النفاق واعتبر فى أول السورة أمر اللسان وهو فى الكافر الكذب لانه يقول الله غير موجود أو الله أكثر من واحد وفى المؤمن الصدق لانه يقول الله واحد وحين (٨١) بين أحوال الفرق الثلاث ذكر أن الكافر يدعو من يقول آمنت الى الكفر بالفتنة وبين أن عذاب الله فوقها وكان للكافر أن يقول للمؤمن لم تصبر فى الذل على الايذاء ولم لا تدفع الذل والعذاب عن نفسك بموافقتنا وكان جواب المؤمن أن يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا أشار الى جميع ذلك بقوله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أرادوا ليجتمع هذان الأمران فى الحصول أن تتبعوا طريقتنا وأن نحمل خطاياكم نظيره ليكن منك العطاء وليكن منى الدعاء وليس هو فى الحقيقة أمر طلب وايجاب ولكنه حكاية قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان جزاء ومعاد فانا نتحمل عنكم الاثم وترى نظيره فى الاسلام يشجع أحدهم أخاه على ارتكاب بعض المآثم فيقول أفعل هذا واثمه على وكم من مغرور بمثل هذا الضمان ثم أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يحملون شيأ من خطاياهم ولا ريب أن هذا مخالف لما زعموا من أنهم يحملون أوزارهم فلهذا حكم الله عليهم بأنهم كاذبون ويجوز ان يكونوا كاذبين لأنهم وعدوا وفى قلوبهم نية الخلف ولا حاجة فى توجيه تسميتهم كاذبين الى التشبيه الذى ذكره فى الكشاف أما الجمع بين قوله (وما هم بحاملين) وبين قوله (وليحملنّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) فهو أن النفى راجع الى الحمل الذى يخفف عن صاحبه بسببه والاثبات يرجع الى أنهم يحملون وزر الاضلال ووزر الضلال مع أن أتباعهم حاملون وزر الضلال كما قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزره شئ قال (وليسئلنّ) سؤال التقريع (يوم القيامة عما كانوا يفترون) من أنه لا حشر وعلى تقدير وجوده يحملون

أن المعاد فى هذا الموضع المفعل من العادة ليس من العود الا أن يوجه موجه تأويل قوله لرادّك لمصيرك فيتوجه حينئذ قوله الى معاد الى معنى العود ويكون تأويله ان الذى فرض عليك القرآن لمصيرك الى أن تعود الى مكة مفتوحة لك فان قال قائل فهذه الوجوه التى وصفت فى ذلك قد فهمناها فما وجه تأويل من تأوله بمعنى لرادّك الى الجنة قيل ينبغى أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر وهو لمصيرك الى أن تعود الى الجنة فان قال قائل أو كان أخرج من الجنة فيقال له نحن نعيدك اليها قيل لذلك وجهان أحدهما أنه ان كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها فكأن ولده باخراج الله اياه منها قد أخرجوا منها فمن دخلها فكأنما يردّ اليها بعد الخروج والثانى أن يقال انه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أسرى به كما روى عنه أنه قال دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب ونحو ذلك من الأخبار التى رويت عنه بذلك ثم رد الى الارض فيقال له ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك لمصيرك الى الموضع الذى خرجت منه من الجنة الى أن تعود اليه فذلك ان شاء الله قول من قال ذلك وقوله قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الذى من سلكه نجا ومن هو فى جور عن قصد السبيل منا ومنكم وقوله مبين يعنى أنه يبين للمفكر الفهم اذا تأمله وتدبره أنه ضلال وجور عن الهدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن فتعلم الانباء والأخبار عن الماضين قبلك والحادثة بعدك مما لم يكن بعد مما لم تشهده ولا تشهده ثم تتلو ذلك على قومك من قريش الا أن ربك رحمك فأنزله عليك فقوله الا رحمة من ربك استثناء منقطع وقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين يقول فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته اياك بانزاله عليك هذا الكتاب ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به وقيل ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام ان الذى فرض عليك القرآن فأنزله عليك وما كنت ترجو أن ينزل عليك فتكون نبيا قبل ذلك لرادّك الى معاد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يصدّنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها اليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم لولا أوتى مثل ما أوتى موسى وادع الى ربك وبلغ رسالته الى من أرسلك اليه بها ولا تكونن من المشركين يقول ولا تتركن الدعاء الى ربك وتبليغ المشركين رسالته فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه وخلافه أمره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذى له عبادة كل شئ معبودا آخر سواه وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله الذى كل شئ هالك الا وجهه

واختلف في معنى قوله الا وجهه فقال بعضهم معناه كل شيء هالك الا هو * وقال آخرون معنى ذلك الا ما أريد به وجهه واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

وقوله له الحكم يقول له الحكم بين خلقه دون غيره ليس لأحد غيره معه فيهم حكم واليه ترجعون يقول واليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي مؤمنيكم جزاءهم وكفاركم ما وعدهم

آخر تفسير سورة القصص

(تفسير سورة العنكبوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) قال أبو جعفر وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره الم وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين اياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان بأن قالوا آمنا بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله كلا لنختبرهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله آمنا وهم لا يفتنون قال يبتلون في أنفسهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يفتنون أي لا يبتلون حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في قوله وهم لا يفتنون قال لا يبتلون فأن الاولى منصوبة بحسب والثانية منصوبة في قول بعض أهل العربية بتعلق يتركوا بها وأن معنى الكلام على قوله أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا آمنا فلما حذفت اللام الخافضة من لأن نصبت على ما ذكرت وأما على قول غيره فهي في موضع خفض باضمار الخافض ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب فتدخل أن في الكلام وانما تقول تركته يذهب وانما أدخلت أن ههنا لاكتفاء الكلام بقوله أن يتركوا اذ كان معناه أحسب الناس أن يتركوا وهم لا يفتنون من أجل أن يقولوا آمنا فكان قوله أن يتركوا مكتفية بوقوعها على الناس دون أخبارهم وان جعلت أن في قوله أن يقولوا منصوبة بنية

خطايا العابدين ثم أجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله في اول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبي عليه الصلاة والسلام كأنه قيل له ان نوحا لبث ألف سنة تقريبا يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك وفيه تحذير لكفار قريش فان أولئك الكفار ما نجوا من العذاب مع تلك الاعمار الطوال فهؤلاء كيف يسلمون أم كيف يغترون * سؤال ما الفائدة في قوله ألف سنة الا خمسين عاما دون أن يقول تسعمائة وخمسين الجواب لان العبارة الثانية تحتمل التجويز والتقريب فان من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أنه يدعي ذلك تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا أو الا سنة زال ذلك الوهم وأيضا المقصود تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الألف الذي هو عقد معتبر أوصل الى هذا الغرض وانما جاء بالمميز في المستثنى مخالفا لما في المستثنى منه تجنبا من التكرار الخالي عن الفائدة وتوسعة في الكلام قال بعض الاطباء العمر الطبيعي للانسان مائة وعشرون سنة فاعترضوا عليهم بعمر نوح عليه السلام وغيره وذلك أن المفسرين قالوا عمر نوح ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ويمكن أن يقال انهم أرادوا بالطبيعي ما كان أكثريا في أعصارهم ولا ينافي هذا كون بعض الاعمار زائدا على هذا القدر بطريق خرق العادة على أن العادة قد تختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين والطوفان ما عم كل المكان بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل وفي قوله (وهم ظالمون) دليل على أن العذاب أخذهم وهم مصرون على الظلم ولو كانوا قد تركوه لما أهلكهم والضمير في قوله (وجعلناها) اما للحادثة أو للقصة أو للسفينة وأعاجيب هذه القصة تكرير

وأحوال السفينة وأهوالها قد تقدمت مرارا ولا ريب أنها آيات يجب أن يستدل بها على موجدها ۞ التأويل أقسم بفردانيته وبآلائه ونعمائه أنه مهما يكون من العبد التقرب اليه بأصناف العبودية يكون منه التقرب الى العبد بألطاف الربوبية يؤكده قوله أحسب الناس أي الناسون من أهل البطالة أن يتركوا بمجرد الدعوى ولا يطالبون بالبلوى فالمحبة والمحنة توأمان وبالامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد قدر معناه زاد قدر

بلواه فالبلاء للنفوس لاخراجها عن اوطان الكسل وتصريفها في حسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيب والبلاء على الارواح لتجردها بالبوائق عن العلائق والبلاء على الاسرار في اعتكافها في مشاهدة الكشف بالصبر على آثار التجلي الى أن تصير مستهلكة فيه بافنائه وان أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجرى عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق لايدري أنه من الحق ولا يقال انه الحق وعزيز من يهتدي الى ذلك أم حسب (٨٣) الذين فيه أن موجبات عمل السيئات سواد مرآة

تكرير أحسب كان جائزا فيكون معنى الكلام أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الامم ممن أرسلنا اليهم رسلنا فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد باعدائهم وتمكيننا اياهم من أذاهم كموسى اذ أرسلناه الى بني اسرائيل فابتليناهم بفرعون وملئهم وكعيسى اذ أرسلناه الى بني اسرائيل فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك فليعلمن الله الذين صدقوا منهم في قيلهم آمنا وليعلمن الكاذبين منهم في قيلهم ذلك والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار وفي حال الاختبار وبعد الاختبار ولكن معنى ذلك وليظهرن الله صدق الصادق منهم في قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه اياه بعدوه ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عذبهم المشركون ففتن بعضهم وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول نزلت يعني هذه الآية الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا الى قوله وليعلمن الكاذبين في عمار بن ياسر اذ كان يعذب في الله * وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الاسلام بمكة وتخلفوا عن الهجرة والفتنة التي فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء هي الهجرة التي امتحنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الشعبي قال انها نزلت يعني الم أحسب الناس أن يتركوا الآيتين في أناس كانوا بمكة أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا اليهم انه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا أحد قاتلناه قال فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولقد فتنا قال ابتلينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد ولقد فتنا الذين من قبلهم قال ابتلينا الذين من قبلهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم أي ابتلينا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون ﴾ يقول تعالى ذكره أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره وهم المعنيون بقوله الذين يعملون السيآت

القلوب بصدا الحسبان ورين الكفران ليتوهموا أن يسبقونا بالعدوان عن طريق سنتنا في الانتقام من أهل المحال والاجرام ساء ما يحكمون بالنجاة عن الدركات باتباع الشهوات هيهات هيهات من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت فان من رجى عمره في رجاء لقائنا فهو الذي نبيح له النظر الى جمالنا وهو السميع لأنين المشتاقين العليم بطويات الصادقين ومن جاهد بالسعي في طلبنا فانما يجاهد لنفسه لانها بالتخلية عن الاخلاق الذميمة وبالتحلية بالصفات الحميدة تخلص عن الامارية وتستأهل للطمئنية فتستحق لجذبة ارجعي الى ربك والذين آمنوا قلوبهم بمحبتنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود في طلب جودنا لنكفرن عنهم سيئات وجودهم المجازي ولنجزينهم وجودا حقيقيا أحسن منه وان جاهداك لتشرك بي فيه اشارة الى أن المريد اذا تمسك بذيل شيخ كامل وتوجه الى الحضرة بعزيمة من عزائم الرجال فان منعه الوالدان عن ذلك فعليه أن لا يطيعهما لانه سبب ولادته في عالم الارواح وهما سبب ولادته في عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فهو أحق برعاية الحقوق منهما جعل فتنة الناس كعذاب الله فيه أن المؤمن من كف الاذى والولي من يتحمل من الخلق الاذى ولا تترشح عنه الشكوى من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت منها كل مليح والمنافق اذا لم يكن في حماية خشية الله يفترسه خوف الخلق اذا أوذي في الله وقال الذين كفروا فيه أن كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعة للانسانية لمؤمن القلب والسر والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا في طلب الشهوات الحيوانية ولنحمل خطاياكم أي ندفع عنكم ضرر ما يرجع اليكم في متابعة شهوات الدنيا وطيبتها وما هم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو العمى والصمم والبكم وسائر الصفات النفسانية

ولكن يجهلون أثقالهم هذه الاوقات مع الآفات التى تختص بها والله أعلم بالصواب ﴿وابراهيم اذقال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض (٨٤) فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان﴾   الانسان

أن يسبقونا يقول أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم حسب الذين يعملون السيآت أى الشرك أن يسبقونا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يسبقونا أن يعجزونا وقوله ساء ما يحكمون يقول تعالى ذكره ساء حكمهم الذى يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيآت يسبقوننا بأنفسهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين﴾ يقول تعالى ذكره من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع فى ثوابه فان أجل الله الذى أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا وهو السميع يقول والله الذى يرجو هذا الراجى بلقائه ثوابه السميع لقوله آمنا بالله العليم بصدق قيله انه قد آمن من كذبه فيه وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه يقول ومن جاهد عدوه من المشركين فانما يجاهد لنفسه لانه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب فليس بالله الى فعله ذلك حاجة وذلك أن الله غنى عن جميع خلقه له الملك والخلق والامر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله فصح ايمانهم عند ابتلاء الله اياهم وفتنته لهم ولم يرتدوا عن أديانهم بأذى المشركين اياهم وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم التى سلفت منهم فى شركهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم فى اسلامهم أحسن ما كانوا يعملون فى حال شركهم مع تكفيرنا سيآت أعمالهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ووصينا الانسان فيما أنزلنا الى رسولنا بوالديه أن يفعل بهما حسنا واختلف أهل العربية فى وجه نصب الحسن فقال بعض نحويى البصرة نصب ذلك على نية تكرير وصينا وكأن معنى الكلام عنده ووصينا الانسان بوالديه ووصيناه حسنا وقال قد يقول الرجل وصيته خيرا أى بخير وقال بعض نحويى الكوفة معنى ذلك ووصينا الانسان أن يفعل حسنا ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه اذا كان فيما بقى الدلالة على ما سقط وتعمل ما بقى فيما كان يعمل فيه المحذوف فنصب قوله حسنا وان كان المعنى ما وصفت وصينا لانه قد ناب عن الساقط وأنشد فى ذلك

عجبت من دهماء اذ تشكونا * ومن أبى دهماء اذ يوصينا * خيرا بها كأننا جافونا

وقال معنى قوله يوصينا خيرا أن نفعل بها خيرا فاكتفى بيوصينا منه وقال ذلك نحو قوله فطفق مسحا أى يمسح مسحا وقوله وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما يقول ووصينا

ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون • مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ ۞ القراآت أولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشاءة بفتح الشين بعدها ألف ممدودة حيث كان ابن كثير وأبو عمرو مودة بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى وأبو زيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح الشمونى والبرجمى مودة بالنصب بينكم على الاضافة حمزة وحفص الباقون مودة بالنصب بينكم بالفتح ربى انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو انكم بهمز واحد أينكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب زيد مثله بزيادة مدة فى الثانية يزيد وقالون كلاهما مثل هذه الثانية أبو عمرو والاولى بهمزة واحدة الثانية بهمزتين ابن عامر وحفص هشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين فيهما أئنكم كنظائره لننجينه بسكون النون من الانجاء يعقوب وحمزة وعلى وخلف سىء بهم كما ذكر فى هود ومنجوك من الانجاء ابن كثير ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل منزلون بالتشديد ابن عامر وثمود غير مصروف فى الحالين حمزة وحفص وسهل ويعقوب ۞ الوقوف واتقوه ط تعلمون ٥ افكا ط واشكروا له ط ترجعون ٥ من قبلكم ج للعطف مع الاختلاف بالاثبات والنفى المبين ٥ يعيده ط يسير ٥ الآخرة ط قدير ٥ ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا من يشاء ط لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين تقلبون ٥ السماء ز فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين نصير ٥ أليم ٥ النار ط يؤمنون ٥ أوثانا ج لمن قرأ مودة بالرفع الدنيا ج لاختلاف الجملتين والفصل بين تباين الدارين بعضا ط لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقصود من ناصرين ٥ قبل لا وقف لتعلق الفاء لوط م لان قوله وقال فاعله ابراهيم ولو وصل لأوهم اتحاد الفاعل ربى ط الحكيم ٥ الدنيا ج للابتداء بان مع واو العطف الصالحين ٥ الفاحشة ز لان ما بعده يصلح مستأنفا أو حالا أو وصفا العالمين ٥ المنكر ط

الانعان فقلنا له ان جاهداك والداك لتشرك بى ما ليس لك به علم أنه ليس لى شريك فلا تطعهما فتشرك بى ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتهما ولكن خالفهما فى ذلك الى مرجعكم يقول تعالى ذكره الى معادكم ومصيركم يوم القيامة فأنبئكم بما كنتم تعملون يقول فأخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من صالح الاعمال وسيئها ثم أجازيكم عليها المحسن بالاحسان والمسىء بما هو أهله وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبى وقاص ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله فأنبئكم بما كنتم تعملون قال نزلت فى سعد بن أبى وقاص لما هاجر قالت أمه والله لا يظلنى بيت حتى يرجع فأنزل الله فى ذلك أن يحسن اليهما ولا يطيعهما فى الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من الاعمال وذلك أن يؤدوا فرائض الله ويجتنبوا محارمه لندخلنهم فى الصالحين فى مدخل الصالحين وذلك الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن الناس من يقول أقررنا بالله فوحدناه فاذا آذاه المشركون فى اقراره بالله جعل فتنة الناس اياه فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة فارتد عن ايمانه بالله راجعا على الكفر به ولئن جاء نصر من ربك يا محمد أهل الايمان به ليقولن هؤلاء المرتدون عن ايمانهم الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله انا كنا أيها المؤمنون معكم ننصركم على أعدائكم كذبوا وأفكوا يقول الله أوليس الله بأعلم أيها القوم من كل أحد بما فى صدور جميع خلقه القائلين آمنا بالله فاذا أوذى فى الله ارتد عن دين الله وغيرهم فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ولا يستتر عنه سر ولا علانية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال فتنته أن يرتد عن دين الله اذا أوذى فى الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال أناس يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا فجعلوا ذلك فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا الى الكفر مخافة من يؤذيهم وجعلوا أذى الناس فى الدنيا كعذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب

لابتناء الخطاب لابتداءا لجواب الصادقين ط المفسدين ٥ بالبشرى لا لأن قالوا جواب لما القرية ج للابتداء بان مع احتمال التعليل ظالمين ٥ وقد يوصل دلالة على تدارك ابراهيم لوطا ط بمن فيها ج لأن لام التوكيد تقتضي قسما أي والله لننجينه مع تمام المقصود في التنجية الا امرأته ج لان ما بعده يصلح مستأنفا في النظم ولكنه حال المرأة لان المستثنى مشبه بالمفعول أي يستثنى امرأته كائنة من الغابرين ولا تحزن ط فصلا بين البشارتين (٨٦) وتوفيرا للفرح الغابرين ٥ يفسقون ٥ يعقلون ٥ شعيبا لا لتعلق الفاء مفسدين ٥

جاثمين ٥ لان عادا يحتمل أن يكون منصوبا بأخذتهم أو بمحذوف أي واذكر وهذا أوجه لأن قوله وقد تبين حال ولا يحسن أن يكون عامله فأخذتهم والأوجه انتصابه بمحذوف وهو اذكر أو أهلكنا مساكنهم ط لان التقدير مقدرين وعامله فأخذتهم مستبصرين ٥ ج للعطف وهامان يحتمل عندي الوقف وقيل لا بناء على أن قوله ولقد جاءهم حال عامله فأخذتهم سابقين ٥ لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين بذنبه ط وكذلك حاصبا ط وأخذته الصيحة ط وخسفنا به الارض ج وأغرقنا ط لعطف الجمل والوقف أوجه تفصيلا لانواع النقم وامهالا لفرصة الاعتبار يظلمون ٥ العنكبوت ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا بيتا ط العنكبوت ج لان وهن بيت العنكبوت معلق يعلمون ٥ ۞ التفسير قوله (وابراهيم) منصوب بمضمر وهو اذكر وقوله (اذ قال) بدل منه بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أي اذكر وقت قوله لقومه وجوز أن يكون معطوفا على نوحا فأورد عليه أن الارسال قبل الدعوة فكيف يكون وقت الدعوة ظرفا للارسال وأجيب بأن الارسال أمر ممتد الى أوان الدعوة أو المراد أرسلناه حين كان صالحا لأن يقول لقومه اعبدوا الله خصوه بالعبادة واتقوا مخالفته (ذلكم) الاخلاص والتقوى (خير لكم ان كنتم تعلمون) أما العبادة فلانها غاية الخضوع فلا تصلح الا لمن هو في غاية الكمال فضلا عن الجماد وأما اتقاء خلافه فلأن من قدر على اهلاك الماضين فهو قادر على اهلاك الباقين وتعذيبهم اذا عصوه فالعاقل من يحذر خلاف القادر ثم بين بقوله (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أن الذي يعبدونه في غاية الخسة لانه صنم لا روح له ولا ظلم أشنع من وضع الأخس موضع الأشرف وبين بقوله (وتخلقون افكا) أن الذين يزعمون أنها

كفروا

قال قال ابن زيد في قول الله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال هو المنافق اذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر وجعل فتنة الناس كعذاب الله وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الايمان كانوا بمكة فخرجوا مهاجرين فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم ذكر الخبر بذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون باسلامهم فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قبل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم الى آخر الآية قال فكتب الى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة وهذه الآيات العشر مدنية الى ههنا وسائرها مكي ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ يقول تعالى ذكره وليعلمن الله أولياء الله وحزبه أهل الايمان بالله منكم أيها القوم وليعلمن المنافقين منكم حتى يميزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر باظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم الى الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام وتثاقل المتثاقل منكم عنها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم اتبعوا سبيلنا يقول قالوا كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الاعمال ولنحمل خطاياكم يقول قالوا فانكم ان اتبعتم سبيلنا في ذلك فبعثتم من بعد الممات وجوزيتم على الاعمال فانا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم قال قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم يقول قالوا لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا ان كان عليكم شيء فهو علينا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقال الذين

شفعاؤهم عندالله كذب وزور ثم ذكرهم أنهم لا يقدرون على نفع ولا على ايصال رزق أى رزق كان ثم أشار بقوله (فابتغوا عندالله الرزق) الى أن هذه الهبة والرزق الموعود فى قوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها يجب أن يطلب من الله فقط واذا كان الرزق منه فالشكر يجب أن يكون له ثم بين بقوله (اليه ترجعون) أن المعاقب والمثيب هو وحده فلا رهبة الا منه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) الى قوله فما كان جواب قومه ان كان اعتراضا خطابا للكفار قريش (٨٧) فظاهر وان كان تتمة قول ابراهيم فالامم المتقدمة عليه اما قوم نوح وقوم ادريس وقوم شيث وقوم آدم واما قوم نوح وحده وعبر عن أمته بالامم لانه عاش ألف سنة وأكثر فمضت عليه القرون وكان كل قرن يوصون من بعدهم من الابناء أن يكذبوا نوحا والبلاغ ذكر المسائل والابانة واقامة البرهان عليه وفيه دليل على أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز والا لم يكن البلاغ مبينا وحين بين التوحيد والرسالة شرع فى بيان المعاد فان هذه الاصول الثلاثة لاتكاد تنفصل فى الذكر الالهى فقال (أولم يروا) أى ألم يعلموا بالبرهان النير القائم مقام الرؤية (كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده) أما ابداء الخلق المطلق فلأن المخلوق لابد له من خالق أول تنتهى اليه سلسلة المخلوقات وأما خلق الانسان بل كيفيته فانه كالمشاهد المحسوس فانا نرى النطفة وقعت فى الرحم فدارت عليها الاطوار حتى حصلت خلقا آخر وأما الاعادة فلانها أهون فى القياس العقلى ولهذا ختم الآية بقوله (ان ذلك على الله يسير) وحين أشار الى العلم الحدسى الحاصل من غير طلب أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أوحكى ابراهيم قول ربه له (قل سيروا فى الارض) أى ان لم يحصل لكم الحدس المذكور فسيروا فى أقطار الارض وتفكروا فى كيفية تكوين المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان حتى يفضي بكم النظر الى العيان فالآية الاولى اشارة الى ماهو كالمركوز فى الاذهان ولهذا قال بطريق الاستفهام أولم يروا الآية الثانية أمر بالنظر المؤدى الى العلم والايقان على تقدير عدم حضور ذلك البيان والعيان وانما قال أولا كيف يبدئ بلفظ المستقبل وثانيا كيف بدأ بلفظ الماضى لان العلم الحدسى حاصل فى كل حال وأما العلم الاستقرائى فلا يفيد اليقين الا فيما شاهد وتتبع فكأنه قيل ان لم يحصل لكم العلم بأن الله فى كل حال موصوف بالابداء والاعادة فانظروا فى أصناف المخلوقات حتى تعرفوا

كفروا هم القادة من الكفار قالوا لمن آمن من الأتباع اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا وهذا أعنى قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وان كان خرج مخرج الامر فان فيه تأويل الجزاء ومعناه ماقلت ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كما قال الشاعر

فقلت ادعى وأدع فان أندى * لصوت أن ينادى داعيان

يريد ادعى ولأدع ومعناه ان دعوت دعوت وقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول جل ثناؤه كذبوا فى قيلهم ذلك لهم ماهم بحاملين من آثام خطاياهم من شئ انهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم من حمل خطاياهم ان هم اتبعوهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها وأوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم فى الدنيا بوعدهم اياهم الأباطيل وقيلهم لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليحملن أثقالهم أى أوزارهم وأثقالا مع أثقالهم يقول وأوزار من أضلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقرأ قوله وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قال فهذا قوله وأثقالا مع أثقالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لايحزنك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى فانى وان أمليت لهم فأطلت املاءهم فان مصير أمرهم الى البوار ومصير أمرك وأمر أصحابك الى العلو والظفر بهم والنجاة مما يحل بهم من العقاب كفعلنا ذلك بنوح اذ أرسلناه الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد وفراق الآلهة والاوثان فلم يزدهم ذلك من دعائه اياهم الى الله من الاقبال اليه وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله الا فرارا وذكر أنه أرسل الى قومه وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة كما حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عون ابن أبى شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة فأخذهم الطوفان يقول تعالى ذكره فأهلكهم الماء الكثير وكل ماء كثير فاش طام فهو عند العرب طوفان سيلا كان أو غيره وكذلك الموت اذا كان فاشيا كثيرا فهو أيضا عندهم طوفان ومنه قول الراجز * أفناهم طوفان موت جارف *

أنه كيف بدأها ثم تستدلوا من ذلك على أنه ينشئها النشأة الثانية فهذا عطف على المعنى كأنه قال ألم تروا أو انظروا كيف بدأ هذا وتكليف جار الله فقال هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كما قال قوله ثم يعيده اخبار على حياله وليس بمعطوف على يبدئ ثم في اقامة اسم الله مقام الضمير في قوله (ثم الله ينشئ النشأة) اشارة الى أنه لا يقدر على هذه النشأة الا المعبود الكامل الذات المتصف بالعلم والحياة وبسائر نعوت الجلال وحين ذكر دلائل الانفس والآفاق صرح بالنتيجة (٨٨) الكلية فقال (ان الله على كل شئ) من الابداء والاعادة (قدير) وكذا على التكليف والجزاء ثم بريه قوله (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) يقال قلب فلان في مكانه اذا أردى وفي الآية لطائف منها أنه قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي غضبي لان الآية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلك لم يخل الكلام عن ذكر الرحمة وانه يؤكد قوله سبقت رحمتي غضبي ومنها أنه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المؤمن اظهار اللهيبة الالهية ومنها أنه قال أولا واليه ترجعون ثم أعاده ههنا لان التعذيب والرحمة قد يكونان عاجلين وكأنه قال وان تأخر ثوابكم وعقابكم فان الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا يدخر لكم ذلك فلا تظنوا فواته يؤكده قوله وما أنتم بمعجزين وفيه أن الانقلاب اليه لا منه وذلك أن الاعجاز اما بالهرب واما مع الثبات وقد نفى الأول بقوله (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) أي لو هبطتم الى موضع السمك في الماء أو صعدتم الى محل السماك في السماء لم تخرجوا من قبضة قدرة الله وقدم الارض على السماء لان السماء أبعد وأفسح أي ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة أو في السماء التي هي أفسح منها وأبعد فانكم لا تفوتون الله والمراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في أعماق الارض أو علوتم الى البروج المشيدة الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أو أراد أي لا تعجزون بلاءه الظاهر في الارض أو النازل من السماء وجوز بعضهم أن يراد وما أنتم بمعجزين من في الارض ولا في السماء بحذف الموصول واقتصر في الشورى على قوله وما أنتم بمعجزين في الارض لانه خطاب للمؤمنين ونفى الثاني بقوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) لان الركن الشديد الذي يستند اليه اما ولي يشفع أو ناصر يدفع والاول أسهل الطريقين فلذلك قدم الولي على النصير ثم خص الوعيد

* وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأخذهم الطوفان قال هو الماء الذي أرسل عليهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الطوفان الغرق وقوله وهم ظالمون يقول وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وذكرنا الروايات فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وجعلناها آية للعالمين يقول وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيها عبرة وعظة للعالمين وحجة عليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنجيناه وأصحاب السفينة الآية قال أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي ولو قيل معنى وجعلناها آية للعالمين وجعلنا عقوبتنا اياهم آية للعالمين وجعل الهاء والالف في قوله وجعلناها كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك اذ كان قد تقدم ذلك في قوله فأخذهم الطوفان وهم ظالمون كان وجها من التأويل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد ابراهيم خليل الرحمن اذ قال لقومه اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الاوثان والاصنام فانه لا اله لكم غيره واتقوه يقول واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله ابراهيم لقومه انما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا يعني مثلا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تعبدون من دون الله أوثانا أصناما واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وتخلقون افكا فقال بعضهم معناه وتصنعون كذبا ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وتخلقون افكا يقول تصنعون كذبا * وقال آخرون وتقولون كذبا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وتخلقون افكا يقول وتقولون افكا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتخلقون افكا يقول تقولون كذبا * وقال آخرون بل معنى ذلك وتنحتون افكا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وتخلقون افكا قال تنحتون تصورون افكا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتخلقون افكا

أى تصنعون أصناما مخذثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخلقون افكا الأوثان التى ينحتونها بأيديهم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتصنعون كذبا وقد بينا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا انما تعبدون من دون الله أوثانا وتصنعون كذبا وباطلا (١) وانما فى قوله افكا مردود على انما كقول القائل انما تفعلون كذا وانما تفعلون كذا وقرأ جميع قراء الامصار وتخلقون افكا بتخفيف الخاء من قوله وتخلقون وضم اللام من الخلق وذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ وتخلقون افكا بفتح الخاء وتشديد اللام من التخليق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول جل ثناؤه أن أوثانكم التى تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيأ فابتغوا عند الله الرزق يقول فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم تدركوا ما تبتغون من ذلك واعبدوه يقول وذلوا له واشكروا له على رزقه اياكم ونعمه التى أنعمها عليكم يقال شكرته وشكرت له أفصح من شكرته وقوله اليه ترجعون يقول الى الله تردون من بعد مماتكم فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه وفى نعمه تتقلبون ورزقه تأكلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره وان تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم اليه من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم والبراءة من الأوثان فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم اليه الرسل من الحق فحل بها من الله سخطه ونزل بها منه عاجل عقوبته فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم اياه وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وما على محمد الا أن يبلغكم عن الله رسالته ويؤدى اليكم ما أمره بأدائه اليكم ربه ويعنى بالبلاغ المبين الذى يبين لمن سمعه ما يراد به ويفهم به ما يعنى به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الاشياء طفلا صغيرا ثم غلاما يافعا ثم رجلا مجتمعا ثم كهلا يقال منه أبدأ وأعاد وبدأ وعاد لغتان بمعنى واحد وقوله ثم يعيده يقول ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه كما بدأه أول مرة خلقا جديدا لا يتعذر عليه ذلك ان ذلك على الله يسير سهل كما كان يسيرا عليه ابداؤه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده بالبعث بعد الموت وقوله قل سيروا فى الارض يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات الجاحدين الثواب والعقاب سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذر عليه احداثها مبدئا فكذلك لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يقول ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

(١) لعل مراده وانما المقدرة فى قوله افكا مردود الخ والمقصود منه واضح اهـ كتبه مصححه

بالكافرين بآياته أى بدلائل الوحدانية وبالكتب والمعجزات وفى زيادة قوله (أولئك) اشارة الى أن اليأس من الرحمة منحصر فيهم لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ونسبة اليأس اليهم اما على سبيل (٨٩) الاخبار عن حالهم يوم القيامة أو على سبيل وصف الحال فان وصف المؤمن أن يكون راجيا خاشيا ونعت الكافر أن لا يخطر بباله خوف ولا رجاء بل يكون خائفا كما قيل الخائن خائف وجوز فى الكشاف أن يكون على طريقة التشبيه كأنه يشبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من رحمة الله ولعله ذهب الى هذا التشبيه لان اليأس من رحمة الله متوقف على الاعتراف بالله وبرحمته والكافر غير معترف بواحد من الامرين ثم بين بتكرير أولئك فى قوله (وأولئك لهم عذاب أليم) أن كل واحد من الوعيدين لا يوجد الا فيهم وان كان الوعيدان متلازمين فى الحقيقة ثم حكى أن جواب قوم ابراهيم لم يكن الا أنه قالوا فيما بينهم أو قال واحد ورضى به الباقون (اقتلوه) بالسيف ونحوه (أو حرقوه) بالنار وهذا ليس جوابا فى الحقيقة ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه بيان جهالتهم أنهم وضعوا الوعيد موضع الانقياد للنصيحة والاذعان للحق ثم بين أنهم اتفقوا على تحريقه فأنجاه من النار والقصة مذكورة فى سورة الانبياء (ان فى ذلك) الانجاء (لآيات) جمع الآية لعظم تلك الحالة كقوله ان ابراهيم كان أمة أو لأنها مشتملة على أحوال عجيبة كالرمى من المنجنيق من غير أن يلحق به ضرر وكما يروى أن النار صارت عليه روحا وريحانا الى غير ذلك وانما قال فى قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية ولم يذكر الجعل ههنا لأن الخلاص من مثل تلك النار آية فى نفسه وأما السفينة فقد جعلها الله آية بأن أحدث الطوفان وصانها عن الغرق ويمكن ان يقال ان الصون عن النار أعجب من الصون عن الماء فلذلك وحد الآية هناك وجمعها ههنا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق خلق السموات والارض ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي البعث بعد الموت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة قال هي الحياة بعد الموت وهو النشور وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره ان الله على انشاء جميع خلقه بعد افنائه كهيئته قبل فنائه وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شئ أراده ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) يقول تعالى ذكره ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا واليه تقلبون يقول واليه ترجعون وتردون وأما قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء فان ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قال لا يعجزه أهل الارضين في الارضين ولا أهل السموات في السموات ان عصوه وقرأ مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة وما أنتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء معجزين قال وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني قال ومثله قول حسان ابن ثابت

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن ينصره ويمدحه فأضمر من قال وقد يقع في وهم السامع أن النصر والمدح لمن هذه الظاهرة ومثله في الكلام أكرم من أتاك وأتى أباك وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا يريد ومن لم يأت زيدا فيكتفي باختلاف الافعال من اعادة من كأنه قال أمن يهجو ومن يمدحه ومن ينصره ومنه قول الله عز وجل ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وهذا القول أصح عندي في المعنى من القول الآخر ولو قال قائل معناه ولا أنتم بمعجزين في الارض ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين كان مذهبا وقوله ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلي أموركم ولا نصير ينصركم من الله ان أراد بكم سوأ ولا يمنعكم منه ان أحل بكم عقوبته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره والذين كفروا حجج الله وأنكروا أدلته وجحدوا لقاءه والورود عليه يوم تقوم الساعة أولئك يئسوا من رحمتي يقول تعالى ذكره أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعد لهم من العذاب وأولئك لهم عذاب موجع فان قال قائل وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وترك ضمير قوله فما كان جواب قومه وهو من قصة ابراهيم وقوله ان الذين تعبدون من دون الله الى قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون قيل فعل ذلك كذلك لان الخبر عن أمر نوح وابراهيم وقومهما وسائر من ذكر الله من الرسل والامم في هذه السورة وغيرها انما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الذين يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر وتحذير منه لهم أن يحل بهم ما حل بهم فكأنه قيل في هذا الموضع فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمدا

وإنما قال هناك آية للعالمين وههنا لآيات لقوم يؤمنون لان تلك السفينة بقيت أعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها للكل أو نقول جنس السفينة حصلت بعد ذلك (٩٠) فما بين الناس فكانت آية للعالمين وأما تبريد النار فلم يبق من ذلك أثر فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به * وههنا لطيفة وهي أن الله تعالى جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لغيره وقال قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم فحصل للمؤمنين بشارة بأن الله سيجعل النار على المؤمن المهتدي بردا وسلاما ثم حكى أنه بعد أن خرج من النار عاد الى النصيحة والدعاء لقومه الى التوحيد والاخلاص وذلك قوله (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة) قال جار الله من قرأ بالنصب بغير اضافة أو باضافة فعلى وجهين أحدهما التعليل أي لتتوددوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم وائتلافكم على عبادتها كما يتفق الناس على مذهب فيكون بينهم نسبة من ذلك الوجه الثاني أن يكون مفعولا ثانيا على حذف المضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم واتخذتموها مودودة بينكم ومن قرأ بالرفع باضافة أو بغير اضافة فعلى وجهين أيضا أن يكون خبر ان على أن ما موصولة والتقدير ان التي اتخذتموها أوثانا هي سبب مودة بينكم أو مودودة بينكم وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة وعلى هذا فالوقف على أوثانا حسن كما مر (ثم يوم القيامة) يقوم بين العبدة وكذا بينهم وبين أوثانهم التباغض والتلاعن نظيره كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والتحقيق فيه أنهم غلبت عليهم الجسمية ولذاتها فلهذا ألفوا الاصنام ولم تقبل عقولهم موجودا منزها عن الاجسام وخواصها فلا جرم اذا رفعت الحجب وكشف الغطاء عن عالم الارواح كما زالت نسبة الجسمية وظهرت الآلام الروحانية وعذبوا بنار الخسران والحرمان من غير شفعاء ولا أعوان فلذلك قال (ومأواكم النار

ومالكم من ناصرين) وانما لم يقل ههنا ومالكم من دون الله لان الله لا ينصر الكفار من أهل النار وانما جمع الناصر ههنا لأنه أراد في الاولى

 (فآمن له لوط) وكان ابن أخي

كما كذب أولئك ابراهيم ثم جعل مكان فكذبتم وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم اذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم ثم عاد الى الخبر عن ابراهيم وقومه وتميم قصته وقصتهم بقوله فما كان جواب قومه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم ابراهيم له اذ قال لهم اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون الا أن قال بعضهم لبعض اقتلوه أوحرقوه بالنار ففعلوا فأرادوا احراقه بالنار فأضرموا له النار فألقوه فيها فأنجاه الله منها ولم يسلطها عليه بل جعلها عليه برداوسلاما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما كان جواب قوم ابراهيم الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار قال قال كعب ما حرقت منه إلا وثاقه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان في انجائنا ابراهيم من النار وقد ألقي فيها وهي تسعر وتصييرناها عليه برداوسلاما لأدلة وحججا لقوم يصدقون بالادلة والحجج اذا عاينوا ورأوا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه وقال ابراهيم لقومه ياقوم انما اتخذتم من دون الله أوثانا واختلفت القراء في قراءة قوله مودة بينكم فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض الكوفيين مودة بنصب مودة بغير اضافة بينكم بنصبها وقرأ ذلك بعض الكوفيين مودة بينكم بنصب المودة واضافتها الى قوله بينكم وخفض بينكم وكأن هؤلاء الذين قرؤا قوله مودة نصبا وجهوا معنى الكلام الى انما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم فجعلوا انما حرفا واحدا وأوقعوا قوله اتخذتم على الاوثان فنصبوها بمعنى اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا تحابون على عبادتها وتتوادون على خدمتها فتتواصلون عليها وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة مودة بينكم برفع المودة واضافتها الى البين وخفض البين وكأن الذين قرؤا ذلك كذلك جعلوا ان ما حرفين بتأويل ان الذين اتخذتم من دون الله أوثانا انما هو مودتكم للدنيا فرفعوا مودة على خبر ان وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله انما أن تكون حرفا واحدا ويكون الخبر متناهيا عند قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا ثم يبتدئ الخبر فيقال ما مودتكم تلك الاوثان بنافعتكم انما مودة بينكم في حياتكم الدنيا ثم هي منقطعة واذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة بقوله في الحياة الدنيا وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودة رفعها على ضمير هي وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعاني لان الذين اتخذوا الاوثان آلهة يعبدونها اتخذوها مودة بينهم وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ثم هي عنهم منقطعة فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب لتقارب معاني ذلك وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراء الامصار ✻ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا قال صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة الا خلة المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا يقول تعالى ذكره ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الأوثان والاصنام والمتواصلون على خدمتها عند ورودكم على ربكم ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل والتوادد في الدنيا من أليم العذاب يكفر بعضكم

ابراهيم صدقه حين رأى النار لم تحرقه قالت العلماء ان لوطا آمن برسالة ابراهيم حين رأى المعجزة وأما بالوحدانية فآمن حين سمع مقالته اذ لو توقف في الايمان الى وقت اظهار المعجزة كان نقصا في مرتبته وقدحا في نور باطنه ألا ترى أن أبا بكر وعليا أسلما كما عرض النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهما (وقال) ابراهيم (اني مهاجر) من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ولهذا قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته امرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وهاجر معه لوط أيضا ومعنى (الى ربي) أي الى حيث أمرني بالهجرة اليه ومثله قوله اني ذاهب الى ربي وعبارة القرآن أدخل في الاخلاص لان المهاجر الى حيث امره الملك قد يهاجر اليه مرة أخرى لغرض نفسه فيصدق أنه مهاجر الى حيث أمره الملك ولا يصدق أنه مهاجر لاجل الملك ولرضاه وفي قوله (انه هو العزيز الحكيم) نوع تهديد لقومه وتصويب لما بدا له من الهجرة بأمر الله قال في الكشاف انه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي ثم ذكر ما أنعم به عليه من الاولاد والاحفاد ومن جعل النبوة وجنس الكتاب الالهي فيهم وهو التوراة والانجيل والزبور والفرقان ولهذا اندرج ذكر اسمعيل في الآية ولعل السر

في عدم ذكر اسمعيل والتصريح بذكره أن الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم قسمين أحدهما زمان اسحق ويعقوب وذراريهما الى زمان الفترة والآخر من محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم قيام الساعة وهو من ولد اسمعيل فطي ذكر اسمعيل اشارة الى تأخر زمان دولته والله أعلم ثم كرر

بعض يقول يتبرأ بعضكم من بعض و يلعن بعضكم بعضا وقوله ومأواكم النار يقول جل ثناؤه ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار وما لكم من ناصرين يقول ومالكم أيها القوم المتخذو الآلهة من دون الله مودّة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم فينقذونكم من عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم} يقول تعالى ذكره فصدّق ابراهيم خليل الله لوط وقال اني مهاجر الى ربي يقول وقال ابراهيم اني مهاجر دار قومي الى ربي الى الشام * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فآمن له لوط قال صدّق لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال هو ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فآمن له لوط أي فصدّقه لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال هاجرا جميعا من كوثى وهي من سواد الكوفة الى الشأم قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم و يبقى في الارض شرار أهلها حتى تلفظهم وتقذرهم وتحشرهم النار مع القردة والخنازير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فآمن له لوط قال صدّقه لوط صدق ابراهيم قال أرأيت المؤمنين أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به قال فالايمان التصديق وفي قوله اني مهاجر الى ربي قال كانت هجرته الى الشأم وقال ابن زيد في حديث الذئب الذي كلم الرجل فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنت له أنا وأبو بكر وعمر وليس أبو بكر ولا عمر معه يعني آمنت له صدّقته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال الى حران ثم أمر بعد بالشأم الذي هاجر ابراهيم وهو أول من هاجر يقول فآمن له لوط وقال ابراهيم اني مهاجر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي ابراهيم القائل اني مهاجر الى ربي وقوله انه هو العزيز الحكيم يقول ان ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء واليه هجرته الحكيم في تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فيما صرفهم فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى {ووهبنا له اسحق و يعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين} يقول تعالى ذكره ورزقناه من لدنا اسحق ولدا و يعقوب من بعده ولد ولد كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق و يعقوب قال هما ولدا ابراهيم وقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب بمعنى الجمع يراد به الكتب ولكنه خرج مخرج قولهم كثر الدرهم والدينار عند فلان وقوله وآتيناه أجره في الدنيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه ثواب بلائه فينا في الدنيا وانه مع ذلك في الآخرة لمن الصالحين فله هنالك أيضا جزاء الصالحين غير منتقص حظه بما أعطي في الدنيا من الاجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة وقيل ان الاجر الذي ذكره الله عز وجل أنه آتاه ابراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن والولد الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتيناه أجره في الدنيا قال الثناء حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن

ليث

ذكر النعمة بقوله (وآتيناه أجره في الدنيا) قال أهل التحقيق ان الله تعالى بدّل جميع أحوال ابراهيم عليه السلام بأضدادها لما أراد القوم تعذيبه بالنار جعلها الله عليه بردا وسلاما وهاجر فريدا وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركة كما وصفنا وكان لا مال له فكثر ماله حتى حصل له من المواشي واعلم الله عدده فقط يروى أنه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس في أعناقها أطواق من ذهب، وكان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فجعل الله له لسان صدق في الآخرين اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم بين بقوله (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أن تلك النعمة الدنيوية ولذاتها مقرونة بفلاح الآخرة وصلاحها جعلنا الله تعالى ببركته أهلا لبعض ذلك وهو المستعان قوله (ولوطا اذ قال) اعرابه كاعراب قوله وابراهيم اذ قال وقد مر والظاهر أن لوطا يكون قد أمر قومه بالتوحيد والعبادة أولا ثم نهاهم عن الفاحشة ثانيا الا أن الله تعالى قد حكى عنه ما اختص به و بقومه وهو قوله (انكم لتأتون الفاحشة) و يحتمل أن يكونوا موحدين الا أنهم بسبب الاصرار على الفعلة الشنعاء وتحليلها مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم الناهي عنها صاروا في حكم الكفرة واذا كان الزنا فاحشة كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة مع أن الزنا لا يفضي الى قطع النسل فاللواطة أولى بكونها فاحشة لتماديها في القبح ولافضائها الى انقطاع النسل و يعلم منه احتياجها الى الزاجر كالزنا بل أولى و يعلم منه افتقارها الى الرجم بدليل امطار الحجارة على أهلها ومعنى (ما سبقكم بها) أنه لم يأت بمثل هذا الفعل أحد قبلهم أولم يشتهر به ولم يبالغ فيه أحد وان ارتكبه بعضهم في الندرة كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل واللئام في اللؤم اذا زاد عليهم ومعنى (تقطعون السبيل) تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء و يجوز أن يكونوا قطاع الطريق

والظاهر يشعر به (وتأتون في ناديكم المنكر) أي تصنعون في مجلسكم قبح الاظهار والنادي هو المجلس مادام فيه الناس وعن عائشة كانوا يتجامعون وعن ابن عباس هو الحذف ومضغ العلك وحل الازار والفحش

في المزاح والسخرية بمن مرهم (فما كان

ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قوله وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين قال قال أجره في الدنيا أن كل ملة تتولاه وهو عند الله من الصالحين قال فرجع الى مجاهد فقال أصابه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مندل عمن ذكره عن ابن عباس وآتيناه أجره في الدنيا قال الولد الصالح والثناء حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وآتيناه أجره في الدنيا يقول الذكر الحسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه أجره في الدنيا قال عافية وعملا صالحا وثناء حسنا فلست بلاق أحدا من الملل الا يرضى ابراهيم ويتولاه وانه في الآخرة لمن الصالحين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الذكران ما سبقكم بها يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها وهي اتيان الذكران من أحد من العالمين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار في قوله انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه أئنكم أيها القوم لتأتون الرجال في أدبارهم وتقطعون السبيل يقول وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مر عليهم من المسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتقطعون السبيل قال السبيل الطريق المسافر اذا مر بهم وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث وقوله وتأتون في ناديكم المنكر اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم فقال بعضهم كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثني عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا روح بن عطيفة الثقفي عن عمرو بن مصعب عن عروة بن الزبير عن عائشة في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال الضراط * وقال آخرون بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح عن أم هانئ قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذي كانوا يأتون حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا أبو أسامة باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا سليم ابن أخضر قال ثنا أبو يونس القشيري عن سماك بن حرب عن أبي صالح مولى أم هانئ أن أم هانئ سئلت عن هذه الآية وتأتون في ناديكم المنكر فقالت سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبي زائدة قال سمعت عكرمة يقول في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مر بهم حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن عمر بن أبي زائدة قال سمعت

جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله) ولم يهددوه بنحو القتل والتخويف كما في قصة ابراهيم لأن ابراهيم كان يقدح في آلهتهم ويشتمهم بتعديد نقائصهم يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ فجعلوا جزاءه شر الجزاء وأما لوط فكان ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج أولا أخرجوا آل لوط من قريتكم واقترحوا من عذاب الله ثانيا ويجوز أن يكون على سبيل الاستهزاء فلاجرم (قال رب انصرني على القوم المفسدين) كأنه أيس من توبتهم وانابتهم ومن أن يلدوا تائبا مطيعا كما قال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها أو بابتداء الفواحش واقتداء من بعدهم بهم والبشرى هي البشارة بالولد والنافلة اسحق ويعقوب واضافة مهلكو اضافة تخفيف لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال أو الحال القريب منه لا الماضي ولأن المقصود يتضح بذلك لا بوصف الملائكة بمطلق الاهلاك والقرية سذوم ثم علل الاهلاك بأن الظلم قد استمر فيهم بناء على أن كان للثبوت والاستمرار ويحتمل أن يكون للزمان الماضي فان هذا القدر يكفي للتعليل والزائد عليه لا تحتاج الملائكة الى تقريره بخلاف ما في قصة نوح فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله تعالى ولا يحسن من الكريم أن يعاقب على الجرم السابق الا بعد تحقق الاصرار والاستمرار قال بعضهم ان تعلق البشرى بهذا الانذار هو أنه كان في اهلاك قوم لوط اخلاء الارض من العباد فقدمت البشارة المذكورة المتضمنة لوجود عباد صالحين حتى لا يتأسف على اهلاك قوم.

عكرمة قال الحذف حدثنا موسى قال أخبرنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى، وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان كل من مرّ بهم حذفوه فهو المنكر حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنا سماك بن حرب عن باذام أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم * وقال بعضهم بل كان ذلك اتيانهم الفاحشة فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم يعنى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد الليثى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور بن المعتمر عن مجاهد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يأتى بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال المجالس والمنكر اتيانهم الرجال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال ناديهم المجالس والمنكر عملهم الخبيث الذى كانوا يعملونه كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه ويركبونه وقرأ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وقرأ ما سبقكم بها من أحد من العالمين حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتأتون فى ناديكم المنكر يقول فى مجالسكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتحذفون فى مجالسكم المارّة بكم وتسخرون منهم لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم لوط اذ نهاهم عما يكرهه الله من اتيان الفواحش التى حرمها الله الا قيلهم ائتنا بعذاب الله الذى تعدنا ان كنت من الصادقين فيما تقول والمنجزين لما تعد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى من الله باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية يقول قالت رسل الله لابراهيم انا مهلكو أهل هذه القرية قرية سذوم وهى قرية قوم لوط ان أهلها كانوا ظالمين يقول ان أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى قوله نحن أعلم بمن فيها قال فجادل ابراهيم الملائكة فى قوم لوط أن يتركوا قال فقال أرأيتم ان كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم فقالت الملائكة ليس فيها عشرة أبيات ولا خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان قال فحزن على لوط وأهل بيته فقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين فذلك قوله يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أوّاه منيب فقالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير

من أبناء جنسه ثم ان ابراهيم لما سمع انذار الملائكة أظهر الاشفاق على لوط والحزن له قائلا (ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم) منك (بمن فيها) وأخبروا بحاله وحال قومه ومعنى (من الغابرين) من الماضين ذكرهم أو من يمضى زمانه ويفنى أو من الباقين فى المهلكين و(سىء بهم وضاق بهم ذرعا) قد مر فى هود وقال بعضهم يحتمل أن يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند ذلك تجتمع أعضاء الانسان وتقل مساحتها فقالت الملائكة (لا تخف) علينا (ولا تحزن) بسبب التفكر فى أمرنا وقال أهل البرهان وانما قيل ههنا

مردود فبعث الله اليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم فانتسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وتتبعهم بالحجارة بكل أرض ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للرسل من الملائكة اذ قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين فلم يستثنوا منهم أحدا اذ وصفوهم بالظلم ان فيها لوطا وليس من الظالمين بل هو من رسل الله وأهل الايمان به والطاعة له فقالت الرسل له نحن أعلم بمن فيها من الظالمين الكافرين بالله منك وان لوطا ليس منهم بل هو كما قلت من أولياء الله لننجينه وأهله من الهلاك الذى هو نازل بأهل قريته الا امرأته كانت من الغابرين الذين أبقتهم الدهور والايام وتطاولت أعمارهم وحياتهم وانها هالكة من بين أهل لوط مع قومها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره ولما أن جاءت رسلنا لوطا من الملائكة سىء بهم يقول ساءته الملائكة بمجيئهم اليه وذلك أنهم تضيفوه فساؤه بذلك فقوله سىء بهم فعل بهم من ساءه بذلك وذكر عن قتادة أنه كان يقول ساء ظنه بقومه وضاق بضيفه ذرعا حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عنه وضاق بهم ذرعا يقول وضاق ذرعه بضيافتهم لما علم من خبث فعل قومه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا قال بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه وقوله وقالوا لا تخف ولا تحزن يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط لا تخف علينا أن يصل الينا قومك ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم وذلك أن الرسل قالت له يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل انا منجوك من العذاب الذى هو نازل بقومك وأهلك يقول ومنجو أهلك معك الا امرأتك فانها هالكة فيمن يهلك من قومها كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط انا منزلون يا لوط على أهل هذه القرية سذوم رجزا من السماء يعنى عذابا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أى عذابا وقد بينا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يأتون من معصية الله ويركبون من الفاحشة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أبقينا من فعلتنا التى فعلنا بهم آية يقول عبرة بينة وعظة واعظة لقوم يعقلون عن الله حججه ويتفكرون فى مواعظه وتلك الآية البينة هى عندى عفو آثارهم ودروس معالمهم وذكر عن قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون قال هى الحجارة التى أمطرت عليهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله منها آية بينة قال عبرة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلت الى مدين أخاهم شعيبا فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالعبادة وارجوا اليوم الآخر يقول وارجوا بعبادتكم اياه جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول ولا تكثروا فى الارض معصية الله ولا تقيموا عليها ولكن

ولما أن جاءت بزيادة أن لأن لما تقتضى جوابا واذا اتصل به أن دل على أن الجواب وقع فى الحال من غير تراخ فى الظاهر كما فى هذه السورة وهو قوله سىء بهم وفى هود اتصل به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول أن ظاهرا مع أن القصة واحدة ثم ان الملائكة قالوا للوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا لابراهيم عليه السلام لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك ابتداء الوعد وهذا أوان انجازه فأرادوا أن ذلك الوعد حتم واقع منا كقولك أنا ميت لضرورة وقوعه ووجوده والرجز العذاب الذى يوقع صاحبه فى القلق

توبوا الى الله منها وأنيبوا وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول بقوله وارجوا اليوم الآخر بمعنى واخشوا اليوم الآخر وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول لم نجد الرجاء بمعنى الخوف فى كلام العرب الا اذا قارنه الجحد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ يقول تعالى ذكره فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا فى دارهم جاثمين جثوما بعضهم على بعض موتى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأصبحوا فى دارهم جاثمين أى ميتين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم عادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم وحلول سطوتنا بجميعهم وزين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله وتكذيبهم رسله فصدهم عن السبيل يقول فردهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر عن سبيل الله التى هى الايمان به ورسله وما جاؤهم به من عنده بهم وكانوا مستبصرين يقول وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم معجبين بها يحسبون أنهم على هدى وصواب وهم على الضلال * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين يقول كانوا مستبصرين فى دينهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكانوا مستبصرين فى الضلالة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم معجبين بها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وكانوا مستبصرين يقول فى دينهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات يعنى بالواضحات من الآيات فاستكبروا فى الارض عن التصديق بالبينات من الآيات وعن اتباع موسى صلوات الله عليه وما كانوا سابقين يقول تعالى ذكره وما كانوا سابقينا بأنفسهم فيفوتوننا بل كنا مقتدرين عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فأخذنا جميع هذه الامم التى ذكرناها لك يا محمد بعذابنا فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود والعرب تسمى الريح العاصف التى فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ومنه قول الاخطل

(١) ولقد علمت اذا العشار تروحت * هدج الرئال تكبهن شمالا
ترمى العضاه بحاصب من ثلجها * حتى يبيت على العضاه جفالا

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا قوم لوط

والاضطراب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب والمراد الحجارة وقيل النار وقيل الخسف وعلى هذا يراد أن الامر بالخسف والقضاء به من السماء (ولقد تركنا منها) أى من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة أو بقية الحجارة أو الماء الاسود أو قصتهم وخبرهم وقوله لقوم يتعلق بتركنا أو ببينة ولزيادة قوله بينة قال (لقوم يعقلون) بخلاف قوله فى قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا تتبين الا لذوى العقول وليس كل من فى العالم بذى عقل ثم أجمل سائر القصص والرجاء

(١) سبق هذا فى الكتاب على هذا الوجه وأورده فى الاغانى
ولقد علمت اذا الرياح تناوحت * هوج الخ فراجعه كتبه مصححه

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك فقال بعضهم هم ثمود قوم صالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أخذته الصيحة ثمود * وقال آخرون بل هم قوم شعيب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة في كتابه في غير هذا الموضع ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم فمن الأمم التي أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الامم دون بعض وكلا الأمتين أعني ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة وقوله ومنهم من خسفنا به الارض يعني بذلك قارون * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم عني بذلك قوم نوح عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أغرقنا قوم نوح * وقال آخرون بل هم قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أغرقنا قوم فرعون والصواب من القول في ذلك أن يقال عني به قوم نوح وفرعون وقومه لان الله لم يخصص بذلك احدى الامتين دون الاخرى وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما فهما معنيتان به وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يقول تعالى ذكره ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الامم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم فيظلمهم باهلاكه اياهم بغير استحقاق بل انما أهلكهم بذنوبهم وكفرهم بربهم وجحودهم نعمه عليهم مع تتابع احسانه عليهم وكثرة أياديه عندهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتصرفهم في نعم ربهم وتقلبهم في آلائه وعبادتهم غيره ومعصيتهم من أنعم عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) يقول تعالى ذكره مثل الذين اتخذوا الآلهة والاوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم اليها في ضعف احتيالهم وقبح رواياتهم وسوء اختيارهم لانفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها شيأ عند حاجتها اليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيأ ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم اياهم * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الى آخر الآية قال ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ان مثله كمثل بيت العنكبوت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت قال هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل الهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء

اما على أصله أو بمعنى الخوف وعلى الاول قال جار الله أراد افعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالصلاة مثلا على ارادة الشرط وهو الاسلام (فكذبوه) انما صح اطلاق التكذيب مع أن ما ذكره شعيب أمر ونهى والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق والتكذيب وكذا النهي لان قول شعيب يتضمن قوله الهكم واحد والحشر كائن والفساد محرم وكل واحد من هذه خبر ومعنى الرجفة والصيحة قد مر في الأعراف وفي هود وكذا انه لم قال مع الرجفة

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال هذا مثل ضربه الله لا يغنى أولياؤهم عنهم شيأ كما لا يغنى العنكبوت بيتها هذا وقوله وان أوهن البيوت يقول وان أضعف البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون يقول تعالى ذكره لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله فى قلة غنائهم عنهم كغناء بيت العنكبوت عنها ولكنهم يجهلون ذلك فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم الى الله زلفى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله ان الله يعلم ما تدعون فقرأته عامة قراء الامصار تدعون بالتاء بمعنى الخطاب لمشركى قريش ان الله أيها الناس يعلم ما تدعون اليه من دونه من شئ وقرأ ذلك أبو عمرو ان الله يعلم ما يدعون بالياء بمعنى الخبر عن الامم ان الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الامم من دونه من شئ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ بالتاء لان ذلك لو كان خبرا عن الامم الذين ذكر الله أنه أهلكهم لكان الكلام ان الله يعلم ما كانوا يدعون لان القوم فى حال نزول هذا الخبر على نبى الله لم يكونوا موجودين اذ كانوا قد هلكوا فبادوا وانما يقال ان الله يعلم ما تدعون اذا أريد به الخبر عن موجودين لا عمن قد هلك فتأويل الكلام اذ كان الامر كما وصفنا ان الله يعلم أيها القوم حال ما تعبدون من دونه من شئ وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ان أراد الله بكم سوأ ولا يغنى عنكم شيأ وان مثله فى قلة غنائه عنكم مثل بيت العنكبوت فى غنائه عنها وقوله وهو العزيز الحكيم يقول والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به وأشرك فى عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالايمان به قبل نزوله بكم كما نزل بالامم الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة عليكم فانه ان نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء كما لم يغن عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه الحكيم فى تدبيره خلقه فمهلك من استوجب الهلاك فى الحال التى هلاكه صلاح والمؤخر من أخر هلاكه من كفرة خلقه به الى الحين الذى فى هلاكه الصلاح وقوله وتلك الأمثال نضربها للناس يقول تعالى ذكره وهذه الامثال وهى الاشباه والنظائر نضربها للناس يقول نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس كما قال الاعشى

هل تذكر العهد من تمص اذ * تضرب لى قاعدا بها مثلا

وما يعقلها الا العالمون يقول تعالى ذكره وما يعقل أنه أصيب بهذه الامثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلا الا العالمون بالله وآياته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله يا محمد السموات والارض وحده منفردا بخلقها لا يشركه فى خلقها شريك ان فى ذلك لآية يقول ان فى خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج اذا عاينها والآيات اذا رآها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتل يعنى اقرأ ما أوحى اليك من الكتاب يعنى ما أنزل اليك من هذا القرآن وأقم الصلاة يعنى وأد الصلاة التى فرضها الله عليك بحدودها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اختلف أهل التأويل فى معنى الصلاة التى ذكرت فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها القرآن الذى يقرأ فى موضع الصلاة أو فى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى الوفاء عن أبيه عن ابن عمر ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال القرآن الذى يقرأ فى المساجد * وقال آخرون بل عنى بها الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى

فى دارهم على التوحيد ومع الصيحة فى ديارهم على الجمع سور) أهلكنا (عادا وثمود وقد تبين لكم) ذلك الاهلاك (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وكانوا مستبصرين) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال وكانوا عارفين باخبار الرسل أن العذاب نازل بهم ولكنهم لم ينظروا فى الدليل ولجوا حتى هلكوا (وما كانوا سابقين) أى أدركهم أمر الله فلم يفوتوه ثم قرر أمر المذنبين باجمال آخر يفيد أنهم عذبوا بالعناصر الاربعة فجعل ما منه تركيبهم سببا لعدمهم وما منه بقاؤهم سببا لفنائهم فالحاصب حجارة محماة

معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يقول فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس فى قول الله أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد قال قال العلاء بن المسيب عن سمرة بن عطية قال قيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة قال فانها لاتنفع الا من أطاعها * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا * قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم ابن البريد عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر قال قال سفيان قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك قال فقال سفيان إى والله تأمره وتنهاه * قال على وحدثنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال الصلاة اذا لم تنهه عن الفحشاء والمنكر قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحسن قالا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فانه لا يزداد من الله بذلك الا بعدا والصواب من القول فى ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال ابن عباس وابن مسعود فان قال قائل وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ان لم يكن معنيا بها ما يتلى فيها قيل تنهى من كان فيها فتحول بينه وبين اتيان الفواحش لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر ولذلك قال ابن مسعود من لم يطع صلاته لم يزدد من الله الا بعدا وذلك أن طاعته لها اقامته اياها بحدودها وفى طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر حدثنا أبو حميد الحمصى قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون فى قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال اذا كنت فى صلاة فأنت فى معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والفحشاء هى الزنا والمنكر معاصى الله ومن أتى فاحشة أو عصى الله فى صلاته بما يفسد صلاته فلا شك أنه لا صلاة له وقوله ولذكر الله أكبر اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال لى ابن عباس هل تدرى ما قوله ولذكر الله أكبر قال قلت نعم قال فما هو قال قلت التسبيح والتحميد والتكبير فى الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت قولا عجبا وما هو كذلك ولكنه انما يقول ذكر الله اياكم عندما أمر به أو نهى عنه اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن ربيعة عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله بن ربيعة قال سألنى ابن عباس عن قول الله ولذكر الله أكبر فقلت ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن حسن وذكره عند المحارم فيحتجز عنها فقال لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثنى

تقع على كل واحد منهم فتنقذ من الجانب الآخر وهو اشارة الى التعذيب بعنصر النار وأنه لقوم لوط والصيحة وهى تموج شديد فى الهواء لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) بالاهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك وقال بعض أهل العرفان وما كان الله ليضعهم فى غير موضعهم فان موضعهم الكرامة ولكنهم وضعوا أنفسهم مع شرفها فى عبادة الوثن الذى هو فى غاية الخسة فلذلك ضرب لهم المثل بالعنكبوت ونسجه الذى هو عند الناس فى غاية الوهن والضعف فان كان تشبيها مركبا

عبدالأعلى وقال ابن وكيع ثنا (١) عبدالأعلى قالى ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت قاعدا
عند ابن عباس فجاءه رجل فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر فقال ابن عباس الصلاة والصوم قال
ذاك ذكر الله قال رجل انى تركت رجلا فى رحلى يقول غير هذا قال ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العباد
أكبر من ذكر العباد اياه فقال ابن عباس صدق والله صاحبك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب
القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال حدثنى عن قول الله ولذكر الله
أكبر قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا حماد
ابن سلمة عن داود عن عكرمة ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا أبو
هشام الرفاعى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية ولذكر الله أكبر قال
هو قوله فاذكرونى أذكركم وذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنى على قال ثنا أبو صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولذكر الله لعباده اذا ذكروه أكبر من ذكركم اياه حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه
فى الصلاة أو غيرها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن داود بن أبى هند عن
محمد بن أبى موسى عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عامر عن أبى قرة عن سلمان مثله
حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو أسامة قال ثنى عبدالحميد بن جعفر عن صالح بن أبى
عريب عن كثير بن مرة الحضرمى قال سمعت أبا الدرداء يقول ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها الى
مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من أن تغزوا عدوكم فتضربوا أعناقهم وخير من اعطاء الدنانير
والدراهم قالوا ما هو قال ذكركم ربكم وذكر الله أكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا
سفيان عن جابر عن عامر عن أبى قرة عن سلمان ولذكر الله أكبر قال قال ذكر الله اياكم أكبر من
ذكركم اياه * قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال سألت أبا قرة عن قوله ولذكر
الله أكبر قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن
مجاهد وعكرمة قالا ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن
عطية عن ابن عباس قال هو كقوله اذكرونى أذكركم فذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال
ثنا حسن بن على عن زائدة عن عاصم عن شقيق عن عبدالله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد
أكبر من ذكر العبد لربه * قال ثنا أبو يزيد الرازى عن يعقوب عن جعفر عن شعبة قال
ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له * وقال آخرون بل معنى ذلك ولذكركم الله أفضل من كل شئ
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا عمر بن أبى زائدة عن
العيزار بن حريث عن رجل عن سلمان أنه سئل أى العمل أفضل قال أما تقرأ القرآن ولذكر الله
أكبر لا شئ أفضل من ذكر الله حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصى قال ثنا على بن عياش
قال ثنا الليث قال ثنى معاوية عن ربيعة بن يزيد عن اسمعيل بن عبيدالله عن أم الدرداء
أنها قالت ولذكر الله أكبر فان صليت فهو من ذكر الله وان صمت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله
فهو من ذكر الله وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولذكر الله أكبر قال لا شئ أكبر من ذكر الله قال أكبر الاشياء
كلها وقرأ أقم الصلاة لذكرى قال لذكر الله وانه لم يصفه عند القتال الا أنه أكبر حدثنا ابن وكيع

قال

فظاهر وان كان مفرقا فالمشرك
كالعنكبوت واتخاذه الصنم معبودا
وملجأ كاتخاذ العنكبوت نسجه
بيتا فانه يصير سببا لهلاكه
ولتنظيف البيت منه كعابد الوثن
يقع فى النار بسبب عبادته وفيه
أن العنكبوت كما أنه يصطاد بسبب
نسجه الذباب ولكنه لا بقاء له
ويتلاشى بأدنى سبب كذلك
الكافر يستفيد بشركه ما هو أقل
من جناح بعوضة وهو بعض متاع
الدنيا ولكنه كعمله يصير آخر الامر
هباء منثورا ثم عرض على العقول
صحة المثل المضروب قائلا (وان
أوهن البيوت لبيت العنكبوت)
بأنه لا يصلح للبقاء ولا للاستدفاء

(١) لعل أحد السندين ابن
عبدالأعلى وحرر كتبه مصححه

قال ثنا أبى عن الأعمش عن أبى اسحق قال قال رجل لسلمان أى العمل أفضل قال ذكر الله
* وقال آخرون هو محتمل للوجهين جميعا يعنون القول الاول الذى ذكرناه والثانى ذكر من قال
ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ولذكر
الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله أكبر مما سواه وذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا
أبو كريب قال ثنا إسمعيل بن إبراهيم قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس فى ولذكر
الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه وذكر الله عندما حرم * وقال آخرون
بل معنى ذلك لذكر الله العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك فى قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله
العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة * وقال آخرون بل معنى ذلك وللصلاة التى أتيت أنت بها
وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر حدثنى أحمد بن المغيرة
الحمصى قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون فى قول الله ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والذى أنت فيه من ذكر الله أكبر * قال
أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول
من قال ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه وقوله والله
يعلم ما تصنعون يقول والله يعلم ما تصنعون أيها الناس
فى صلاتكم من اقامة حدودها وترك ذلك
وغيره من أموركم وهو مجازيكم
على ذلك يقول فاتقوا أن
تضيعوا شيأ من
حدودها
والله أعلم

(تم الجزء العشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الحادى
والعشرون أوله القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب))

ولا للاستظلال ولا للاستكنان
والنسج فى نفسه ان فرض له فائدة
كما ان الصنم فى نفسه يمكن أن ينتفع
به ولكن اتخاذ النسج بيتا لا شك
أنه غير مفيد بل مضر كما مر فكذلك
عبادة الصنم ثم قال (لو كانوا يعلمون)
حذف الجواب ليذهب الوهم
كل مذهب أى لو كانوا يعلمون أن
هذا مثلهم وأمر دينهم لتابوا وندموا
ولو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه
وقد صح أن أوهن البيوت اذا
استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت
فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان
اذا استقريتها دينا دينا وصاحب
الكشاف علق هذا الشرط بما
قبله وليس بذاك وقد
مر فى الوقوف
والله أعلم

(استلفات لما فات)

سبق فى الجزء الخامس عشر من هذا الكتاب بصحيفة ١٠٣ بيت شعر صورته فى الاصول التى بأيدينا هكذا

اعلام يقلل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وهو كما ترى غير مستقيم الوزن والمعنى وفى أثناء البحث عن البيت عناية بصحة الكتاب اطلع عليه بعض فضلاء الأدب فقال لعل أصله

أغلام مضلّل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وبهذا يستقيم البيت من حيث الدراية فلتحرر الرواية والله أعلم

﴿ فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة

﴿ تم فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء العشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء العشرين من تفسير ابن جرير ﴾

صحيفه

صحيفه

﴿ تم فهرست الجزء العشرين من النيسابورى ﴾

